

سلسلة تحقيق التراث (٣٥)

البستان في إعراب مشكلات القرآن

تصنيف
أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي
المعروف بابن الأحنف اليمني
المتوفى سنة ٧١٧ هجرية

الجزء الثاني

من أول سورة العنكبوت إلى نهاية سورة الزخرف

دراسة وتحقيق
الدكتور أحمد محمد عبد الرحمن الجندي



البستان

في

إعراب مشكلات القرآن

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجندي، أحمد محمد
البستان في إعراب مشكلات القرآن/ أحمد محمد الجندي ـ الرياض، ١٤٣٩ هـ
٢٥١٣ ص، ١٧×٢٤ سم، ٥ مج.
١. القرآن ـ إعراب. ٢- القرآن ـ نحو. ٣- القرآن ـ القراءات والتجويد
أ. العنوان.
ديوي: ٢٢٤,٢
الإيداع: ٥٤٢٣/ ١٤٣٩
ردمك: ٣- ٥٥- ٨٢٠٦-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٤- ٥٨- ٨٢٠٦-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ = ٢٠١٨م

الموزّع خارج المملكة العربية السعودية:
أروقة للدراسات والنشر
هاتف وفاكس: ٤٦٤٦١٦٣ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني: info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني: www.arwiqa.net



البستان في إعراب مشكلات القرآن

تصنيف

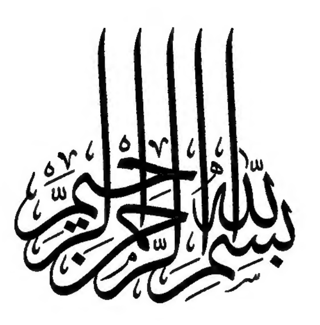
أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي
المعروف بابن الأحنف اليمني
المتوفى سنة ٧١٧ هجرية

الجزء الثاني

من أول سورة العنكبوت إلى نهاية سورة الزخرف

دراسة وتحقيق

الدكتور أحمد محمد عبد الرحمن الجندي


بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت
مكِّية

وهي أربعة آلاف ومائةٌ وخمسة وتسعون حرفًا، وتسعُمائة وثمانون كلمة، وتسعٌ وستون آية.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ سورةَ العنكبوت كان له من الأجر عشْرُ حسنات بعدد كلِّ المؤمنين والمنافقين»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورةَ العنكبوت ثَقَّلَ اللهُ ميزانَهُ، وبَيَّضَ وجهَهُ، وحُشِرَ صِدِّيقًا، ولَقَّاهُ كتابَهُ بيمينه»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قولـه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: أَظَنَّ الناسُ، يعني: المؤمنين الذين جَزِعوا من أصحاب رسول الله ﷺ من أذى المشركين ﴿أَن

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٦٩، الوسيط ٣/ ٤١٢، الكشاف ٣/ ٢١٣، مجمع البيان ٨/ ٥.

(٢) لم أعثر له على تخريج.

[٥٨/ أ] ﴿يُتۡرَكُوٓاْ﴾/ يعني: بغير اختبارٍ ولا ابتلاء، وهو استفهامٌ معناه التقرير والتوبيخ؛ أي: أَحَسِبُوا أَنْ نَقْنَعَ منهم بأن يقولوا: إنّا مؤمنون، ولا يُمْتَحَنُونَ بأن نَتَبَيَّنَ حقيقةَ إيمانهم(١)؟ وأصله من الحساب، والحُسْبانُ: قُوَّةُ أحد النقيضَيْن، والشَّكُّ: الوقوف بينَهما، واليقين: قطع أحدهما(٢).

وقوله: ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾؛ أي: لا يُبْتَلَوْنَ بالجهاد والصلاة والزكاة والحج والدِّينِ كُلِّهِ، فنعلمَ به صِدْقَ إيمانهم من كذبه، ومحل «أنِ» الأولى: نصب بـ﴿أَحَسِبَ﴾(٣)، والثانية: نصب بِنَزْعِ الخافض؛ أي: لأن يقولوا.

والعرب لا تقول: تركتُ فلانًا أَنْ يذهبَ، وإنما تقول: تركتُهُ يذهبُ، وفيه جوابان، أحدهما: أَنْ يُتْرَكُوا لأن يقولوا(٤)، والثانِي: على التكرير(٥)، تقديره: أحسِبَ الناسُ أن يُتركوا، أحسِبوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون، لا يُبْتَلَوْنَ لِيَظْهَرَ المخلص من المنافق.

---

(١) قاله الزَّجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٥٩، وينظر: معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢١١.
(٢) قاله السجاوندي في عين المعاني ورقة ٩٩/ ب.
(٣) «أَنْ» وما دخلت عليه سدت مسد مفعولي «حَسِبَ» عند سيبويه، ينظر: الكتاب ٣/ ١٦٦، ١٦٧، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٥٩، إعراب القرآن ٣/ ٢٤٧، المسائل الحلبيات ص ٦٥.
(٤) يعني: أنه منصوب بِنَزْعِ الخافض.
(٥) يعني: على البدل، وهذا الوجه والذي قبله قالهما الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٣١٤ وجعلهما سواءً فِي الصحة، وقالهما الزَّجّاج والنَّحاس أيضًا، ولكن الزَّجّاج جعل النصب بنزع الخافض أجود، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٥٩، ١٦٠، إعراب القرآن ٣/ ٢٤٧، وقد أنكر الفارسيُّ أن يكون ﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ بدلا من ﴿أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ فقال: «ولا يكون بدلًا؛ لأنه ليس الأولَ ولا بعضَهُ ولا مشتملًا عليه، ولا يستقيم حمله على الغلط». الإغفال ٢/ ٥١٨.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ يعني: بِرًّا بهما، وعَطْفًا عليهما، قرأه العامة بضمِّ الحاء وجزم السين، وقرأ أبو رجاءٍ العُطارِدي بفتح الحاء والسين، وفِي مصحف أُبَيٍّ: «إحسانًا»[1]، قال الزَّجّاج[2]: معناه: ووصَّينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يَحْسُنُ.

واختلف النحاة فِي نصب الحُسْنِ، فقال أهل البصرة[3]: على التكرير، تقديره: ووصيناه حُسنًا؛ أي: بالحسن، كما تقول: وَصَّيْتُهُ خَيْرًا؛ أي: بخير، وقال أهل الكوفة[4]: معناه: ووصَّينا الإنسان أن يفعل حُسْنًا، فحذفه لدلالة الكلام عليه، كقول الراجز:

١٠٥ - عَجِبْتُ مِنْ دَهْماءَ إِذْ تَشْكُونا
وَمِنْ أَبِي دَهْماءَ إِذْ يُوصِينا
خَيْرًا بِها كأَنَّنا جافُونا[5]

---

(١) قرأ أبو رجاء العطاردي وعيسى بن عمر وعاصم الجحدري وأبو العالية والضحاك: ﴿حَسَنًا﴾ بفتح الحاء والسين، وقرأ أُبَيٌّ وعاصم الجحدري: ﴿إِحْسَانًا﴾، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٥، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٩، مفاتيح الغيب ٢٥/ ٣٥، البحر المحيط ٧/ ١٣٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٦١.

(٣) قاله الأخفش بنصه تقريبًا في معاني القرآن ص ٤٣٦.

(٤) قاله الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ١٢٠، عند الآية ٢٣ من سورة الإسراء، قال أبو حيان: «وفِي هذا القول حذف «أَنْ» وصلتها وإبقاء المعمول، وهو لا يجوز عند البصريين». البحر المحيط ٧/ ١٣٨.

(٥) الأبيات من الرجز المشطور، لم أقف على قائلها، ويُروى الثالث: «**كَأَنَّما خافُونا**».

التخريج: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٠، جامع البيان ٢٠/ ١٦٠، الكشف والبيان ٧/ ٢٧١، المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٨، زاد المسير ١/ ١٠٨، عين المعاني ورقة ٩٩/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٩، البحر المحيط ٧/ ١٣٨.

أي: يوصينا أن نفعل خيرًا، وهو مثلُ قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾[1]؛ أي: يَمْسَحُ مَسْحًا، وقيل[2]: معناه: ألزمناه حُسنًا.

قيل: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وَقّاص الزُّهْرِيِّ - رضي الله عنه - وكان بارًّا بأُمِّهِ حَمْنَةَ بنتِ أبي سفيان بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فلما أسلم قالت: يا سعد! قد بلغني أنك صَبَوْتَ، فوالله لا يُظِلُّنِي سقفُ بيتٍ من شمس ولا ريح، وإنَّ الطعامَ والشرابَ عَلَيَّ حرامٌ حتى تكْفُرَ بمحمد وترجعَ إلى الدِّينِ الذي كنتَ عليه، فأَبَى عليها ذلك، فبقيتْ على حالها لا تَطعمَ ولا تشرب، ولا تَسْتَكِنُّ من ريح ولا شمس، ولا من حَرٍّ ولا بَرْدٍ / ولا [٥٨/ ب] مطرٍ، فلما خَلَص إليها الجوع لم يكن لها بُدٌّ من أن تأكل وتشرب وتَسْتَكِنَّ، فحَثَّ اللهُ سعدًا على البرِّ بِأُمِّـهِ، فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ والتي في «لقمان» و«الأحقاف»[3]، فأمره النبي ﷺ أن يَتَرَضّاها ويُحْسِنَ إليها، ولا يطيعَها في الشرك، فقال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ على أن تجعل لي مِثْلًا أو عِدْلًا أو صاحبة أو ولدًا ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾، فإنك إن فعلت لم يكن لك علمٌ في ذلك، ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⁽٨⁾﴾ في الدنيا، وكان سعدٌ أَحَبَّ ولدِها إليها.

---

(١) ص ٣٣.

(٢) يعني: على تضمين ﴿وَصَّيْنَا﴾ معنى: أَلْزَمْنا، وقد ورد هذا القول بغير عزو في الكشف والبيان ٧/ ٢٧١، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٩، الدُّر المصون ٥/ ٣٦١.

(٣) سورة لقمان ١٤، ١٥، وسورة الأحقاف ١٥، والخبر رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٨١، ١٨٦، ومسلم في صحيحه ٧/ ١٢٥، ١٢٦ كتاب فضائل الصحابة: باب في فضل سعد بن أبي وَقّاصٍ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٦ كتاب السير: باب «المسلم يتوقى في الحرب قتل أبيه».

فصل

رَوَى بَهْـزُ بن حَكيم[1] عن أبيه عن جدِّه، قال: قلت: يا رســول الله، مَنْ أَبـرُّ؟ قال: «أُمَّكَ»، قلت: ثم مَنْ؟ قال: «أُمَّـكَ»، قلت: ثم من؟ قال: «أُمَّكَ»، قلت: ثم من؟ قال: «أَباكَ ثم الأقربَ فالأقربَ»[2].

وعــن أنس بــن مالك، قــال: قال رســول الله ﷺ: «الجنة تحــت أقدام الأمهات»[3].

قولــه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ يعنــي: دينَنــا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴿١٢﴾﴾ يعني: أوزاركــم، وهو جزم على الأمر، كأنهم أَمَرُوا أَنْفُسَهُم بذلك، قال الفرَّاء[4]: لفظه أمر، ومعناه جزاء، مجازه: إنِ اتَّبعتم ســبيلنا حملنا خطاياكــم، كقوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾[5]، وقولــه تعالى ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾[6]، لفظه نَهْيٌ وتأويله جزاء، وهو

---

(١) هو: بَهْزُ بن حكيم بن معاوية بن حِيدَةَ، أبو عبد الملك القشيري البصري، الإمام المحدث، ثقة صدوق، روى عن أبيه، وروى عنه حماد بن سلمة والثوري، توفِّي سنة (١٥٠هـ). [سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٥٣، ميزان الاعتدال ١/ ٣٥٣].

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣، ٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ١٧٩ كتاب الزكاة: باب الاختيار في صدقة التطوع، ٨/ ٢ كتاب النفقات: باب من أحق منهما بحسن الصحبة، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٥٠ كتاب البر والصلة.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ٣٤٨، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٧٢، الجامع الصغير ١/ ٥٦٣، تذكرة الموضوعات ص ٢٠٢، وذكره الذهبي عن ابن عباس مرفوعًا في ميزان الاعتدال ٤/ ٢٢٠.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣١٤ باختلاف كبير في ألفاظه.

(٥) طه ٣٩.

(٦) النمل ١٨.

في معرض جزاء الشرط المعنوي، قال الشاعر:

١٠٦ ـ فقُلْتُ: ادْعِي وأَدْعُ، فإنَّ أَنْدَى لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ داعِيانِ[١]

أي: ولْأَدْعُ، في معرض: إِنْ تَدْعُ أَدْعُ.

فصل

رُوِيَ عن الحسن، عن النبي ﷺ أنه قال: «أَيُّما داعٍ دَعا إلى هدى، فاتُّبِعَ عليه وعُمِلَ به، فله مثل أجور الذين اتبعوه، ولا يُنْقَصُ من أجورهم شيءٌ، وأَيُّما داعٍ دَعا إلى ضلالة، فاتُّبِعَ عليها، وعُمِلَ بها، فعليه مثل أوزار الذين اتبعوه، ولا يُنْقَصُ من أوزارهم شيء»، ثم قرأ الحسن: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[٢].

وعن جرير بن عبد الله[٣] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ

(١) البيت من الوافر، لربيعة بن جُشَمَ، ونُسِبَ للحطيئة، وهو في ملحق ديوانه، ونُسِبَ للأعشى وللفرزدق، وليس في ديوانهما، ونُسِبَ لِدِثارِ بنِ شَيْبانَ النمريِّ، ويُروى: «وَأَدْعُوَ إِنَّ أَنْدَي».
التخريج: ملحق ديوان الحطيئة ص٢٧٤، الكتاب ٣/ ٤٥، معاني القرآن للفرَّاء ١/ ١٦٠، ٢/ ٣١٤، مجالس ثعلب ص ٤٥٦، سر صناعة الإعراب ص ٣٩٢، الإنصاف ص ٥٣١، شرح المفصل ٧/ ٣٣، ٣٥، أمالي ابن الحاجب ص ٨٦٤، اللسان: لوم، ندي، البحر المحيط ٧/ ١٣٩، ارتشاف الضرب ص ١٦٧٧، مغني اللبيب ص ٥١٩، المقاصد النحوية ٤/ ٣٩٢، شرح شواهد المغني ص ٨٢٧.

(٢) رواه ابن ماجه عن أنس في سننه ١/ ٧٥ باب «من سن سنة حسنة أو سيئة»، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٨ كتاب العلم: باب فيمن سن خيرًا أو غيره، وينظر: الدُّر المنثور ٤/ ١١٧، ٥/ ١٤٢.

(٣) هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، أبو عمرو أو أبو عبد الله البَجَلِيُّ، الصحابيُّ الشهير، توفِّي سنة (٥١هـ)، وقيل: (٥٤هـ). [أسد الغابة ١/ ٢٧٩، ٢٨٠، الإصابة ١/ ٥٨١-٥٨٣].

سَنَّ سُنَّةً حسنةً كان له أَجْرُهُا ومثلُ أجر من عمل بها من غير أن يُنْقَصَ من أجورهم شيء، ومَنْ سَنَّ سُنَّةً سيئة كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها، من غير أن يُنْقَصَ من أوزارهم شيء»[١].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ أي: مكث فيهم ألف سنة ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴿١٤﴾﴾ يدعوهم / إلى الإيمان بالله [٥٩/ أ]
فكذبوه، ونصب «أَلْفًا» على الظرف[٢]، ونصب ﴿خَمْسِينَ﴾ على الاستثناء من الموجب، و﴿عَامًا﴾ على التفسير.

فصل

رُوِيَ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «عاش نوحٌ ـ عليه السّلام ـ ألفَ سنة وأربعَمائة سنة وخمسين سنةً، عاش قبل أن يُبعث إلى قومه خمسين ومائتي سنة، ولَبِث فِي قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله تعالى، ومكث بعد الطُّوفان خمسين ومائتي سنة، فلما احتُضر قال له مَلَك الموت: يا أطولَ الأنبياء عمرًا، ويا أحسنهم عملًا، كيف رأيتَ الدنيا فِي طول ما عُمِّرْتَ؟ قال: فقام إلى بيت له بابان، فدخل من باب، وخرج من الآخر، فقال: يا مَلَك الموت: بمنزلة هذا الذي صنعت»[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٦٠-٣٦٢، ومسلم في صحيحه ٣/ ٨٦-٨٧ كتاب الزكاة/ باب الحث على الصدقة، ٨/ ٦١ كتاب العلم/ باب من سن سنة حسنة، والترمذي في سننه ٤/ ١٤٩ أبواب العلم/ باب فيمن دعا إلى هدى فاتُّبِعَ.

(٢) نصب «أَلْفَ» على الظرف؛ لإضافته إلى ظرف وهو «سَنةٍ».

(٣) روى ابن عساكر هذا الخبر عن أنس عن النبي ﷺ في تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٨١، وينظر: عين المعاني ٩٩/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٢، ٣٣٣، الدر المنثور ٥/ ١٤٣، كنز العمال ٣/ ٢٣٥.

وعن عكرِمة[1] أنه قال: «بَلَغَنا أن نوحًا ـ عليه السّلام ـ كان في بيت من شَعَرٍ أَلْفَ سنة وأربعَمائة سنة وخمسين سنة، كلما قيل له: يا نَبِيَّ الله، اتَّخِذْ بيتًا، فيقول: أموت غدًا، أموت غدًا، فلم يزل فيه حتى مات»[2].

وذكر ابن قُتيبة في كتاب المعارف، قال: «وفي التوراة أن نوحًا عليه السّلام عاش بعد الطُّوفان ثلاثَمائة وخمسين سنة، وكان عمره تسعمائة وخمسين سنة.

وقال وهْبٌ: كان عمره ألف سنة؛ لأنه بُعث إلى قومه وهو ابن خمسين سنة، ولبث يدعوهم إلى أن مات بعد تسعمائة وخمسين سنة»[3]، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾؛ أي: أطيعوا أَمْرَ الله وخافُوهُ، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني: عبادةَ الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من عبادة الأوثان ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٦﴾ ونصب ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: عطفًا على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ أي: وأرسلنا إبراهيم، وقيل: هو منصوب عطفًا على الهاء في قوله: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ﴾، وقيل: هو منصوب بمعنى: واذكر إبراهيم[4].

(١) هو: عكرمة بن عبد الله البربري، أبو عبد الله المدنِيُّ مولَى ابن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه نحو ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعيًّا، وخرج إلى بلاد المغرب، ثم عاد للمدينة، وتوفِّي بها سنة (١٠٥ هـ). [حلية الأولياء ٣/ ٣٢٦: ٣٤٧، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢-٣٦، الأعلام ٤/ ٢٤٤].

(٢) هذا القول حكاه ابن عساكر عن أَبِي المهاجر الرَّقِّيِّ في تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٨٠، وينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٣، الدر المنثور٣/ ٩٥.

(٣) المعارف ص ٢٤.

(٤) هذه الأوجه الثلاثة قالها النَّحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٢٥٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٨.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني كفّار مكة، قرأ الكوفيون ـ سوى حفص ـ بالتاء: على الخطاب لهم، وقرأ الباقون بالياء على الغَيْبة(١)، ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ يعني: كيف يخلقهم ابتداءً: من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة إلى تَمامِ الخَلْقِ؟ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ في الآخرة عند البعث؟ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ يريد: الخلق الأول والخلق الآخِر ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾؛ أي: ابحثوا فانظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم، هل تَجدون خالقًا غير الله؟ فإذا / علموا أنه لا خالِقَ ابتداءً إلّا الله [٥٩/ ب] لزمتهم الحجة فِي الإعادة، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾؛ أي: ثم الله الذي خلقها وبدأ خلقها يُنْشِئُها نَشْأَةً ثانية بعد الموت، وفيها لغتان: نَشاءةٌ بالمد، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرٍو والحَسَنِ حيث كان(٢)، ونَشْأةٌ بالقصر وتسكين الشين، وهي قراءة الباقين.

قال الفراء(٣): وهي مثل الرَّأْفةِ والرَّآفةِ، والكَأْبةِ والكَآبةِ، كُلٌّ صَوابٌ. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من البدء والإعادة ﴿قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ تُرَدُّونَ، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، اختلف أهل المعاني في

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر، وعاصمٌ في رواية حفص: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بالياء، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ، وأبو بكر عن عاصمٍ، وخلفٌ والشنبوذي والأعمش وابن وثاب بالتاء، ينظر: السبعة ص ٤٩٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٦، البحر المحيط ٧/ ١٤١، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٤٨، ٣٤٩.

(٢) وهي أيضًا قراءة ابن محيصن واليزيدي، ينظر: السبعة ص ٤٩٨، حجة القراءات ص ٥٤٩، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٧، ١٧/ ١١٨، ٢١٧، التيسير ص ١٧٣، الإتحاف ٢/ ٣٤٩.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣١٥.

وجهها، فقال الفرَّاء[(١)]: معناه: ولا مَنْ في السماءِ بِمُعْجِزٍ، وهو من غامض العربية للضمير الذي [لم] يظهر في الثاني، كقول حسان:

فمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ منكمْ ويَمْدَحُهُ ويَنْصُرُهُ سَواءُ[(٢)]

أراد: مَنْ يمدحه ومن ينصره، فأضمر «مَنْ». وإلى هذا التأويل ذهب عبد الرحمن بن زيد، وقال[(٣)]: لا يُعجِزه أهلُ الأرض فِي الأرض ولا أهلُ السماء فِي السماء إن عَصَوْهُ.

وقال قطرب[(٤)]: معناه: ولا في السماء لو كنتم فيها، كقولك: لا يَفُوتُنِي فلانٌ بالبصرة ولا هاهنا في بلدي، وهو معك في البلد؛ أي: ولا في البصرة

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣١٥، وهذا على مذهب الكوفيين والأخفش في جواز حذف الموصول الاسمي وبقاء صلته، وأما البصريون فإنهم لا يجيزونه، ويُخَرِّجُونَ الآيةَ والبيتَ على أن «مَنْ»: نكرة، قال المبرد: «وقالوا في بيت حسان:

فمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَواءُ

إنما المعنى: ومن يمدحه وينصره. وليس الأمر عند أهل النظر كذلك، ولكنه جعل «من» نكرة، وجعل الفعل وصفًا لها، ثم أقام في الثانية الوصف مقام الموصوف، فكأنه قال: وواحد يمدحه وينصره؛ لأن الوصف يقع في موضع الموصوف إذا كان دالًّا عليه». المقتضب ٢/ ١٣٥، وينظر في هذه المسألة: الأصول لابن السراج ٢/ ١٧٧، ١٧٨، إعراب القرآن ٣/ ٢٥٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٨، شواهد التوضيح والتصحيح ص ٧٦، ٧٧، ارتشاف الضرب ص ١٠٤٥ وما بعدها، البحر المحيط ٧/ ١٤٢، الدر المصون ٥/ ٣٦٢.

(٢) سبق تخريجه ضمن عدة أبيات لحسان برقم ٧٧، ١/ ٤٣٦.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ٢٠/ ١٧٠، الكشف والبيان ٧/ ٢٧٥، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٧.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٢٧٦، الوسيط ٣/ ٤١٧، مجمع البيان ٨/ ١٩، زاد المسير ٦/ ٢٦٦، عين المعاني ورقة ٩٩/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٧ وبدون نسبة في معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢١٨.

لو صار إليها، وهذا معنى قول مقاتل[١]، يقول: وما أنتم يا كفّارَ مكة بسابقي اللهِ فتفوتونه، في الأرض كنتم أو في السماء كنتم، أينما تكونوا حتى يجازيكم بأعمالكم السيئة، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يمنعكم مني ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ ينصركم من عذابي.

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ يعني: قوم إبراهيم عليه السّلام حين دعاهم إلى الله، ونَهاهُمْ عن عبادة الأصنام ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴿٢٤﴾﴾ قرأ العامة: ﴿جَوابَ﴾ بنَصْب الباء على أنه: خبر ﴿كانَ﴾، و﴿أَن قَالُوٓاْ﴾: في محل الرفع على اسم ﴿كَانَ﴾، وقرأ سالمٌ الأفطس[٢]: ﴿جَوابُ﴾ رفعًا: على اسم ﴿كَانَ﴾، و﴿أَن قَالُوٓاْ﴾ موضعه: نصب على خبرها[٣].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني: إبراهيم عليه السّلام ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ﴾ اختلف القراء فيها، فقرأ ابن كثير وأبو عَمْرو والكسائي ويعقوب: ﴿مَوَدَّةُ﴾ رفعًا ﴿بَيْنِكُمْ﴾ خفضًا بالإضافة، وهو الاختيار على معنى: إن الذين اتخذتم من دون الله أوثانًا هي مودة بينكم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، ثم تنقطع في الآخرة، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ

---

(١) ينظر قوله في الوسيط ٣/ ٤١٧، زاد المسير ٦/ ٢٦٦، مجمع البيان ٨/ ١٩.

(٢) هو: سالِمُ بن عجلان الأفطسُ، أبو محمد الجَزَرِيُّ الحَرّانِيُّ، مولى بني أمية، تابعي ثقة صدوق إلا أنه كان مُرْجِئًا، روى عن ابن جبير والزهري، روى عنه الليث والثوري، قُتِلَ صَبْرًا مع بني أمية سنة (١٣٢هـ). [ميزان الاعتدال ٢/ ١١٢، ١١٣، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٨٢].

(٣) قرأ سالِمٌ الأفطس والحسن وعمرو بن دينار: ﴿فَما كانَ جَوابُ قَوْمِهِ﴾ بالرَّفع، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٨، البحر المحيط ٧/ ١٤٤.

﴿بَلَٰغٌ﴾[(١)]؛ أي: هذا بلاغ، وقوله تعالى: ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾ ثم قال: ﴿مَتَٰعٌ﴾[(٢)]؛ أي: هو متاع، فلذلك أضمر هاهنا «هِيَ»، ويجوز أن يكون خبر «إِنَّ».

[٦٠/ أ] وقرأ عاصم في بعض الروايات: ﴿مَوَدَّةٌ﴾ مرفوعةً / منوَّنةً ﴿بَيْنَكُمْ﴾ نصبًا على الظرف، وهو راجع إلى معنى القراءة الأولى، وقرأ حمزة وحفص: ﴿مَّوَدَّةَ﴾ بالنصب: مفعول له ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ بالخفض: على الإضافة؛ لوقوع الاتخاذ عليها، وجعل ﴿إِنَّمَا﴾ حرفًا واحدًا.

وقرأ الآخرون: ﴿مَوَدَّةً﴾ نصبًا منوَّنًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالنصب على المحل، وهي راجعةٌ إلى معنى قراءة حمزة[(٣)].

ومعنى الآية: إنكم اتخذتم الأوثانَ مودّة بينكم في الحياة الدنيا، تَتوادُّونَ وتَتحابُّونَ على عبادتها، وتتواصلون عليها، ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾، وتَسُبُّونَ الأوثانَ، ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ العابدون والمعبودون، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥﴾.

---

(١) الأحقاف ٣٥.

(٢) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ * مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾. النحل ١١٦، ١١٧.

(٣) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو في رواية أبي زيد وعَلِيِّ بنِ نصر عنه، ويعقوبُ والكسائيُّ وابنُ محيصنٍ ومجاهدٌ والكسائيُّ ورُوَيْسٌ: ﴿مَوَدَّةُ﴾ بالرَّفع غير منون ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ بالإضافة، وقرأ الأعشى عن أبي بكر عن عاصم، وأبو عمرو والأعمشُ والحسنُ وأبو حيوة وابنُ أبي عبلة وابنُ وَثَّابٍ: ﴿مَوَدَّةٌ﴾ بالرَّفع منونًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالنصب، وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ، وحمزةُ وَرَوْحٌ والأعمشُ: ﴿مَّوَدَّةَ﴾ بالنصب غير منون ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ بالإضافة، وقرأ أبو عمرو في رواية أخرى عن أبي زيد عنه، ونافعٌ وابنُ عامر وأبو بكر عن عاصمٍ، ويعقوبُ وخَلَفٌ: ﴿مَوَدَّةً﴾ بالنصب منونًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالنصب، ينظر: السبعة ص ٤٩٨-٤٩٩، الحجة للفارسي ٣/ ٢٥٨-٢٦٠، حجة القراءات ص ٥٥٠-٥٥١، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٨، التيسير ص ١٧٣، البحر المحيط ٧/ ١٤٤، النشر ٢/ ٣٤٣، الإتحاف ٢/ ٣٤٩-٣٥٠.

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾؛ أي: واذكرْ لوطًا إذ قال لقومه، وقيل: معناه: وأرسلنا لوطًا إلى قومه ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ يعني إتيان الرجال في أدبارهم، وكانوا لا يأتون إلّا الغُرَباءَ ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ يعني الفاحشة ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ يعني: فيما مضى قبلكم، و«مِن» الأولى صلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ يعني: قَلْبًا، وهو نصب على البيان[1]، وقد تقدم تفسيره في سورة هود[2]، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ يعني: بناتِه. قرأ ابن كثير والكوفيون ـ سوى حفص ـ: ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد[3]، قال المبرد[4]: والكاف في قوله: ﴿مُنَجُّوكَ﴾ مخفوضة، ولم يَجْرِ عَطْفُ الظاهر على المضمر المخفوض، فمحل الثاني على المعنى، وصار التقدير: ونُنْجِي أَهْلَكَ، أو: ومُنَجُّونَ أَهْلَكَ.

ثم استثنى امرأته، فقال تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني: من الباقين في العذاب، فهلك قوم لوط، ثم هلكت بَعْدُ بحَجَرٍ أصابها فقتلها، ورَوَى أبو ماجدٍ[5] عن مَن رَأَى امرأةَ لوطٍ ممسوخةً حَجَرًا يحَيْض عند كل شهر[6].

---

(١) يعني على التمييز، وهو محول عن الفاعل؛ أي: ضاق ذرعه بهم، ينظر: اللسان: ذرع.
(٢) الآية ٧٧، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.
(٣) ينظر: السبعة ص ٥٠٠، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٤٣، النشر ٢/ ٣٤٣، الإتحاف ٢/ ٣٥١.
(٤) المقتضب ٤/ ١٥٢، الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٦٤.
(٥) لعله عائذ بن نضلة الحنفي أو العجلي، قال البخاري والنسائي: منكر الحديث جدًّا، قال الدارقطني: مجهول متروك، روى عنه يحيى الجابر. [التاريخ الكبير ٩/ ٧٣، الضعفاء والمتروكين ص ٢٥٣، تهذيب الكمال ٣٤/ ٢٤١].
(٦) هذا الخبر رواه ابن عدي عن أبِي الجلد في الكامل في الضعفاء ١/ ٢٠١، وينظر: تاريخ =

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾؛ أي: وأرسلنا إلى مدين ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ وهو: شعيب بن نُوَيْبِ بن مدين بن إبراهيمَ خليلِ الرحمن، ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وَحِّدُوا الله وأطيعوه فيما أمركم به، ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ يعني: واخْشَوُا البَعْثَ الذي فيه جزاء الأعمال، ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ يعني: تَسْعَوْا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٣٦﴾ يعني: بالمعاصي فِي شأن المكيال والميزان، وهو الفساد في الأرض، ونصب / ﴿مُفْسِدِينَ﴾ على الحال، وقد تقدم النظير والتفسير. [٦٠/ ب]

قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ ٣٨﴾ وهما ابنا عَمٍّ. وقرأ حمزة وحفص: ﴿وَثَمُودَ﴾[١] بغير تنوين، والتقدير: وأهلكنا عادًا وثمودَ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ٣٩﴾ عطفٌ على عاد فِي جميع أموره، وهي أسماء أعجمية مَعرِفة، فلذلك لم تنصرف.

قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾؛ أي: عاقبْنا بتكذيبه، ونصب «كُلًّا» بـ«أَخَذْنا»، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحًا تأتي بالحصباء، وهو: صغار الحصى، وهم قوم لوط، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ يعني: ثمودَ قومَ صالح ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني قارون وأصحابه، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني: فرعون وقومه وقوم نوح، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم على غير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٠﴾، ومحل «مَنْ»: رفع في الجميع على: خبر الصفة[٢]، و﴿أَنفُسَهُمْ﴾: نصب بوقوع ﴿يَظْلِمُونَ﴾ عليه.

= دمشق ٥٠/ ٣٢٦، ٣٢٧، ميزان الاعتدال ١/ ١٣٤، الدر المنثور ٣/ ٣٤٥.

(١) وقرأ الباقون بالتنوين، ينظر: السبعة ص ٣٣٧، حجة القراءات ص ٣٤٤، ٣٤٥، النشر ٢/ ٢٨٩، البحر المحيط ٧/ ١٤٧.

(٢) هذا على مذهب الكوفيين، يرفعون ما بعد الظرف والجار والمجرور على أنه فاعل بهما، ينظر في ذلك: الإنصاف ص ٥١، شرح الكافية للرضي ١/ ٢١٦: ٢١٨، ارتشاف الضرب ص ١١٠٦.

ثم ضرب لهم مثلًا، فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني الأصنام يَرْجون نصرَها ونفعها عند حاجتهم إليها ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ فكما أن بيت العنكبوت لا يدفع عنها بَرْدًا ولا حَرًّا، كذلك هذه الأوثان لا تملك لعابدها نفعًا ولا ضرًّا.

قوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾؛ أي: أضعف البيوت كلها ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ يعني: إنْ كانوا يعلمون أن بيت العنكبوت لا بَيْتَ أَضْعَفُ منه فيما تتخذه الهَوامُّ، ولا أَقَلُّ وقايةً من حَرٍّ أو بَرْدٍ، وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ الله ـ عزّ وجلّ ـ للكفار. قال النحاة[1]: العنكبوت مؤنثة للتاء التي فيها، وقد يذكِّرها بعض العرب، وأنشد الفراء[2]:

١٠٧ ـ على هَطّالِهِمْ منهُمْ بُيُوتٌ كأَنَّ العَنْكَبُوتَ هُوَ ابْتَناها[3]

وسُمِّيَت العنكبوتَ لأنها تُعَنْكِبُ بَيْتَها بعضَهُ على بعض، ووَزْنه: «فَعْلَلُوتٌ»، وفي جمعها وجوه، يقال: عَناكِبُ وعَناكِيبُ وعِكابٌ وعُكُبٌ وأَعْكُبٌ، وحُكِيَ أنه يقال أيضًا: عَنْكَبٌ[4].

---

(١) قال الفرَّاء: «العنكبوت يُؤَنَّثُ ويُذَكَّرُ، والتأنيث أكثر، قال الله عزّ وجلّ: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾». المذكر والمؤنث للفرّاء ص ٩٢، وينظر: المذكر والمؤنث للسجستاني ص ١٨٢، المذكر والمؤنث لابن التستري ص ٥٢، ٥٥.

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٣١٧، والمذكر والمؤنث له أيضًا ص ٩٢.

(٣) البيت من الوافر، لم أقف على قائله، ويروى: «**على أَهْطالِهِمْ**»، والهَطّالُ: اسم جبل.
التخريج: التهذيب ٣/ ٣٠٩، الكشف والبيان ٧/ ٢٨٠، المخصص ١٧/ ١٧، معجم البلدان ٥/ ٤٦٩، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٤٢٦، ديوان الأدب ١/ ٣٢٩، شمس العلوم ١٠/ ٦٩٤٩، عين المعاني ورقة ٩٩/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٤٥، ٣٤٦، اللسان: عنكب، هطل، البحر المحيط ٧/ ١٤٨، الدر المصون ٥/ ٣٦٦، خزانة الأدب ٥/ ٨٧، تاج العروس: عكب، هطل.

(٤) من أول قوله: «وفي جمعها وجوه» قاله النَّحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٥٧.

فصل

رُوِيَ عن عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «طَهِّرُوا بيوتكُمْ من نَسْجِ العنكبوت، فإن تركه في البيت يورث الفقر»(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؛ أي: أَلْطَفُ وأَرْفَقُ، وهو الجميل من القول / والدعاء إلى الله تعالى بآياته والتنبيه على حُجَجِه، والجدال: فَتْلُ الخَصْمِ عن مذهبه بطريق الحِجاج فيه، وأصله شِدّةُ الفَتْلِ، ومنه قيل للصَّقْرِ: أَجْدَلُ، لشِدّةِ فَتْلِ بَدَنِهِ وقُوّةِ خَلْقِهِ، وقيل: الجِدالُ مأخوذ من الجَدالةِ، وهو: أن يَرُومَ كلُّ واحد من الخصمَيْن قَهْرَ صاحبه وصَرْعَهُ على الجَدالةِ، وهي الأرض(٢). [٦١/ أ]

ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ۝٤٦﴾ يعني: إلا من أَبَى أن يُقِرَّ بالجِزْيةِ ونَصَبَ الحَرْبَ، فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ استهزاءً منهم وتكذيبًا ﴿وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ رَفْع بإضمار فعل تقديره: ولولا ثَبَتَ أَجَلٌ مسمى لِعذابِهم(٣)، وهو يوم القيامة، ﴿وَلَيَأۡتِيَنَّهُم﴾ العذاب ﴿بَغۡتَةٗ﴾ يعني: فجأةً

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٨٠، المحرر الوجيز ٤/ ٣١٨، عين المعاني ورقة ٩٩/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٤٦.

(٢) ينظر في هذين المعنيين: التهذيب ١٠/ ٦٥٠، الكشف والبيان ٧/ ٢٨٤.

(٣) قوله: «ولولا ثبت أجل»، يعني أن «أَجَلٌ»: مرفوع عنده على الفاعلية وفعله مضمر، وهذا مذهب الكسائي، وذهب الفرَّاء إلى الاسم بعد «لولا» مرفوع بها، فقال: «فإذا رأيت بعدها اسمًا واحدًا مرفوعًا فهو بمعنى «لولا» التي جوابها اللام». معاني القرآن ١/ ٣٣٤، وكرره =

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣﴾ بإتيانه، ونصب ﴿بَغْتَةً﴾ على: الحال أو المصدر[١].

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني: المهاجرين ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ قال ابن عباس: غرف الدُّرِّ والزَّبرجَد والياقوت، ولَنُنْزِلَنَّهُمْ قُصُورَ الجنة. وقرأ حمزة والكسائي وخلفٌ: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُمْ﴾[٢] من: أَثْوَيْتُ، قال الزَّجّاج[٣]: يقال: ثَوَى الرَّجُلُ: إذا أقام، وأَثْوَيْتُهُ: إذا أَنْزَلْتَهُ مَنْزِلًا يقيم فيه.

قال الأخفش[٤]: لا تعجبني هذه القراءة؛ لأنك لا تقول: أَثْوَيْتُهُ الدّارَ، بل تقول: فِي الدّارِ، وليس في الآية حرف جر في المفعول الثاني، وقال أبو عليٍّ الفارسي[٥]: هو على إرادة حرف الجر ثم حُذف، كما يقال:

= في المعاني ١/ ٤٠٤، وأما البصريون فإنهم يجعلون الاسم الواقع بعد «لولا» مرفوعًا بالابتداء، وخبره محذوف وجوبًا، قاله سيبويه في الكتاب ٢/ ١٢٩، وينظر في هذه المسألة أيضًا: المقتضب ٣/ ٧٦، الإنصاف للأنباري ص ٧٠-٧٨، شرح الكافية للرَّضي ١/ ٢٤٣، ارتشاف الضرب ص ١٩٠٤.

(١) في الأصل: «والمصدر».

(٢) قرأ: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُمْ﴾ عَلِيُّ بن أبي طالب وابن مسعود وزيد بن عَلِيٍّ والأعمش والربيع بن خيثم وابن وثاب وطلحة بن مصرف، ينظر: السبعة ص ٥٠٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٩٠، ١٩١، حجة القراءات ص ٥٥٤، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٥٩، البحر المحيط ٧/ ١٥٣، الإتحاف ٢/ ٣٥٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٧٣.

(٤) ينظر قول الأخفش في الحجة للفارسي ٣/ ٢٦٤، الوسيط ٣/ ٤٢٤، مجمع البيان ٨/ ٣٧.

(٥) الحجة للقراء السبعة ٣/ ٢٦٤، ونص كلامه: «هذا الذي رآه أبو الحسن يدل على أن «ثوى» ليس بِمُتَعَدٍّ، وكذلك تفسير أبي عبيدة: أنه النازل فيهم. ووجهه أنه كان في الأصل: لنثوينهم من الجنة غرفًا، كما تقول: لَنُنْزِلَنَّهم من الجنة في غُرَفٍ، وحُذِفَ الجارُّ كما حُذِفَ من قوله:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ

١٠٨ ـ أَمَرْتُـكَ الْخَيْـرَ............[1]

أي: بالخير. واللام: نصب على الجواب[2].

ثم وصف تلك الغُرَفَ فقال: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨﴾ يعني: ثواب المطيعين، ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ يعني: على دينهم فلم يتركوه لشدةٍ ولا لضيقٍ نزل بهم ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ يعني: لا ترفع رزقها معها، ولا تدخره لِغَدٍ، ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ حيث توجهتْ ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يومًا بيوم، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠﴾ بما فِي قلوبكم، قال سفيان[3]: ليس

---

(١) هذه قطعة من بيت من البسيط، وسوف يتكرر مرتين ٢/ ٣٦٥، ٤/ ٢٧٢ من هذا الكتاب، وهو بتمامه:

أمرتُكَ الخَيْرَ، فافْعَلْ ما أُمِرتَ بِهِ   فقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مالَ وَذا نَشَبِ

وقد نُسِبَ لعمرو بن معدي كرب، ولِخُفافِ بنِ نُدْبَةَ السلمي، وللعباس بن مرداس، ولأعشى طرود، ولزُرعةَ بنِ السّائب.

التخريج: ديوان عمرو بن معدي كرب ص ٦٣، ديوان العباس بن مرداس ص ٤٦، ديوان خفاف ابن ندبة ص ١٢٦، الكتاب ١/ ٣٧، معاني القرآن للأخفش ص ٣١٢، المقتضب ٢/ ٣٥، ٨٣، ٣٢٠، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٥١، إعراب القرآن ١/ ٣١٧، ٣٣٧، ٢/ ٢٧٦، ٥/ ١٤٠، ١٧٥، شرح أبيات سيبويه ١/ ١٧٠، المحتسب ١/ ٥١، ٢٧٢، أمالي ابن الشجري ٢/ ١٣٣، ٥٥٨، الحلل لابن السيد ص ٣٤، ١٦٩، ٣١٩، ٤١٠، التبيان للعكبري ص ٧٣، شرح المفصل ٢/ ٤٤، ٨/ ٥٠، الفريد ٤/ ٦١٨، شرح الكافية للرَّضي ١/ ١٩٣، ٤/ ١٤١، مغني اللبيب ص ٤١٥، ٧٣٦، شرح شواهد المغني ص ٧٢٧-٧٢٨، همع الهوامع ٣/ ١١، الخزانة ١/ ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٣، ٩/ ١٢٤.

(٢) قوله: «واللام: نصب على الجواب» ليس من كلام الفارسي، ومعنى نصب اللام: فتحها؛ لأنها لام جواب القسم.

(٣) هو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلاليُّ، أبو محمد الكوفِيُّ، مُحَدِّثُ الحرم المكي، وُلِدَ =

شيءٌ مما خلق الله يُخَبِّئُ ويَدَّخِرُ إلا: الإنسان والفأرة والنملة[١].

فصل

عن ابن عُمر ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ، فدخلت معه حائطًا من حوائط الأنصار، فجعل يَلْقُطُ الرُّطَبَ بيده ويأكل، فقال: «ما لكَ لا تأكلُ يا ابن عمر؟!»، فقلتُ: لا أشتهيه يا رسول الله، فقال ـ عليه السّلام ـ: «لكني أشتهيه، وهذه صُبْحُ رابعةٍ منذ لم أذق طعامًا»، فقلتُ: إنّا للهِ، اللهُ المستعان، فقال: «يا ابن عمر! لو شئتُ لَدعوتُ رَبِّي فأعطاني مثل مُلْكِ كِسْرَى وقَيْصَرَ أضعافًا مضاعفة، ولكنْ أجوع يومًا، وأشبع يومًا، فكيف بكَ يا ابن عمر إذا بقيتَ في قوم يخبِّئون رزق سنتهم، ويَضْعُفُ اليقينُ»؟ فوالله ما برِحنا حتى نزلت: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ...﴾ الآية[٢].

والدابة: كل حيوان يَدِبُّ على وجه الأرض مما يعقل ولا يعقل، وقد تقدم تفسير ﴿كَأَيِّنْ﴾ في سورة آل عمران[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ باطلٌ وغرور وعبث

= بالكوفة، وسكن مكة، وتوفِّي بها سنة (١٩٨هـ)، كان حافظا ثقة واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، حَجَّ سبعين سنة، من كتبه: الجامع في الحديث، التفسير. [سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤-٤٧٥، الأعلام ٣/ ١٠٥].

(١) ينظر قول سفيان في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢١٥، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢٣٥، الكشف والبيان ٧/ ٢٨٩، الوسيط ٣/ ٤٢٥.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٨٨-٢٨٩، الوسيط ٣/ ٤٢٥، أسباب النزول ص ٢٣١، وضَعَّفَهُ القرطبي في تفسيره ١٣/ ٣٥٩، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٣٠، الدر المنثور ٥/ ١٤٩.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾. آية ١٤٦، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

ينقضي عما قريب ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ يعني: الجنة ﴿لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾؛ أي: الحياة الباقية الدائمة التي لا زوال لها، يقول: هي دار الحياة لا موت فيها ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾؛ لأنهم لو علموا لرغبوا في الباقي الدائم عن الفانِي الزائل ولكنهم لا يعلمون.

والحيوان أيضًا: كلُّ ذي رُوح، وقوله: ﴿لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ يعني: هِيَ، واللام تُزادُ للتوكيد. والحيوان والحياة واحد، ومنه قولهم: نَهَرُ الحيوان؛ أي: نهر الحياة[1]، والحيَوان: مصدر بمنزلة الحياة فيكون كالنَّزَوانِ والغَلَيانِ، ويكون التقدير: وإن الدار الآخرة لَهِيَ دار الحيوان أو ذات الحيوان[2]، والمعنى: إن حياة الدار الآخرة هي الحياة؛ لأنه لا تنغيصَ فيها ولا نَفادَ لها، ولا يشوبها ما يَشُوبُ الحياةَ في هذه الدار الفانية، وهذا معنى قول جماعة المفسرين.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ يعني كفارَ مكة ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني: مُوَحِّدِينَ له الإسلامَ، وهو نصب على الحال، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ﴾ وأنقذهم من أهوال البحر ﴿إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾ فلا يوحِّدونه كما كانوا يوحِّدونه فِي البحر، ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ هذه لام الأمر[3]، ومعناه التهديد

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١١٧، وينظر: إعراب القرآن ٣/ ٢٦٠، ومعاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢٣٦، ولكن الزمخشري قال: «وفي بناء الحيوان زيادةُ مَعْنًى ليس في بناء الحياة، وهي ما في بناء «فَعَلاَنٍ» من معنى الحركة والاضطراب، كالنَّزَوانِ والنَّغَضانِ واللَّهَبانِ وما أشبه ذلك، والحياة حركة كما أن الموت سكون، فمجيئه على بناءٍ دالٍّ على معنى الحركة مبالغةٌ في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة». الكشاف ٣/ ٢١٢، وينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٣٦٢.

(٢) يعني: أنه على حذف مضاف، قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٣٣٩، والفارسي في كتاب الشعر ص ٣٢١.

(٣) هذه اللام لام «كي» كما هو واضح، وليست لام الأمر.

والوعيد، كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾[1]، ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم﴾[2]، والمعنى: لكي يجحدوا نعمة الله في إنجائِهِ إيّاهُم وسائرَ الأمة من اليَمِّ.

قوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾؛ أي: ولكي يتمتعوا إلى منتهى آجالهم، ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ عاقبةَ كفرهم، وقوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ جَزَمَ لامَه الأعمشُ وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ وابنُ كثيرٍ وأيوبُ وقالونُ، واختُلِفَ فيه عن عاصم، وقرأ الباقون بكسر اللام، وكذلك أيضًا رُوي عن / نافع وابن كثير[3]، واختاره أبو [٦٢/ أ] عبيد لقوله: ﴿لِيَكۡفُرُواْ﴾؛ ليكون الكلام نسقًا، ومَن جَزَمَ اللامَ احتج بقراءة أُبَيٍّ: ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾[4]، والكسر على «كَيْ»، والجزم على التهديد[5].

---

(١) فصلت ٤٠.

(٢) الإسراء ٦٤.

(٣) قرأ بإسكان اللام أيضًا: أبو عمرو في رواية أبي زيد عنه، ورُوِيَ عن عاصم إسكان اللام وكسرها، واختلف فيه أيضًا عن نافع، فروى عنه المسيبيُّ وإسماعيل وأبو بكر ابنا أبي أويس إسكانَ اللام، ورَوَى عنه ابنُ جَمّازٍ وإسماعيلُ بنُ جعفر ورُوَيْسٌ كَسْرَ اللام. ينظر: السبعة ص ٥٠٢، حجة القراءات ص٥٥٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٩٢، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٦٣، البحر المحيط ٧/ ١٥٥، النشر ٢/ ٣٤٤، الإتحاف ٢/ ٣٥٣.

(٤) قرأ أُبَيٌّ وابن مسعود وأبو العالية: ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾، ينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٣٦٣، البحر المحيط ٧/ ١٥٥.

(٥) قال ابن الأنباري: «وقوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ الاختيار أن تكون اللامُ لامَ الأمر، وهو أَمْرٌ في اللفظ وتَهَدُّدٌ في المعنى، فيكون الوقف على قوله: ﴿بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾، ويُقَوِّي هذا المذهبَ قراءةُ نافع والأعمش وحمزة: ﴿وَلۡيَتَمَتَّعُواْ﴾ بجزم اللام، ويجوز أن تكون لام «كَيْ». إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٢٩، ٨٣٠، وقال النَّحاس: «﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ لام «كَيْ»، ويجوز أن تكون لامَ أمرٍ؛ لأن أصل لام الأمر الكسر إلا أنه أَمْرٌ فيه معنى التهديد». إعراب القرآن ٣/ ٢٦٠، وينظر: الحجة للفارسي ٣/ ٢٦٥، الوسيط ٣/ ٤٢٦، الفريد للمنتجب الهمداني ٣/ ٧٤٥-٧٤٦.

قولـه ـ عـزّ وجـلّ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ يعني: عملـوا بالخير لله، و«في»[1] هاهنا بمعنى: اللام، تقديـره: والذين جاهدوا لَنا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ يعنـي: دِينَنا؛ أي: لَنُوَفِّقَنَّهُمْ ولَنَعْصِمَنَّهُمْ حتى يكونوا على الطريق المستقيم، وقـرأ أبو عمرو: ﴿سُـبْلَنا﴾ بإسـكان البـاء[2]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ بالعون لهم والنصرة في دنياهم والثواب والمغفرة في عُقباهم.

والـلام: لام توكيدٍ دخلت في «مع» على أحد أمرين، فمنهما: أن يكون اسـمًا، ولام التوكيد إنما تدخل على الأسماء، ومنهما: أن يكون حرفًا فتدخل عليها؛ لأن فيها معنى الاسـتقرار، كمـا تقول: إنّ زيدًا لَفي الـدار، و«مع» إذا سُـكِّنت فهي حرفٌ لا غير، وإذا فتحت جاز أن تكون اسـمًا وأن تكون حرفًا، والأكثـر أن تكون حرفًا جاء لمعنى، إلّا أنها فُتِحَتْ لِما وَقَعَ فيها مما ليس في أخواتها[3]، والله أعلم، وبالله التوفيق.

---

(١) في الأصل: «والفاء».

(٢) قرأ أبو عمرو وحده: ﴿سُبْلَنا﴾ بإسكان الباء حيث وقع، وضمها الباقون، ينظر: غيث النفع ص ٢٢٠، النشر ٢/ ٢١٦، الإتحاف ٢/ ٣٥٣.

(٣) مـن أول قوله: «لام توكيد دخلت» قاله النَّحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ٢٦٠، وقوله: «ومع إذا سـكنت فهي حرف لا غير... إلخ» مردود عليه بقول سـيبويه: «وسـألت الخليل عن «مَعَكُمْ» و«مَعَ» لأي شـيء نَصَبْتَها؟ فقال: لأنها اسـتُعْمِلَتْ غير مضافة اسمًا كجميع، ووقعـت نكرة، وذلك قولك: جاءا مَعًا وذَهَبا مَعًا، وقـد ذَهَبَ مَعَهُ ومَنْ مَعَهُ، صارت ظرفًا فجعلوها بمنزلة أَمامَ وقُدّامَ، قال الشاعر فجعلها كـ«هَلْ» حين اضطر، وهو الراعي:

وريشِـي مِنْكُـمْ، وهَـوايَ مَعْكُمْ ... وإنْ كانـتْ زِيارَتُكُـمْ لِمامـا».

الكتاب ٣/ ٢٨٦-٢٨٧.

وحكى ابن الشـجري عن الفارسـي أن «مَعَ» إذا فُتِحَتْ عينه فهو ظرف، وإذا أُسـكنت فهو حرف، ينظر: أمالي ابن الشجري ١/ ٣٧٤-٣٧٥، ٢/ ٥٨٣-٥٨٤. =



وبه نستعين

سورة الرُّوم

مكِّية

وهـي ثلاثة آلاف وخمسُـمائة وأربعةٌ وثلاثون حرفًا، وثمانِمائة وتسـعَ عشْرةَ كلمةً، وستون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عـن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضـي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «من قرأ سـورةَ الرُّوم كان له من الأجر بعدد كل مَلَك سَـبَّحَ اللهَ بين السماء والأرض، وأدركَ ما ضَيَّعَ فِي يومه وليلته»(١).

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سـورة الروم وقاه الله مِيتةَ السوءِ، وكتب له فضل أجر الشهداء»(٢).

= قـال المرادي: «أن تكون سـاكنةَ العين، وهـي لغة ربيعة وغَنْمٍ، ينونها على السـكون قبل متحرك، ويكسرون قبل ساكن، ولم يَحْفَظْ سيبويه أن السكون فيه لغة، فجعله من ضرورات الشعر». الجنى الدانِي ص ٣٠٥، وينظر أيضًا: شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٢٤١-٢٤٢، ارتشاف الضرب ٢/ ١٤٥٧، ١٤٥٨، أوضح المسالك ٣/ ١٤٨، مغني اللبيب ص ٤٣٩.

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٩١، الوسيط ٣/ ٤٢٧، الكشاف ٣/ ٢٢٨، مجمع البيان ٨/ ٤٢.

(٢) لم أعثر له على تخريج.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قولـه ـ عـزّ وجـلّ ـ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: فِي أَدْنَى أرضهم، قيل: هو طرف الشام، وقيل: يريد الجزيرة / ، وهي أقرب الأرض من الروم إلى فارس، وقيل: هي الأردنُّ وفِلَسطين. [٦٢/ ب]

قوله: ﴿وَهُم﴾ يعني الروم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾؛ أي: غَلَبَتِهِمْ، فحذف التاء منها، كما حذف من قوله: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[1]، وإنما هو إقامةُ الصلاة[2]، وقرأ أبو حَيْوةَ الشّامِيُّ بسكون اللام[3]، وهما لغتان مثل: الظَّعْنِ والظَّعَنِ، وقوله: ﴿سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ يعني: الرومُ يَغلِبون فارِسًا ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ يعني: إلى سبع سنين.

وقرأ عبد الله بن عُمر وأبو سعيد الخُدري والحسن وعيسى بن عمر:

---

(١) الأنبياء ٧٣، والنور ٣٧.

(٢) هذا قول الفرّاء في معاني القرآن ٢/ ٣١٩، وقد رَدَّ عليه النَّحاسُ بقوله: «وهذا غلط لا يخفى على كثير من أهل النحو؛ لأن «إقامَ الصَّلاةِ» مصدر حُذِفَ منه لاعتلال فِعْلِهِ، فجُعِلَت التاءُ عوضًا من المحذوف، و﴿غُلِبَتْ﴾ ليس بِمُعْتَلٍّ، ولا حُذِفَ منه شيءٌ. وقد حَكَى الأصمعيُّ: طَرَدَ طَرَدًا وحَلَبَ حَلَبًا وغَلَبَ غَلَبًا، فأَيُّ حَذْفٍ في هذا؟». إعراب القرآن ٣/ ٢٦٢.
فقول النَّحاس: «وقد حكى الأصمعي... إلخ» يعني أن الفعل «غَلَبَ» له مصدران: غَلَبٌ وغَلَبةٌ، وهذا ما حكاه الأزهري عن الليث، قال الأزهري: «قال الليث: يقال: غَلَبَ يَغْلِبُ غَلَبةً وغَلَبًا». التهذيب ٨/ ١٣٧، وينظر: معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢٤٣، الفريد ٣/ ٧٤٧، عين المعاني ١٠٠/ أ.

(٣) هذه قراءة عَلِيٍّ بن أبي طالب وابن عُمَرَ وأَبِي حيوة ومعاوية بن قرة ومحمد بن السميفع، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٧، تفسير القرطبي ١٤/ ٦، البحر المحيط ٧/ ١٥٧.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ بفتح الغين واللام ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ بضم الياء وفتح اللام[١].

والبِضْعُ: ما بين الثلاث والسبع، وقيل: ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشَرة[٢]، والنَّيِّفُ: أكثرُ العرب يجعله ما بين الواحد إلى الثلاثة في المذكر والمؤنث، وقال أبو زيد: وحَدُّ النَّيِّفِ ما بين الواحد إلى التسعة، فإذا قال: لهُ عَلَيَّ نَيِّفٌ وثلاثون، كان ما بين الواحد والثلاثين[٣] إلى التسعة والثلاثين، وكذا قولهم: قد نَيَّفَ على كذا.

قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۝٤﴾ يعني: مِن قَبْلِ دَوْلة الرُّومِ على فارسٍ ومِن بَعْدِها، و﴿قَبْلُ﴾ و﴿بَعْدُ﴾: ظرفا زمان، وهما مبنيّان، وأصلهما الإعراب، وإنما بُنِيا لأنهما تَعَرَّفا بغير ما تتعرف به الأسماء، وذلك أن الأسماء تتعرَّف بالألف واللام، وبالإضافة إلى المعرفة، وبالإضمار، وبالإشارة، وبالعهد، وليس في ﴿قَبْلُ﴾ و﴿بَعْدُ﴾ شيءٌ من ذلك، فلما تَعَرَّفا بخلاف ما تتعرَّفُ به الأسماءُ، وهو حَذْفُ ما أُضِيفا إليه، خالَفا الأسماءَ، وشابَها الحروفَ، فبُنِيا كما يُبْنَى الحرفُ، وإنما بُنِيا على الضم دون الفتح والكسر؛ لأنهما أشبها المنادى المفردَ، إذ المنادى يُعْرَبُ إذا أُضِيفَ أو نُكِّرَ، كما يُفْعَلُ بهما، فبُنِيا على الضم كما بُنِيَ المنادى المفرد[٤]، وهما مرفوعان

(١) وهي أيضًا قراءة عَلِيِّ بن أبي طالب وابن عباس ومعاوية بن قرة ونصر بن عَلِيٍّ وعُصْمةَ وهارون، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٩، مختصر ابن خالويه ص ١١٧، تفسير القرطبي ١٤/ ٤، ٥، البحر المحيط ٧/ ١٥٧.

(٢) ينظر في هذه الأقوال: مجاز القرآن ٢/ ١١٩، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٧٥، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣٤٢، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢٤٣، تهذيب اللغة ١/ ٤٨٨.

(٣) في الأصل: «والثلاثة».

(٤) من أول قوله: «وقبل وبعد: ظرفا زمان»، قاله مكِّي بنصه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٧٥، ١٧٦.

على الغاية، قاله الثعلبي[١].

قوله تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ يعني: ما وَعَدَهُمْ من ظهور الروم على فارس، فكان كذلك، وهو نصبٌ على المصدر، قال الزَّجّاج[٢]: ويجوز: «وَعْدُ اللهِ» بالرَّفع، بمعنى: ذلك وَعْدُ اللهِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفارَ مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ أن الله لا يخلف وعده في إظهار الروم على فارس.

[٦٣/ أ] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾؛ أي: أشركوا / ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ يعني: النارَ التي تَسُوؤُهُمْ، والسُّوأَى: اسمٌ لِجَهَنَّمَ، كما أن الحُسْنَى اسْمٌ للجنّة، وإنما سُمِّيَت النارُ سُوأَى لأنها تَسُوءُ صاحِبَها.

ويجوز رفع العاقبة ونصبها، نظيرها قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ﴾[٣]، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[٤]، قرأ الكوفيون وابنُ عامر بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع[٥].

---

(١) الكشف والبيان ٧/ ٢٩٤، يعني أنهما مبنيان على الضم، ومعنى كونهما غايةً: أن كل واحد منهما قُطِعَ عن الإضافة، وجُعِلَتْ غاية الكلمة ما بقي بعد الحذف، ينظر: الكتاب ٢/ ١٩٩، ٣/ ٢٨٦، ٢٨٧، المقتضب ٣/ ١٧٤، ١٧٥، ٤/ ٢٠٦، ٢٠٧، ٤٢٩، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٧٦، الأصول ١/ ٣٣٣، إعراب القرآن ٣/ ٢٦٥، ٥/ ٢٥٧: ٢٥٩، التهذيب ٢/ ٢٤٣، ٩/ ١٦٢، شرح الكافية للرضي ٣/ ٢٥٤، ٢٥٥، لسان العرب: بعد.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٧٧، ١٧٨، وهو معنى كلام الزَّجّاج، وليس نصه.

(٣) يونس ٢.

(٤) الشعراء ١٩٧.

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب واليزيدي والحسن: «عاقِبةُ» رفعًا، ورواها الكسائي وحسينٌ الجُعْفِيُّ عن أبي بكر عن عاصم، وقرأ الباقون وحفصٌ عن عاصم بالنصب، ينظر: السبعة ص ٥٠٦، حجة القراءات ص٥٥٦، القرطبي ١٤/ ١٠، النشر ٢/ ٣٤٤، الإتحاف ٢/ ٣٥٤.

فمن نصب جَعَلها خبر «كانَ» ونصبها متقدِّمةً كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، ويكون التقدير: ثم كان السوءُ عاقبةَ الذين أساءُوا، ويكون «أَنْ» في قوله: ﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ مفعولًا له؛ أي: لِأَنْ كذبوا بآيات الله، ﴿وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾، ومَنْ رَفَعَ فعلى معنى: ثم كان عاقبةُ التكذيب آخِرَ أمْرِهِم أن ماتُوا على كفرهم.

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾؛ أي: يَيْأَسُ المشركون من كل خير حين عاينوا العذاب، وقال الفراء[٢]: ينقطع كلامهم وحُجّتهم، قال الشاعر:

١٠٩ ـ يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسا؟ قال: نَعَمْ أَعْرِفُهُ، وأَبْلَسا[٣]

وقرأ السلمي: ﴿يُبْلَسُ﴾[٤] بفتح اللام، وقراءة العامة أجود.

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى

(١) الروم ٤٧.
(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٢٢.
(٣) الرجز للعجاج.
اللغة: الرسم: ما كان من آثار الديار لاصقًا بالأرض، المُكْرَسُ: الذي بَعَرَتْ فيه الإبل وبالت، فرَكِبَ بعضُه بعضًا، أَبْلَسَ: سَكَتَ، ولم يُحِرْ جوابًا.
التخريج: ديوانه ص ١١٨، معاني القرآن ١/ ٣٣٥، ٢/ ٣٢٣، مجاز القرآن ١/ ١٩٢، ٢/ ١٢٠، جمهرة اللغة ص ٧١٩، التهذيب ١٠/ ٥٣، ١٢/ ٤٤٢، مقاييس اللغة ٥/ ١٦٩، المخصص ٥/ ١٢٣، أساس البلاغة: بجس، شمس العلوم ٩/ ٥٨١٦، زاد المسير ٣/ ٤٠، عين المعاني ورقة ١٠٠/ ب، الفريد للهمداني ٣/ ٧٥٢، تفسير القرطبي ٦/ ٤٢٧، ١٤/ ١٠، اللسان: بلس، حلب، كرس، التاج: حلب، بلس، عجنس، كرس، وكف.
(٤) وهي أيضًا قراءة عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٧، تفسير القرطبي ١٤/ ١٠، البحر المحيط ٧/ ١٦٠.

رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ يعني: في بقعة خضراءَ، والروضة: ما يَنْبُتُ حول الغدير من الأَبِّ، قال الشاعر:

١١٠ ـ إذا كان مَن تَهْوَى يُعِينُ على الهَوَى فَما الحُبُّ إلّا رَوْضةٌ وغَدِيرُ[1]

قال الأصمعي[2]: لا يقال: روضةٌ حتى يكون لها ماءٌ تشرب منه. وقال أبو عُبيدة[3]: ليس عند العرب شيءٌ أَحْسَنَ من الرياض المُعْشِبةِ، ولا أَطْيَبَ رِيحًا منها.

وقوله: ﴿يُحۡبَرُونَ﴾ قيل: يُكْرَمُونَ بالتُّحَفِ، وقيل: يُنَعَّمُونَ، وقيل[4]: يُسَرُّونَ، والحَبَرةُ والحَبَرُ: السُّرُورُ، ومنه قيل: حَبْرةٌ تَتْبَعُها عَبْرة، قال العجاج[5]:

١١١ ـ الحَمْدُ للهِ الَّذي أَعْطَى الحَبَرْ مُوالِيَ الحَقِّ إنِ المَوْلَى شَكَرْ[6]

---

(١) البيت من الطويل، لم أقف على قائل له أو مناسبة أو تخريج.

(٢) ينظر قول الأصمعي في المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٢، تفسير الثعالبي ٤/ ٣٠٨.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٢٠.

(٤) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٣٤٠، ومعنى «حَبْرةٌ تَتْبَعُها عَبْرةٌ»؛ أي: سُرُورٌ يَتْبَعُهُ بُكاءٌ وحُزْن. اللسان: حبر.

(٥) هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء العجاج، راجز مُجِيدٌ، وُلِدَ في الجاهلية وقال الشعر فيها، أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك، ففُلِجَ وأُقْعِدَ، وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد، وكان لا يهجو، توفِّي سنة (٩٠هـ). [الشعر والشعراء ص ٥٩٥-٥٩٧، الأعلام ٤/ ٨٦].

(٦) الرجز للعجاج، ويُرْوَى الأول: «أَعْطَى الشَّبَرْ»، ويروى: «الخِيَرْ».

اللغة: الشَّبَر: العطية والخير، والشَّبْرُ، بسكون الباء،: مصدر قولهم: شَبَرْتُهُ شَبْرًا: إذا أعطيته.

التخريج: ديوانه ص ٢٤، ٣٤، مجاز القرآن ٢/ ١٢٠، ٢٠٥، إصلاح المنطق ص ٩٧، جمهرة اللغة ص ٣١١، الزاهر ١/ ١٢٤، ديوان الأدب ١/ ٢١٢، تهذيب اللغة ٥/ ٣٤، المخصص ١٥/ ٨٠، الاقتضاب ٣/ ٢٨٦، عين المعاني ورقة ١٠٠/ ب، اللسان: ثبت،=

أي: أَعْطَى السُّرُورَ، وقال بعضهم[1]: الحَبَرةُ في اللغة: كُلُّ نعمة حسنة، والتَّحْبِيرُ: التحسين، ومنه قيل للمِداد: حِبْرٌ؛ لأنه تُحَسَّنُ به الأوراقُ، وقيل للعالِمِ: حَبْرٌ؛ لأنه يَتَخَلَّقُ بالأخلاق الحسنة، قال الشاعر:

١١٢ ـ يُحَبِّرُها الكاتِبُ الحِمْيَرِيُّ[2]

/ وقيل: ﴿يُحۡبَرُونَ﴾: يتلذذون بالسماع فِي رياض الجنة.

فصل

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للجنة مائةَ دَرَجةٍ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردَوْس أعلاها سُمُوًّا وأَوْسَطُها مَحِلّةً، ومنها تتفجَّر أنهار الجنة، وعليها يوضَع العرش يوم القيامة»،

= حبر، شبر، التنبيه والإيضاح ٢/ ١٣٧، تاج العروس: حبر، شر.

(١) هو الزَّجّاج، وهذا ما قاله في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨٠، وينظر أيضًا: الكشف والبيان للثعلبي ٧/ ٢٩٦.

(٢) هذا عَجُزُ بيتٍ من المتقارب، لأبي ذؤيب الهُذَلِيِّ، وهو بتمامه:

عَرَفْتُ الدِّيارَ كَخَطِّ الدُّوِيِّ ... يُحَبِّرُهُ الكاتِبُ الحِمْيَرِيُّ

وروايته في ديوانه وفي شرح أشعار الهذليين:

عَرفْتُ الدِّيارَ كَرَقْمِ الدَّوا ... ةِ يَزْبِرُها الكاتِبُ الحِمْيَرِيُّ

اللغة: الدُّوِيُّ: جمع الدَّواةِ وهي ما يكتب به، حَبَّرَ الخَطَّ: حَسَّنَهُ، والزَّبْرُ: القراءة الخفيفة، وخَصَّ الكاتبَ الحِمْيَرِيَّ لأن أصل الخط العربيِّ لِحِمْيَرَ، ومن عندهم انتشر فِي سائر العرب.

التخريج: ديوان الهذليين ١/ ٦٤، شرح أشعار الهذليين ص٩٨، مجاز القرآن ١/ ٣٥٩، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٠، جمهرة اللغة ص٣٠٤، الزاهر ١/ ٧٤، إعراب القراءات السبع ١/ ١٤٠، مقاييس اللغة ٢/ ٣٠٩، التهذيب ١٤/ ٢٤٤، زاد المسير ٩/ ٥٥، شرح المفصل ١/ ٣١، عين المعاني ١٠٠/ ب، اللسان: دوا، ذبر، التاج: ذبر، دوي.

فقام إليه رجلٌ فقال: يا رسول الله! إنِّي رجل حُبِّبَ إِلَيَّ صَوْتٌ حَسَنٌ، فهل فِي الجنة صَوْتٌ حَسَنٌ؟، فقال: «إِي والذي نفسي بيده، إن اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ لَيُوحِي إلى شجرةٍ فِي الجنة أن أَسْمِعِي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتِي وذكري عن عزف البَرابِطِ[1] والمزامير، فتَرْفَعُ صَوْتًا لم يسمع الخلائق مثله قَطُّ، فِي تسبيح الرب وتقديسه»[2].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يُذَكِّرُ الناسَ الجنةَ وما فيها من الأزواج والنِّعم، وفي آخر القوم أعرابِيٌّ، فجَثا على ركبتيه، وقال: يا رسول الله: هل في الجنة سماع؟ قال: «نعم يا أعرابِيُّ، إن في الجنة لَنهرًا حافَتاهُ الأبكار من كل بيضاءَ خُوطانِيّةٍ، يَتَغَنَّيْنَ بأصوات لم يسمع الخلائقُ بمثلها قط، فذلك أفضلُ نعيمِ أَهْلِ الجنة»[3]. والخُوطانِيّةُ: المُرْهَفةُ الأعلى، الضخمةُ الأَسْفل.

وقيل[4]: إن في الجنة لَأَشْجارًا عليها أَخْراصٌ[5] من فِضّةٍ، فإذا أراد أهل الجنة السماعَ بعث الله ـ عزّ وجلّ ـ ريحًا من تحت العرش، فتقع على تلك الأشجار، فتُحَرِّكُ تلك الأخراصَ بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لَماتُوا طَرَبًا».

---

(١) البَرابِطُ: جمع بَرْبَطٍ، وهو العود من آلات الملاهي، وهو مُعَرَّب بِرْبِط، فارسي معناه صَدْرُ الإِوَزِّ لأن الضارب به يضعه على صدره. النهاية لابن الأثير ١/ ١١٢، اللسان: بربط.

(٢) ينظر: مجمع البيان ٨/ ٥١، الدر المنثور ٥/ ١٥٣، كنز العمال ١٤/ ٤٨٩.

(٣) رواه ابن حبان في كتاب المجروحين ١/ ٣٣١، وينظر: الكامل في الضعفاء ٣/ ٢٨٥، الكشف والبيان ٧/ ٢٩٧، الكشاف ٣/ ٢١٧، مجمع البيان ٨/ ٥٠، تفسير القرطبي ١٤/ ١٣، ميزان الاعتدال ٢/ ٢١٥.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٩٧، الكشاف ٣/ ٢١٧، مجمع البيان ٨/ ٥٠، ٥١، تفسير القرطبي ١٤/ ١٣.

(٥) الأخراص: جمع خَرْصٍ، مثلثة الخاء، وهو: الجريدُ من النخل، والخُرْصُ: الغُصْنُ، والخُرْصُ: كُلُّ قضيبٍ من شجرة، والجمع من كل ذلك: أَخْراصٌ وخِرْصانٌ. اللسان: خرص.

وسُئِلَ أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: هل لأهل الجنة سماع؟ قال: «نعم، شجرةٌ أصلها من ذهبٍ، وأغصانها من فضة، وثَمَرُها اللُّؤْلُؤُ والزَّبَرْجَدُ، يَبْعَثُ اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ ريحًا، فيحرِّك بعضُها بعضًا، فما سمع أحدٌ شيئًا أحسنَ منه»(١).

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾؛ أي: فَصَلُّوا لله حِينَ تُمْسُونَ، قيل: هي صلاة العصر والمغرب ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ صلاة الصبح ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يحمده أهل السماوات وأهل الأرض ﴿وَعَشِيًّا﴾ قيل: هي صلاة العشاء الآخِرة؛ أي: وسَبِّحُوهُ عَشِيًّا، نصب على الظرف ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ صلاة / الظُّهْر. [٦٤/ أ]

وقال ابن عباس: جَمَعت هذه الآيةُ الصلواتِ الخَمْسَ ومواقيتَها، فقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: الفجر، ﴿وَعَشِيًّا﴾: العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: الظهر.

ومعنى ﴿تُمْسُونَ﴾: تدخلون فِي وقت المساء، ومثله: ﴿تُصْبِحُونَ﴾ و﴿تُظْهِرُونَ﴾ فـي الوقتين جميعًا، واعْتَرَضَ بين ذِكْرِ الأوقات قولُهُ تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: يحمَدُه أهل السماوات وأهل الأرض، ويُصَلُّونَ له ويَسْجُدُونَ.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، أدرك ما فاته من يومه، ومن قالها حين يمسي، أدرك ما فاته من ليلته»(٢).

---

(١) ينظر: مسند ابن راهويه ١/ ٤٦٠، الكشف والبيان ٧/ ٢٩٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه ٢/ ٤٩٣ كتاب الأدب: باب ما يقول إذا أصبح، ورواه الطبرانِيُّ في =

وعن ابن عباس أيضًا أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ هـذه الآياتِ الثلاثَ مِن سُـورةِ الرُّوم وآخِرَ سُـورةِ الصّافّاتِ دَبْـرَ كُلِّ صلاةٍ يُصلِّيها، كُتِبَ له من الحسـنات عَـدَدُ نُجُوم السـماءِ، وقَطْـرِ المطرِ، وعَدَدَ وَرَقِ الشَّـجَر، وعَدَدَ نَبـاتِ الأَرضِ، فإذا مات أجرى الله له بكُلِّ حَسَنةٍ عَشْرَ حَسَناتٍ في قَبْرِهِ»(١).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أن يُكالَ له بالقَفيزِ الأَوْفَى، فلْيَقُلْ: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾، إِلَـى قولـه: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ إلـى قوله: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

وعـن الضَّحـاك قـال: مـن قـال: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ إلى آخر الآية، كان له من الأجر بِعِدْلِ مائتي رقبة من ولد إسماعيل ـ عليه السّلام ـ.

وعـن كعب قال: «مـن قال حين يصبـح: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ إلى آخر الآية، لم يَفُتْهُ خَيْرٌ كان في يومه، ولـم يُـدْرِكْهُ / شَـرٌّ [٦٤/ ب] كان فيه، ومن قالها حين يُمْسِي، لم يدركه شَرٌّ كان في ليلته، ولم يَفُتْهُ خَيْرٌ كان

= المعجم الأوسـط ٨/ ٢٨٠، والكبير ١٢/ ١٨٥، وينظر: الكشـف والبيان ٧/ ٢٩٨، الدر المنثور ٥/ ١٥٤، كنز العمال ٢/ ١٣٧.

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٩٨، عين المعاني ورقة ١٠٠/ ب.

(٢) الصافـات ١٨٠: ١٨٢، والحديـث رواه الثعلبـي في الكشـف والبيـان ٧/ ٢٩٨، وذكره السيوطي عن عَلِيِّ بن أبي طالب في الدر المنثور ٥/ ٢٩٥، وينظر: كنز العمال ٢/ ١٣٥، ٣٠٨، ٦٤٠.

فيها، وكان إبراهيم خليلُ الله يقولها في كل يوم وليلة ستَّ مرات»[١].

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ يعني: دلائل قدرته ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿٢٤﴾﴾ يعني بالخوف: للمسافر[٢] من الصواعق، وبالطمع: للمقيم الحاضر في المطر، وهما منصوبان على المصدر.

وأصل ﴿يُرِيكُمُ﴾: أَنْ يُرِيَكُمْ، فلما حذفت «أَنْ» رجع الفعل إلى الرفع[٣]، وإنما حذف «أَنْ» من قوله: ﴿يُرِيكُمُ﴾؛ لدلالة الكلام عليه، كقول طرفة:

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٢٩٩، وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٢١٣، عن محمد بن واسع، وقد روى الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٣٩ بسنده عن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم لِمَ سَمَّى اللهُ - تبارك وتعالى - إبراهيمَ خليلَهُ الذي وَفَّى؟ لأن كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾» حتى يختم الآية.

(٢) بعد هذه الكلمة جاء النص مضطربًا في الأصل على النحو التالي: «وأصل ﴿يُرِيكُمُ﴾: أن يريكم، فلما حذفت «أَنْ» رجع الفعلُ إلى الرَّفع، ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾، وبالطمع للمقيم الحاضر في المطر، وهما منصوبان على المصدر، وإنما حذفت «أَنْ» من قوله: ﴿يُرِيكُمُ﴾ لدلالة الكلام عليه». وقد رأيت تعديل النص على الوجه المثبت.

(٣) هذا قول الفرَّاء والأخفش، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٢٣، معاني القرآن للأخفش ص ٤٣٧، وأما سيبويه فإنه يجعل مثل هذا قليلًا، فقال: «ولو قلت: مُرْهُ يَحْفِرُها على الابتداء كان جيدًا، وقد جاء رفعه على شيء هو قليل في الكلام على مُرْهُ أَنْ يَحْفِرَها، فإذا لم يذكروا «أَنْ» جعلوا الفعل بمنزلته في: عَسِينا نَفْعَلُ. وهو في الكلام قليلٌ، لا يكادون يتكلمون به... وسألته عن قوله، عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾ فقال: ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾ كقولك: هو يقول: ذاك بَلَغَنِي، فـ«بَلَغَنِي» لغو، فكذلك ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾، كأنه قال: فيما تأمروني، كأنه قال: فيما بلغني، وإن شئت كان بمنزلة:

أَلَا أَيُّهَذا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى». =

١١٣ ـ ألا أَيُّهذا الزّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى وأَنْ أَشْهَدَ اللَّذّاتِ هل أَنْتَ مُخْلِدِي؟(١)

أراد: أَنْ أَحْضُرَ، وقال آخر:

١١٤ ـ ومـا العَيْشُ إلّا تارَتانِ فمِنْهُما أَمُوتُ وأُخْرَى أَبْتَغي العَيْشَ أَكْدَحُ(٢)

= الكتـاب ٣/ ٩٩، ١٠٠، وينظـر: البيان للأنباري ٢/ ٢٥٠، التبيـان للعكبري ص ١٠٣٩، الفريد للهمداني ٣/ ٧٥٤، ٧٥٥، البحر المحيط ٧/ ١٦٣، الدر المصون ٥/ ٣٧٥.

(١) البيت من الطويل من معلقته، ويُروَى: «أَيُّهَذا اللّائِمِي».

التخريج: ديوانه ص ٥٠، الكتاب ٣/ ٩٩، ١٠٠، معاني القرآن للأخفش ص ١٢٦، ٤٣٦، المقتضب ٢/ ٨٣، ١٣٤، مجالس ثعلب ص ٣١٧، معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٦٥، سـر صناعـة الإعـراب ص ٢٨٥، الصاحبـي ص ١٧٨، الإنصـاف ص ٥٦٠، البيان للأنباري ١/ ١٠١، ٢/ ٢٥٠، التبيـان للعكبري ص ٨٣، شـرح المفصل ٢/ ٧، ٤/ ٢٨، ٧/ ٥٢، شـرح التسهيل لابن مالك ٤/ ٥٠، شرح الكافية للرضي ١/ ٦٦، ٤/ ٨٢، رصف المبانِي ص ١١٣، اللسان: أنن، دنا، مغني اللبيب ص ٥٠٢، ٨٤٠، همع الهوامع ١/ ٢٧، ٢/ ٣٩، ٣٢٣، شرح شواهد المغني ص ٨٠، ٨٠١، خزانة الأدب ١/ ١١٩، ٨/ ٥٧٩، ٥٨٠.

(٢) البيت من الطويل، لتميم بن أُبَيِّ بن مقبل، ونُسِبَ للعُجَيْرِ السلولِيِّ، ونُسِبَ لتميمٍ العجلانِيِّ، ويُروَى: «وَما الدَّهْرُ».

علـى أن استشـهاد المؤلف بهذا البيت استشـهادٌ في غير محلـه؛ لأن البيت عند النحويين شـاهد على حذف الموصوف، لا على حذف «أَنْ» قبل الفعل «أَمُوتُ»، والتقدير: فمنهما تـارة أمـوت فيها، وهذا هو الوجه الثانِـي في الآية التي معنا، قـال الزَّجّاج: «المعنى: ومن آياتـه آيةٌ يريكـم بها البرق خوفًا وطمعًـا. هذا أجود في العطـف، لأنه قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلَقَ﴾ فنسـق باسم على اسم، ومثله من الشعر: «وما الدهر إلّا تارتان... البيت»، المعنى: فمنهما تارة أموت فيها». معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨٢، وبه قال النَّحاس والفارسي أيضًا، ينظر: معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢٥٣، ٢٥٤، كتاب الشـعر ص ٣٠٧، المسائل البصريات ١/ ٢٤٧، المسائل المشكلة ص ٢٤٥، ٣٩٦، ٥٦٨، وينظر أيضًا: البيان ٢/ ٢٥٠، التبيان للعكبري ص ١٠٣٩، الفريد ٣/ ٧٥٥، البحر المحيط ٧/ ١٦٣، الدر المصون ٥/ ٣٧٥.

التخريـج: ديـوان ابن مقبل ص ٣٨، الكتاب ٢/ ٣٤٦، معاني القـرآن للفرَّاء ٢/ ٣٢٣، =

وقيل(١): هو على التقديم والتأخير، تقديره: ويريكم البرق من آياته.

قولـه ـ عـزّ وجـلّ ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يخلقهم أولًا، ثم يخلقهم ثانيًا للبعث، وقرأ ابن مسعود: ﴿يُبْـدِئُ﴾(٢)، ودليله قوله تعالى: ﴿هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾(٣)، ودليـل قـراءة العامـة: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(٤)، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: هَيِّـنٌ عليـه الإعادةُ، وما شـيء عليه بعزيـز، وقد يجيء «أَفْعَلُ» بمعنى الفاعل كقول الفرزدق:

١١٥ ـ إنَّ الَّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لنا بَيْتًا دَعـائـمُـهُ أَعَـزُّ وأَطْـوَلُ(٥)

= المقتضب ٢/ ١٣٦، الكامل ٣/ ١٧٩، معاني القـرآن وإعرابه ١/ ٥٨، ٢٢٥، ٤/ ١٨٢، ٥/ ٣٠٤، شـرح أبيات سـيبويه ٢/ ١١٤، إعراب القرآن للنَّحـاس ١/ ٣١٨، ٥/ ١٨٨، المسـائل المشـكلة ص ٢٤٥، ٣٩٧، المحتسب ١/ ٢١٢، الكشـف والبيان ١٠/ ١٥٩، المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٤، شـرح شـواهد الإيضاح ص ٦٣٤، شـرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٣٢٣، شرح الكافية للرضي ٢/ ٣٤٦، اللسان: تور، ارتشاف الضرب ص ١٩٣٩، الدر المصون ٦/ ٤٩٨، خزانة الأدب ٥/ ٥٥، ٥٨، ١٠/ ١٧٥.

(١) أجـاز الفرَّاء هـذا الوجه أيضًـا، وبه قال الزَّجّـاج والنَّحـاس، ينظر: معاني القـرآن للفرَّاء ٢/ ٣٢٣، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨٢، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢٥٣، وينظر: الفريد للهمداني ٣/ ٧٥٥، الدر المصون ٥/ ٣٧٥.

(٢) وهي أيضًا قراءة ابن عمر، ينظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٢١.

(٣) البروج ١٣.

(٤) الأعراف ٢٩.

(٥) البيت من الكامل للفرزدق يفخر بقومه، ومعنى «سَمَكَ السَّماءَ»: رفعها.

التخريـج: ديوانه ٢/ ١٥٥، مجاز القـرآن ٢/ ١٢١، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٣٠، إعراب القـراءات السـبع ١/ ٤٨، الصاحبـي ص ٤٣٤، الكشـف والبيـان ٧/ ٣٠٠، الوسـيط ٣/ ٤٣٢، المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٥، شـرح المفصل ٦/ ٩٧، ٩٩، شـرح التسـهيل لابن مالك ٣/ ٦٠، شـرح الكافية للرضي ٣/ ٥١٧، اللسـان: عزز، كبـر، المقاصد النحوية =

أي: عزيزة طويلة، وقال الراجز[(١)]:

١١٦ ـ لَعَمْـرُكَ إنَّ الزِّبْرِقـانَ لَبـاذِلٌ ... لِمعرُوفِـهِ عِنْـدَ السِّـنِينَ وأَفْضَـلُ[(٢)]

أي: فاضل. والكناية فـي قوله: ﴿وَهُوَ﴾ تعود إلى الإعادة، وهو مصدر فأُجْـرِيَ على التذكير، ودل عليه الفعل، وهـو قوله: ﴿يُعِيدُهُۥ﴾، والفعل يدل على المصدر[(٣)].

قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: الصفة العليا، وهي أنه: لا إله غيره ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ في خلقه.

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ يعني: اجعَلْ عملَك وأَخْلِصْ دِينَكَ يا محمدُ لله وأنت مسـلم، والوجه: ما يُتَوَجَّهُ إليه، وعَمَلُ الإنسانِ ودِينُهُ مما يُتَوَجَّهُ إليه لتسديده وإقامته، وقوله: ﴿حَنِيفًا﴾ يعني: مائلًا إليه، ومستقيمًا عليه، لا ترجِعْ / عنه إلى غيره، وهو منصوب على الحال. [٦٥/ أ]

وقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يعني: دين الله، وقيل: خِلْقَةَ الله التي خلق الناس عليها، واحتُجَّ بقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ وقيل: الفطرة:

= ٤/ ٢٤، خزانة الأدب ٦/ ٥٣٩، ٨/ ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٧٦، ٢٧٨.

(١) هكذا في الأصل، والبيت من الطويل، وليس من الرجز.

(٢) البيت من الطويل، لم أقف على قائله، وبعده:

كَرِيـمٌ، لَـهُ عَـن كُلِّ ذَمٍّ تَأَخُّـرٌ ... وفـي كُلِّ أَسْـبابِ المَـكارِمِ أَوَّلُ

التخريج: الكشف والبيان ٧/ ٣٠٠، جامع البيان ٢١/ ٤٤، تفسير القرطبي ١٤/ ٢١، فتح القدير ٤/ ٢٢١

(٣) مـن أول قولـه: «والكناية في قوله» قاله الواحدي في الوسـيط ٣/ ٤٣٥، وأجاز المنتجب الهمدانِـيُّ أن يكون الضميـر عائدًا على البعث، وهو غير مذكـور، ولكن دل عليه الكلام، ينظر: الفريد ٣/ ٧٥٥-٧٥٦.

المِلّةُ وهي الإسلام والتوحيد الذي خلق الله عليه المؤمنين، والمراد بالناس هاهنا: المؤمنون الذين فطرهم الله على الإسلام؛ لأن المشرك لم يُفْطَرْ على الإسلام، ولفظ الناس عامٌّ والمراد منه الخصوص.

نصب ﴿فِطْرَةَ اللهِ﴾ على الإغراء، وهو قول الزَّجّاج، قال[1]: ﴿فِطْرَةَ اللهِ﴾ منصوب بمعنى: اتبع فطرة الله، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ يعني: لِدِينِ اللهِ؛ أي: لا يصلح ذلك ولا ينبغي، ظاهِرُهُ نَفْيٌ ومعناه نَهْيٌ؛ أي: لا تُبَدِّلُوا دينَ الله الذي هو التوحيد بالشرك والكفر ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يعني: التوحيدُ هو الدين المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يعني: كفار مكة لا يعلمون توحيد الله.

قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾؛ أي: راجعين إلى الله بالتوبة مقبلين إليه بالطاعة، وهو منصوب على الحال والقطع[2]، وقيل[3]: على الإغراءِ بإضمار: كونوا منيبين إليه، والمعنى: فأقم وجهك يا محمد أنت وأُمتك منيبين إليه راجعين إلى كلِّ ما أمر الله به، مع التقوى وأداء الفرائض، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ... ﴿٣١﴾﴾ الآية.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨٤، وذهب الفرَّاء إلى أنه منصوب على المفعول المطلق، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٢٤، وينظر أيضًا: مجاز القرآن ٢/ ١٢، إعراب القرآن ٣/ ٢٧١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٧٨.

(٢) قاله أكثر العلماء، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٢٥، معاني القرآن للأخفش ص ٤٣٨، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨٥، إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٣٣، إعراب القرآن ٣/ ٢٧٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٧٨.

(٣) قوله: «على الإغراء بإضمار كونوا... إلخ» معناه أن ﴿مُنِيبِينَ﴾ منصوب على خبر «كان» مضمرة لا على الإغراء كما ذكر أولًا، ينظر: البحر المحيط ٧/ ١٦٧، الدر المصون ٥/ ٣٧٨.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾ يعني كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾؛ أي: قحطٌ وبلاء ﴿دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ نصب أيضًا على الحال، وقيل: على [عامةٌ] (١) يقول: راجعين إليه، إذا أصابهم ما يكرهون من المصائب والبلايا وغيرها أقبلوا إليه بالدعاء، وأخلصوا إليه بالعمل، ولا يشركون معه غيره في الدنيا ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ وهي العافية والخصب والسَّعة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ مَن كان منهم على غير الإسلام من أهل الملل ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ معه الآلهة.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ قرأ ابن كثير: ﴿أَتَيْتُمْ﴾(٢) مقصورًا غَيْرَ ممدودٍ من المجيء، وهو يَؤُولُ فِي المعنى إلى قول من قرأ بالمد، كأنه قيل: ما جئتم من ربًا، ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء له، كما تقول: أتيتَ خَطَأً، وأتيتَ صوابًا، وأتيت قبيحًا، إنما هو فعل منه له.

وقوله: ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: فِي اجتلاب أموال الناس. قرأ الحسن وعكرمة وأهل / المدينة: ﴿لِتُرْبُو﴾ بتاءٍ مضمومة وجزم الواو على الخطاب، [٦٥/ ب]
أي: لِتُرْبُوا أنتم، وهي قراءة ابن عباس واختيار يعقوب وأيوب وأبي حاتم، وقرأ الآخرون بياء مفتوحة ونصب الواو(٣)، وجعلوا الفعل للربا، واختاره أبو عبيد؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴿٣٩﴾﴾ ولم يقل: فلا يُرْبَى، والمعنى: فلا يَزْكُو عند الله؛ لأنه لم يُرَدْ به وَجْهُ الله، بل قُصِدَ به الزيادةُ والعوضُ، ولم يُقْصَدْ به البِرُّ والتقوى.

---

(١) كذا في الأصل، ولا أعرف مقصوده من هذه الكلمة، وربما كان هنا سقط.

(٢) قرأ ابن كثير ومجاهد وحميد: ﴿أَتَيْتُم﴾ بقصر الهمزة، وقرأ الباقون: ﴿آتَيْتُمْ﴾ بِمَدِّها، ينظر: السبعة ص ٥٠٧، حجة القراءات ص ٥٥٨، ٥٥٩، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٦، الإتحاف ٢/ ٣٥٧.

(٣) ينظر: السبعة ص ٥٠٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٩٦، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٩، البحر المحيط ٧/ ١٧٠، الإتحاف ٢/ ٣٥٧.

قيل: المراد بالآية هو أنّ الرجل يُعْطِي الرجلَ العطيةَ، ويُهْدِي له الهديةَ؛ ليأخذَ أكثرَ منها، فهذا رِبًا حلالٌ ليس فيه حرام ولا وِزْرٌ، وهذا للناس عامّةً، فأما النبي ﷺ خاصةً فكان هذا عليه حرامًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[1]، وفيه اختلاف كثير، وهذا قول عامة أهل التفسير.

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ يعني: للخلق تبشرهم بالمطر؛ لأنها تنشئ السحابَ، ثم تؤلِّفها، فإذا رآها الخلق اسْتَبْشَرُوا بِها، وقالوا: خَلْفَها الغَيْثُ، فتُدِرُّ كما تُدِرُّ الناقةُ، والتاء في قوله: ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾: في موضع نصب على الحال.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يعني: الغيثَ والخِصب ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحر بتلك الرياح ﴿بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ في البحر ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعني: الرزق بالتجارة، وكلُّ هذا بالرياح، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: ولكي تشكروا رب هذه النعم، فتُوَحِّدُوهُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: بالدلائل الواضحات على صدقهم، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أي: عَذَّبْنا الذين كفروا وكذبوا، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ يعني: واجبًا علينا ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾، وفِي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظَّفَرِ فِي العاقبة، والنصرِ على من كَذَّبَهُ.

ونصب ﴿حَقًّا﴾ على: خبر «كان»، و﴿نَصْرُ﴾: اسمها، تقديره: وكان نَصْرُ المؤمنين حَقًّا علينا، ولو كان في غَيْرِ القرآن لَجازَ رَفْعُ «حقٌّ»، ونصب «نَصْرٍ»؛ لأن «حقًّا» وإن كان نكرة فبَعْدَهُ ﴿عَلَيْنَا﴾، ولجاز أيضًا رفعهما على

(١) المدثر ٦.

أن تضمر فِي «كان» اسمها، والخبر فِي الجملة[١].

فصل

رَوَى أبو الدرداء، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من امرئ مسلم يَرُدُّ عن عِرْضِ أخيه إلّا كان حقًّا على الله ـ سبحانه ـ أن يَرُدَّ / عنه نارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ القيامة»، ثم تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]. [٦٦/ أ]

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ يعني: تزعجه من حيث هو، قرأ ابنُ كثير وحمزةُ والكسائي: ﴿الرِّيحَ﴾[٣] على التوحيد، وقرأ الباقون: ﴿ٱلرِّيَـٰحَ﴾ على الجمع، وقوله: ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ إن شاء بَسَطه مسيرةَ يوم أو يومين، والكناية عائدة على لفظ السحاب، فلذلك ذَكَّرَها، والسحاب جَمْعٌ[٤]، كما تقول: هذا تَمْرٌ جَيِّدٌ.

قوله: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ يعني: قِطَعًا متفرقة، وقرأ ابن عامر بإسكان السين[٥]، ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ يعني: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾ يعني: من وسطه،

---

(١) من أول قوله: «ولو كان في غير القرآن» قاله النَّحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ٢٧٦، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٤٤٩-٤٥٠، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣٠٦، عين المعاني ورقة ١٠١/ أ.

(٣) وقرأ بالإفراد أيضًا خلفٌ وابن محيصن، ينظر: حجة القراءات ص ٥٦٠، تفسير القرطبي ١٤/ ٤٤، النشر ٢/ ٢٢٣، الإتحاف ٢/ ٣٥٨.

(٤) يعني أنه اسمُ جَمعٍ، يُفَرَّقُ بينه وبين واحِدِهِ بالتاء، فيقال: سحاب وسحابة، كما يقال: تمرٌ وتمرةٌ.

(٥) قرأ ابن عامر وأبو جعفر وابن ذكوان والحسن وعبد الرحمن الأعرج: ﴿كِسْفًا﴾ بإسكان السين، وقرأ الباقون بفتحها، ينظر: السبعة ص ٥٠٧، حجة القراءات ص ٥٦٠، تفسير القرطبي ١٤/ ٤٤، النشر ٢/ ٣٠٩، الإتحاف ٢/ ٣٥٨.

وقرأ ابن عباس: ﴿من خَلَلِهِ﴾[1]، ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ يعني: بالوَدْقِ ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يفرحون بنُزُولِ المطر.

فصل

عن وهب بن مُنَبِّهٍ، أنه قال: «شَكَتِ الأرضُ إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ أيام الطوفان؛ لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ أرسل الماء بغير وزن ولا كَيْلٍ، فخرج الماءُ غَضَبًا لله ـ عزّ وجلّ ـ فخَدَشَ الأرضَ وخَدَّدَها[2]، فقالت: يا رب: إن الماء خَدَشَنِي وخَدَّدَنِي، فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ فيما بلغني، والله أعلم ـ: «إنِّي سأجعل له غِرْبالًا لا يُخَدِّدُكِ ولا يَخْدِشُكِ»، فجعل السحاب غِرْبالًا للمطر»[3].

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ﴾ أي: وما كانوا من قبل ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ يعني: المطر ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبل أن يَزْرَعُوا ﴿لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾؛ أي: إلّا مُبْلِسِينَ[4]، يعني: آيِسِينَ قانطين من المطر.

---

(١) وهي أيضًا قراءة عَلِيِّ بن أَبي طالب والضحاكِ والحسنِ وأَبي العالية، ينظر: المحتسب ٢/ ١٦٤، تفسير القرطبي ١٤/ ٤٤.

(٢) خَدَّ السَّيْلُ الأرضَ وخَدَّدَها: شَقَّها بِجَرْيِهِ. اللسان: خدد.

(٣) هذا الخبر ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٣٠٦.

(٤) هذا التأويل موافق لمذهب الكوفيين، فهم يجعلون «إن» المخففة من الثقيلة بمعنى «ما» النافية، واللام الفارقة بمعنى «إلا»، قال الفرَّاء: «وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا﴾... كأنه قال: ما كل نفس إلا عليها حافظ». معاني القرآن ٣/ ٢٥٤، وأما البصريون فاللام عندهم هي لام الابتداء، جِيءَ بها للفرق بين «إن» النافية و«إن» المخففة من الثقيلة، وذهب الفارسي وابن جني وغيرهما إلى أن هذه اللام فارقة، ولكنها ليست لام الابتداء التي تدخل في خبر «إنَّ» المشددة، ينظر في هذه المسألة: المسائل المشكلة ص ١٧٦-١٧٨، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٣٤، شرح الكافية للرضي ٤/ ٣٨٥، ارتشاف الضرب ص ١٢٧١، ١٢٧٢، مغني اللبيب ص ٣٠٥-٣٠٧.

فإن سأل سائلٌ: ما معنى قوله: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾؟ فالجواب: أن الأول: للتَّنْزِيلِ، والثانِيَ: للمطر(١)، ويجوز أن يكون إنما كرر «قَبْلًا» مرتين للتوكيد، كقولك: من قبل ذلك، ومن قبل ذاك(٢)، وقيل(٣): الهاء راجعٌ إلى إرسال الريح؛ أي: أَبْلَسوا قبل الإرسال الذي يَدُلُّ على المطر، وقيل: هو توكيد كما ذكرنا، قال الشاعر:

١١٧ ـ إذا أنا لم أُومِنْ عليْكَ، ولم يكُنْ لِقاؤُكَ إلّا مِنْ وراءُ وراءُ(٤)

وقيل(٥): الهاء راجِعٌ إلى الزرع كما ذُكِرَ في الأول.

---

(١) قاله قطرب، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨٩، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢٦٩، إعراب القرآن ٣/ ٢٧٧، والمعنى: من قبل التنزيل من قبل المطر.

(٢) قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٤٣٨، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨٩، إعراب القرآن ٣/ ٢٧٧.

(٣) حكاه السجاوندي عن عَلِيِّ بن عيسى في عين المعاني ورقة ١٠١/ أ، وينظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٤، الدر المصون ٥/ ٣٨٢.

(٤) البيت من الطويل، لِعَتِيِّ بنِ مالِكٍ العقيلي، ونُسب لِعَتِيِّ بن مزاحم العقيلي، ويُرْوَى: «مِنْ وَراءِ وَراءِ» بالكسر، ولكن البيت من قصيدة مرفوعة القوافي كما في اللسان، ولفظ «وَراءَ» معناه «خَلْفَ»، وقد يكون بمعنى «قُدّام»، فهو من الأضداد، وهو هنا مبني على الضم؛ لأنه قطع عن الإضافة.

التخريج: معاني القرآن للفـرَّاء ٢/ ٣٢٠، الكامل للمبرد ١/ ٦١، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣٤٩، شرح كتاب سيبويه للسيرافِيِّ ١/ ١٠٥، ١٣٣، الكشف والبيان ٧/ ٣٠٦، عين المعاني ورقة ١٠١/ أ، تفسير القرطبي ٢/ ٢٩، شرح المفصل ٤/ ٨٧، اللسان: بعد، وري، ارتشاف الضرب ص ١٨٢٢، التصريح ٢/ ٥٢، همع الهوامع ٢/ ١٤٤، خزانة الأدب ٦/ ٥٠٤، التاج: وري.

(٥) قال المنتجب الهمدانِيُّ: «وقيل: مِنْ قَبْلِ النبات، وإن لم يَجْرِ له ذِكْرٌ؛ لدلالة المعنى عليه». الفريد ٣/ ٧٦٢.

قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: إنزال المطر، يعني: إلى حُسْنِ تَأْثِيرِهِ في الأرض. قرأ أهل الشام وأهل الكوفة إلا أبا بكر: ﴿آثارِ﴾ بالألف على الجمع، وقرأ الباقون: ﴿أَثَرِ﴾[1] على الواحد، فمن أفرد فلأنه مضاف إلى مفرد، ومن جَمَعَ جاز له؛ لأن رحمة الله يجوز أن يراد بها الكثرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ / نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[2]، [٦٦/ ب] وأَثَرُ رحمة الله هو النبات، وهو أثر المطر، والمطر رحمة الله ونعمته على خلقه.

وقوله: ﴿كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: انظر كيف يجعلها تنبت بعد أن لم يكن فيها نَبْتٌ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي جعل ما تَرَوْنَ وهو الله تعالى ﴿لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ في الآخرة، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾: قادر على ما يشاء من الموت والبعث.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ يعني: ريحًا باردة مُضِرّةً، فأفسدتْ ما أَنْبتَ الغَيْثُ، والريح إذا أتت على لفظ الواحد أُرِيدَ بها العذابُ، ولِهَذا كان النبي ﷺ يقول عند هبوب الريح: «اللَّهُمَّ اجْعلْها رِياحًا ولا تَجْعَلْها رِيحًا»[3].

وقوله: ﴿فَرَأَوْهُ﴾ يعني: الزرع والنبات، كناية عن غير مذكور[4]،

---

(١) ينظر: السبعة ص ٥٠٨، الحجة للفارسي ٣/ ٢٦٩، ٢٧٠، حجة القراءات ص ٥٦١، الوسيط ٣/ ٤٣٧، البحر المحيط ٧/ ١٧٤، النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٤٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٥٨، ٣٥٩.

(٢) من الآية ٣٤ من سورة إبراهيم ومن الآية ١٨ من سورة النحل.

(٣) هذا جزء من حديث رواه الطبرانيُّ بسنده عن ابن عباس في المعجم الكبير ١١/ ١٧٠، ١٧١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٥/ كتاب الأذكار: باب ما يقول إذا هاجت الريح، وينظر: الجامع الصغير ٢/ ٣٥٢، الدر المنثور ١/ ١٦٥.

(٤) قاله الفرَّاء وأبو عبيدة والزَّجّاج، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٢٦، مجاز القرآن ٢/ ١٢٥، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨٩، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٠، الفريد ٣/ ٧٦٤.

﴿مُصۡفَرّٗا﴾ يعني: يابسًا بعد خضرته، وقيل[1]: أراد السحاب، فإنه إذا اصْفَرَّ لم يمطر ﴿لَّظَلُّواْ﴾؛ أي: لصاروا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾؛ أي: من بعد اصفرار النبت والزرع ﴿يَكۡفُرُونَ ٥١﴾؛ أي: يجحدون ما سلف من النعمة بعد ما رأوا هذه الآياتِ الواضحات، ونصب ﴿مُصۡفَرّٗا﴾ على الحال لأنه من رؤية العين.

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضُعْفٍ﴾ يعني: من نطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً﴾ يعني: شبابًا، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً﴾ يعني: هَرَمًا وكِبَرًا، قرأ يحيى بن وَثّاب والأعمش وعاصمٌ وحمزة بفتح الضاد من الضَّعف في الثلاثة كلِّها، وقرأ الباقون بالضم[2]، واختاره أبو عُبيد؛ لأنها لغةُ النبي ﷺ[3]، قال الفرّاء[4]: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم، والاختيار الضم لِما تَقَدَّمَ، والشيبة: مصدر، كالشيب.

وقوله: ﴿يَخْلُقُ اللهُ ما يَشاءُ﴾؛ أي: من ضُعف وقوة وشَيْبة وشباب، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ على ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾؛ أي: يحلف المشركون

---

(١) حكاه السجاوندي عن عَلِيِّ بن عيسى في عين المعاني ١٠١/ أ، وأبو حيان في البحر المحيط ٧/ ١٧٤، وهو بدون نسبة في إعراب القرآن ٣/ ٢٧٧، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٠، والفريد ٣/ ٧٦٤.

(٢) ورُوِيَ عن حفص عن عاصم الضَّمُّ والفتح في الضاد في الثلاثة، ينظر: السبعة ص ٥٠٨، حجة القراءات ص٥٦٢، الكشف عن وجوه القراءات٢/ ١٨٦، البحر المحيط ٧/ ١٧٥، النشر ٢/ ٣٤٥، ٣٤٦، الإتحاف ٢/ ٣٥٩.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٣٠٧.

(٤) لم أقف على قوله في معاني القرآن، وإنما وجدته في الكشف والبيان ٧/ ٣٠٧، والوسيط ٣/ ٤٣٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٦.

﴿مَا لَبِثُواْ﴾ فِي القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: نصبٌ على الاستثناء؛ أي: إلّا ساعةً واحدة، ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ۝٥٥﴾ يقال: أُفِكَ فُلانٌ: إذا صُرِفَ عن الصدق وعن الخير.

قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ قال ابن عباس: لا يُقْبَلُ من الذين أشركوا عذرٌ ولا عتاب ولا توبةٌ ذلك اليومَ، وقرئ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ﴾ بالياء[1]، وهي قراءة الكوفيِّين؛ لأن التأنيث ليس بحقيقي في المعذرة، وقد وقع الفصل بين الفاعل وفعله فقَوِيَ التَّذْكِيرُ[2]، وقرأ الباقون بالتاء.

وقوله: ﴿وَلَا / هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٥٧﴾ يعني: لا تُطْلَبُ منهم العُتْبَى [٦٧/ أ] والرجوعُ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ احتجاجًا عليهم وتنبيهًا لهم، ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم﴾ يا محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مثلَ: العصا واليد البيضاء ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ﴾؛ أي: ما أنت يا محمدُ وأصحابُك ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝٥٨﴾ أصحاب أباطيل، وقوله: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ فُتحت اللام التي قبل النون؛ لأنه فعل متقدِّم لا ضمير فيه[3].

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف والحسن والأعمش: ﴿لا يَنْفَعُ﴾ بالياء، وقرأ الباقون بالتاء، ينظر: السبعة ص ٥٠٩، حجة القراءات ص ٥٦٢، النشر ٢/ ٣٤٦، الإتحاف ٢/ ٣٦٠.

(٢) قاله الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٣/ ٢٧١.

(٣) قاله النَّحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٧٣، ومعناه أن هذا الفعل لو كان مسندًا إلى واو الجماعة لَضُمَّتْ هذه اللامُ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾. هود ٨.

قولـه ـ عزّ وجـلّ ـ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ يقـول: اصبِرْ يا محمد على ما تَلْقاهُ من أذى المشركين ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾(١)، فإن وعد الله حقٌّ في نصرك وتمكينك وإظهارك على عدوك، ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾ أي: ولا يَسْتَفِزَّنَّكَ إلى مُتابَعةِ الشُّبُهاتِ، والإخْلادِ إلى الشَّهَواتِ، وقيل: مَعْناهُ: ولا يَسْتَزِلَّنَّكَ ويَسْـتَحْقِرَنَّ رَأْيَكَ وحُكْمَكَ وحِلْمَكَ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ بالبعث والحساب وبما جئت به من أمر الله ودينه، والمعنى: لا يَحْمِلَنَّكَ أذاهم على أن تَخِفَّ نَفْسُكَ وتَضْعُفَ.

يقال: اسْـتَخَفَّهُ عن رأيه: إذا حمله على الجهل وأزاله عما كان عليه من الصواب، وهو فِـي موضع جزم بالنهي، أُكِّدَ بالنـون الثقيلة فبُنِيَ على الفتح، كما يُبْنَى الشيئان إذا ضُمَّ أَحَدُهُما إلى الآخر، و﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ في موضع رفع، ومن العرب من يقول: «اللَّذُونَ» في موضع الرفع(٢)، والله أعلم.

* * *

(١) الأحقاف ٣٥.

(٢) مـن أول قوله: «وهو فـي موضع جزم» قالـه النَّحاس بنصه في إعراب القـرآن ٣/ ٢٨٠، والعـرب الذين يقولون: اللَّـذُونَ فِي الرفع هم هذيل وكنانة وطيـئ وعقيل، ينظر: إعراب القرآن ١/ ١٨٢، ٣٢٣، ٤٦٥، الصحاح ٢/ ٥٧٠، ٦/ ٢٤٨٢.

سورة لقمان
مكِّية

وهي ألفان ومائةٌ وعشَـرة أحرف، وخمسُـمائة وثمـانٍ وأربعون كلمةً، وأربع وثلاثون آية.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عـن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضـي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «من قرأ سورةَ لقمانَ كان له لقمانُ رفيقًا يوم القيامة، وأُعْطِيَ من الحسنات عَشْرًا بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سـورةَ لقمان خَلَطَ الله الإيمان بشَـعَرِه وبَشَرِهِ ولحمه ودمِه، حتى يتوفاه على ذلك»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قولـه ـ عـزّ وجـلّ ـ: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ﴾ يعنـي: هـذه ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣٠٩، الوسيط ٣/ ٤٤٠، الكشاف ٣/ ٢٣٩، عين المعاني ورقة ١٠١/ أ، مجمع البيان ٨/ ٧٤.
(٢) لم أعثر له على تخريج.

﴿ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ وهو القرآن، وسَمّاهُ حكيمًا لأنه يُبَيِّنُ فيه حلالَهُ وحَرامَهُ وأَمْرَهُ ونَهْيَهُ، فهو بيان من الضلالة وموعظة / من الجهل. [٦٧/ ب]

قوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ يعني: الموحِّدين من أصحاب محمد ﷺ، وهي عامّةٌ لكل محسن، قرأ العامة: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالنصب والقطع من ﴿تِلْكَ﴾[(١)]، قال الزجاج[(٢)]: المعنى: تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة. وقرأ حمزة: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾[(٣)] بالرَّفع على: خبر الابتداء على إضمار «هو»[(٤)].

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٤﴾﴾؛ أي: يُتِمُّونَ الصلاة بوضوئها وركوعها وسجودها ومواقيتها ومعالمها، و«الَّذِينَ»: في موضع رفع على إضمار مبتدأٍ؛ لأنه أول آية، أو في موضع نصب، بمعنى: أعني، أو في موضع خفض على أنه: نعت للمحسنين[(٥)].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: النَّضر بن الحارث ﴿مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾؛ أي: باطِلَهُ وما شَغَلَ عن الخير، وقيل: لَهْوُ الحديث يعني به القَيْناتِ المُغَنِّياتِ، وسُمِّيَ لَهْوًا لأنه يُلْهِي عن ذكر الله تعالى، يقال: لَهَوْتُ عن

---

(١) يعني النصب على الحال.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٣.
(٣) قرأ حمزة والأعمش وقُنْبُلٌ والزعفرانِيُّ وطلحة: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالنَّصب، ينظر: السبعة ص ٥١٢، حجة القراءات ص ٥٦٣، تفسير القرطبي ١٤/ ٥٠، البحر المحيط ٧/ ١٧٩، الإتحاف ٢/ ٣٦١.
(٤) هـذا وجه، ويجوز أن يكون ﴿هُدًى﴾ خبر ﴿تِلْكَ﴾، ويكون ﴿آياتُ﴾ بدلًا من ﴿تِلْكَ﴾، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٢٨١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٨١، البيان للأنباري ٢/ ٢٥٣.
(٥) من أول قوله: «والذين في موضع رفع» قاله النَّحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ٢٨١.

الشيء: إذا أَعْرَضْتَ عنه، و﴿مَنْ﴾ في موضع: رفع بالابتداء أو بالصِّفةِ[(١)].

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: كي يَسْتَزِلَّ بحديث الباطل عن دين الله الإسلام بغير علم يعلمه، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لِيَضِلَّ﴾ بفتح اليـاء[(٢)]، وقرأ الباقون بالضم، قال الزَّجّاج[(٣)]: من قرأ بضم الياء فمعناه: لِيُضِلَّ غَيْرَهُ وإذا أَضَلَّ غَيْرَهُ فقد ضَلَّ هو، ومن قرأ بفتح الياء فمعناه: لِيَصِيرَ أَمْرُهُ إلى الضلال، وهو ـ وإن لم يَشْتَرِ الضَّلاَلَ ـ فإنه يصير أَمْرُهُ إلى ذلك.

قوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ ﴿٦﴾﴾ يعني: ويتخذ آياتِ الله القرآنَ استهزاءً به، وقيل: الكناية تعود إلى سـبيل الله[(٤)]، والسبيل تؤنَّث كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾[(٥)].

قرأ الأعمش وحمزة والكسائي وخلفٌ وحفصٌ ويعقوب: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بنصـب الذال: عطفًا علـى قوله: ﴿لِيُضِلَّ﴾، وهو اختيار أبـي عبيد؛ لقربه من المنصوب، وقرأ الآخرون بالرفع[(٦)]، نسقًا على قوله: ﴿يَشْتَرِى﴾، وقرأ حمزة:

---

(١) الصفة مصطلح كوفيٌّ يعنون به حرف الجر، ومعنى كون «مَنْ» رفعًا بالصفة أنه فاعل بالجار والمجرور، وهذا على مذهب الكوفيين والأخفش، وقد تقدم مثل ذلك ص١/ ٣٤٩، ٤٤٠، ٢/ ١٨.

(٢) وهـي أيضًا قـراءة ابن محيصن ورُوَيْـسٍ وحُمَيْدٍ وابن أبِي إسـحاق ويعقوبَ، ينظر: حجة القراءات ص ٥٦٣، تفسير القرطبي ١٤/ ٥٦، التيسير ص ١٣٤، النشر ٢/ ٢٩٩، الإتحاف ٢/ ٣٦١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٤ باختلاف في النص.

(٤) هـذا القول والذي سـبقه قالهما الفرَّاء فـي معاني القرآن ٢/ ٣٢٧، وينظـر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٤، إعراب القرآن ٣/ ٢٨٢، الحجة للفارسي ٣/ ٢٧٢.

(٥) يوسف ١٠٨.

(٦) قـرأ بالرفـع: نافعٌ وابنُ كثير، وأبو بكر عن عاصمٍ، وأبو عمرو وابنُ عامر، ينظر: السـبعة =

﴿هُزْءًا﴾ ساكنةَ الزاي، الباقون بضمها، وقلب حفصٌ الهمزةَ واوًا[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ يعني: النَّضرَ بن الحارث ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ نصبٌ على الحال، أَعْرَضَ عن الإيمان والقرآن متكبرًا، ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ يعني: آيات القرآن، ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ يعني: ثِقْلًا، وهو الصَّمَمُ، فلا يسمع القرآن، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾؛ أي: وجيع، وقيل: أراد به يومَ بدر، قَتَلَهُ عَلِيُّ بن أَبِي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

فصل

[٦٨/ أ] / رَوَى أبو أُمامةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحِلُّ تعليم المُغَنِّياتِ ولا بَيْعُهُنَّ، وأثمانُهُنَّ حرام، وفِي مثل هذا نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلصَّلَوٰةَ ..﴾ إلى آخر الآية، وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بَعَثَ اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ عليه شَيْطانَيْنِ، أحدهما على هذا المنكِب، والآخر على هذا المنكِب، فلا يَزالانِ يضربان بأرجلهما على ظهره وصدره حتى يكون هو الذي يسكت»[2].

= ص ٥١٢، حجة القراءات ص ٥٦٣، الحجة للفارسي ٣/ ٢٧٢، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٨٧، تفسير القرطبي ١٤/ ٥٧، النشر ٢/ ٣٤٦، الإتحاف ٢/ ٣٦٢.

(١) قرأ حمزة وخلف: ﴿هُزْءًا﴾ بإسكان الزاي، وأبدل حفصٌ الهمزةَ واوًا، ينظر: النشر ٢/ ٢١٥، الإتحاف ٢/ ٣٦٢.

(٢) رواه الترمذي في سننه ٢/ ٣٧٥ أبواب البيوع: باب ما جاء في كراهية بيع المغنيات، ورواه الطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٨/ ١٩٧، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ٣١٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١١٩، ١٢١ كتاب الأدب: ما جاء في الشعر والشعراء.

وعن أبي أُمامة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ عزّ وجلّ ـ بَعَثني رَحْمةً لِلعالَمِيـنَ، وأَمَرَني رَبِّي بِمَحْقِ المَعازِفِ والمَزامِيرِ والأوثان والصليب وأَمْرِ الجاهلية، وحَلَفَ رَبِّي بِعِزَّتِهِ: لا يَشْـرَبُ عَبْدٌ من عبادي جَرْعةً مِنْ خَمْرٍ، إلّا سَـقَيْتُهُ مِثْلَها من الصَّدِيدِ يوم القيامة، مغفورًا له أو مُعَذَّبًا، ولا يَسْقِيها صَبِيًّا صغيرًا مُسْلِمًا إلّا سقيتُه مثلَها من الصديد يوم القيامة، مغفورًا له أو مُعَذَّبًا، ولا يَتْرُكُها مِن مَخافَتي إلّا سَقَيْتُهُ مِن حِياضِ القُدُسِ يومَ القيامة»[1].

وعـن محمد بـن المُنْكَدِرِ، قال[2]: بَلَغَنِـي أن الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول يوم القيامـة: «أين الذيـن كانوا يُنَزِّهُونَ أَنْفُسَـهُم وأَسْـماعَهُم عـن اللهو ومزامير الشـيطان؟ أَدْخِلُوهُمْ رياضَ المِسْـكِ»، ثم يقول للملائكة: «أَسْـمِعُوا عبادي حَمْدِي وتمجيدي، وأَخْبِرُوهُم أَنْ لا خَوْفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنُونَ».

وعـن أبي هريـرة ـ رضي الله عنه ـ قـال: قال رسـول الله ﷺ: «مَن مَلأَ مَسـامِعَهُ من غِناءٍ لم يُؤْذَنْ له أن يَسْـمَعَ صَوْتَ الرُّوحانِيِّينَ يوم القيامة»، قيل: وما الرُّوحانِيُّونَ يا رسول الله؟ قال: «قُرّاءُ أَهْلِ الجنة»[3].

قولـه تعالـى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تَعْدِلْ به شـيئًا في العبادة، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ يريد: ليس من

---

(١) رواه الإمـام أحمد في المسـند ٥/ ٢٥٧، والطبرانِيُّ في المعجـم الكبير ٨/ ١٩٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٦٩ كتاب الأشربة: باب في الخمر ومن يشربها، وينظر: الدر المنثور ٢/ ٣٢٣، كنز العمال ١١/ ٤٤٣.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣١١، تفسير القرطبي ١٤/ ٥٣، الدر المنثور ٥/ ١٥٣.

(٣) ينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٤٤٢، مجمع البيان ٨/ ٧٧، تفسير القرطبي ١٤/ ٥٤، الجامع الصغير ٢/ ٥٦٩، الدر المنثور ٥/ ١٥٣.

الذنوب شــيءٌ أَعْظَمَ من الشرك بالله، فمن قرأ: ﴿يا بُنَيِّ﴾[١] بالكسر، فمحله: نصبٌ؛ لأنه نداء مضاف، فأراد: «بُنَيِّي»، وكذلك من قرأه بالنصب، إلا أنه قَلَبَ خَفْضَ يــاءِ الإِضافةِ أَلِفًا[٢]، فصار «يا بُنَيَّا»، فحــذف الألف، واجْتَزَأَ بالفتحة، ومَن كَسَرَ فلِأَنَّهُ كَرِهَ اجتماعَ الياءات والحركة عليها.

قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ يعني: سعد بن أَبي وقاص ﴿بِوالِدَيْهِ﴾ يعني أباه ـ واسمه مالك ـ وأُمَّهُ حَمْنَةَ، وقد مضت القصة / في سورة العنكبوت[٣]. [٦٨/ ب]

وقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ قيل: شِــدّةً بعد شِــدّةٍ، وقيل: ضَعْفًا علــى ضَعْــفٍ؛ أي: كُلَّما عَظُمَ خَلْقُهُ فِي بطنهــا زاد ضَعْفُها، وقيل: جُهْدًا على جُهْدٍ، وقيل: مَشَقّةً على مَشَقّةٍ. وهو نصب على المصدر[٤]، وقيل[٥]: على نزع الخافض، تقديره: حملته أمه بوهن؛ أي: بضعف.

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿يا بُنَيِّ لَا تُشْرِكْ﴾، ﴿يا بُنَيِّ إِنَّها﴾، ﴿يا بُنَيِّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ بكسر الياء في ثلاثتها، وقرأ ابن كثير: ﴿يا بُنَيِّ إِنَّها﴾ بكسر الياء فقط، وقرأ الباقون وحفصٌ والمفضلُ عن عاصم: ﴿يا بُنَيَّ﴾ بفتح الياء في جميع القرآن، ينظر: السبعة ص ٣٣٤، ٥١٢، ٥١٣، حجة القراءات ص ٥٦٤، البحر ٧/ ١٨٢، النشر ٢/ ٢٨٩، الإتحاف ٢/ ١٢٦، ٣٦٢.

(٢) هذا سهو منه، بل الذي قُلِبَ أَلِفًا إنما هو ياءُ الإضافة نفسُها.

(٣) انظر ٢/ ٨.

(٤) علــى حذف عامِلِهِ؛ أي: تَهِــنُ وَهْنًا، وعلى هذا فجملة «تَهِنُ وَهْنًا» في موضع النصب على الحال، قال الزمخشري: «حَمَلَتْهُ تَهِنُ وَهْنًا على وَهْنٍ، كقولك: رَجَعَ عَوْدًا على بَدْءٍ، هو في موضع الحال». الكشاف ٣/ ٢٣٢، ويجوز أن يكون المصدر نفسه حالًا على معنى: ذاتَ وَهْنٍ، ينظر: التبيان للعكبــري ص ١٠٤٤، الدر المصون ٥/ ٣٨٧.

(٥) هذا قول النَّحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٢٨٥، مشــكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٣، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٢٥٥، الدر المصون ٥/ ٣٨٧.

قولـه: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾ الفِصالُ: الفِطـامُ، وهو أن يُفْصَلَ الوَلَدُ عن الأم، أي: يُفْطَمَ كي لا يرضع منها أكثر من عامين، ورُوِيَ عن يعقوب أنه قرأ: ﴿وَفَصْلُـهُ﴾ بغير ألف[١]، وهو ابتداء، وخَبَرُهُ فِي الظرف، على تقدير: وفِصالُه يقع في عامين، أي: في انقضاء عامين، ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾؛ أي: وأَطِعْ والدَيْك، والمعنى: ووصيناه بشـكرنا، أو: وهديناه للإسلام وشُكْرِ والديه بِما أَوْلَياهُ من الإنعام ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٤﴾ المَرْجِعُ والمُنْقَلَبُ، فأجزيك بعملك.

فصل

عن سـفيان بن عُيينة ـ في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ ـ قال: «مَنْ صَلَّى الصلوات الخمسَ فقد شَـكَرَ لله عـزّ وجلّ، ومن دعا للوالدين فِي أدبار الصلوات فقد شكر للوالدين»[٢].

قولـه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ۝١٥﴾ يعني: عِشْـرةً جميلةً، ونَفَقـةً بالمعروف، وهو منصوبٌ بنزع حرف الصفة، أي: بِمعروف[٣]، وقيل[٤]: هو نعت لمصدر

(١) وبهـا قرأ أيضًا: الحَسَـنُ بخلافٍ عنـه، وأَبو رجاء العطـارديُّ وقتادةُ والجحـدريُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص١١٧، المحتسـب ٢/ ١٦٧، القرطبي ١٤/ ٦٤، البحر ٧/ ١٨٢، الإتحاف ٢/ ٣٦٢.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣١٣، عين المعاني ١٠١/ أ، القرطبي ١٤/ ٦٥، فتح الباري ٢/ ٨.

(٣) ذكره العكبري بغير عزو في التبيان ص ١٠٤٤، وينظر: الفريد ٤/ ١٠، الدر المصون ٥/ ٣٨٨.

(٤) قاله مكّي في مشـكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٣، وينظر: التبيـان للعكبري ص ١٠٤٤، الدُّر المصـون ٥/ ٣٨٨، وقـال المنتجـب الهمدانِيُّ: «فليـس قولُ من قال: إنـه نعت لمصدر محذوف؛ أي: صِحابًا مَعْرُوفًا، بمسـتقيمٍ؛ لأن صِحابًا جمع صاحِبٍ كجائِعٍ وجِياعٍ، وليس بمصدر صاحَبَ». الفريد ٤/ ١٠.

محذوف، تقديره: وصاحِبْهُما في الدنيا صِحابًا معروفًا، نزلت فِي سعد بن أَبي وقاص وأُمِّهِ أيضًا.

قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ قال بعض النحاة[1]: هذه الكناية راجعة إلى الخطيئة والمعصية، يعني: أن المعصية إن تَكُ، يدل عليه قول مقاتل[2]: قال أَنْعَمُ ابن لقمان لأبيه: يا أَبَتِ! إن عَمِلْتُ بالخطيئة حيث لا يرانِي أَحَدٌ، كيف يعلمها الله؟ فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ ... ﴾ الآيَةَ، وفي رواية أخرى، أنه قال لابنه: أَرَأَيْتَ لو كانت حَبّةً من خَرْدَلٍ فِي مَقْلِ البحر، يعني: وَسَطَهُ، أكان الله يعلمها؟ فقال له: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ... ﴾ الآية[3].

قال الزجاج[4]: المعنى: إن التي سَأَلْتَني عنها إنْ تَكُ مِثْقالَ حَبّةٍ من خَرْدَلٍ، وقال آخرون[5]: هذه الهاء عماد، وإنما أَنَّثَ لأنه ذهب بها إلى الحبة، كقول / الشاعر: [٦٩/ أ]

---

(١) هو الأخفش، وهذا ما قاله فِي معاني القرآن ص ٤٣٩، ٤٤٠، وينظر: جامع البيان ٢٤/ ٨٦، الكشف والبيان ٧/ ٣١٤.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣١٤، زاد المسير ٦/ ٣٢١، القرطبي ١٤/ ٦٦، فتح القدير ٤/ ٢٣٨.

(٣) حكاه الزَّجّاج عن قتادة في معاني القرآن وإعرابه٤/ ١٩٧، وينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٤٤٣، زاد المسير ٦/ ٣٢١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٧، ١٩٨، وهذا على قراءة: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ بِالتاء ونصب المثقال.

(٥) قاله الفرَّاء والنَّحاس، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٢٨، إعراب القرآن ٣/ ٢٨٤، ويَعْنِي بالعماد: ما يُسَمَّى عند البصريين بضمير الشأن، ينظر: مصطلحات النحو الكوفِيِّ ص ٤٧.

١١٨ ـ وتَشْرَقَ بالقَوْلِ الَّذي قد أَذَعْتَهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ منَ الدَّمِ[(١)]

والمثقال يُقْرَأُ بالرَّفع والنَّصب[(٢)]، فمَن نَصَبَ ـ وهي قراءة العامة ـ فعلى خبر «كان»، المعنى: إنْ تَكُ الخطيئةُ مثقالَ حَبّةٍ من خردل، ومَن رَفَعَ ـ وهي قراءة نافع ـ فعلى اسم «كان»، ومجازه: إنْ يَقَعْ، وحينئذٍ لا خبر له، وقد مضى نظيرها في سورة الأنبياء[(٣)].

قوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ يعني الصخرة الخضراء التي تحت الأَرَضِينَ، وهي التي كُتِبَتْ فيها أعمالُ الفجار، وخُضْرةُ السماء منها، قاله ابن عباس[(٤)]،

---

(١) البيت من الطويل، للأعشى يهجو عمير بن عبد الله بن المنذر حين جمع بينه وبين جُهُنّامٍ ليهاجيه.
اللغة: تَشْرَق: تُغَصُّ، شَرِقَ الشيءُ شَرَقًا فهو شَرِقٌ: اشتدت حُمْرَتُهُ بِدَمٍ أو بِلَوْنٍ أَحْمَرَ، صدر القناة: أعلاها.
التخريج: ديوانه ص ١٧٣، الكتاب ١/ ٥٢، معاني القرآن للفرَّاء ١/ ١٨٧، ٢/ ٣٧، ٣٢٨، معاني القرآن للأخفش ص ٤٢٤، جمهرة اللغة لابن دريد ص ٧٢٣، المقتضب ٤/ ١٩٧، ١٩٩، والكامل للمبرد ٢/ ١٤١، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ١٨٥، شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/ ٤١، إعراب القرآن للنَّحاس ٢/ ٦٠، ٣١٦، ٣/ ٢٨٥، الخصائص لابن جني ٢/ ٤١٧، الأزهية للهروي ص ٢٣٨، المخصص لابن سيده ١٧/ ٧٧، إصلاح الخلل ص ٣٩٩، شرح المفصل لابن يعيش ٧/ ١٥١، اللسان: شرق، صدر، مغني اللبيب ص ٦٦٧، همع الهوامع ٢/ ٤٢١، خزانة الأدب ٥/ ١٠٦.

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر والأعرج ﴿مِثْقَالُ﴾ بالرَّفع، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السبعة ص ٥١٣، حجة القراءات ص ٥٦٥، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٨٨، تفسير القرطبي ١٤/ ٦٧، البحر المحيط ٧/ ١٨٢، الإتحاف ٢/ ٣٦٢.

(٣) الآية ٤٧، وانظر ما سبق ١/ ١٩٢ من هذا الكتاب.

(٤) ينظر: جامع البيان ٢١/ ٨٧، الكشف والبيان ٧/ ٣١٤، زاد المسير ٨/ ٤، تفسير القرطبي ١٤/ ٦٨.

وقال السُّدِّيُّ[١]: هذه الصخرة ليست في السماوات ولا في الأرض، هي تحتَ سَبْعِ أَرَضِينَ، عليها مَلَكٌ قائمٌ، قال صاحب إنسان العين[٢]: هي صخرة عليها الأرض حيث لم نعرف، ولا معنى للقول بأنها سِجِّينٌ.

وقوله: ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ هذا جواب الشرط، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ عليم بمكانها، قال الثعلبي ـ رحمه الله ـ[٣]: «رأيت في بعض الكتب، أن لقمان قال لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ...﴾ إلى آخر الآية، فانْفَطَرَ هَيْبَةً من هذه الكلمة فمات، فكان آخِرَ حِكْمَتِهِ».

قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، وقرأ النَّخَعي ونافعٌ وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلفٌ والأعمش ويحيى وابنُ محيصِن: بالألف، ورُوِيَ عن عاصم الجَحْدَرِيِّ: ﴿وَلاَ تُصْعِرْ﴾ بضم التاء وجزم الصاد، من أَصْعَرَ، وقرأ الباقون: ﴿تُصَعِّرْ﴾[٤] بغير ألف مع التشديد، من التَّصْعِيرِ، ومعناه: لا تتكَبَّرْ فتُحَقِّرَ الناسَ، وتُعْرِضَ عنهم بوجهك إذا كَلَّمُوكَ، وقيل: معناه: لا تَعْبِسْ فِي وجوهِ الناس، وقيل: التصعير: التشديق في الكلام.

وأصل هذه الكلمة من المَيْلِ، يقال: رَجُلٌ أَصْعَرُ: إذا كان مائِلَ العُنُقِ، وجمعه: صُعْرٌ، والصَّعَرُ: داءٌ يأخذ الإبل في أعناقها ورءوسها حتى تَلْتَفِتَ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣١٤، زاد المسير ٦/ ٣٢١، مجمع البيان ٨/ ٨٦، تفسير القرطبي ١٤/ ٦٨.

(٢) عين المعاني ورقة ١٠١/ أ.

(٣) الكشف والبيان ٧/ ٣١٤.

(٤) ينظر: السبعة ص ٥١٣، مختصر ابن خالويه ص ١١٨، تفسير القرطبي ١٤/ ٦٩، البحر المحيط ٧/ ١٨٣، الإتحاف ٢/ ٣٦٢.

أعناقُها، فشُبِّهَ الرجلُ المتكبر الذي يُعْرِضُ عن الناس احتقارًا لهُم بذلك[١]، قال الشاعر:

١١٩ - وكُنّا إذا الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنا لهُ مِن مَيْلِهِ فتَقَوَّما[٢]

وقال آخر:

١٢٠ - وكُنّا إذا الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرَبْناهُ تحتَ الأُنْثَيَيْنِ على الكَرْدِ[٣]

أي العنق، والأُنثيان: الأُذُنانِ.

---

(١) ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٢٧، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٨، تهذيب اللغة ٢/ ٢٧، غريب القرآن للسجستانِي ص١٢٣.

(٢) البيت من الطويل، للمتلمس من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند، وأولها:

يُعَيِّرُني أمِّي رِجالٌ، ولن تَرَى أَخا كَرَمٍ إلّا بِأَنْ يَتَكَرَّما

ويُرْوَى: «فَتَقَوَّمِ» بالبناء على الكسر، وهو بهذه الرواية لعمرو بن حُنَيٍّ التغلبي من قصيد يفخر فيها بقتل عمرو بن هند، وهي مخفوضة القوافِي، ومنها:

نُعاطي المُلُوكَ السِّلْمَ ما قَصَدُوا بِنا وَلَيْسَ عَلَيْنا قَتلُهُمْ بِمُحَرَّمِ

ونُسب لجابر بن حُنَيٍّ التغلبي.

التخريج: ديوان المتلمس ص ٢٤، مجاز القرآن ٢/ ١٢٧، معجم الشعراء ص ١٣، مقاييس اللغة ٢/ ٢٧٤، الكشف والبيان ٧/ ٣١٥، مختارات ابن الشجري ص ١٢١، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص ١٦٥، الحماسة البصرية ص ١٢٩، عين المعاني ورقة ١٠١/ ب، ١٢٦/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٦٩، اللسان: درأ، صعر، كون، البحر المحيط ٧/ ١٧٧، التاج: درأ، صعر، كون.

(٣) البيت من الطويل، للفرزدق، ورواية ديوانه:

وَكُنّا إذا القَيْسِيُّ نَبَّ عَتُودُهُ ضَرَبْناهُ فَوْقَ الأُنْثَيَيْنِ عَلَى الكَرْدِ

ويُرْوَى: «دُونَ الأُنْثَيَيْنِ»، ونُسِبَ لذي الرُّمّةِ، وهو في ديوانه أيضًا.

اللغة: الأُنْثَيانِ هنا: الأُذُنانِ؛ لأن الأُذُنَ أنثى، الكَرْدُ: أصل العنق، العَتُود: الجَدْيُ الذي اسْتَكْرَشَ، ونَبِيبُهُ: صِياحُهُ عند الضِّراب، وقوله: «نَبَّ عَتُودُه» كناية عن التكبر. =

قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ خُيلاءَ، وقيل: أَشَرًا وبطَرًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨﴾ مختال فِي مشيه فخور على الناس، ونصب ﴿مَرَحًا﴾؛ لأنه مصدر فِي موضع الحال، وقد مضى نظيره فِي سورة بني إسرائيل(1).

فصل

[٦٩/ ب] عن عبد الله بن عُمَرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «خَرَجَ رجلٌ يَتَبَخْتَرُ / في الجاهليّة، علَيْهِ حُلّةٌ، فأَمَرَ اللهَ ـ عزّ وجلّ ـ الأرضَ فأَخَذَتْهُ، فهُوَ يَتَجلْجَلُ فِيها إلى يَوْمِ القِيامة»(2).

قوله: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ يعني قَصْدًا، لا بِخُيَلاءَ ولا إِسْراعًا، يقال: قَصَدَ فُلانٌ فِي مشيه: إذا مَشَى مُسْتَوِيًا، وقيل: معناه: انظر إلى موضع قدمك، وقيل: امْشِ بالسكينة والوقار، رَوَى ابنُ عمر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «سُرعةُ المَشْيِ تُذْهِبُ بَهاء المُؤْمن»(3).

= التخريج: ديوان الفرزدق ١/ ١٧٨، ديوان ذي الرمة ص ١٤٢ [ط كمبردج]، أدب الكاتب ص ٣٨٤، المعاني الكبير ص ٩٩٤، إعراب ثلاثين سورة ص ٢٢٧، الكشف والبيان ٧/ ٣١٥، الاقتضاب ٣/ ٣١٠، شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٤٧، شرح شواهد الإيضاح ص ٤٤٤، التذكرة الحمدونية ٧/ ٢٨٨، اللسان: أنث، درأ، كرد، كون، نبب.

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾، الإسراء ٣٧، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٢٢، ٢/ ٢٦٨، ٣١٥، ٥٣١، والبخاري في صحيحه ٧/ ٣٤، ٣٥ كتاب اللباس: باب من جر ثوبه من الخيلاء.

(٣) رُوِيَ هذا الحديث عن ابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري، ينظر: كتاب المجروحين ٢/ ٨٢، ٣/ ٨٠، الكامل في الضعفاء ٥/ ١٣، ٧٢، ٧/ ٧٧، ٧٨، ميزان الاعتدال ٣/ ١٦٩، ٦٣٢، ٤/ ٤٨، ٥/ ٢٦٦، ٣٣٩.

قوله: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾؛ أي: أَخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾ أي: أقبحها، وقيل: أشدها ﴿لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾؛ لأن أوله زفير، وآخره شهيق، قال سفيان[1] في تفسير هذه الآية: صِياحُ كُلِّ شيءٍ يُسَبِّحُ لله - عزّ وجلّ - إلّا الحمارَ، ولأنه ينهق بلا فائدة. وذكر النَّقّاش أن العطسة المرتفعةَ القبيحةَ من أنكر الأصوات[2].

فصل

عن أم سعد[3]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - عزّ وجلّ - يبغض ثلاثة أصوات: نهيقَ الحمار ونُباحَ الكلب والداعيةَ بالحرب».

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني: الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: الجبال والأنهار والبحار والنَّبْتَ والأشجار عامًّا بعام، قال الزجاج[4]: ومعنى تسخيرها للآدميِّين

(١) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في التقوى وعلوم الدين، ولد ونشأ في الكوفة، رفض الولاية من المنصور ومن المهدي، سكن مكة والمدينة، توفِّي بالبصرة مستخفيًا سنة (١٦١هـ)، من كتبه: الجامع الكبير، الجامع الصغير. [سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩، الأعلام ٣/ ١٠٤]، وينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٣١٦، زاد المسير ٦/ ٣٢٣، عين المعاني ورقة ١٠١/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٧٢.

(٢) حكاه النقاش عن جعفر بن محمد في تفسيره شفاء الصدور، النسخة الثانية رقم ٢٩٠٧٥.

(٣) هي: جميلة بنت سعد بن الربيع بن عمرو الأنصارية الخزرجية، قُتِلَ أبوها مع الرسول يوم أُحُدٍ، وكانت يتيمةً في حجر أبي بكر، وتزوجها زيد بن ثابت. [الطبقات الكبرى ٨/ ٣٥٩، أسد الغابة ٥/ ٤١٨، الإصابة ٨/ ٦٩].

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٩.

الانتفاع بها، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً (٢٠)﴾؛ أي: أَوْسَعَ وأَكْمَلَ، يقال: سَبغَتِ النِّعْمةُ: إذا تَمَّتْ، وأَسْبَغَها اللهُ: إذا أَتَمَّها، فالنعمة الظاهرة: الخَلْق والرزق والإسلام، والباطنة: ما سَتَرَ من ذنوب بني آدم فلم يعلم بها أحد ولم يُعاقَبْ عليها، وقيل: الباطنة: ما لا تبصره العَيْنُ ولا يدركه الوهم، كما قال: «وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَر»[1]، وهذا كله من النعم.

قرأ نافع وشيبة وأبو جعفر وأبو رجاءٍ العُطاردي وأبو مِجْلَزٍ وأبو عَمْرو والأعرج[2] وأيوبُ وحفصٌ: ﴿نِعَمَهُۥ﴾ بالجمع، وهو الاختيار، فعلى هذه القراءة نصب ﴿ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ على: الحال، وقرأ الآخرون: ﴿نِعْمةً﴾[3] منوَّنة على الواحدة، ومعناه جَمْعٌ أيضًا، دليله قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[4]، وعلى هذه القراءة تكون ﴿ظَٰهِرَةً﴾: نصبًا على النعت.

---

(١) هذا جزء من حديث قدسي سيأتي بتمامه ٢/ ٨٦، وقد رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٨٦ كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في صفة الجنة، ٦/ ٢١٢١ كتاب تفسير القرآن: سورة «تَنْزِيل السجدة»، ورواه مسلمٌ في صحيحه ٨/ ١٤٣ كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) هو: عبد الرحمن بن هرمز بن كيسان، أبو داود الأعرجُ، من موالي بني هشام، تابعي حافظ قارئ، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهما، كان ثقة ثبتًا عالمًا خبيرًا بأنساب العرب، رابَطَ في آخر حياته بالإسكندرية، وتوفِّي بها سنة (١١٧هـ). [غاية النهاية ١/ ٣٨١، سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٩، ٧٠، الأعلام ٣/ ٣٤٠].

(٣) قرأ: ﴿نِعْمةً﴾ بالإفراد ابنُ عباس وزيدُ بنُ عَلِيٍّ وابنُ كثير وابنُ عامر، وأبو بكر عن عاصمٍ، وحمزةُ والكسائيُّ، وأبو عمرو في رواية عنه، ينظر: السبعة ص ٥١٣، حجة القراءات ص ٥٦٦، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٨٩، تفسير القرطبي ١٤/ ٧٣، البحر المحيط ٧/ ١٨٥، النشر ٢/ ٣٤٧، الإتحاف ٢/ ٣٦٣.

(٤) إبراهيم ٣٤، والنحل ١٨.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: سألتُ رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله: ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ قال: «أمّا الظاهرة فالإسلام وما / [٧٠/ أ] حَسَّنَ مِن خَلْقِكَ، وما أَفْضَلَ عليك من الرزق، وأما الباطنة فما سَتَرَ من سوء عملك، يا ابن عباس: يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: إِنِّي جعلتُ للمؤمن ثلاثًا: صلاة المؤمن عليه بعد انقطاع عمله أُكَفِّرُ به عنه خطاياه، وجعلت له ثلث ماله لأكفر به عنه خطاياه، وسترت عليه سوء عمله الذي لو قد أَبْدَيْتُهُ للناس نَبَذَهُ أَهْلُهُ فمَنْ سِواهُم»(١).

وفيه تفاسيرُ واختلافٌ بين العلماء يطول شرحها هاهنا، فاكتفينا بحديث المصطفى وتفسيره ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعني: كفار مكة ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعني: وإن كان الشيطان ﴿يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾، قال الأخفش(٢): لفظه استفهام ومعناه تقرير، وقال أبو عُبيدة(٣): «لَوْ» هاهنا: متروكة الجواب، مجازه: أَوَلَوْ كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير؟ أي: موجباته، فيتبعونه.

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٧/ ٣١٨، ٣١٩، الوسيط ٣/ ٤٤٥، عين المعاني ورقة ١٠١/ ب، الدر المنثور ٥/ ١٦٧.

(٢) الذي قاله الأخفش في هذه الآية: «هنا ألف استفهام أدخلها على واو العطف». معاني القرآن ص ٤٤٠، وأما القول الذي حكاه المؤلف هنا عن الأخفش فقد ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٣٢٠، والثعلبي في عين المعاني ورقة ١٠١/ ب.

(٣) لم أقف على هذا القول في مجاز القرآن، وإنما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٣٢٠، والسجاوندي في عين المعاني ورقة ١٠١/ ب.

قولــه تعالــى: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ﴾؛ أي: نُعَمِّرُهُمْ ونُمْهِلُهُمْ قليــلًا، يعني: أيّامَ حياتهم إلى انقضاء آجالهم، ونصب ﴿قَلِيلًا ﴾ على النعت لمصدر محذوف، يعني: متاعًــا قليلًا بما أُعطوا من الدنيا، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ ﴾ يريــد: فِي الآخرة؛ أي: نُلْجِئُهُمْ ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)﴾ وهو عذاب النار لا يجدون عنه ملجأً ولا محيصًا.

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾؛ أي: بُرِيَتْ أَقْلامًا ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ قــرأ ابن أَبي إســحاق[١] وأبو عمرو ويعقــوب: ﴿والْبَحْرَ﴾ بالنصب[٢] عطفًا على اسم «أَنَّ»، وهو «ما» الذي بمعنى «الَّذِي»، ويحتمل أن يكون منصوبًا بإضمار فعلٍ تفسيرُه ما بعده تقديره: ويُمِدُّ البحرَ يُمِدُّهُ[٣].

وقــرأ غيرهــم بالرفع على الاســتئناف، كأنه قال: والبحرُ هــذه حاله[٤]، وقيــل[٥]: على موضــع «لَــوْ أَنَّ» تقديره: ولــو كان ما فــي الأرض؛ لأن «لو»

(١) في الأصل: «أبو إسحاق».

(٢) وهي أيضًا قراءة اليزيدي، ينظر: السبعة ص ٥١٣، تفسير القرطبي ١٤/ ٧٧، البحر المحيط ٧/ ١٨٦، الإتحاف ٢/ ٣٦٤.

(٣) وعلــى هذا فالــواو واو الحال، والتقدير: لو أن الذي فــي الأرض حال كون البحر ممدودًا بكذا، ينظر: كشــف المشــكلات ٢/ ٢١٨، البيــان للأنبــاري ٢/ ٢٥٦، التبيان للعكبري ص ١٠٤٥، الدر المصون ٥/ ٣٩٠.

(٤) قــال ســيبويه: «﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾، وقــد رفعه قوم على قولك: لــو ضربتَ عبدَ الله وزيدٌ قائم ما ضَرَّكَ؛ أي: لو ضربت عبدَ الله وزيدٌ فِي هذه الحال، كأنه قال: ولو أن ما في الأرض من شــجرة أقلام والبحر هذا أَمْرُهُ ما نفدت كلمات الله». الكتاب ٢/ ١٤٤.

(٥) هذا قول الزَّجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٠٠، وهذا يتجه على مذهب المبرد في أن الاســم الواقع بعد «لو» مرفوع على الفاعلية بفعل مضمــر، ينظر: المقتضب ٣/ ٧٧، وأما على مذهب سيبويه فما بعد «لو» مرفوع بالابتداء، ينظر: الكتاب ٣/ ١٢١.

تطلب الأفعال، وحجتهم قراءة عبد الله: ﴿وَبَحْرٌ يُمِدُّهُ﴾[١]، يريد: ويَنْصَبُّ إليه ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: مِنْ خَلْفِهِ ﴿سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ يعني: عِلْمُ الله وعجائبه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٞ ٢٧﴾ في أمره، وهذه الآية تقتضي أن كلامه غير مخلوق؛ لأن ما لا نهاية له ولِما تَعَلَّقَ به من معناه فهو غير مخلوق.

وقد حُكِيَ: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يُمُدُّهُۥ﴾[٢] بضم الياء وكسر الميم على أنهما لغتان/ بمعنًى واحد، وحُكِيَ التفريقُ بينهما، يقال فيما كان يزيد في الشيء: مَدَّهُ يَمُدُّهُ، كما تقول: مَدَّ النيلُ الخليجَ؛ أي: زاد فيه، وأَمَدَّ اللهُ الخليجَ بالنيل، وهذا أحسن القولين، وهو مذهب الفراء[٣].

ويجوز: «تَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعةُ أَبْحُرٍ»[٤] على تأنيث السبعة[٥]، والمعنى: لو زِيدَ في البحر سبعةُ أَبْحُرٍ تَمُدُّهُ بمائها، فكُتِبَ بتلك الأقلامِ، لَنَفِدَ المِدادُ قبل أن ينفد علم الله، وهو قوله: ﴿مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾.

قال طاهر بن أحمد[٦]: وفي قراءة من رفع «البحرَ» إشكال يحتاج إلى لطف نظر، فـ﴿الْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ جملة من مبتدأ وخبر في موضع الحال، وإذا

---

(١) وهي أيضًا قراءة أُبَيٍّ وطلحةَ بنِ مُصَرِّفٍ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٨، المحتسب ٢/ ١٦٩، ١٧٠، تفسير القرطبي ١٤/ ٧٧، البحر المحيط ٧/ ١٨٦.

(٢) هذه قراءة ابن مسعود والحسن وابن هرمز وابن مُطَرِّفٍ، ينظر: المحتسب ٢/ ١٦٩-١٧٠، تفسير القرطبي ١٤/ ٧٧، البحر المحيط ٧/ ١٨٦، الإتحاف ٢/ ٣٦٤.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٢٩ باختلاف في الألفاظ.

(٤) هذه بالفعل قراءة شاذة لبعض القراء، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٨٨.

(٥) من أول قوله: «وحُكِيَ التفريق بينهما...» قاله النَّحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٨٨.

(٦) شرح المقدمة المُحسبة لطاهر بن أحمد ص ٤٠٥.

كان في موضع الحال احتاج إلى صاحب الحال وإلى عاملٍ في الحال، وليس معك عامِلٌ إلّا مُتَأَوَّلًا، وذلك التأويل: أنّ أقلامًا ـ وإن كانت أسماءً جامدةً ـ فإنها وقعت هاهنا موقع كاتبات أو جاريات، وإذا وقعت موقع كاتبات أو جاريات فقد تَحَمَّلَتِ الضميرَ، وصار فيها معنى الاشتقاق، فعَمِلَتْ في موضع الجملة الحالية النصبَ، فأما من نصب البحر فلا إشكال فيه؛ لأن الواو عاطفة للبحر على ﴿ما في الأَرْضِ﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ في قوله وفعله، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الذي ليس عنده نفعٌ ولا ضُرّ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ العالي على كل شيء بقدرته ﴿ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠﴾ الذي يَصْغُرُ كُلُّ شيء سواه، والباطل رفع على خبر ابتداء محذوف، تقديره: هو الباطل، نظيرها في سورة الحج[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ يعني: الكفار ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ قيل: كالجبال، وقيل: كالسحاب التي تُظِلُّ ما تحتها، والظُّلَلُ: جمع ظُلّةٍ، شُبِّهَ المَوْجُ بها في كثرتها وارتفاعها، كقول النابغة الجعدي[2]:

١٢١ ـ يُماشِيهِنَّ أَخْضَرُ ذُو ظِلالٍ عَلَيَّ، كأَنَّهُ فِلَقُ الدِّهانِ[3]

---

(١) الآية ٦٢، ولم يتناولها المؤلف بالشرح هناك.

(٢) هو: قيس بن عبد الله بن عُدَسِ بن ربيعة الجَعْدِيُّ، أبو ليلى، شاعر مفلق، وصحابِيٌّ من المعمرين، اشتهر في الجاهلية، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل الإسلام، شهد صفين مع عَلِيٍّ رضي الله عنه، وسكن الكوفة، وتوفِّي بأصبهان سنة (٥٠هـ)، وقد كُفَّ بَصَرُهُ، وجاوز المائة. [الشعر والشعراء ص ٢٩٥، الإصابة ٦/ ٣٠٨، الأعلام ٥/ ٢٠٧].

(٣) البيت من الوافر، للنابغة للجعدي يصف بَحْرًا، ورواية ديوانه:

يُعارِضُهُنَّ أَخْضَرُ ذُو ظِلالٍ عَلَى حافاتِهِ فِلَقُ الدِّنانِ

اللغة: الأخضر ذو الظلال: البحر؛ لأن لأمواجه ما يشبه الظلال، الفِلَقُ: جمع فِلْقةٍ وهي الشق.

=

وإنما شَبَّهَ الموجَ، وهو واحدٌ، بالظُّلَلِ، وهو جَمْعٌ؛ لأن الموج يأتِي شيئًا بعد شيء، يركب بعضه بعضًا كالظُّلَلِ المتتابعة[(١)]، وقيل[(٢)]: هو بمعنى الجمع، وإنما لم يُجْمَعْ لأنه مصدر وأصله من الحركة والازدحام.

وقوله: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾ يعني: مُوَحِّدِينَ ﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: التوحيد، ونصب ﴿مُخۡلِصِينَ﴾ على: الحال، و﴿ٱلدِّينَ﴾: نصب بالإخلاص.

قولـه: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ يعني: عَدْلًا فِي وفاء العهد فِـي البرِّ بما عاهد عليه اللهَ في البحر مـن التوحيد له، يعني: المؤمن / ، ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنـي: يترك العهـد ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾﴾ يعني: غدارًا بالعهـد كفورًا لله في نِعَمِهِ في ترك التوحيد في البَـرِّ. قال أبو عبيدة[(٣)]: الخَتْرُ: أقبح الغدر، قال عمرو بن معدي كرب[(٤)]: [٧١/ أ]

١٢٢ ـ وإنَّكَ لو رَأَيْتَ أبا عُمَيرٍ   مَلأْتَ يَدَيْكَ مِـنْ غَدْرٍ وخَتْرِ[(٥)]

= التخريـج: ديوانـه ص ١٨٠، مجـاز القـرآن ٢/ ١٢٩، جامع البيان ٢١/ ١٠٢، الكشـف والبيان ٧/ ٣٢٢، المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٥، عين المعاني ورقة ١٠١/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٨٠، الجمان في تشبيهات القرآن ص ١٢٨.

(١) قالـه الفرَّاء في معانـي القرآن ٢/ ٣٣٠، وينظـر أيضًا: جامع البيان ٢١/ ١٠٢، الكشـف والبيان ٧/ ٣٢٢.

(٢) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٣٢٢، وينظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٨٠، البحر المحيط ٧/ ١٨٨.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٢٩.

(٤) هـو: عمرو بن مَعْدِي كَـرِبِ بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، أبو ثـور، فارس اليمن، كان قد أسـلم ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، ثم رجع إلى الإسلام، وشهد اليرموك، وفقد فيها إحدى عينيه، وله شـعر جيد، وكان عَصِيَّ النفس، مات على مقربة من الرَّيِّ سنة (٢١هـ). [الشعر والشعراء ص ٣٧٩، الإصابة ٤/ ٥٦٨: ٥٧٤، الأعلام ٥/ ٨٦].

(٥) البيت من الوافر، وأبو عمير هو فَرْوَةُ بن مُسَيْكٍ المرادي عامل الرسول على مَذْحِجٍ، وكان عمرو يهجوه.
=

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾؛ أي: لا يُغْنِي أحدُهما عن الآخر شيئًا، ولا ينفعه ذلك اليومَ، يعني: الكفار، نظيرها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾[1]، وقد تقدم، ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ يريد: البعث ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: عن الإسلام والتزود للآخرة، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾؛ أي: بحلم الله وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ يعني به الباطلَ، وهو الشيطان، قرأه العامة بفتح الغين، هاهنا وفي الملائكة والحديد[2]، وقالوا: هو الشيطان، وهو الذي من شأنه أن يَغُرَّ، وقرأ سِماكُ بنُ حَرْبٍ[3] بِضَمِّ الغَيْنِ[4]، ومعناه: لا تَغْتَرُّوا، والغَرُورُ بالفتح: الشيطان، والغُرُورُ بالضم: الدنيا[5].

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ نزلت في رجل يقال له: الحارثُ بن عَمْرو بن حارثة من أهل البادية، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فقال: إن أرضنا

= التخريج: ديوانه ص ١٢٣، جامع البيان ٢١/ ١٠٢، سيرة ابن هشام ٤/ ١٠٠٥، الكشف والبيان ٧/ ٣٢٣، الكشاف ٣/ ٢٣٨، المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٦، عين المعاني ورقة ١٠١/ ب، مجمع البيان ٨/ ٩٣، تفسير القرطبي ١٤/ ٨٠، معجم ما استعجم ٢/ ٦٥٠، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٦٢، البحر المحيط ٧/ ١٧٧، تاريخ دمشق ٤٦/ ٣٧٣، ٣٧٧، السيرة النبوية لابن كثير ٤/ ١٣٩.

(١) البقرة ٤٨، ١٢٣.

(٢) فاطر ٥، والحديد ١٤.

(٣) هو: سِماكُ بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي، أبو المغيرة البكري، تابعي محدث من أهل الكوفة، أدرك ثمانين صحابيًّا، ذهب بصره ثم عاد إليه، توفِّي سنة (١٢٣هـ). [سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٥-٢٤٩، الأعلام ٣/ ١٣٨].

(٤) قرأ سِماكُ بنُ حرب ومحمد بن السَّمَيْفَع وأبو حيوة: ﴿الغُرُورُ﴾ بضم الغين، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٣، المحتسب ٢/ ١٧٢، تفسير القرطبي ١٤/ ٨١، البحر المحيط ٧/ ١٨٩.

(٥) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٤٠٦.

أَجْدَبَتْ، فمتى ينزل الغيث؟ وتركتُ امرأتي حُبْلَى، فماذا تَلِدُ؟ وقد علمتُ أين وُلِدْتُ، فبِأَيِّ أرض أموتُ؟ وقد علمتُ ما عملتُ اليومَ، فماذا أعمل غدًا؟ ومَتَى الساعةُ؟، فأنزل الله في مسألة الحارثي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ يوم القيامة، لا يعلمها غيره، ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ يعني: المطر، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ من ذَكَرٍ أو أنثى سَوِيٍّ وغَيْرِ سَوِيٍّ، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ﴾ بر أو فاجر ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فِي سَهْلٍ أو جَبَلٍ، فِي بَرٍّ أو بَحْرٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾، فقال النبي ﷺ: «أين السائل عن الساعة؟ »، فقال الحارثي: ها أنا ذا، فقرأ النبي ﷺ هذه الآية عليه[١].

ورَوَى ابنُ عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «مفاتيح الغيب فِي خمس لا يعلمها إلا الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾ الآية[٢].

وقوله: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾/ كان حقه: «بِأَيَّةِ أَرْضٍ»، وهي قراءة أُبَيِّ بن كعب[٣]، إلّا أَنَّ مَنْ ذَكَّرَ قال: لأن الأرض ليس فيها من علامات التأنيث شيءٌ، وقيل: أراد بالأرض المكان، فلذلك ذُكِّرَ، واحتج بقول الشاعر:

١٢٣ ـ فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ولا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقالَها[٤]

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣٢٣، الوسيط ٣/ ٤٤٧، أسباب النزول ص ٢٣٤، الدر المنثور ٥/ ١٦٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٤، ٥٨، والبخاري في صحيحه ٢/ ٢٣ كتاب العيدين: أبواب الاستسقاء، ٥/ ١٩٣، ٢١٩ كتاب تفسير القرآن: سورة الأنعام، وسورة الرعد، ٨/ ١٦٦ كتاب التوحيد: باب قول الله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾.

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن أبي عبلة وموسى الأَسْوارِيِّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٨، تفسير القرطبي ١٤/ ٨٣، البحر المحيط ٧/ ١٩٠.

(٤) البيت من المتقارب، لعامر بن جُوَيْن الطائي. =

فذَكَّـرَ «أَبْقَـلَ»، ولـم يقل: أبقلـت، إذْ كانت الأرض عاريـةً من علامة التأنيث[١]، وأنشد أبو الفرج بن هِنْدُو[٢] في المعنى:

١٢٤ ـ تَعَلُّمُ أَحكامِ النُّجُومِ إضاعةٌ لأَوْقـاتِ عُمْـرٍ يَنْقَضِـي فتَفُـوتُ
فَمـا يَعْلَمُ الإنسـانُ ما كَسْـبُهُ غدًا ولا يَعْلَمُ الإنسـانُ أيْـنَ يَمُوتُ[٣]

= **اللغة**: المُزْنةُ: السحابة ذات الماء، وَدَقَتْ: قَطَرَتْ، والوَدْقُ: المطر كله شَدِيدُهُ وهَيِّنُهُ، أَبْقَلَتِ الأرضُ: خَرَجَ بَقْلُها.

التخريج: الكتاب ٢/ ٤٦، معاني القرآن للفرّاء ١/ ١٢٧، مجاز القرآن ٢/ ٦٧، ١٢٤، معاني القرآن للأخفش ص ٥٥، ٣٠٠، المحتسـب ٢/ ١١٢، الخصائص ٢/ ٤١٣، شرح شواهد الإيضاح ص ٣٣٩، ٤٦٠، شرح المفصل ٥/ ٩٤، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١١٢، شرح الكافية للرَّضي ١/ ٤٢، اللســان: أرض، بقل، خضب، مغني اللبيب ص ٨٦٠، ٨٧٩، شرح شـواهد المغني ص ٩٤٣، همع الهوامع ٣/ ٢٩٢، خزانـة الأدب ١/ ٤٥، ٤٩، ٥٠، التاج: ودق، بقل.

(١) هذا ما قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٣٢٤، ولكن سيبويه وغيره أجازوا «بِأَيِّ أَرْضٍ» و«بِأَيَّةِ أَرْضٍ»، قال سـيبويه: «وسـألت الخليل، رحمه الله، عن قولهم: أَيُّهُنَّ فُلانَةٌ؟ وأَيَّتُهُنَّ فُلانَـةٌ؟ فقال: إذا قلت: أَيٌّ؟، فهو بمنزلة «كُلٍّ»؛ لأن كُلاًّ مذكر يقع للمذكر والمؤنث، وهو أيضًا بمنزلة بعض، فإذا قلت: أَيَّتُهُنَّ؟ فإنك أردت أن تُؤَنِّثَ الاسمَ». الكتاب ٢/ ٤٠٧.
وقال أبو عبيدة: «يقال: بِأَيِّ أَرْضٍ كُنْتَ؟ وبِأَيَّةِ أَرْضٍ كُنْتَ؟ لغتان». مجاز القرآن ٢/ ١٢٩، وينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤٤٠.

(٢) في الأصل: «بن هند»، وهو خطأ. وهو: علي بن الحسين بن محمد بن هِنْدُو، من المتميزين في علوم الحكمة والأدب والطب والفلسفة والفلك، نشأ بنيسابور، وكان من كُتّابِ ديوان الإنشاء لعَضُدِ الدولة، توفِّي بجرجان سنة (٤٢٠هـ)، وقيل: (٤١٠هـ)، من كتبه: الكلم الروحانية من الحكم اليونانية، مفتاح الطب. [فوات الوفيات ٣/ ١٣، الأعلام ٤/ ٢٧٨].

(٣) البيتان من الطويل، لأَبِي الفرج ابن هندو كما ذكر المؤلف.
التخريج: عين المعاني ورقة ١١٠/ أ.

فصل

عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ[١]، قال: دخل مَلَكُ الموت ـ عليه السّلام ـ على سليمان ﷺ، فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه، ويُدِيمُ النظرَ إليه، فلما خرج مَلَكُ الموت قال الرجل: من هذا؟ قال: مَلَكُ الموتِ، قال: فإنِّي رأيته ينظر إليَّ كأنه يريدنِي، قال: فما تريد؟ قال: أريد أن تحملني الريحُ فتُلْقِيَني بالهند، فدعا سليمانُ ـ عليه السّلام ـ بالريح، فحمله عليها، فألقته بالهند، فقُبِضَ روحه هنالك، ثم أَتَى مَلَكُ الموت سليمانَ عليه السّلام، فقال له: إنك كنتَ تُدِيمُ النظرَ إلى رجل من جلسائي، فقال: كنت أعجب منه، إنِّي أُمِرْتُ أن أَقبِض روحه بالهند وهو عندك[٢].

وقيل: بَلَغَ ابنَ عباس ـ رضي الله عنه ـ أن يهوديًا خرج بالمدينة فَحَسَبَ حسابَ النجوم فأتاه فسأله، فقال له اليهوديُّ: إن شئتَ أنبأتُكَ عن نفسك وعن ولدك، فقال: قد شئتُ، فقال: إنك ترجع إلى منزلك، فتلتقي بابنٍ لك محمُوم، ولا تَمْكُثُ عشَرة أيام حتى يَمُوتَ الصَّبيُّ، وأنت لا تخرج من الدنيا حتى تَعْمَى، فقال له ابن عباس: وأنت يا يهودي؟ قال: لا يَحُولُ عَلَيَّ الحَوْلُ حتى أموت، قال: فأين موتك يا يهودي؟ قال: ما أدري، فقال ابن عباس: صدق الله:

---

(١) أبو عبد الرحمن أو أبو سعيد الأشعري، من كبار علماء التابعين، فقيه قارئ محدث، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد، حدث عنها وعن السيدة عائشة وابنِ عباس وابن عمر رضي الله عنهم، وهو شامي الأصل، سكن العراق، وولي بيت المال مدة، وتوفِّي سنة (١٠٠هـ). [سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٢: ٣٧٨، الأعلام ٣/ ١٧٨].

(٢) هذا الخبر رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٣٢٩، وينظر: الكشاف ٣/ ٢٣٩، تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٨٩.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، قـال: فرجع ابن عباس فلقـي ابنه محمومًا، فلما بلغ عشْرًا مات الصبي، وسأل عن اليهودي قبل الحول فقالوا: مات، وما خَرَجَ ابنُ عَبّاسٍ من الدنيا حتى ذَهَبَ بَصَرُهُ، فقيل: هذا أعجب حديث[1]، والله أعلم.

* * *

(١) هذا القصة ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٣٢٣-٣٢٤، وهذا يتنافَى مع الآية الكريمة، ومـع جلال قدر الصحابة فـي أنهم لا يؤمنون بالتنجيم والكهانة، وينظر: عين المعاني ورقة ١٠١/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٨٢-٨٣.

سورةُ السجدة
مكِّية

وهي ألفٌ وخمسمائة وثمانيةَ عشَرَ حرفًا، وثلاثُمائة وثمانون كلمة، وثلاثون آية.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ﴾ السجدة أُعْطِيَ من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ / أنه قال: «من قرأ سورةَ الجُرُزِ نادَى مُنادٍ من تحت [٧٢/ أ] العرش: سَلْ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ ـ وأَرْضَى برضاك عمن رضيت عنه، وسَخِطْتَ على أعدائك، أَبْلَغْتَ أَبْلَغْتَ»(٢).

وعنه ـ عليه السّلام ـ أنه قال: «من قرأ ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، أَمِنَ من عذاب القبر، ومِنْ فَزَع يوم القيامة، وأُعْطِيَ كُلَّ يوم وليلة ـ ما دام ـ سبعين دعوةً مستجابة، ويُدْرَأُ عنه وَسْواسُ الكبائرِ، مع ما له عند الله من المزيد، ويَسْأَلُ اللهَ العبدُ عند فراغ قراءتهما ما شاء»(٣).

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣٢٥، الوسيط ٣/ ٤٤٩، الكشاف ٣/ ٢٤٧، عين المعاني ١٠١/ ب.

(٢) لم أعثر له على تخريج.

(٣) لم أعثر له على تخريج.

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، ويقول: «هما يَفْضُلانِ كُلَّ سُورةٍ في القرآن سبعين حسنةً، ومن قرأهما كُتِبَ له سبعون حسنة، ومُحِيَ عنه سبعون سيئة، ورُفِعَ له سبعون درجة»(١).

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شَكَّ فيه أنه حَقٌّ نَزَلَ ﴿مِن﴾ عند ﴿رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وكل رَيْبٍ في القرآن فهو: الشك، إلّا في سورة الطور، وهو قوله: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾(٢)، فإنه يريد به حوادث الزمان(٣).

وفي رفع ﴿تَنزِيلُ﴾ ثلاثة أوجه، أحدها: على الابتداء، والخَبَرُ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، والثاني: على إضمار مبتدأ؛ أي: هذا المَتْلُوُّ تَنْزِيلُ، والثالث: بمعنى: هذه الحروف تَنْزِيلُ، و﴿الٓمٓ﴾ يدل على الحروف كلها كما يدل عليها: أ ب ت ث، ولو كان ﴿تَنزِيلُ﴾ منصوبًا على المصدر لَجازَ، كما قرأ الكوفيون:

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٤٠، والدارمي في سننه ٢/ ٤٥٥ كتاب فضائل القرآن/ باب في فضل سورة «تَنْزِيلُ السَّجْدةِ» و«تبارك»، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٢/ ١٣٢، وأما قوله: «هما يفضلان كل سورة... إلخ» فهو حديث آخر رواه البخاري بسنده عن جابر في الأدب المفرد ص ٢٥٨، والدارمي في سننه ٢/ ٤٥٥، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣٢٥.

(٢) الطور ٣٠.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٧.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾(١).

قولــه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾؛ أي: بــل يقولون: افتــراه محمد من تلقاء نفســه، وقيل(٢): الميم: صلــة؛ أي: أيقولون، وقيل(٣): هو بمعنى الواو، يعني: ويقولون، وقيل(٤): فيه إضمار، مجازه: فهل يؤمنون به أم يقولون افتراه؟ وهو استفهام توبيخ.

وقولــه: ﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعنــي: العــرب، وكانوا أُمّةً أُمِّيّةً، لــم يَأْتِهِمْ نذيرٌ قبل محمــد ﷺ ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾؛ أي: لكــي يُرشَــدوا مــن الضلالة إلى الهدى.

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: ذلك الذي صَنَعَ ما ذُكِرَ من خَلْقِ الســماوات والأرض، عالِمُ ما غاب عن الخلق، وعالِمُ ما حضر

---

(١) يــس ٣-٥، ومن أول قوله: «وفي رفع ﴿تَنزِيلُ﴾ ثلاثة أوجه» قاله النَّحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ٢٩١، وفيه وجه آخر ذكره الزَّجّاج، فقال: «ويجوز أن يكون في المعنى خبرًا عن ﴿الٓمٓ﴾، أي: ألــم من تَنْزِيل الكتاب». معاني القــرآن وإعرابه ٤/ ٢٠٣، وعلى هذا الوجه يكون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حالًا من الكتاب، والعامل فيه ﴿تَنزِيلُ﴾، ينظر: مشــكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٦، التبيان للعكبري ص ١٠٤٧.

(٢) يعنــي أن «أَمْ» بمعنى: همزة الاســتفهام، وهــذا قول ابن الأنباري، قالــه في إيضاح الوقف والابتداء ص ١٩٥، وينظر: تفســير القرطبي ٨/ ٣٤٤، وذهب أبو زيد إلى أن «أَمْ» في هذه الآية زائدة، ينظر قوله في الجنى الداني ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٣٠، وينظر: جامع البيان ٢١/ ١٠٩، الفريد للهمداني ٤/ ٢٠، الجنــى الدانــي ص ٢٠٧، وقال الزَّجّاجي: «وقد تَجِيءُ فِي الشــعر شــاذة بِمَعْنَى الواو». حروف المعاني ص ٤٨، ٤٩.

(٤) هذا أحد ثلاثة أوجه قالها السجاوندي في عين المعاني ورقة ١٠٢/ أ.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الممتنع في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ ⑥﴾ بأهل طاعته، و﴿ذَٰلِكَ﴾: ابتداء، و﴿عَٰلِمُ﴾: خبره، و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: نعته، ومن قرأ بالخفض(١) فهو شاذ، نعت لقوله: ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾/ ، تقديره: من رب العالمين العزيز الرحيم، [٧٢/ ب] وهذا بعيد لِما بينَهما من الفصول والآيات والكلمات الكثيرة.

ثم وصف نفسه، فقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾؛ أي: أتقنه وأحكمه، وقيل: حَسَّنَهُ، خلق السماء فزَيَّنَها بالكواكب، وخلق الأرض فزَيَّنَها بالنبات، وخلق ابن آدم فزَيَّنَهُ بالأدب، وقال السُّدِّيُّ: أَحْسَنَهُ(٢): لم يتعلمه من أحد، والإحسان: العِلْمُ، يقال: فلان يُحْسِنُ كذا: إذا عَلِمَهُ.

قرأ نافعٌ وأهل الكوفة: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ بفتح اللام على الفعل، وهو صفة للنكرة التي هي ﴿شَىْءٍ﴾، وهو الاختيار، وقرأ الآخرون بسكون اللام(٣).

قال الأخفش(٤): هذا على البدل، مجازه: الذي أَحْسَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ،

---

(١) قرأ: ﴿العَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ بالخفض: أبو زيد النحويُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٨، البحر المحيط ٧/ ١٩٤.

(٢) ينظر قوله في زاد المسير ٦/ ٣٣٤، وقال أبو هلال العسكري: «الفرق بين قولنا: يُحْسِنُ وبين قولنا: يَعْلَمُ، أن قولنا: فلانٌ يُحْسِنُ كذا بمعنى: يَعْلَمُهُ مجازًا، وأصله فيما يأتِي الفعلَ الحسنَ، ألا ترى أنه لا يجيء له مصدر إذا كان بمعنى العلم البتةَ؟ فقولنا: فلان يُحْسِنُ الكتابةَ معناه: أنه يأتِي بها حسنة من غير توقف واحتباس، ثم كَثُرَ ذلك حتى صار كأنه العلم وليس به». الفروق اللغوية ص ٧٥.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: ﴿خَلْقَهُ﴾ بسكون اللام، ينظر: السبعة ص ٥١٦، حجة القراءات ص ٥٦٧، ٥٦٨، القرطبي ١٤/ ٩٠، النشر ٢/ ٣٤٧، الإتحاف ٢/ ٣٦٦.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٣٢٧، وهو بغير عزو في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٠٤، إعراب القرآن ٣/ ٢٩٢.

وقيل: هو على المصدر عند سيبويه[١] مثل: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٢]، ومحل «الَّـذِي»: رفع أو خفض على النعت أو البدل، ويحتمل أن يكون رفعًا على خبر ابتداءٍ محذوف تقديره: هو الذي، ويجوز أن يكون محله: نصبًا على المدح[٣].

قولـه: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يعني: آدم ـ عليه السّـلام ـ ﴿مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ يعني: ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾؛ أي: من نطفة، سُمِّيت بذلك لأنها تَنْسَلُّ من الإنســان؛ أي: تخرج منه، ومنه قيل للولد: سلالة، وقيل: هي صفوة الماء، وقوله: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾؛ أي: ضعيف حقير، يعني: النطفة، ومعنى السُّلالة فِي اللغة: ما يَنْسَـلُّ من الشـيء القليل، وكذلك الفُعالةُ نحو: الفُضالةِ والنُّخالةِ والنُّخامةِ والقُلاَمةِ والقُوارةِ، وما أشبه ذلك، هذا قياسه، قاله العَزِيْزِيُّ[٤].

قولـه: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾؛ أي: سَـوَّى خَلْقَهُ بعد أن لم يكن، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ يعني: من أمره، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: وخلق لكم ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾، وإنما قال: ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ ولم يقل: الأسماع؛ لأنه مصدر، والمصادر لا تُثَنَّى ولا تجمع[٥].

قولـه: ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ يعنـي: القلـوب، والفـؤاد والقلب اسـمان بمعنًى

(١) الكتاب ١/ ٣٨١، وهو عنده مصدر مؤكِّد.
(٢) النمل ٨٨.
(٣) تنظر هذه الأوجه في الدُّر المصون ٥/ ٣٩٥.
(٤) تفسير غريب القرآن لأبي بكر العَزِيزِيِّ السجستانِيِّ ص ١٢٤.
(٥) قاله النَّحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٢، ٢٩٣.

واحد(١)، وهما بُضْعةٌ من الإنسـان، فالفؤاد ظاهرها، والقلب باطنها، ألا ترى أن الله تعالى نسـب الرؤية إلى الفؤاد، فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾(٢)، وقال: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(٣)، فنسب العمى إلى القلب.

قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ أي: شُكْرُكُم قليلٌ على هذه النعمة التي ذكرتهـا، ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ بـ﴿تَشْكُرُونَ﴾، وتكون «ما»: زائدة، وقيل: نصبه على النعت لمصدر محذوف، تقديره: شكرًا قليلًا.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ يعني: منكـري البعث ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: هلكنا وصِرْنا ترابًا، وأصله من قول العرب: ضَلَّ الماءُ فِي اللَّبَنِ: إذا ذَهَبَ/ [٧٣/ أ]، ويقال: ضَلَلْتُ المَيِّتَ: إذا دَفَنْتَهُ(٤)، وقرأ ابن محيصِن: ﴿ضَلِلْنا﴾ بكسر اللام، وهي لغة(٥)، وقرأ الأعمش والحسـن: ﴿صَلِلْنا﴾ بالصاد وكسر اللام(٦)؛ أي:

(١) قـال أبو هلال العسـكري: «لم يفرق بينهما أهل اللغة، بل عَرَّفُـوا كُلاًّ منهما بالآخر، وقال بعض أصحابنا من أهل الحديث، الأفئدة توصف بالرقة، والقلوب باللين، لأن الفؤاد: غشاء القلـب، إذا رَقَّ نفـذ القول فيه وخلـص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعـذر وصوله إلى داخله. وإذا صادف القلب شـيئًا علق به إذا كان لينا». الفروق اللغوية ص ٤٣٣، وينظر أيضًا: تاج العروس: فأد.

(٢) النجم ١١.

(٣) الحج ٤٦.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ١١/ ٤٦٥، تفسير القرطبي ١٤/ ٩١.

(٥) قال ابن السكيت: «يقال: ضَلَلْتَ يا فلان فأنت تَضِلُّ ضَلَالًا وضَلَالَةً، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ فهذه لغة أهل نجد وهي الفصيحة، وأهل العالية يقولون: ضَلِلْتُ أَضَلُّ». إصلاح المنطق ص٢٠٦، ٢٠٧.

(٦) قـرأ عَلِيُّ بن أَبِي طالب وابن عباس وابن محيصن ويحيى بن يعمر وطلحة وأبو رجاء وابن وثاب وأبو العالية والحسـن وأبان بن سـعيد بن العاص: ﴿ضَلِلْنا﴾ بكسـر اللام، وقرأ =

تَغَيَّرْنا في قبورنا وأَنْتَنّا، وهي قراءة عَلِيٍّ كرم الله وجهه، يقال: صَلَّ اللَّحْمُ وأَصَلَّ، وصَنَّ وأَصَنَّ: إذا أَنْتَنَ وتَغَيَّرَ[1]، ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ استفهامُ إنكار، أنكروا إعادتهم بعد الموت، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ يعني: بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾؛ أي: وُكِّلَ بقَبْضِ أرواحكم أجمعين، فلا يَنْقُصُ واحدًا منكم، وهو مأخوذ من تَوَفِّي العدد واسْتِيفائِه، يقال: اسْتَوْفَيْتُ من فلان، وتَوَفَّيْتُ من فلان ما لي عنده: إذا لم يَبْقَ لك عليه شيءٌ، وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾؛ أي: تصيرون إليه أحياءً فيَجزيكم بأعمالكم.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «الأمراضُ والأوجاع كلها بَرِيدُ الموت، ورُسُلُ الموتِ، فإذا حانَ الأَجَلُ أتى مَلَكُ المَوْتِ بنفسه، فقال: يا أيها العبد! كَم خَبَرٍ بَعْدَ خَبَرٍ، وكَم رَسُولٍ بَعْدَ رَسُولٍ، وكَم بَرِيدٍ بَعْدَ بَرِيدٍ، أنا الخبر ليس بعدي خبر، وأنا الرسول ليس بعدي رسول، أَجِبْ رَبَّكَ طائعًا أو مُكْرَهًا، فإذا قَبَضَ رُوحَهُ وتَصارَخَ عليه أَهْلُهُ قال: على من تصرخون؟ وعلى من تبكون؟ فوالله، ما ظلمتُ له أَجَلًا، ولا أكلتُ رزقًا،

= الأعمش والحسن وعَلِيُّ ابن أَبِي طالب وابنُ عباس وأبان بن سعيد بن العاص: ﴿صَلَلْنا﴾ بالصاد وفتح اللام و﴿صَلِلْنا﴾ بكسرها، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٩، المحتسب ٢/ ١٧٣، ١٧٤، تفسير القرطبي ١٤/ ٩١، البحر المحيط ٧/ ١٩٥، الإتحاف ٢/ ٣٦٧.

(١) قاله الزَّجّاج والنَّحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٠٥، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٣٠٢، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ١٢/ ١١٣.

بل دعاه رَبُّهُ، فلْيَبْكِ الباكي على نفسه، فإنَّ لِي فيكم عَوْداتٍ وعَوْداتٍ حتى لا أُبْقِيَ منكم أحدًا»(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يعني: كفار مكة وغيرهم ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ مُطَأْطِئُو رءوسِهِم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ حياءً منه للذي سلف من معاصيهم في الدنيا ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا به مكذِّبين ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك ما أتتْنا به رسُلُك، ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾؛ أي: فارْدُدْنا إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ نقول: لا إله إلا الله ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾، وجواب «لَوْ» مضمَرٌ محذوف تقديره: لرأيتَ يا محمد العجبَ.

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: يُصَدِّقُ بآيات القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا﴾ أي: وُعِظُوا بها ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ على أَيِّ حالٍ كانوا، قيامًا أو قعودًا أو على جنوبهم؛ أي: خَرُّوا سُقُوطًا على وجوههم ساجدين، يقال لكل ساقط: قد خرَّ خُرُورًا، ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: نَزَّهُوا اللهَ عن السوء في سجودهم، وذكروه بما هو أهله من الحمد وحسن الثناء عليه، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ عن السجود لله تعالى، ونصب ﴿سُجَّدًا﴾ على: الحال.

[٧٣/ ب] قوله/ تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾؛ أي: ترتفع وتنبو وتَتَنَحَّى للصلاة، وهو «تتفاعلُ» من الجفاء وهو التباعد، تقول العرب: جافِ ظَهْرَكَ عن الجدار، وجَفَتْ عَيْنُ فلانٍ عن الغُمْضِ: إذا لم يَنَمْ، وتَجافَى جَنْبُهُ عن الفراش: إذا لم يَسْتَقِرَّ عليه من وَجَعٍ أو هَمٍّ أو خوف، قال الشاعر:

---

(١) ينظر: الوسيط ٣/ ٤٥١، مجمع البيان ٨/ ١٠٤.

١٢٥ ـ طالَ لَيْلِي ومَلَّنِي عُوّادي وتَجافَى عنِ الفِراشِ وِسادِي[١]

والمَضاجِعُ: جمع المَضْجَعِ، وهو الموضع الذي يُضْطَجَعُ عليه، يعني: الفرش، وهم المتهجِّدون بالليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿١٦﴾﴾ يعني: خوفًا من عذابه وطمعًا في ثوابه، وهما منصوبان على المصدر، وقيل: على المفعول من أجله[٢].

قيل: نزلت هذه الآية في ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يُصَلُّونَ من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة، فأنزل الله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾، وهو قول أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ[٣]، وقال أيضًا: «نزلت فينا معاشرَ الأنصار، كنا نصلي المغرب فلا نضطجع ولا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع رسول الله ﷺ »[٤]، وقيل: هو التهجد وقيام الليل، وقيل: هو أن يصلي الرَّجُلُ العِشاءَ والغَداةَ في جماعة.

---

(١) البيت من الخفيف، للوليد بن عقبة بن أبي معيط أبي وهب الأموي، ويُرْوَى:

وتَجافَى عنِ الضُّلُوعِ مِهادِي

التخريج: الأغاني ٤/ ١٨٨.

(٢) الوجهان قالهما الزَّجّاج والنَّحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٠٧، إعراب القرآن ٣/ ٢٩٥، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٨، الفريد للهمداني ٤/ ٢٤.

(٣) روى أبو داود بسنده عن أنس قال: «كانوا يَتَيَقَّظُونَ ما بين المغرب والعشاء يصلون». سنن أبي داود ١/ ٢٩٧ كتاب الصلاة: باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٩ كتاب الصلاة: باب من فتر عن قيام الليل، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣٣٠، أسباب النزول ص ٢٣٥، الدر المنثور ٥/ ١٧٤.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣٣١، أسباب النزول ص ٢٣٥، الدر المنثور ٥/ ١٧٤، ١٧٥.

فصل

عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَقَّبَ ما بَيْنَ المغرب والعشاء بُنِيَ لهُ في الجنة قَصْرانِ مسيرة مائة عام، وفيهما من الشجر ما لو نَزَلَهُما أهلُ المشرق والمغرب لأَرْحَلَتْهُم فاكهةً، وهي صلاة الأوّابين وغفلةُ الغافلين، وإنّ من الدعاء المستجاب الذي لا يرد ما بين المغرب والعشاء»[1].

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: كُنْتُ مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ـ وقد أصابنا الحَرُّ ـ فتَفَرَّقَ القومُ، فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مِنِّي، فدنوتُ منه فقلت: يا رسول الله: ألا تخبرِني بعمل يدخلني الجنة ويباعدنِي من النار؟ فقال: «يا معاذُ، لقد سألتَ عن عظيم، وإنه لَيَسِيرٌ على مَن يَسَّرَهُ اللهُ عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتُؤْتِي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام»، ثم قال: «ألا أَدُلُّكَ على أبواب الخير؟»، قال: قلت: أَجَلْ يا رسول الله، قال: «الصوم جُنّةٌ، والصَّدَقةُ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» / ـ وفِي رواية أخرى: تُكَفِّرُ الخطيئة ـ وقيام الرجل فِي جوف الليل يَبْتَغي به وَجْهَ الله»، قال: ثم قرأ هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، ثم قال: «ألا أخبرك بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»، فقلتُ: بَلَى يا رسول الله، فأخذ بلسانه فقال: «اكْفُفْ عَنْكَ هَذا»، فقلت: يا رسول الله: وإنا لَمؤاخَذون بما نتكلم؟ فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا معاذ، وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم فِي النار إلّا حصائدُ ألسنتهم»؟[2]. [٧٤/ أ]

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣٣١، تفسير القرطبي ١٤/ ١٠٢، كنز العمال ٧/ ٣٩٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٣١، ٢٣٧، ٢٤٨، والترمذي في سننه ٤/ ١٢٤ أبواب الإيمان: ما جاء في حرمة الصلاة، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٢٠/ ٦٣، ١٠٣، ١٣١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤١٣ كتاب التفسير: سورة السجدة.

وعــن بلالٍ، قــال: قال رســول الله ﷺ: «عليكم بقيام الليــل، فإنه دَأَبُ الصالحيــن قبلَكم، وإن قيــام الليل قُرْبةٌ إلــى الله، ومَنْهاةٌ عــن الإثم، وتكفيرٌ للسيئات، ومَطْرَدةٌ للداء عن الجسد»(١).

قوله تعالــى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾؛ أي: لا يعلم أَحَدٌ ما خُبِّئَ لهؤلاء الذين ذكرهم من النعمة والكرامة والإحسان مما تقَرُّ به أعينهم وتُسرُّ به قلوبهم ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ لله تعالى فِي الدنيا.

ونصــب ﴿جَزَآءًۢ﴾: على المصدر(٢)، وقيل(٣): علــى الحال، أي: أَخْفَى مُجازِيًا، وقيل(٤): على المفعول من أجله، قرأ حمزة ويعقوب: ﴿مَّآ أُخْفِيَ لَهُم﴾ مرســلةَ الياء، يعني: ســاكنة الياء؛ أي: أنا أخفي لهم، وحجتهما قراءة عبد الله: ﴿نُخْفِــي لَهُمْ﴾ بالنون، وقــرأ محمد بن كعب: «ما أَخْفَــى لَهُمْ» بفتح الألف والفاء(٥)، يعنــي: أَخْفَى اللهُ لَهُمْ، وقرأ العامــة: ﴿مَّآ أُخْفِيَ لَهُم﴾ بتحريك الياء، أي: خُبِّئَ وسُتِرَ عليهم، فلم يُطْلِعْ على كُنْهِ ما أُعِدَّ لهم أَحَدًا من خلقه.

---

(١) رواه الترمــذي فــي ســننه ٥/ ٢١٢، ٢١٣ أبــواب التهجــد، والبيهقي في الســنن الكبرى ٢/ ٥٠٢ كتــاب الصلاة: بــاب الترغيب في قيام الليل، والحاكم في المســتدرك١/ ٣٠٨ كتاب صلاة التطوع: تحريض قيام الليل.

(٢) قالــه النَّحاس في إعــراب القــرآن ٣/ ٢٩٦، وينظر: التبيان للعكبــري ص ١٠٤٩، الفريد ٤/ ٢٥.

(٣) قاله السجاوندي في عين المعاني ١٠٢/ أ.

(٤) قالــه الزَّجّــاج والنَّحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابــه ٤/ ٢٠٨، إعراب القرآن ٣/ ٢٩٦، وينظر أيضًا: الفريد ٤/ ٢٥.

(٥) قــرأ بفتح الهمزة والفاء أيضًا ابنُ محيصن والأعمش والشَّــنَبُوذِيُّ، ينظر في هذه القراءات: الســبعة ص ٥١٦، حجة القراءات ص ٥٦٩، تفســير القرطبي ١٤/ ١٠٣، البحر المحيط ٧/ ١٩٧، الإتحاف ٢/ ٣٦٧.

فصل

عن أَبِي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلب بشر، بَلْهَ[1] ما أَطْلَعْناكُم عليه، اقْرَءُوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾. قال: وكان أبو هريرة يقرؤها: «مِنْ قُرّاتِ أَعْيُنٍ»[2]، رواه البخاري عن إسحاق بن نصر[3]، عن أَبي أسامة[4]، ورواه مسلم عن أبي كُريب عن أَبي معاوية[5]، كلاهما عن الأعمش[6].

---

(١) بَلْهَ: اسم فعل بمعنى: اتْرُكْ، فيُنْصَبُ ما بعدها على المفعول به، وقد يوضع موضع المصدر بمعنى تَرْكَ، فيُضاف لما بعده، و«ما» في الحديث تحتمل الوجهين، وفيها وجه ثالث، وهو أنها بمعنى: «كَيْفَ»، ينظر: التهذيب ٦/ ٣١٣، الصحاح ٦/ ٢٢٢٧، النهاية لابن الأثير ١/ ١٥٤، ١٥٥.

(٢) هذه قراءة النبي ﷺ، وأبِي هريرة وأبي الدرداء وابن مسعود وأبي جعفر والأعمش وعوف العقيلي، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٩، المحتسب ٢/ ١٧٤، تفسير القرطبي ١٤/ ١٠٣، البحر المحيط ٧/ ١٩٧، الإتحاف ٢/ ٣٦٧.

(٣) هو: إسحاق بن إبراهيم بن نصر، أبو إبراهيم البخاري المعروف بالسعدي، محدث ثقة، روى عن أبي أسامة وعبد الرزاق، توفِّي سنة (٢٤٢هـ). [تهذيب الكمال ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩].

(٤) هو: حماد بن أسامة بن زيد الكوفِيُّ، مولى بني هاشم، من أتباع التابعين وحفاظ الحديث، مشهور بكنيته، توفِّي سنة (٢٠١هـ). [تهذيب الكمال ٧/ ٢١٦، ٢٢٣، الأعلام ٢/ ٢٧١].

(٥) هو: محمد بن حازم التميمي السعدي بالولاء، أبو معاوية الضرير، حافظ للحديث، من أهل الكوفة، ثقة صدوق، قيل: كان مرجئًا، توفِّي سنة (١٩٥هـ). [تهذيب الكمال ٢٥/ ١٢٣- ١٣٣، الأعلام ٦/ ١١٢].

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٨٦ كتاب الجهاد والسير: باب ما جاء في صفة الجنة، ٦/ ٢١ كتاب تفسير القرآن: سورة «تنزيل» السجدة، صحيح مسلم ٨/ ١٤٣ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

وقال ابن مسعود: إن في التوراة مكتوبًا: «لقد أَعَدَّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تَرَ عينٌ، ولم تسمع أُذُنٌ، ولم يخطر على قلب بشر، وما لا يعلمه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وإنه لفي القرآن: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾»[1].

وقال موسى بن سِنانٍ[2]: «بَلَغَنا أن الرجل من أهل الجنة يكون مع زوجته فِي الجنة ما شاء الله، فتُشْرِفُ عليه أخرى، فتقول له: قد آنَ / أن يكون لنا منك دَوْلةٌ، فيقول لها: مَن أنتِ؟ فتقول: أنا من اللاتِي قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾، فيكون عندها ما شاء الله، ثم تشرف عليه أخرى، فتقول: قد آن لنا أن يكون لنا منك دولة، فيقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا من اللاتِي قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾»[3].

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ يعني: مُصَدِّقًا ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ يعني: خارجًا عن طاعة الله وأَمْرِهِ ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ فِي الاسم والعمل والمنزلة، وفي الآية رَدٌّ على المُرْجِئةِ، وإنما لم يقل: يستويان؛ لأنه لم يُرِدْ بالمؤمن مؤمنًا واحدًا، ولا بالفاسق فاسقًا واحدًا، وإنما أراد جميع المؤمنين

---

(١) رواه الطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٩/ ٢١٣، وينظر: جامع البيان ٢١/ ١٢٤، الكشف والبيان ٧/ ٣٣٢.

(٢) كذا في الأصل، و لعله موسى بن سَيّارٍ الأَسْوارِيُّ البصري، أحد القُصّاصِ، له رواية ضعيفة في الحديث، قيل: كان قدريًّا، توفِّي سنة (١٥٠هـ). [كتاب المجروحين ٢/ ٢٤٠، ٢٤١، الأعلام ٧/ ٣٢٣].

(٣) ق ٣٥، وقد روى الطبراني نحوًا من هذا الخبر عن أنس ـ رضي الله عنه ـ في المعجم الأوسط ٨/ ٣٦٢، وينظر: مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٨ كتاب أهل الجنة/ باب ما جاء في نساء أهل الجنة، الدر المنثور ٥/ ١٧٦، ٦/ ١٠٩.

وجميع الفُسّاقِ، قال الفرّاء[١]: إن الاثنين إذا لم يكونا مَصْمُودَيْنِ لهما ذُهِبَ بهما مذهبَ الجمع. وقال الزّجّاج[٢]: معنى الاثنين: جماعة، ولذلك قال: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ﴾.

نزلت هذه الآية في عليٍّ بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وفي الوليد ابن عُقبةَ بن أبي مُعَيْطٍ، وذلك أنه جَرَى بينهما تنازُعٌ وسِبابٌ، فقال الوليد لِعَلِيٍّ: اسْكُتْ فإنك صَبِيٌّ، وأنا ـ والله ـ أَبْسَطُ منك لسانًا، وأَحَدُّ سِنانًا، وأشجع منك جَنانًا، وأَمْلأُ منك حَشْوًا في الكتيبة[٣]، فقال له عَلِيٌّ ـ كَرَّمَ اللهُ وجهه ـ: اسْكُتْ فإنك فاسق، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ يعني: عليًا ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ يعني: الوليد بن عتبة، ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[٤]، قال قتادة: لا ـ واللهِ ـ ما اسْتَوَوْا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة.

ثم أخبر عن منازل الفريقين، فقال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ يعني: جنات السُّكُونِ والقرارِ يَأْوُونَ إليها في الآخرة، فلا يخرجون منها أبدًا، يقال: أَوَيْتُ إلى المكان، وقيل: سُمِّيَتْ جنات المأوى لأنه تَأْوِي إليها أرواحُ الشهداء، وقُرِئَ: ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[٥] على واحِدِهِ. ﴿نُزُلًۢا﴾ يعني: ثوابًا وعطاءً ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٩﴾ من الصالحات في

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٣٢، وقوله: «مصمودين» يعني: مقصودين.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٠٨ باختلاف في ألفاظه.

(٣) السِّنانُ: حديدة الرمح، الجَنانُ: القلب، حَشْوُ الرجل: نفسه.

(٤) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ١١٨، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣٣٣، الوسيط ٣/ ٤٥٤، أسباب النزول ص ٢٣٥، ٣٣٦، عين المعاني ١٠٢/ أ، تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣.

(٥) قرأ طلحة بن مصرف وحده: ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ بالإفراد، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٩.

الدنيا، ونصب ﴿نُزُلًا﴾ على التفسير(١)، وقيل(٢): على المصدر، وقد ذكرت نظيرها في آخر سورة آل عمران(٣).

وما بعد هذا ظاهر المعنى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ يعني: مصائبَ الدنيا وأسقامَها وبلاءها، وقيل: ما ابْتُلُوا به من الجوع سَبْعَ سنين بمكة، حتى أكلوا الجِيَفَ والعظامَ والكلابَ، وقيل: ما ابْتُلُوا به من القتل يوم بدر، وقيل: أراد بالعذاب الأدنَى: عذاب القَبْرِ ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يعني: عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ إلى التوحيد والإيمان بعد الكفر والعصيان / . [٧٥/ أ]

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم ﴿٢٦﴾﴾ الآية، قرأ أبو عبد الرحمن السلمي وقتادة: ﴿أَوَ لَمْ نَهْدِ لَهُمْ﴾ بالنون(٤)، وهي قراءة بَيِّنَةٌ لا إشكال فيها، ومن قرأ بالياء ففيها إشكال؛ لأنه

---

(١) هذا قول الكوفيين، قال الفرَّاء في آل عمران ١٩٨: «وقوله: ﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ و﴿ثَوَابًا﴾ خارجان من المعنى: لهُم نُزُلًا وثَوابًا، مُفَسِّرًا كما تقول: هُوَ لَكَ هِبةً وبَيْعًا وصَدَقةً». معاني القرآن ١/ ٢٥١، وأجاز الكوفيون أيضًا نصبه على الحال، ينظر: التبيان للعكبري ص ٣٢٣، الدر المصون ٢/ ٢٩٠.

(٢) هذا قول البصريين، وهو مصدر من معنى العامل؛ لأن معنى ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾: نُنْزِلُهُمْ جَنّاتٍ، قال الزَّجّاج: «﴿نُزُلًا﴾: مؤكِّدٌ أيضًا؛ لأن خلودهم فيها إِنْزالُهُمْ فيها». معاني القرآن وإعرابه ١/ ٥٠١، وينظر: إعراب القرآن ١/ ٤٢٨، التبيان للعكبري ص ٣٢٣، الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ٢٥.

(٣) الآية ١٩٨.

(٤) قرأ أبو عبد الرحمن السلمي وقتادة وعَلِيُّ بن أَبِي طالب وابن عباس وأبو زيد عن يعقوب: ﴿أَوَ لم نَهْدِ لَهُمْ﴾ بالنون، وقرأ الباقون بالياء، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٩، الكشاف ٣/ ٢٤٦، تفسير القرطبي ١٤/ ١١٠.

يقال: الفعل لا يخلو من فاعل، فأين الفاعل لـ﴿يَهْدِ﴾؟، فتكلم النحويون في هذا، فقال الفراء[١]: «كَمْ»: في موضع رفع بـ﴿يَهْدِ﴾.

وهذا نَقْضٌ لأصول النحويين في قولهم: إن الاستفهام لا يَعمل فيه ما قبلَه، ولا في «كَمْ»، أعني ما قبلها، ومذهب أبي العباس المبرد أنّ ﴿يَهْدِ﴾ يدل على الهدى، فالمعنى: أو لم يَهْدِ لهم الهدى؟ [٢]، وقيل[٣]: إن المعنى: أو لم يَهْدِ اللهُ لهم؟ فيكون معنى الياء ومعنى النون واحدًا، وقال الزجاج[٤]: «كَمْ»: في موضع نصب بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ﴾ يعني: المطر والسيل ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴿٢٧﴾﴾ يعني: اليابسة الحقيرة الغليظة التي لا نبات فيها، وأصله من قولهم: ناقةٌ جُرُزٌ: إذا كانت أَكُولًا تأكل كل شيء تجده، ورجل جَرُوزٌ: إذا كان أَكُولًا، قال الراجز:

١٢٦ - خِبٌّ جَرُوزٌ، وَإِذا جاعَ بَكَى[٥]

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٣٣، ثم قال: «كأنك قلت: أو لم تَهْدِ القرونُ الهالكةُ».

(٢) ينظر قول المبرِّد في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٠، الفريد للهمداني ٤/ ٢٦، تفسير القرطبي ١٤/ ١١٠.

(٣) قاله الزَّجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١١، وينظر: إعراب القرآن ٣/ ٢٩٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٠، البيان للأنباري ٢/ ٢٦١، التبيان للعكبري ص ٩٠٧، الفريد للهمداني ٤/ ٢٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١١.

(٥) البيت من الرجز المشطور للشماخ بن ضرار، ورواية ديوانه: «خِبٌّ جَبانٌ»، ونسب لِلْجُلَيْحِ ابنِ شُمَيْذٍ.

اللغة: الخِبُّ: اللئيم الخَدّاعُ المفسد. =

وسيفٌ جُرازٌ: إذا كان قاطعًا، وجَرَزَتِ الجَرادُ الزَّرْعَ: إذا اسْتَأْصَلَتْهُ، فكأنَّ الجُرُزَ: الأرضُ التي لا تُبْقِي على ظهرها شيئًا إلّا أَفْسَدَتْهُ، وفيه أربع لغات: جُرُزٌ وجُرْزٌ وجَرُوزٌ وجُرازٌ(١)، قال ابن عباس(٢): والجُرُزُ: أرضٌ باليمن. قال مجاهد(٣): هي أَبْيَنُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني: كفار مكة ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ ﴿٢٨﴾﴾ قيل: يعني: فتح مكة، قاله الكلبي(٤)، وقال مجاهد(٥): يعني: يوم القيامة الذي فيه الثواب والعقاب والحكم بين العباد، وقيل: يوم بدر، قاله السدي(٦)؛ «لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون لهم: إن الله ناصِرُنا ومُظْهِرُنا عليكم»(٧).

= التخريج: ديوان الشماخ ص ٣٨٠، المقصور والممدود للفرَّاء ص ١٧، إعراب ثلاثين سورة ص ٩، مقاييس اللغة ٢/ ٧٩، مجمل اللغة ١/ ٢٤١، المخصص ١٥/ ١٥٩، أساس البلاغة: حطب، محاضرات الأدباء ٢/ ٦٣٥، عين المعاني ورقة ١٠٢/ أ، الفريد ٤/ ٢٧، تفسير القرطبي ١٤/ ١١١، اللسان: حطب، التاج: حطب.

(١) كان ينبغي أن يقول: جُرُزٌ وجُرْزٌ وجَرَزٌ وجَرْزٌ، ينظر في هذه المعانِي: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٣٣، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١١، التهذيب ١٠/ ٦٠٧، الصحاح ٣/ ٨٦٦، ٨٦٧، اللسان: جرز.

(٢) ينظر قوله في جامع البيان ٢١/ ١٣٨، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١١، إعراب القرآن ٣/ ٢٩٨.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ٢١/ ١٣٨، إعراب القرآن ٣/ ٢٩٨، قال ابن منظور: «أَبْيَنُ بوزن أَحْمَرَ: قرية على جانب البحر ناحية اليمن، وقيل: هو اسم مدينة عَدَنَ». اللسان: أبن، بين.

(٤) وهو قول الفرَّاء أيضًا، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٣٣، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٣١٣، زاد المسير ٦/ ٣٤٥.

(٥) ينظر: معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٣١٣، إعراب القرآن ٣/ ٣٠٠، زاد المسير ٦/ ٣٤٤.

(٦) ينظر: الوسيط ٣/ ٤٥٦، زاد المسير ٦/ ٣٤٥، الدُّر المنثور ٥/ ١٧٩.

(٧) رواه الحاكم بسنده عن ابن عباس في المستدرك ٢/ ٤١٤ كتاب التفسير: سورة السجدة.

وقال ثعلبٌ[١]: معناه: متى هذا القضاء؟ يقال للحاكم: فاتح وفَتّاحٌ؛ لأن الأشياء تَنْفَتِحُ على يديه وتَنْفَصِلُ، وفي القرآن: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾[٢].

وقال قتادة[٣]: قال أصحاب النبي ﷺ: إنّ لنا يومًا ننعم فيه ونستريح، ويُحْكَمُ بينَنا وبينكم، فقال الكفار استهزاءً: متى هذا الفتح؟ أي: القضاء والحكم.

و﴿مَتَىٰ﴾: فِي موضع رفع، ويجوز أن يكون فِي موضع نصب على الظرف[٤].

قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ﴾ بالبعث إذا جاءهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: يُؤَخَّرُونَ عن العذاب إذا سألوه النَّظْرَةَ والرَّجْعَةَ إلى/ الدنيا، و﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرف، وأجاز الفراء رفعه[٥]. [٧٥/ ب]

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ بهم العذاب

---

(١) ينظر قوله في التهذيب ٤/ ٤٤٨، وهو بغير عزو في إعراب القرآن للنَّحاس ٣/ ٣٠٠، تفسير القرطبي ١٤/ ١١١.

(٢) الأعراف ٨٩.

(٣) ينظر قوله في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١٢، جامع البيان ٢١/ ١٣٩، الكشف والبيان ٧/ ٣٣٥، تفسير القرطبي ١٤/ ١١١.

(٤) ﴿مَتَىٰ﴾ في موضع رفع على أنه خبر مقدم، و﴿هَـٰذَا﴾ مبتدأ مؤخر، ويكون في موضع نصب على الظرف، فيكون متعلقًا بمحذوف يعرب خبرًا مقدمًا أيضًا، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٣٣، إعراب القرآن ٣/ ٢٩٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٠.

(٥) قال الفرَّاء: «ولو رفع ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ على أول الكلام؛ لأن قوله: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ مَتَى: في موضع رفع». معاني القرآن ٢/ ٣٣٣.

﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠﴾ لـه، وهو القتل يوم بـدر، فقتلهم الله تعالى ببدر، وضربت الملائكـة وجوههم وأدبارهم، وعُجِّل بأرواحهـم إلى النار، وقيل: (منتظرون): بك حوادث الزمان من موت أو قتل، فيستريحون منك، ثم نَسَخَ السيفُ الإعـراضَ.

وقولـه: ﴿مُّنتَظِرُونَ﴾ قـرأه العامـة بكسـر الظاء، وقـرأ محمد بن السَّمَيْفَع[1] بفتح الظاء[2]، قال الفرَّاء[3]: لا يُفْتَحُ هاهنا إلّا بإضمار، مجازه: إنهم مُنْتَظَرُونَ بِهم.

قـال أبو حاتم[4]: الصحيح كسـر الظاء، كقولـه تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾[5]، والله أعلم.

* * *

---

(١) هو: محمد بن عبد الرحمن بن السَّـمَيْفَع، أبو عبد الله اليمانِيُّ، أحد القراء، له قراءة شـاذة منقطعة السـند، قرأ على أَبي حيوة الشـامي، وسـكن البصرة في أواخر أيامه. [غاية النهاية ٢/ ١٦١، ١٦٢، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٧٥].

(٢) قرأ بفتح الظاء أيضًا مجاهد وابن محيصن، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٩، المحتسب ٢/ ١٧٥، تفسير القرطبي ١٤/ ١١٢، البحر المحيط ٧/ ٢٠٠.

(٣) لم أقف على هذا القول في معاني القرآن، وإنما ذكره القرطبي في تفسيره ١٤/ ١١٢.

(٤) قول أَبِي حاتم في المحتسب ٢/ ١٧٥، تفسير القرطبي ١٤/ ١١٢.

(٥) الدخان ٥٩.

سورة الأحزاب

مدنية

وهي خمسة آلافٍ وسبعمائةٍ وستّةٌ وتسعون حرفًا، وألفٌ ومائتان وثمانون كلمةً، وثلاثٌ وسبعون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحزاب، وعَلَّمَها أهْلَهُ وما ملكت يمينه، أُعْطِيَ الأمانَ من عذاب القَبْرِ»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الأحزاب فكأنما قرأ التوراة حين فَرَغَ الرَّحْمَنُ من كتابتها، وكُتِبَ له من الأجر عَدَدُ حروف التوراة»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ «يا» نداءٌ، و«أيُّ» إشارةٌ، والهاء تنبيهٌ، و﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ نعتٌ لـ«أيّ»، وضَمَمْتَ أيًا؛ لأنه مفردٌ(٣) والأصل فيه: يا أَيُّهذا

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٥، الوسيط ٣/ ٤٥٧، الكشاف ٣/ ٢٧٨، مجمع البيان ٨/ ١١٥.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) قاله النحاس فِي إعراب القرآن ٣/ ٣٠١.

النَّبِيُّ، فاكْتُفِيَ بالنبي من «ذا»، قال الأعشى:

١٢٧ـ ألا أَيُّهَذا المَنْزِلُ الدّارِسُ الَّذِي كَأَنَّكَ لَمْ يَعْهَدْ بِـكَ الحَيَّ عاهِدُ[1]

فأخرجه على الأصل، ومن العرب من يقول: يا أَيَّهُ النَّبِيُّ وَيا أَيَّهُ الرَّجُلُ، وأنشد الفراء[2]:

١٢٨ـ يا أَيُّـهُ القَلْبُ اللَّجُوجُ النَّفْسِ
أَفِقْ عَنِ البِيضِ الحِسانِ اللُّعْسِ[3]

قـال ابن الأنبـاري[4]: لا يَجُـوزُ أن يَقْـرَأَ أَحَدٌ بهذه اللغـة؛ لأنه يُخالِفُ المصحف.

وقولـه: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ ﴿١﴾ حذفـت اليـاء لأنـه أمْـرٌ، أمَـرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بالمواظبة على التقوى، والثبوتِ عليه، والزيادة منه؛ لأنه فِعْلٌ تقع فيه الزيادة؛

---

(١) البيت من الطويل لذي الرمة، ولم أقف عليه منسوبًا للأعشى، وليس في ديوانه، وروايته في ديوان ذي الرمة:

ألا أيُّها الرَّبْعُ الـذِي غَيَّرَ البِلَى

التخريج: ديوان ذي الرمة ص ١٢٢، الكتاب ٢/ ١٩٣، المقتضب ٤/ ٢١٩، ٢٥٩، إيضاح الوقف والابتداء ص٢٧٧، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣٩٦، شـرح أبيات سيبويه ١/ ٤٣٣، المحتسب ٢/ ٦٩، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٧.

(٢) ينظر إنشاد الفراء في إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص ٢٧٨.

(٣) البيتان من الرجز المشطور، ولَمْ أقف على قائلهما.

اللغة: لَجَّ فِي الأمر: تَمادى عليه وأَبَى أن ينصرف عنه. اللُّعْسُ: جمع لَعْساءَ وهي المرأة التي في شفتيها سواد.

التخريج: تفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٨-٢٣٩، ١٦/ ٩٧.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٧٧-٢٧٨.

فلذلك جاز أن يقال للمتقين لله: اتقوا الله. وقال قوم(١): هذا خطاب للنبي ﷺ والمـراد به أمته، واحتجوا بآخرِ الآيةِ(٢): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ قرأ أبو عمرٍو بالياء(٣) على الغيبة للكافرين والمنافقين، وقرأ الباقون بالتاء على خطاب الحاضرين.

قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ نزلت فِي أبِي مَعْمَرٍ جميلِ بـن معمر بن/ حبيب بن عبـد الله الفِهْرِيِّ(٤)، وكان رجـلاً لبيبًا حافظًا [٧٦/ أ] لِما يسـمع، فقالت قريشٌ: ما حَفِظَ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقـول: إنّ فِي جَوْفِـي لَقَلْبَيْنِ أعْقِلُ بكل واحدٍ منهمـا أفضل من عقل محمدٍ، فكَذَّبَهُ الله تعالى في ذلك، وأخْبَرَ أنه ما خَلَقَ لأحَدٍ قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ(٥).

﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ ﴾ مفعولان، وهو مشتق من الظَّهـرِ؛ لأن الظَّهْرَ موضع الركوب(٦)، وكان الظِّهـارُ طلاقًا فِي الجاهلية،

---

(١) هذا قول ابن قتيبة، قاله في تأويل مشكل القرآن ص ٢٧٠، وينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٣٤٨.

(٢) يعني آخر الآية الثانية، وليس آخر الآية الأولى كما يوهم كلامه.

(٣) قرأ أبو عمرو والحسن واليزيدي والسلمي وابن أبِي إسحاق: «يَعْمَلُونَ» بالياء، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب، ينظر: السـبعة ص ٥١٨، حجة القراءات ص ٥٧٠، تفسـير القرطبي ١٤/ ١١٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٦٩.

(٤) هو الذي أخبر قريشًـا بإسـلام عمر بن الخطاب، وكان لا يكتم سرًّا سمعه، ثم أسلم وشهد حُنَيْنًا، ثم شـهد فتح مصر، وتوفي في أيام عمر وقد قارب المائة. [أسـد الغابة ١/ ٢٩٥-٢٩٦، الإصابة ١/ ٦٠٥].

(٥) ينظر: الكشـف والبيان ٨/ ٦، أسـباب النزول ص ٢٣٦-٢٣٧، الوسيط ٣/ ٤٥٧-٤٥٨، عين المعانِي ورقة ١٠٢/ ب.

(٦) قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٠٢، وينظر: تهذيب اللغة ٦/ ٢٤٩.

يقال: ظاهَرَ فُلانٌ مِنَ امْرَأتِهِ، وَتَظاهَرَ وَتَظَهَّرَ، وهو أن يقول لَها: أنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي[١]، وكانت العرب تُطَلِّقُ نساءَها فِي الجاهلية بهذا اللفظ، فلما جاء الإسلام نُهُوا عنه، وأُوجِبَتِ الكفارةُ على مَنْ ظاهَرَ من امرأته فِي سورة المجادلة.

قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والبَزِّيُّ وورش: «اللّايْ» بياءٍ ساكنةٍ من غير مَدٍّ ولا هَمْزٍ، وقرأ نافع ـ غَيْرَ وَرْشٍ ـ وأيوب وقُنْبُلٌ ويعقوب والأعرج: «اللّاءِ» ممدودًا مهموزًا بلا ياءٍ، وأُنْشِدَ فِي ذلك:

١٢٩ ـ مِنَ اللّاءِ لَمْ يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً وَلَكِنْ لِيَقْتُلْنَ البَرِيءَ المُغَفَّلا[٢]

وقرأ أهل الكوفة والشام بالمد والهمز وإثبات الياء، واختاره أبو عبيدٍ للإشباع، واخْتُلِفَ فيه عن ابن كثيرٍ[٣]، وكلها لغاتٌ معروفةٌ[٤].

وقوله: «تُظاهِرُونَ» قرأ أهل الحجاز وأهل البصرة بفتح التاء وتشديد الظاء والهاء من غير ألِفٍ، وقرأ أهل الشام كذلك إلا أنه بالألف، وقرأ حمزة

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٦/ ٢٤٨، اللسان: «ظهر».

(٢) البيت من الطويل، للعَرْجِيِّ، ونُسِبَ لعُمَرَ بن أبِي ربيعة، وللحارث بن خالد المخزومي.
اللغة: الحِسْبة والاحتساب: طلب الأجر من الله. المغفل: الذي لا فطنة له.
التخريج: ديوان العرجي ص ٢٨٦، مجاز القرآن ١/ ١٢٠، معانِي القرآن وإعرابه ٢/ ٢٨، العقد الفريد ٦/ ١٠٩، بهجة المجالس ٢/ ١٩، ٢٠، الأزهية ص ٣٠٦، أمالي ابن الشجري ٣/ ٦٠، التذكرة الحمدونية ٦/ ١٤٧، تفسير القرطبي ٥/ ١٠٨، اللسان: تا، ذا.

(٣) رَوَى البَزِّيُّ عن ابن كثير: «اللّايْ»، ورَوَى عنه القَوّاسُ: «اللّاءِ»، ينظر: السبعة ص ٥١٨-٥١٩، حجة القراءات ص ٥٧١-٥٧٢، التيسير ص ١٧٧-١٧٨، النشر ١/ ٤٠٤، الإتحاف ٢/ ٣٦٩-٣٧٠.

(٤) ينظر في هذه اللغات: تهذيب اللغة ١٤/ ٣٤٦، ١٥/ ٣٧-٣٨.

والكسائي وخلَفٌ مثلهم إلا أنه بالتخفيف، وقرأ عاصمٌ والحسن بضم التاء وتخفيف الظاء وكسر الهاء[١] إلّا أنه بالألف من المظاهرة، ومن فتح التاء وشدد الظاء والهاء أراد به: تَتَظاهَرُونَ فأدْغَمَ التاءَ فِي الظاء، وحذف حمزة والكسائي وخلَفٌ تاء «تتفاعلون»، وأدغم أهل الشام التاء التي حَذَفَ هؤلاء فقرأ ابن عامر بفتح التاء وتشديد الظاء، وكلها لغاتٌ جاءت عن العرب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الأدْعِياءُ: جمع الدَّعِيِّ وهو الذي يُدْعَى ابنًا لِغَيْرِ أبيه، نزلت في زيد بن حارثة؛ إبطالًا وتكذيبًا لِما قالت اليهود والمنافقون: إنه ابن محمدٍ ﷺ، وإخبارًا أن الدَّعِيَّ لا يكون ابنًا، وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾؛ أي: ادِّعاؤُكُمْ نَسَبَ مَنْ لا حقيقةَ لِنَسَبِهِ قَوْلٌ بالفم لا حقيقةَ له، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: القول الحق، نعت لمصدر محذوف، ويجوز أن يكون مفعولًا[٢]،/ ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾؛ أي: يدعو إلى السبيل، يعني: طريق الحق.

قوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾؛ أي: انْسِبُوهُمْ إلى آبائهم الذين وَلَدُوهُمْ، ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أعْدَلُ عند الله، ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فَهُمْ إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾ يعني الإسلام ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ قبل النهي، فنسبتموه - يعني زيد بن حارثة - إلى غَيْرِ أبيه بعد النهي، وأنتم تعلمون أنه ليس بأبيه، يعني النَّبِيَّ ﷺ، ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؛ أي: ولكن الإثم فِي الذي تعمدت قلوبكم.

---

(١) قرأ أهل الحجاز وأهل البصرة: ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾، وقرأ أهل الشام: ﴿تَظَّاهَرُونَ﴾، وقرأ حمزة: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾، وقرأ عاصم: ﴿تُظَاهِرُونَ﴾. ينظر: السبعة ص ٥١٩، حجة القراءات ص ٥٧٢، النشر ٢/ ٣٤٧، الإتحاف ٢/ ٣٧٠.

(٢) الوجهان قالهما النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٠٢، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٢.

ومَحَلُّ «ما» خَفْضٌ، رَدًّا على «ما» التي فِي قوله: ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾[١]، مجازه: ولكن فيما تعمدت قلوبكم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ بكم لا يؤاخذكم به.

نزلت هذه الآية فِي زيد بن حارثة الكلبي من بني عَبْدِ ودٍّ، وكان عبدًا للنبي ﷺ اشتراه بعكاظ من سَبْيِ الجاهلية، فأعتقه وتَبَنّاهُ قبل الوحي، وكان يُدْعَى زيد بن محمدٍ، فلما تزوَّج النبي ﷺ زينب بنت جحش الأسدي، وكانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمدٌ امرأة ابنه، وهو ينهى الناس عنها، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[٢].

فصل

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ دُعِيَ إلى غير أبيه أو غيرِ موالي نعمته، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٣].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾، ولَمْ يقل: ونُوحٍ؛ لأن المظهر إذا عطف على المضمر المخفوض أُعِيدَ الحرفُ، تقول: مررت به وبزيدٍ.

---

(١) قاله الفراء والزجاج، ينظر: معاني القرآن ٢/ ٣٣٥، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١٥، وقال النحاس: «ويجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار مبتدأ، والتقدير: ولكن الذي تؤاخذون به ما تعمدت قلوبكم». إعراب القرآن ٣/ ٣٠٣.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٧، أسباب النزول للواحدي ص ٢٣٧، زاد المسير ٦/ ٣٥١، تفسير القرطبي ١٤/ ١١٨-١١٩.

(٣) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٨١، ٣٢٨، ٤/ ١٨٦، ١٨٧، ٤/ ٢٣٨، ٢٣٩، ٥/ ٢٦٧، ورواه مسلمٌ في صحيحه ٤/ ١١٥ كتاب الحج: باب فضل المدينة، ٤/ ٢١٧ كتاب العتق: باب فضل العتق.

قوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ عَطْفُ مُظْهَرٍ على مُظْهَرٍ، فلم يُعَدِ الحرفُ[1]، وكذلك ﴿وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾، والمعنى على مذهب أهل اللغة: وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ومنك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾[2]، فمحمدٌ الحبيبُ، ونوحٌ الشَّكُورُ، وإبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى الرُّوحُ - عليهم السلام -، أَخَذَ اللهُ عليهم الميثاقَ أن يُؤَدُّوا رسالاتِ رَبِّهِمْ، ويَعْبُدُوا اللهَ، ويَدْعُو إلى عبادته، وأنْ يُصَدِّقَ بعضُهم بعضًا، وأن ينصحوا لقومهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ يعني: عهدًا شديدًا مؤكَّدًا، وهو العهد الذي أُخِذَ عليهم على الوفاء بما حُمِّلُوا، وذلك العهد الشديد هو اليمين بالله تعالى، فكل نَبِيٍّ بعثه الله تعالى صَدَّقَ من كان قبله/ ومَنْ بَعْدَهُ من الأنبياء، وذلك قوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۝٨﴾ يعني النبيين، هل بلغوا الرسالة أم لا؟ وإنما خص هؤلاء الخمسة بالذِّكر فِي هذه الآية؛ لأنهم أصحاب الشرائع والكتب، وأولو العزم من الرسل وأئمة الأمم. [٧٧/ أ]

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم﴾ يعني الأحزاب ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: من فوق الوادي من قِبَلِ المشرق: مالكُ بن عوف[3] وعُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ[4] وغطفان وقريظة

---

(١) من أول قوله: «ولم يقل: ونوحٍ لأن المظهر». قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٠٤.

(٢) آل عمران ٤٣، وهذا قول الزجاج، ومعناه أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، انظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١٧.

(٣) مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة النصري، من هوازن، كان رئيس المشركين يوم حنين، ثم أسلم، وكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد القادسيةَ وفَتْحَ دمشق، توفِّي سنة (٢٠هـ). [أسد الغابة ٤/ ٢٨٩، الأعلام ٥/ ٢٦٤].

(٤) عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة الفزاري، أسلم قبل الفتح وشهده، وكان من المؤلفة قلوبهم، =

والنضير ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني: من بطن الوادي، مِنْ قِبَلِ المغرب: أبو سفيان ابن حرب فِي قريشٍ ومَنْ تَبِعَهُ، وأبو الأعور السُّلَمِيُّ[1] من قِبَلِ الخندق، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يعني: شَخَصَتْ وَتَحَيَّرَتْ، ومالَتْ فَرَقًا، ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ زالت عن أماكنها حتى بلغت الحُلُوقَ من الفزع، والحَنْجَرةُ جوف الحُلْقُومِ، يقال: انتفخ القلبُ حتى صار عند الحنجرة من الخوف، وهذا من المَجازِ المُبالَغِ فِي وصفه بِما يستحيل؛ لأن القلب لا يزول عن موضعه.

وواحدة الحناجر: حَنْجَرةٌ وحُنْجُورٌ، وهي رأس الغَلْصَمةِ المُحَدَّدُ من طرفها، والغَلْصَمةُ: هي مُلْتَقى الحَلْقِ، والحُلْقُومُ: هو مدخل الطعام والشراب وهو مجرى النَّفَسِ، والغَلْصَمةُ مُلْتَقاها، وهي العُجْرةُ التي عند ملتقى اللَّهاةِ والمَرِيءِ إذا ازْدَرَدَ الآكِلُ اللُّقْمةَ فَنَزَلَتْ في الحَلْقِ، ووقعت فِي الغَلْصَمةِ غَصَّ فيها[2].

قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠﴾ فأما المنافقون فَظَنُّوا أن محمدا وأصحابه سَيُغْلَبُونَ ويُسْتَأْصَلُونَ، وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وَعَدَهُم الله سبحانه حق، وأنه سَيُظْهِرُ دِينَهُ على الدين كله ولو كره المشركون.

واختلف القراء في قوله تعالى: «الظُّنُونا» و«الرَّسُولا» و«السَّبِيلا»[3]،

= ارتد في عهد أبي بكر، ثم عاد إلى الإسلام، وتوفي في خلافة عثمان رضيَ الله عنه. [أسد الغابة ٤/ ١٦٦-١٦٧، الإصابة ٤/ ٦٣٨؛٦٤١].

(١) هو عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص السلمي، شهد حُنَيْنًا مع المشركين، ثم أسلم، وشهد فتح عَمُّورِيّةَ وغيرها، وشهد صفين مع معاوية. [أسد الغابة ٤/ ١٠٨، الإصابة ٤/ ٥٢٩].

(٢) ينظر في معنى الغَلْصَمةِ: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٦/ ٥٣، اللسان: غلصم.

(٣) قرأ نافعٌ وابنُ عامر، وأبو بكر عن عاصمٍ، وأبو جعفر والحسنُ والأعمشُ: «الظُّنُونا»، «الرَّسُولا»، «السَّبِيلا» بإثبات الألف فيهن وصلًا ووقفًا، وقرأ ابنُ كثير والكسائيُّ، وحَفْصٌ =

فأثْبَتَ الألِفاتِ فيها وَصْلًا ووَقْفًا أهلُ المدينةِ والشـامِ وأيّوبُ، وعاصمٌ برواية أبِـي بكر بن عياشٍ، والكسـائيُّ برواية قتيبة[1]، واحتجُّوا بـأنّ ألِفاتِها ثابتةٌ في مصحف عثمان وسائرِ مصاحف أهل البلدان.

وقرأها أبو عمرٍو في سائر الروايات، وحمزةُ ويعقوبُ بغير ألِفٍ فِي الحالين على الأصل، وقـرأ الباقون بالألف في الوقف في المواضع كلها دون الوصل، واحتجُّوا بأن العرب تفعل ذلك فِي قَوافِي أشعارهم ومصاريعها، فَتُلْحِقُ الألفَ في موضع الفتح عند الوقف، ولا تفعل ذلك فِي حشـو الأبيات، فَحَسُنَ إثبات الألف فِي هذه الحروف لأنها رؤوس الآيِ تمثيلًا لَها بالقوافِي[2]، قال صاحب إنسان العين[3]: لأن الألِف فيها من الفواصل، والفواصلُ تُشْبِهُ القوافِيَ من حَيْثُ إنّ الأصل في كل آيةٍ أن تكون كلامًا قائمًا بنفسـه كالبيت من/ الشِّعر، فهو نظير [٧٧/ ب] الأبيات في الوصل والخط.

= عـن عاصـم، وابنُ محيصن وخلفٌ بالألف فيهن في الوقف فقـط، وقرأ أبو عمرو وحمزة بغيـر ألف فـي الحالين، ورَوَى هُبَيْرةُ عـن حفص بالألف فيهن وصلًا ووقفًـا، ورُوِيَ عن أبِـي عمرو بالألف فيهـن وصلًا ووقفًا. ينظر: السـبعة ص ٥١٩-٥٢٠، حجـة أبِي زرعة ص ٥٧٢-٥٧٣، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٩٤، تفسير القرطبي ١٤/ ١٤٥، النشر ٢/ ٣٤٧، ٣٤٨، البحر المحيط ٧/ ٢١١، الإتحاف ٢/ ٣٧١.

(١) قتيبة بن مهران الآزاذانِيُّ، أبو عبد الرحمن من أصبهان، إمامٌ صالحٌ ثقةٌ مقرئ كبير الشـأن، أخذ القراءة عن الكسائي وسمع من الليث بن سعد وشعبة، توفي بعد سنة (٢٠٠هـ) بقليل. [غاية النهاية ٢/ ٢٦، الأنساب ١/ ٦٣].

(٢) قالـه الأخفش وأكثر العلماء، ينظر: معانِي القرآن للأخفـش ص ٧٢، ٤٤٢، معانِي القرآن وإعرابـه ٤/ ٢١٨، إيضـاح الوقف والابتداء ص ٣٧٦، إعراب القـرآن ٣/ ٣٠٥، الحجة للفارسي ٣/ ٢٨١.

(٣) عين المعانِي ورقة ١٠٣/ أ.

وقولـه: ﴿هُنَالِكَ﴾ نصب على الظرف؛ أي: عند ذلك وفي تلك الحال ﴿ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اخْتُبِـرُوا بالقتـل والحَصْرِ؛ ليُعْلَـمَ المؤمنُ المخلص من المنافـق، ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ حُرِّكُوا وخُوِّفُوا وأُزْعِجُوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾؛ أي: تحريكًا وإزعاجًا شـديدًا، يعني: وجُهِدُوا جَهْدًا شـديدًا، والزلزال: الشدائد، وأصله التحريك، قرأ عاصم الجحدري: «زَلْزالاً»[1] بفتح الزّاي، وقرأ الباقون بالكسر، وهما مصدران[2].

قولـه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: من المنافقين ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾؛ أي: لا مَساكِنَ لكم، قرأه العامة: «لا مَقامَ» بفتح الميم الأُولَى؛ أي: لا مكان لكم تقيمون فيه، وقرأ السُّلَمِيُّ بضم الميم[3]؛ أي: لا إقامة لكم، وهي رواية حفص عن عاصم، يقال: أَقَمْتُ إقامةً ومُقامًا.

ويَثْـرِبُ: المدينة، ولذلك لَمْ تنصرف، وقال أبو عبيدة[4]: يثرب: اسـم أرضٍ، ومدينةُ الرسول ﷺ في ناحية منها.

---

(١) وهـي أيضًا قراءة عيسـى بن عمر، ينظر: مختصـر ابن خالويه ص ١١٩، تفسـير القرطبي ١٤/ ١٤٧، البحر المحيط ٧/ ٢١١.

(٢) قال الزجاج: «ويجوز «زَلْزالاً» بفتح الزاي، والمصدر من الرباعي يجيء على ضربين: فِعْلالٍ وفَعْـلالٍ نحو: قَلْقَلَهُ قِلْقالًا وقَلْقالًا، وزَلْزَلْتُهُ زِلْزالًا وَزَلْزالًا، والكسـر أكثر وأجود؛ لأن غير المضاعف من هذا الباب مكسـور الأول نحو: دَحْرَجْتُهُ دِحْراجًا، لا يجوز فيه غير الكسر». معانِـي القرآن وإعرابـه ٤/ ٢١٨-٢١٩، وذهب الفـراء إلى أن الزِّلْزالَ بالكسـر المصدر، وبالفتح الاسم، ينظر: معانِي القرآن ٣/ ٢٨٣، وينظر أيضاً: تهذيب اللغة ١٣/ ١٦٦.

(٣) قرأ السُّـلَمِيُّ، وحَفْصٌ عـن عاصمٍ، والجحدريُّ وأبو حيوة والأعـرجُ واليمانِيُّ: «لا مُقامَ» بضم الميم، ينظر: السبعة ص ٥٢٠، حجة القراءات ص ٥٧٤، تفسير القرطبي ١٤/ ١٤٨، البحر المحيط ٧/ ٢١٢، الإتحاف ٢/ ٣٧١.

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٣٤.

وقوله: ﴿فَٱرۡجِعُواْ﴾ يريد: إلى المدينة، ﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ في الرجوع إلى منازلهم في المدينة، وهم بنو حارثة وبنو سلمة، ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ خاليةٌ ضائعةٌ، وليست بِحَرِيزةٍ[1]، وهي مما يَلِي العَدُوَّ، ونخشى عليها السُّرّاقَ، ولا نأمن على أهلينا.

وقرأ ابن عباسٍ وأبو رجاء العطاردي: «عَوِرةٌ»[2] بكسر الواو، يعني قصيرة الجُدْرانِ، فيها خِلَلٌ وفُرْجةٌ، تقول العرب: دار فلان عَوِرةٌ: إذا لَمْ تكن حصينةً، قال الزَّجّاج[3]: يقال: عَوِرَ المَكانُ يَعْوَرُ عَوَرًا وعَوْرةً، فهو عَوِرٌ، وبيوتٌ عَوِرةٌ وعَوْرةٌ. وهي مصدر، قال الشاعر:

١٣٠ - مَتَى تَلْقَهُمْ لا تَلْقَ فِي البَيْتِ مُعْوِرًا وَلا الضَّيْفَ مَفْجُوعًا ولا الجارَ مُرْمِلا[4]

ثم كَذَّبَهُم اللهُ، وأعْلَمَ أنّ قَصْدَهم الهَرَبُ والفِرارُ، فقال تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) أي: ليست حصينةً. اللسان: حرز.

(٢) وبها قرأ أيضًا ابنُ يَعْمُرَ وإسماعيلُ بنُ سليمان عن ابن كثير بخلاف عنه، وأبو حيوة وابنُ أبي عبلة وابنُ مِقْسَمٍ وعكرمةُ ومجاهدٌ وقتادةُ والحسنُ وعبدُ السلام بنُ شداد عن أبيه، ينظر: مختصر ابن خالويه ص١١٩، المحتسب ٢/ ١٧٦، تفسير القرطبي ١٤/ ١٤٨، البحر المحيط ٧/ ٢١٢، الإتحاف ٢/ ٣٧٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٤) البيت من الطويل، للنابغة الذبيانِيِّ، ورواية ديوانه:

.... للبيت عورة ولا الضيف ممنوعًا ولا الجار ضائعا

اللغة: رجل مُعْوِرٌ: قبيح السريرة، والإعوار: الرِّيبةُ. مفجوعًا: متوجِّعًا مُتَضَوِّرًا. المُرْمِلُ: المحتاج والذي نفد زاده.

التخريج: ديوانه ص ١٦٤، سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٧، الكشف والبيان ٨/ ١٩، عين المعانِي ورقة ١٠٣/ أ، تفسير القرطبي ١٤/ ١٤٨، البحر المحيط ٧/ ٢١٢، الدر المصون ٥/ ٤٠٦.

﴿هِىَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣﴾ يعني المنافقين؛ أي: ما يريدون إلا فرارًا من القتال ونصرة المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم﴾ يعني المدينة؛ أي: لو دَخَلَ عليهم الأحزابُ الذين يريدون قتالهم المدينةَ ﴿مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ جوانبها ونواحيها، واحِدُها قُطْرٌ، ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ يعني: الشِّرك ﴿لَأٓتَوۡهَا﴾ قرأه العامة بالمدِّ؛ أي: لأعطوهم ما سألوا ولأشركوا، وقرأ أهل الحجاز: «لأتَوْها»[1] بقصر الألف؛ أي: لَفَعَلُوها، من قولك: أتَيْتُ الخيرَ؛ أي: فَعَلْتُهُ[2]، ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤﴾ قال قتادة[3]: وما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلًا، وهذا قول أكثر المفسِّرين، وقال الحسن والفراء[4]: وما أقاموا/ بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلًا حتى هلكوا، [٧٨/ أ]
ونصب ﴿يَسِيرٗا﴾ على الاستثناء، وهو نعت لمصدرٍ محذوفٍ، تقديره: إلّا لُبْثًا يسيرًا[5].

قوله: ﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ يعني: من قبل غزوة الخندق، ذَكَّرَهُمُ اللهُ عَهْدَهُمْ مع النبي ﷺ بالثبات في المواطن، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾ لا ينهزمون، ولا يولون العدوَّ

---

(١) ينظر: السبعة ص ٥٢٠، حجة القراءات ص ٥٧٤، تفسير القرطبي ١٤/ ١٤٩، البحر المحيط ٧/ ٢١٣، الإتحاف ٢/ ٣٧٢.
(٢) قاله الفارسي في الحجة ٣/ ٢٨٢-٢٨٣.
(٣) ينظر قوله في جامع البيان ٢١/ ١٦٥، الوسيط ٣/ ٤٦٣، زاد المسير ٦/ ٣٦١.
(٤) ينظر قول الحسن في الكشف والبيان ٨/ ١٩، ونص قول الفراء: «يقول: لَمْ يكونوا لِيَلْبثُوا بالمدينة بعد إعطاء الكفر حتى يهلكوا». معاني القرآن ٢/ ٣٣٧.
(٥) ويجوز أن يكون نعتًا لظرف محذوف؛ أي: إلا زَمَنًا يسيرًا، ينظر: التبيان للعكبري ص١٠٥٣، الدر المصون ٥/ ٤٠٦.

ظهورَهُمْ، ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ يُسْألُونَ عنه فِي الآخرة، والعهد لا يُسْألُ، وإنما يُسْألُ ناقضُ العهد؛ أي: مُطالَبًا به، من قولهم: سألت فلانًا حَقِّي؛ أي: طالبته به.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ الذي كُتِبَ عليكم ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ أي: لا تُمَتَّعُونَ بعد الفرار فِي الدنيا إلى مدة آجالكم إلّا قليلًا، والدنيا كلها قليلٌ.

ورفع ﴿تُمَتَّعُونَ﴾ لاعتراض ﴿لَّا﴾ بينه وبين «إِذَنْ»، و«إِذَنْ» إذا كانت مبتدأةً لا يجوز إلغاؤها، تقول: إذَنْ أُكْرِمَكَ، وإذا كان قبلها واوٌ أو فاءٌ نحو: فَإِذَنْ أُكْرِمَكَ أو: وَإِذَنْ أُكْرِمُكَ، جاز الرفع والنصب، وإذا وقعت بين اسمٍ وفعلٍ لا يستغني أحدهما عن الآخر تُلْغَى نحو: أنا إِذَنْ أُكْرِمُكَ، والكل جواب: سآتيك[١]، هكذا ذكره صاحب إنسان العين[٢]، ومثله: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٣]، ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾[٤] وقد ذُكِرَ.

ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ على الاستثناء، وهو نعت لمصدر محذوف تقديره: إلا متاعًا قليلًا.

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾؛ أي: المُثَبِّطِينَ للناس عن رسول الله ﷺ، يقال: عاقَهُ واعْتاقَهُ وعَوَّقَهُ: إذا صرفه عن الوجه الذي يريده، ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ﴾؛

---

(١) ينظر: الكتاب: باب «إِذَنْ» ٣/ ١٢؛ ١٦، معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٧، المقتضب ٢/ ١٠؛ ١٢، إعراب القرآن ٣/ ٣٠٧، مغني اللبيب ص ٣٠؛ ٣٢، وغيرها.

(٢) لَمْ أقف عليه في عين المعانِي.

(٣) الإسراء ٧٦، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٤) النساء ٥٣، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

أي: ويعلم القائلين ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ تعالَوْا إلينا ودَعُوا محمَّدًا، فلا تشهدوا الحرب معه فإنّا نخاف عليكم الهلاك، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ لا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ رياءً وسمعةً، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ يعني المنافقين، وهو جمع شحيحٍ؛ أي: بُخَلاءَ بالخير والنَّفَقة فِي سبيل الله، وعند قَسْمِ الغنيمة يُشاحُّونَ المؤمنين عند القِسْمةِ، وهو نَصْبٌ على الحال والقطع من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١]، وَصَفَهُم اللهُ عزّ وجلّ بالبخل والجبن، ويجوز نصبه على الذَّمِّ[٢].

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ فِي رؤوسهم من الخوف والجُبْنِ ﴿كَٱلَّذِى﴾ أي: كَدَوَرانِ الذي ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾/ ﴿سَلَقُوكُم﴾ يعني: خاطبوكم أشَدَّ مخاطبةٍ وأبْلَغَها، ورفعوا أصواتهم بعيبكم، وقال أبو عبيدة[٣]: بالَغُوا فيكم بالكلام والعَيْبِ واللائمة. [٧٨/ ب]

يُقال: سَلَقَ فلانٌ فُلانًا بلسانه: إذا أغْلَظَ له بالقول مجاهرًا، وقال الخليل[٤]: يقال: سَلَقْتُهُ باللسان؛ أي: أسمعته ما يكره وأكثرتُ، ويقال: لِسانٌ مُسْلِقٌ؛ أي: حديدٌ ذَلِقٌ.

---

(١) أي: أن العامل فيه «يَأْتُونَ»، وصاحب الحال هو واو الجماعة، وهذا ما رجحه الفراء، وإن كان قد ذكر أنه يجوز أن يكون حالًا من المضمر في «المُعَوِّقِينَ»، أو من المضمر في «القائِلِينَ»، أو من فعلٍ مضمرٍ يدل عليه الكلام؛ أي: يُعَوِّقُونَ حال كونهم أشِحّةً. ينظر: معانِي القرآن ٢/ ٣٣٨، قال النحاس: «لا يجوز أن يكون العامل فيه «المُعَوِّقِينَ» ولا «القائِلِينَ» لئلّا يفرق بين الصلة والموصول». إعراب القرآن ٣/ ٣٠٨، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٣-١٩٤.

(٢) قاله الفراء في معانِي القرآن ٢/ ٣٣٨، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٠٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٤.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٣٥ باختلاف في ألفاظه.

(٤) العين: سلق ٥/ ٧٦.

وخطيبٌ مِسْلاقٌ: إذا كان ماضيًا في خطبته معلنًا بها، وكذلك تقول العرب: خطيبٌ مِسْلَقٌ ومِسْلاقٌ، قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة(١):

١٣١ - فِيهِمُ المَجْدُ والسَّماحةُ والنَّجْـ ـدةُ فِيهِمْ والخاطِبُ المِسْلاقُ(٢)

والسَّلْقُ والصَّلْقُ - بالسين والصاد جميعًا -(٣): رفع الصوت، وقوله: ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ يعني: بألسنة سَلِيطةٍ باسطةٍ بالشَّرِّ ذَرِبةٍ، وهي جمع حديدٍ.

ثم وصفهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾؛ أي: وهم - إن أظهروا الإيمان ونافقوا - ليسوا بِمُؤْمِنِينَ، ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: أبْطَلَ جهادَهُمْ؛ لأنه لَمْ يكن في إيمانٍ، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٩﴾. أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابه(٤).

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾؛ أي: يحسب المنافقون أن الأحزابَ مُعَسْكِرُونَ مُقِيمُونَ، لَمْ ينصرفوا عن قتالهم إلى مكة من الخوف الذي نَزَلَ بهم، وقد انصرفوا، والأحزاب: الجماعات واحدهم حزب، وهم

---

(١) في الأصل: «الأعشى قيس بن ثعلبة».

(٢) البيت من الخفيف، للأعشى يفخر بقومه، ورواية ديوانه:

فِيهِمُ الخِصْبُ والسَّماحةُ والنَّجْـ ـدةُ فِيهِمْ والخاطِبُ المِصْلاقُ

اللغة: خطيب سَلّاقٌ ومِسْلاقٌ ومِصْلاقٌ: إذا كان بليغًا في الخطابة.

التخريج: ديوانه ص ٢٦٥، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧٢٧، مجاز القرآن ٢/ ١٣٥، غريب الحديث للهروي ١/ ٩٧، تهذيب اللغة ٨/ ٤٠٢، ديوان الأدب ١/ ٣٢٩، عين المعاني ورقة ١٠٣/ أ، تفسير القرطبي ١٤/ ١٥٤، اللسان: سلق، التاج: سلق.

(٣) وقد قرأ ابن أبي عبلة: «صلقوكم» بالصاد، ينظر: البحر المحيط ٧/ ٢١٥.

(٤) ينظر: جامع البيان ٢١/ ١٦٨، الكشف والبيان ٨/ ٢٣، زاد المسير ٦/ ٣٦٤، تفسير القرطبي ١٤/ ١٥١-١٥٢.

الذين تَحَزَّبُوا على عداوة رسول الله ﷺ ومخالفته أي: اجتمعوا، ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾؛ أي: يرجعوا إليهم كَرّةً ثانيةً للقتال ﴿يَوَدُّواْ﴾ من الخوف والجُبْنِ والفَرَقِ ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾ يَتَمَنَّوْنَ لو كانوا في بادية الأعراب خارجين إليهم من الرَّهبة، والبادون: خلاف الحاضرين، يقال: بَدا يَبْدُو بَداوةً وبِداوةً: إذا خرج إلى البادية[1] ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ﴾؛ أي: أخباركم، يقولون: ما فَعَلَ محمَّدٌ وأصحابه؟.

قرأ العامّة: «يَسْأَلُونَ» بالتخفيف، وقرأ عاصمٌ الجحدري ويعقوب في روايةِ رُوَيْسٍ: «يَسّاءَلُونَ»[2] مشددةً ممدودةً، يعني: يتساءلون؛ أي: يسأل بعضهم بعضًا عن أخباركم، وما آلَ إليه أمْرُكُمْ، ﴿وَلَوْ كَانُواْ﴾ يعني: هؤلاء المنافقين ﴿فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ يعني: رياءً وسمعةً من غير حِسْبةٍ، ولو كان ذلك لله لكان كثيرًا، وهو نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، أو لظرفٍ محذوفٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني بني قريظة
[٧٩/ أ] الذين عاونوا أهلَ مكة: أبا سفيان وأصحابَهُ / ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ يعني: من حصونهم المانعة، واحدها صِيصِيةٌ، قال محمد بن يزيد[3]: وأصل الصِّيصِيةِ: ما يُمْتَنَعُ به، فالحصن صِيصِيةٌ، ويقال لقرون البقر: صَياصٍ؛ لامتناعها بها، وكذلك يقال في شوكة الدِّيك: صِيصِيةٌ، وهي التي في رجله ناتئةٌ كالقَرْنِ، ويقال أيضًا في شوكة الحائك: صِيصِيةٌ، تشبيهًا بها، وأنشد أبو عُبَيْدةَ لدُرَيْدِ بن الصِّمّةِ[4]:

---

(١) ينظر: لسان العرب: بدو.

(٢) وهي أيضًا قراءة زيد بن عَلِيٍّ والحسن وقتادة. ينظر: جامع البيان ٢١/ ١٧٢، النشر ٢/ ٣٤٨، الإتحاف ٢/ ٣٧٣.

(٣) ينظر قول المبرد في إعراب القرآن ٣/ ٣١١، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٤١.

(٤) دُرَيْدُ بن معاوية بن الحارث الجُشَمِيُّ، شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية، =

١٣٢ ـ نَظَرْتُ إِلَيْهِ والرِّماحُ تَنُوشُـهُ كَوَقْعِ الصَّياصِي فِي النَّسِيجِ المُمَدَّدِ[1]

والصَّياصِـي أيضًا: الأصول، قـال أبو عبيدة[2]: العرب تقـول: جَذَّ اللهُ صِيصِيَتَهُ؛ أي: أَصْلَهُ.

وقوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: ألقى في قلوبهم الخوفَ ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ قيـل: إنهـم قَتَلُـوا منهم أربعمائةٍ وخمسـين رجلًا، وسَبَوْا منهم سبعمائةٍ وخمسين رجلًا، وقيل: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني الرجـال، ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ يعني النسـاء والـذَّرارِيَّ، وهما منصوبان بـ﴿تَقْتُلُونَ﴾ و﴿وَتَأْسِرُونَ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا

= كان سـيد بني جُشَـمَ وفارسـهم وقائدهم، غزا مائة غزوة لَمْ يُهْزَمْ فـي واحدة منها، وعمر حتى سـقط حاجباه، وأدرك الإسلام ولم يسـلم، فَقُتِلَ يوم حنين مشركًا. [الشعر والشعراء ص ٧٥٣؛ ٧٥٦، الأعلام ٢/ ٣٣٩].

(١) البيت من الطويل، ويُرْوَى:

فَجِئْـتُ إِلَيْـهِ والرِّماحُ يَشِـقْنَهُ

ويُرْوَى أيضًا:

ومـا راعَنِي إلّا الرِّماحُ تَنُوشُـهُ

اللغة: تَنُوشُهُ: تتناوله. يَشِقْنَهُ: يَتَعَلَّقْنَ به ويَصِلْنَ إليه.

التخريج: ديوانه ص ٦٣، مجاز القرآن ٢/ ١٣٦، التعازي والمراثي للمبرد ص ٢٣، جمهرة اللغة ص ٢٤٢، تهذيب اللغة ١٢/ ٢٦٦، ديوان المعاني ٢/ ٥٨، المخصص ١٢/ ٢٦٠، التذكـرة الحمدونيـة ٥/ ٣٧٥، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسـة ص ٣٠٤، عين المعاني ١٠٣/ أ، تفسـير القرطبي ١٤/ ١٦١، اللسان: شـيق، صيص: صيا، نوش، البحر المحيط ٧/ ٢٠٥، التاج: صيص.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٣٦ باختلاف في ألفاظه.

وَزِينَتَهَا﴾ يعني: زهرتها، ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ هو من العُلُوِّ، وأصله من الارتفاع، ولكن كَثُرَ استعماله حتى استعمل فِي معنى: انزل، فيقال للمُتَعالِي: تَعالَ، بمعنى: انْزِلْ، وهما جَزْمانِ على الأمر وجوابِهِ.

والمراد بالآية أزواجُ النَّبِيِّ ﷺ، وذلك أنّ أُمَّ سَلَمةَ بنتَ أبي أُميّة سألت النبي ﷺ سِتْرًا مُعْلَمًا[١]، فَلَمْ يَقْدِرْ عليه، وسألته سَوْدةُ بنت زَمْعةَ قَطِيفةً خَيْبَرِيّةً، فلم يقدر عليها، وسألته ميمونة بنت الحارث الهلالية قطيفةً يمانيّةً، فلم يقدر عليها، وسألته زينب بنت جحشٍ الأسديّة ثوبًا مُمَصَّرًا، وهو البُرْدُ المُخَطَّطُ، فلم يقدر عليه، وسألته أم حبيبة بنت أبِي سفيان ثوبًا سَحُولِيًّا[٢]، فلم يقدر عليه، وسألته حفصة بنت عمر ثوبًا من ثياب مصر، فلم يقدر عليه، وسألته جويرية بنت الحارث المصطلقية مِعْجَرًا [٣] ومِنْطَقةً، فلم يقدر عليهما، فَغَمَّهُ ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فَأمْسَكْنَ عن المسألة[٤]، وقوله: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ يعني: مُتْعةَ الطلاق، وقد ذكرناها في سورة البقرة[٥].

قوله: ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ يعني به الطلاق ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨﴾ من غير إضرارٍ، قال قتادة والحسن: أمَرَ اللهُ رسولَهُ أن يُخَيِّرَ أزواجَهُ بين الدنيا والآخرة والجَنّة والنّار، فَنَزَلَتْ هذه الآية.

---

(١) العَلَمُ: رَسْمُ الثَّوْبِ، والثَّوْبُ المُعْلَمُ: المَرْسُومُ. اللسان: علم.

(٢) ثوب سَحُولِيٌّ: أبيض، وهو نوع من ثياب اليمن، منسوب إلى قرية باليمن تسمى سَحُولَ، أو إلى القَصّارِ لأنه يَسْحَلُها أي: يَغْسِلُها، ويجوز ضم السين على أنه جمع سَحْلٍ وهو الثوب الأبيض. اللسان: سحل.

(٣) المِعْجَرُ: نوع من ثياب اليمن تلتف المرأة به. اللسان: عجر.

(٤) ينظر: زاد المسير ٦/ ٣٧٦، التبيان للطوسي ٨/ ٣٣٤، عين المعانِي ورقة ١٠٣/ ب.

(٥) يعني قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

قولـه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾؛ أي: بمعصيةٍ ظاهرةٍ، وهي النشوز وسوء الخُلق في قول ابن عبّاسٍ، قرأ عاصمٌ الجحدري: «مَنْ تَأْتِ» بالتاء[١]، وقرأ غيره بالياء.

وقولـه: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ﴾ جواب الشرط ﴿ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ مصدرٌ، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ يعني: هَيِّنًا فِي الدنيا بالعقوبة/ ، وفي الآخرة بالعذاب، قرأ ابن كثيرٍ وابن عامرٍ: «نُضَعِّفْ» بالنون وكَسْرِ العين مُشَدَّدًا من غير ألف «العَـذابَ» نصبًا، وقرأ أبو عمرو ويعقوب: «يُضَعَّفْ»[٢] بالياء وفتح العين والتشديد من غير أَلِفٍ، «العَذابُ» رفعًا، وقرأ الباقون: «يُضاعَفْ» بالألف ورفع الباء من «الْعَذابُ» مع التخفيف، وهما لغتان مثل: باعَدَ وبَعَّدَ[٣]، قال أبو عمرٍو وأبو عبيدة[٤]: يقال: ضَعَّفْتُ الشيء: إذا جعلته مثله، وضاعَفْتُهُ: إذا جعلته أمثاله.

---

(١) قرأ عاصم الجَحْدَرِيُّ وعمرو بن فائدٍ الأَسْـوارِيُّ ورَوْحُ وزيد بن عَلِيٍّ، ويعقوب في رواية عنه: «مَنْ تَأْتِ» بالتاء، وقرأ الباقون ياالياء، ينظر: المحتسب ٢/ ١٧٩-١٨٠، تفسير القرطبي ١٤/ ١٧٦، البحر المحيط ٧/ ٢٢٠.

(٢) قـرأ ابن كثير وأبو عمـرو وابن محيصن وعاصم الجحدري: «نُضَعِّـفْ لَها العَذابَ»، وقرأ أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوبُ والحسـنُ واليزيديُّ وعيسـى: «يُضَعَّفْ لَها العَذابُ»، ينظر: السبعة ص ٥٢١، حجة القراءات ص ٥٧٥، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٩٦، تفسير القرطبي ١٤/ ١٧٦، البحر المحيط ٧/ ٢٢٠، الإتحاف ٢/ ٣٧٤.

(٣) قالـه النحـاس في معانِي القرآن ٥/ ٣٤٤، وقال الفارسـي: «هما لغتـان بمعنى واحد فيما حكاه سـيبويه، وقال الأخفش: الخفيفة لغة أهل الحجـاز، والثقيلة لغة بني تميم». الحجة للقراء السبعة ٣/ ٢٨٣، وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٨٢.

(٤) هذا معنى كلامهما، ينظر قول أَبِي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٣٦، وأما قول أَبِي عمرو فقد حـكاه النحاس بقوله: «فَرَّقَ أبو عمرو بيـن «يُضَعَّفْ» و«يُضاعَفْ»، قال: «يُضاعَفْ» للمِرارِ الكثيرة، و«يُضَعَّفْ» مرتين، وقرأ: «يُضَعَّفْ» لِهَذا». معاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٤٣، وينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ١٩٨، حجة القراءات ص ٥٧٥، الكشف والبيان ٨/ ٣٣.

ومعنى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ يعني: يُجْعَلْ عذابُ جُرْمِها فِي الآخرة كعذاب جُرْمَيْنِ، كما زِيدَ فِي ثوابها ضِعْفٌ في قوله تعالى: ﴿نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾، وإنما ضُوعِفَ عذابهن على إتيان الفاحشة؛ لأنهن يشاهدن من التَّنْزِيلِ ما يَزْجُرُ ويردع عن مواقعة الذنوب ما لا يُشاهِدُ غَيْرُهُنَّ، فإذا لَمْ يمتنعن عن ذلك استحققن تضعيف العذاب؛ لكمالهن وفضلهن على نساء العالمين.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يعني: ومَن تُطِعِ الله ورسوله فيما يأمرها به منكنَّ، قرأه العامة بالياء، وَرُوِيَ عن ابن عامرٍ ويعقوب أنهما قرآ: «تَقْنُتْ» بالتاء[1]، قال الفراء[2]: وإنما قال: «يَقْنُتْ» لأن «مَنْ» أداةٌ تقوم مقام الاسم، يُعَبَّرُ به عن الواحد والاثنين والجميع والمؤنث والمذكر، قال الله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَ﴾[3]، وقال: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾[4]، وقال الفرزدق في الاثنين:

١٣٣ - تَعالَ فَإِنْ عاهَدْتَنِي لا تَخُونُنِي   نَكُنْ مِثْلَ - مَنْ يا ذِئْبُ - يَصْطَحِبانِ[5]

---

(١) ورواها أبو حاتم عن أبِي جعفر وشيبةَ ونافعٍ، وبها قرأ أيضًا الجحدريُّ وَرَوْحٌ وزيدُ بنُ عَلِيٍّ وعمرُو بنُ فائد الأسواريُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٩٨، تفسير القرطبي ١٤/ ١٧٦، البحر المحيط ٧/ ٢٢١.

(٢) معانِي القرآن ٢/ ١١٠، ١١١ وهو معنى كلامه.

(٣) يونس ٤٣.

(٤) يونس ٤٢.

(٥) البيت من الطويل، للفرزدق يصف ذئبًا، ورواية ديوانه: «تَعَشَّ فَإِنْ واثَقْتَنِي».

التخريج: ديوانه ٢/ ٣٢٩، الكتاب ٢/ ٤١٦، مجاز القرآن ٢/ ٤١، معانِي القرآن للأخفش ص ٣٦، المقتضب ٢/ ٢٩٤، ٣/ ٢٥٣، معانِي القرآن وإعرابه ١/ ١٤٦، شرح أبيات سيبويه ٢/ ٨٤، المحتسب ١/ ٢١٩، الخصائص ٢/ ٤٢٢، الصاحبي ص ٢٧٤، الحلل ص ٤٠١، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٣٨، ٢/ ١٠، تفسير القرطبي ١/ ٤٣٥،=

قوله: ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا﴾ جواب الشرط ﴿مَرَّتَيْنِ﴾؛ أي: ضِعْفَيْ ثوابِ غيرهن من النساء فِي الآخرة، قرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائي وخلَفٌ: «يَعْمَلْ» و«يُؤْتِها»[1] بالياء فيهما، وقرأ الباقون بالتاء والنون، ونصب ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ على الظرف أو المصدر ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ ثوابًا حسنًا، وهو في الجَنّة.

قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ قال الفراء والزَّجّاج[2]: لَمْ يقل: كواحدةٍ؛ لأنّ أحَدًا نَفْيٌ عامٌّ يصلح للواحد والاثنين والجميع، والمذكرِ والمؤنثِ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[4].

وقوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: لا تُلِنَّ الكلامَ للرجال، ﴿فَيَطْمَعَ﴾/ ﴿ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ فُجورٌ وزِنًى وضُعْفُ إيمانٍ[5]، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ حسنًا جميلًا ونصب ﴿فَيَطْمَعَ﴾ على جواب النهي بالفاء. [٨٠/ أ]

= شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٢١٣، ٢٣٣، شرح المفصل ٢/ ١٣٢، ٤/ ١٣، اللسان: منن، مغني اللبيب ص ٥٢٩، المقاصد النحوية ١/ ٤٦١، شرح شواهد المغني ص ٨٢٩، همع الهوامع ١/ ٢٨٣، ٢٨٧.

(١) وبها قرأ أيضًا أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ، ينظر: السبعة ص ٥٢١، حجة القراءات ص ٥٧٦، الكشف عن وجوه القراءات ١٩٦-١٩٧، البحر المحيط ٧/ ٢٢١، الإتحاف ٢/ ٣٧٤.

(٢) لَمْ أقف على قول الفراء في معاني القرآن، وإنما حكاه الأزهري عنه في التهذيب ٥/ ١٩٦، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٤، وأما قول الزجاج فهو في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٢٤، والنص للزجاج.

(٣) البقرة ٢٨٥.

(٤) الحاقة ٤٧.

(٥) في الأصل: «وضُعْفٌ وإيمانٌ»، وهو تحريف.

قولـه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرأ أبو جعفرٍ وشـيبة ونافـعٌ وعاصمٌ بفتح القاف، وقرأ غيرهم بالكسـر[1]، فمن فتح القاف فمعنـاه: واقْرَرْنَ؛ أي: الْزَمْنَ بيوتكنَّ[2]، من قولك: قَرِرْتُ فِي المكان أَقَرُّ قرارًا، وقَرَرْتُ أَقِرُّ لغتان، فحُذِفَ الـراءُ الأولى التي هي عين الفعل، ونقلت حركتها إلى القاف وانفتحت، فلما تحركت القاف سقطتْ أَلِفُ الوصلِ، فبقي: «قَرْنَ» كقولهم في ظَلِلْتُ: ظَلْتُ، قـال الله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[4]، والأصـل: ظَلِلْتَ، فحُذِفَ إحـدى اللامَينِ[5]، قال صاحب إنسـان العين[6]: وَقَرْنَ وَهَمْتُ في معنى: هَمَمْتُ شاذٌّ، قال الشاعر:

١٣٤ ـ سِـوَى أنّ العِتاقَ مِنَ المَطايا أَحَسْـنَ بِـهِ فَهُـنَّ إِلَيْـهِ شُـوسُ[7]

---

(١) ينظر: السبعة ص ٥٢١، ٥٢٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٩٩، ٢٠٠، البحر المحيط ٧/ ٢٢٣، الإتحاف ٢/ ٣٧٥.

(٢) وقال الأخفش الأصغر: «هو من: قَرِرْتُ به عَيْنًا أَقَرُّ، فالمعنى: واقْرَرْنَ به عَيْنًا في بيوتكن»، قال النحاس: «وهذا وجه، إلا أن الحديث يدل على أنه من الأول»، إعراب القرآن ٣/ ٣١٤، وينظر: معانِي القرآن للنحاس ٥/ ٣٤٦.

(٣) الواقعة ٦٥.

(٤) طه ٩٧.

(٥) ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٤٢، مجاز القرآن ٢/ ١٣٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٩٩، ٢٠٠، الحجة للفارسي ٣/ ٢٨٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٧.

(٦) ينظر: عين المعانِي ١٠٣/ ب، وهذا الكلام قاله سـيبويه من قبله، ذكره في باب ما شـذ من المضاعف فَشُـبِّهَ بباب «أَقَمْتُ». الكتاب ٤/ ٤٢١، ٤٢٢، وينظـر: المقتضب ١/ ٣٨٠، ٣٨١، الخصائص ٢/ ٤٤٠، ٤٤١.

(٧) البيت من الوافر، لأبي زبيد الطائي يصف أسدًا، وأن المطايا هي التي شعرت به، ورواية ديوانه:

خَـلا أنّ الـعـتـاق........ حَـسِـسْـنَ بِـــهِ........

ويُرْوَى: «حَسِينَ بِهِ».

=

ومن كسر القاف فهو من الوَقارِ[1]، والأمر منه: قِرْ، وللنساء: قِرْنَ، كقولك من الوعد: عِدْنَ، ومن الوصل: صِلْنَ؛ أي: كُنَّ أهْلَ وَقارٍ وهدوء وسكون وتُؤَدةٍ، من قولهم: وَقَرَ فلانٌ يَقِرُ وُقُورًا: إذا سَكَنَ واطمأنّ، والوَقارُ: هو الحلم والرزانة، وقد وَقِرَ الرَّجُلُ يَقِرُ وَقارًا وقِرةً فهو وَقُورٌ، قال الشاعر:

١٣٥ ـ بِكُلِّ أخْلاقِ الرِّجالِ قَدْ مَهَرْ
ثَبْتٌ، إذا ما صِيحَ بِالقَوْمِ وَقَرْ[2]

والتوقير: التعظيم والتَّرْزِينُ.

= اللغة: العتاق: جمع عتيق وهو الرائع الكريم من كل شيء. المطايا: جمع مَطِيّةٍ وهي الناقة التي يُرْكَبُ مَطاها أي: ظهرها. حَسِينَ به: علمن به، والأصل حَسِسْنَ فأبدلوا من إحدى السينين ياءً، وأما أَحَسْنَ فهو مثل ظَلْتُ ومَسْتُ فِي ظَلِلْتُ ومَسِسْتُ. شُوسُ: جمع أَشْوَسَ وشَوْساءَ وهو الذي ينظر بمؤخر العين تكبرًا أو تغيظًا.

التخريج: ديوانه ص ٩٦، معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٧، مجاز القرآن ٢/ ٢٨، ٣٥، ١٣٧، المقتضب ١/ ٣٨٠، مجالس ثعلب ص ٤١٨، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤١٦، الزاهر ١/ ٢٣١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٠٠، المحتسب ١/ ١٢٣، ٢٦٩، ٢/ ٧٦، المنصف ٣/ ٨٤، الخصائص ٢/ ٤٤٠، أمالي ابن الشجري ١/ ١٤٦، ٢/ ١٧٢، الاقتضاب ٢/ ٦٨، ٣/ ٣٤، الحلل ص ٤١٢-٤١٣، الإنصاف ص ٢٧٣، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ٢/ ٣٥٥، ٣٥٧، شرح المفصل لابن يعيش ١٠/ ١٥٤، اللسان: حسس، حسا، مسس، البحر المحيط ٧/ ٣٧٧.

(١) هذا قول أكثر العلماء، وعلى هذا فوزنه «عِلْنَ»، فيكون محذوف الفاء، وأصله: اِوْقِرْنَ مثل: عِدْنَ وصِلْنَ، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٤٢، مجاز القرآن ٢/ ١٣٧، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٢٥، إعراب القرآن ٣/ ٣١٣، الحجة للفارسي ٣/ ٢٨٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٠٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٦.

(٢) البيتان من الرجز المشطور، للعجاج يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر، ورواية ديوانه: «بِكُلِّ أخْلاقِ الشُّجاعِ».
=

قال أبو عبيدٍ[١]: كان أشياخُنا من أهل العربية ينكرون القراءة بالفتح، وذلك لأن قَرَرْتُ فِي المكان أقَرُّ لا يُجَوِّزُهُ كثيرٌ من أهل اللغة، والصحيح: قَرَرْتُ أقِرُّ بالكسر، ومعناه: الأمر لهنَّ بالتوقير والسكون في بيوتهن وألا يخرجن، وذلك قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: لا تُبْرِزْنَ محاسنَكُنَّ؛ أي: تُظْهِرْنَها، وقرأ البَزِّيُّ: «وَلا تَّبَرَّجْنَ» بتشديد التاء[٢]، قال أبو العباس[٣]: حقيقة التبرُّج: إظهار ما سَتْرُهُ أحْسَنُ، وهو مأخوذ من السَّعةِ، يقال: في عينه بَرَجٌ؛ أي: سَعةٌ، ويقال: في أسنانه بَرَجٌ: إذا كانت متفرِّقةً.

وقوله: ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ كما يقال: الجاهلية الجَهْلاءُ، قال: وكانت النساءِ فِي الجاهلية الجهلاء يظهرْنَ ما يَقْبُحُ إظْهارُهُ، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخِلِّها، فينفرد خِلُّها بما فوق الإزار إلَى الأعلى، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى/ أسفل، وربما سأل أحدُهما صاحبَه البَدَلَ. [٨٠/ ب]

وأراد بـ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: ما بين عيسى ومحمَّدٍ، وقيل: الجاهلية الأولى هي التي وُلِدَ فيها إبراهيمُ عليه السّلام، وكانت المرأة فِي ذلك الزمان

= اللغة: الثَّبْتُ: الثابتُ القلبِ، والثَّبْتُ: الفارس الشجاع.
التخريج: ديوانه ص ٥٦، مجمل اللغة ١/ ١٦٦، المختار من شعر بشار ص ١٤٣، المخصص ٣/ ٥٨، أساس البلاغة: ثبت، اللسان: ثبت، وقر.

(١) قاله في الغريب المصنف ٣/ ٩٦٢، ٩٦٣، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣١٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٧.

(٢) قرأ ابن كثير في رواية البَزِّيِّ: ﴿ولا تَّبَرَّجْنَ﴾ بتشديد التاء، ويجب حينئذٍ إشباع المد، وقرأ الباقون بالتخفيف، ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٠٠، النشر ٢/ ٣٤٨، الإتحاف ٢/ ٣٧٦.

(٣) ينظر قول المبرد في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣١٤، تفسير القرطبي ١٤/ ١٨٠.

تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه، ثم تمشي وسط الطريق مُفَرَّجًا جانباه، وليس عليها شيء غَيْرُهُ بتكسير وتَغَنُّجٍ، وكان في ذلك الزمان نُمْرُوذُ الجبار، والناس كُلُّهُمْ كفار.

ومعنى ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: القديمة، يقال لكل متقدمٍ ومتقدمةٍ: أُولَى وأوَّلُ، وذلك أن أهل الجاهلية الأولى تقدموا أمةَ محمدٍ ﷺ، فنُهِينَ نساءُ هذه الأمة عن ذلك، وأُمِرْنَ بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، وذلك قوله: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ الآية، يعني الإثم الذي نَهاهُنَّ الله عنه في هذه الآيات، وَأمَرَهُنَّ بتركه[1]، فإنَّ تَرْكَهُنَّ ما أمرهن به، ورُكُوبَهُنَّ ما نَهاهُنَّ عنه من الرِّجْسِ.

وقال الحسن[2]: الرِّجسُ: الشيطان، وأهل البيت: نساء النبي ﷺ خاصّةً؛ لأنهنَّ في بيته، وإنما ذُكِّرَ الخطابُ في قوله: ﴿عَنكُمُ﴾ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾؛ لأن رسول الله ﷺ كان فيهنَّ، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غُلِّبَ المذكرُ، وقال آخرون: هذا خاصٌّ في النبي ﷺ وعَلِيٍّ والحسنِ والحسينِ وفاطمةَ ـ عليهم السلام ـ، وهو قول أبِي سعيدٍ الخُدري[3]، و﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب على النداء، وإن شئت على المدح، قال الزجّاج[4]: ويجوز الرفع والخفض.

---

(١) في الأصل: «وأمرهن به».

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ٣٥-٣٦، الوسيط ٣/ ٤٦٩.

(٣) روى الطبري بسنده عن أبِي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت هذه الآية في خمسة: فِيَّ وفي عَلِيٍّ وحَسَنٍ وحُسَيْنٍ وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. جامع البيان ٢٢/ ٩، وينظر: معانِي القرآن للنحاس ٥/ ٣٤٨، الكشف والبيان ٨/ ٤٢.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٢٦، وهذا في غير القرآن، أما في القرآن فلا يجوز، والرفع =

فصل

عن أَبِي الحمراء[١] قال: أقمتُ بالمدينة تسعة أشهرٍ، كأنه يومٌ واحدٌ، فكان رسول الله ﷺ يَخْرُجُ غَداةَ كُلِّ يَوْمٍ، فَيَقِفُ على بابِ عَلِيٍّ -رضي الله عنه-، ويقول: «الصلاةَ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[٢].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾.. الآية، قيل: لَمّا رجعت أسماءُ بنت عُمَيْسٍ[٣] من الحبشة مع زوجها جعفر بن أَبِي طالب، فدخلت على نساء رسول الله ﷺ، فقالت: هل نزل فينا شيءٌ من القرآن؟ فقلن: لا، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن النساء لَفِي خَيْبةٍ وخَسارٍ، قال: «وَمِمَّ ذاك؟» قالت:

= على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: أنتم أهل البيت، وأما الخفض فيكون على البدل من الضمير فِي «عَنْكُم»، وهو جائز عند الكوفيين، ممتنع عند البصريين، قال النحاس: «إن خفضت على أنه بدل من الكاف والميم لم يَجُزْ عند محمد بن يزيد، قال: لا يُبْدَلُ من المخاطِبِ ولا من المخاطَبِ؛ لأنهما لا يحتاجان إلى تبيين». إعراب القرآن ٣/ ٣١٥، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٧، البيان للأنباري ٢/ ٢٦٩.

(١) هو هلال بن الحارث، وقيل: ابن ظفر السُّلَمِيُّ، خادم الرسول ﷺ، مشهور بكنيته، أصابه سَبْيٌ فِي الجاهلية، نزل حمص، روى عنه ابن جبير ونفيع الأعمى. [أسد الغابة ٥/ ٦٦، ١٧٤، تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٥٨].

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٥٩، ٢٨٥، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٣/ ٥٦، ٢٢/ ٢٠، ٤٠٢، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٧/ ٦١، ١٧٤، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٨ كتاب معرفة الصحابة/ باب «كان النبي يَمُرُّ بباب فاطمة ستة أشهر».

(٣) أسماء بنت عميس بن معدٍّ بن تيم الخَثْعَمِيَّةُ، صحابية أسلمت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أَبِي طالب، فلما تُوُفِّيَ في مؤتة تزوجها أبو بكر، فلما مات تزوجها عَلِيٌّ رضي الله عنه، وماتت بعده سنة (٤٠هـ). [أسد الغابة ٥/ ٣٩٥، ٣٩٦، الإصابة ٨/ ١٤-١٦، الأعلام ١/ ٣٠٦].

لأنهنَّ لا يُذْكَرْنَ بِخَيْرٍ كما/ يُذْكَرُ الرجالُ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

و﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾، وخبرها في قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ أي: لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ وهو الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ يعني: حُكْمًا ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ جَمَعَ الكناية؛ لأن المراد بقوله: ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ كُلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ فِي الدنيا، و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: الاختيار، أَعْلَمَ اللهُ تعالى أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله.

قرأ أهل الكوفة وأيوب: «أنْ يَكُونَ» بالياء، واختاره أبو عبيد، قال[٢]: للحائل بين التأنيث والفعل. وكذلك رَوَى هشامٌ عن أهل الشام، وقرأ الباقون بالتاء[٣]، وقرأ العامة: «الخيرة» بكسر الخاء وفتح الياء، وقرأ ابنُ السَّمَيْفَعِ بسكون الياء[٤]، وهما لغتان[٥].

نزلت هذه الآية في عبدِ الله بن جحشٍ وأختِهِ زَيْنَبَ، وكانا ابْنَيْ عَمّةِ النَّبِيِّ ﷺ، فخطب النبيُّ ﷺ زينبَ لزيد بن حارثة مولاه، وهي تَظُنُّ أنه يَخْطِبُها لنفسه،

---

(١) قاله مقاتل، ينظر: أسباب النزول ص ٢٤٠، وقد روى الإمام أحمد مثلَهُ بسنده عن أم سلمة في المسند ٦/ ٣٠١، ٣٠٥، والنسائي في السنن الكبرى ٦/ ٤٣١ كتاب التفسير/ سورة الأحزاب، وينظر: عين المعاني ورقة ١٠٣/ ب.

(٢) ينظر قول أبي عبيد واختياره في إعراب القرآن ٣/ ٣١٦، الكشف والبيان ٨/ ٤٧، تفسير القرطبي ١٤/ ١٨٧.

(٣) ينظر: السبعة ص ٥٢٢، القرطبي ١٤/ ١٨٧، البحر ٧/ ٢٢٥، الإتحاف ٢/ ٣٧٦.

(٤) وهي أيضًا قراءة عيسى بن سليمان، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٠، القرطبي ١٤/ ٨٧.

(٥) ينظر ما سبق في الآية ٦٨ من سورة القصص: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ ١/ ٥٠٥.

فلما علمتْ أنه يَخْطِبُها لِزَيْدٍ كَرِهَتْ ذلك، وكذلك أخوها، فلما نزلت هذه الآية رَضِيا وسَلَّما لأمرِ الله وقضائِهِ، فَزَوَّجَها رسولُ الله ﷺ من زيد بن حارثة[١].

قولـه تعالـى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾؛ أي: حاجـةً مـن نِكاحهـا ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾، ومعنـى قضاء الوَطَرِ في اللغة: بلـوغ منتهى ما في النفس من الشيء، تقول: قضى وَطَرًا منها: إذا بلغ ما أراد من حاجته فيها، ومنه قول عمر ابن أَبِي ربيعة:

١٣٦ ـ أَيُّهـا الرّائِحُ المُجِـدُّ ابْتِكارا قَـدْ قَضَـى مِـنْ تِهامةَ الأَوْطـارا[٢]

أي: قد فَرَغَ من أعمال الحج، وبلغ ما أراد منه، ثم صار عبارة الطلاق[٣]، فلما تزوجها رسـول الله ﷺ أَوْلَمَ عليها بِخُبْزٍ ولَحْمٍ، وكانت زينبُ تَفْخَرُ على نسـاء النبي ﷺ، فتقول: أنا أَكْرَمُكُنَّ وَلِيًّا، وأَكْرَمُكُنَّ سَفِيرًا، زَوَّجَكُنَّ أقارِبُكُنَّ، وزَوَّجَنِي اللهُ عزّ وجلّ من السماء، وكان السفيرُ جبريلَ عليه السّلام[٤].

---

(١) رواه البيهقي بسنده عن زينب بنت جحش في السنن الكبرى ٧/ ١٣٦-١٣٧ كتاب النكاح: بـاب «لا يُرَدُّ نكاحُ غير الكفء إذا رضيت بـه الزوجة»، ورواه الطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٢٤/ ٣٩، ٤٠، ٤٥، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٤٦.

(٢) البيت من الخفيف لعُمَرَ بن أَبِي ربيعة، يُشَبِّبُ بأم محمد بنت مروان بن الحكم حين حَجَّتْ، ويُرْوَى:

أَيُّـهـا الـرّاكِـبُ الـمُـجِـدُّ...

التخريج: ديوانـه ص١٦٤، الأغاني ١/ ٦٩، ٢/ ١٣٠، ٨/ ٥٥، الجليس الصالح الكافي ٢/ ٢٩٥.

(٣) قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٤٧٣، وينظر: زاد المسير ٦/ ٣٩٠.

(٤) رواه البخاري بسـنده عن السـيدة عائشة في صحيحه ٨/ ١٧٦ كتاب التوحيد: باب «وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ»، ورواه النسائي في سننه ٦/ ٨٠ كتاب النكاح: باب في النهي أن يخطب الرجل على خطبة أخيه.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: إثم ﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾؛ أي: فيما أَحَلَّ اللهُ له من النساء أن يَنْكِحَ منهن، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: شريعة الله وهدايته ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ / وأَصْلُ السُّنَّةِ: الطريقةُ التي تستوي وتنقاد، ويقال: سنّة الله فيمن كان قبلكم من الأنبياء، مثل داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ، كان لسليمان سبعمائة امرأةٍ مَهْرِيّةٍ وثلاثمائة سُرِّيّةٍ، وكان لداود مائة امرأةٍ[١].

وفي وجه انتصاب قوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ من الإعراب أربعة أوجهٍ، قيل[٢]: لعدم الخافض، يعني: كسنّة الله، وقيل[٣]: على الإغراء؛ أي: اتبعوا سنة الله، وقيل[٤]: على المصدر، وأراد: سَنَّ سُنّةَ الله، وقيل[٥]: فَعَلَ سُنّةَ الله في الأنبياء الماضين، أي: لا يؤاخذهم الله بما أَحَلَّ لهم، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾؛ أي: قضاءً مقضيًّا.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأنبياء والرسل، ومحل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خفض على نعت ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾، وقال أبو إسحاق[٦]: يجوز أن يكون في موضع نصبٍ على المدح.

---

(١) رواه القاضي عياض عن ابن عباس في الشفا ١/ ٩١، وينظر: الكشاف ٣/ ٢٦٤، زاد المسير ٢/ ١١١، البداية والنهاية ٢/ ١٩، والمرأة المَهْرِيّةُ والمَهيرةُ: الحُرّةُ، والسُّرِّيّةُ: الجارية المُتَّخَذةُ للمِلْكِ والجِماعِ، والجمع السَّرارِي. اللسان: مهر، سرر.

(٢) ذكره الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ٨/ ٤٩، وينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٣٣٦.

(٣) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٨، وينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٣٣٦، البحر المحيط ٧/ ٢٢٨، الدر المصون ٥/ ٤١٨.

(٤) قاله أكثر العلماء، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٣٨، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣٠، إعراب القرآن ٣/ ٣١٦.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٤٩، وينظر: البحر المحيط ٧/ ٢٢٧، الدر المصون ٥/ ٤١٨.

(٦) قال الزجاج: «ويجوز أن يكون رفعًا على المدح على: هم الذين يبلغون رسالات الله، =

قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٣٩﴾ يعني: طالبًا وشاهدًا حافظًا لأعمال خَلْقِه، ومحاسبهم عليها، وهو منصوبٌ على الحال أو التَّمييز.

قولــه تعالــى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ الآية، نزلت فِي قول الناس: إن محمدًا تَزَوَّجَ امرأَةَ ابنِهِ[١]، يعنون زيد بن حارثة، فأخبر الله أنه ليس بأبِ زيدٍ؛ لأنه لَمْ يَلِدْهُ، فلا يَحْرُمُ عليه نكاحُ زوجته بعد فراقه إياها، وإنما كان أبا قاسِمٍ والطَّيِّبِ والمُطهَّرِ وإبراهيمَ[٢].

قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ولكن كان رسول الله ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ أي: آخرهــم، ختــم الله به النبوة، فلا نَبِيَّ بعده، ولو كان لِمُحَمَّدٍ ابنٌ لكان نَبِيًّا، قرأ عاصمٌ والحسنُ: «خاتَمَ» بفتح التاء[٣] على الاسم، أي: آخر النبيين كقوله: «خاتَمُهُ مِسْـكٌ»[٤]؛ أي: آخِرُهُ، وقرأ الباقون بالكســر على اســم الفاعل، وهو الاختيار؛ أي: أنه ختم النبيين بالنبوة.

= ويجــوز أن يكون نصبًا على معنى: أعني الذين يبلغــون». معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣٠، فالنص مختلف عمّا أورده المؤلف هنا.

(١) رواه الترمــذي في ســننه ٥/ ٣١ أبواب التفســير: ســورة الأحزاب، وينظــر: لباب النقول ص٥٥.

(٢) هذا قول الزجاج، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٣) وبها قرأ أيضًا زيدُ بنُ عَلِيٍّ والشعبيُّ، والأعرجُ بخلاف عنه، ينظر: السبعة ص ٥٢٢، البحر المحيط ٧/ ٢٢٨، النشر ٢/ ٣٤٨، الإتحاف ٢/ ٣٧٦.

(٤) سورة المطففين الآية ٢٦، وهذه قراءة الكسائي والسلمي والنخعي وزيد بن عَلِيٍّ والضحاك وأبِــي حيوة وابــن أبِي عبلة، ينظــر: الســبعة ص ٦٧٦، التيســير ص ٢٢١، البحر المحيط ٨/ ٤٣٤.

فصلٌ

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّما مَثَلِي في الأنبياء كَمَثَلِ رجلٍ بَنَى دارًا، فَأكْمَلَها وَحَسَّنَها إلا مَوْضِعَ لَبِنةٍ، فكان مَنْ دَخَلَ فَنظَرَ إليها، فيقول: ما أَحْسَنَها إلّا مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبِنةِ»، فقال رسول الله ﷺ: «أنا مَوْضِعُ اللَّبِنةِ، خُتِمَ بِي الأنْبياءُ»(١).

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أحْمَدُ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النّاسُ على قَدَمِي، وأنا العاقِبُ الذي لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ»(٢).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾ قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم، بالليل والنهار، وفِي البَرِّ والبحر، والسَّفَر والحضَر، والغِنَى والفقرِ، والصحة والسقم، والسر والعلانية،/ وعلى كل حال، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [٨٢/ أ]
قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حوْلَ ولا قوة إلا بالله، وهذه الكلمات يقولها الطاهر والجُنُبُ والمُحْدِثُ، وقيل: معناه: صَلُّوا للهِ بالغداة والعَشِيِّ.

قال محمد بن يزيد(٣): الأَصِيلُ: العَشِيُّ، وجمعه الأصائِلُ، والأُصُلُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٦/ ١٦٢-١٦٣ كتاب أحاديث الأنبياء: باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ومسلم في صحيحه ٧/ ٦٤، ٦٥ كتاب الفضائل: باب ذِكْرِ كونه ﷺ خاتم النبيين.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ١٦٢ كتاب أحاديث الأنبياء: باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ٦/ ٦٢، كتاب تفسير القرآن: سورة الصف، ورواه مسلمٌ في صحيحه ٧/ ٨٩ كتاب الفضائل: باب في أسمائه ﷺ.

(٣) الكامل ٣/ ٧٠، وقد قال المبرد: «والأُصُلُ: جمع أصيل، والأصيل: العَشِيُّ، يقال: =

بمعنى الأَصِيلِ وجمعه آصالٌ، وقال غيره(١): أُصُلٌ: جمع أَصِيلٍ، كرَغِيفٍ ورُغُفٍ، وهما منصوبان على الظرف.

فصْلٌ

عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السّلام إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا محمد: قل: سبحان الله، والحمد للهِ، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حوْلَ ولا قوة إلا بالله، عَدَدَ ما عَلِمَ، وزِنةَ ما عَلِمَ، ومِلْءَ ما عَلِمَ، فإنه مَنْ قالَها كَتَبَ اللهُ له بها خَمْسَ خِصالٍ: كُتِبَ من الذاكرين للهِ كثيرًا، وكان أَفْضَلَ مِنْ ذَكَرةِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، وكُنَّ له غَرْسًا في الجنة، وتَحاتَّتْ(٢) عنه خطاياه كما يَتَحاتُّ وَرَقُ الشجرةِ اليابسةِ، ويَنْظُرُ اللهُ إليه، ومَنْ نَظَرَ إليه لَمْ يُعَذِّبْهُ»(٣).

ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ عجز عن الليل أن يُكابِدَهُ، وجَبُنَ عن العدوِّ أن يُجاهِدَهُ، وَبَخِلَ بِالْمالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللهِ تعالى»(٤).

= أصِيلٌ وأُصُلٌ مثل قضيب وقُضُبٍ، وجمع أُصُلٍ: آصال، وهو جمع الجمع، وتقديره: عنق وأعناق، وطنب وأطناب، ويقال في جمع أصيلة: أصائل مثل خليفة وخلائف، قال الأعشى:

ولا بِأَحْسَنَ مِنْها إِذْ دَنا الأُصُلُ».

(١) هذا قول أبي عبيدة، ينظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٩، وحكاه النحاس عن الفراء في إعراب القرآن ٢/ ١٧٣.

(٢) تَحاتَّتْ ذُنُوبُهُ: تساقطت تشبيهًا بِتَحاتِّ وَرَقِ الشجر؛ أي: سقوطه. اللسان: حتت.

(٣) ينظر: مجمع البيان ٨/ ١٦٧، عين المعاني ورقة ١٠٣/ ب.

(٤) رواه الطبرانيُّ بسنده عن أبي أمامة في المعجم الكبير ٨/ ١٩٤، ٢٢١، وينظر: مجمع البيان ٨/ ١٦٦، عين المعاني ورقة ١٠٤/ أ، مجمع الزوائد ١٠/ ٧٤ كتاب الأذكار: باب فضل ذكر الله، تعالى، والإكثارِ منه.

قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾؛ أي تحية المؤمنين ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ أي: يوم يرون اللهَ سلامٌ؛ أي: سلامٌ عليهم، ويُسَلِّمُهُم الله من جميع الآفات والبَلِيّاتِ، وهو ابتداءٌ وخبرٌ، وقيل: تُحَيِّيهم الملائكةُ على أبواب الجنة بالسلام، فإذا دخلوها حَيّا بعضهم بعضًا بالسلام، وتحية الرب إياهم حين يرسل إليهم بالسلام، وقيل الكناية مردودةٌ إلى ملك الموت، كنايةٌ عن غير مذكورٍ، والمعنى على هذا: تحية المؤمنين من ملك الموت يوم يلقونه أن يسلم عليهم، ورُوِيَ عن البراء بن عازب أنه قال[1]: «يوم يلقون ملك الموت، لا يَقْبِضُ رُوحَ مؤمنٍ إلا سَلَّمَ عليه»، وعن ابن مسعودٍ قال[2]: «إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: رَبُّكَ يُقرِئُكَ السلام». قوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ يعني: رزقًا حسنًا فِي الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أمتك وجميع الأمم بتبليغ الرسالة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنة لمن صدقك ﴿وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ منذِرًا بالنار لِمَنْ كَذَّبَكَ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى توحيده وطاعته/ ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ وأمره، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: لِمَن اتبعك واهتدى بك كالسراج فِي الظُّلْمة، يستضيء به أهل الدِّين، وروي عن قتادة أنه قال[3]: ﴿شَٰهِدًا﴾ على أمته بالبلاغ، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار، ﴿وَدَاعِيًا﴾ إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله، ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ قال: بأمره، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ قال: كتاب الله عزّ وجلّ. [٨٢/ ب]

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٥١-٣٥٢ كتاب التفسير: تفسير سورة إبراهيم، وينظر: الكامل في الضعفاء ٤/ ٢٥٥، الكشف والبيان ٨/ ٥٢، الدر المنثور ٥/ ٢٠٦.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٥٢، عين المعانِي ورقة ١٠٤/ أ، تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٢، ١٧/ ٣٣٣، الدر المنثور ٥/ ٢٠٦.

(٣) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣١٩.

قال أبو جعفر[(١)]: والتقدير على قوله: وداعيًا إلى توحيد الله وذا سراجٍ منيرٍ؛ أي: كتابٍ بيِّنٍ. وأجاز أبو إسحاق أن يكون بمعنى: وَتالِيًا كتابًا[(٢)]، وقيل: معنى قوله: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: مضيئًا، وهو النبي ﷺ، سراجٌ منيرٌ مضيءٌ لِما يدعو أمته إليه، ونصب ﴿شَٰهِدًا﴾ على الحال، وما بعده عطف عليه.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: مهورهن، ﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾ مثل صفية وجُوَيْرِيَةَ ومارية القبطية، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ من نساء عبد المطلب، ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ من نساء بني زهرة ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ يعني: من مكة إلى المدينة، وهذا إنما كان من قبل تحليل غير المهاجرات، ثم نُسِخَ شرطُ الهجرة في التحليل، وقرأ ابن مسعودٍ: «واللَّاتِي هاجَرْنَ مَعَكَ»[(٣)] بواو، ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً﴾؛ أي: وأحللنا لك امرأةً مؤمنةً ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ بغير صَداقٍ، وغير المؤمنة لا تَحِلُّ إن وَهَبَتْ منه نفسَها، ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ يعني: أن يتزوجها بغير مهرٍ فله ذلك.

قرأ العامة: «إنْ وَهَبَتْ» بكسر الألِف على الجزاء والاستئناف، وقرأ الحسن بفتح الألِف[(٤)] على المضي والوجوب، وجواب قوله: ﴿إِن وَهَبَتۡ﴾: حَلَّتْ[(٥)].

---

(١) يعني النحاس، قاله في إعراب القرآن ٣/ ٣١٩.

(٢) قال الزجاج: «وإن شئت كان «وَسِراجًا» منصوبًا على معنى: داعيًا إلى الله وتاليًا كتابًا بيِّنًا». معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣١.

(٣) ينظر: معانِي القرآن للفراء ص ٢/ ٣٤٥، جامع البيان ٢٢/ ٢٧، الكشف والبيان ٨/ ٥٣.

(٤) قرأ الحسن وأُبَيٌّ وعيسى بنُ عمر وسلامٌ والشعبيُّ: «أنْ وَهَبَتْ» بفتح الهمزة، ينظر: المحتسب ٢/ ١٨٢، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٠٩، البحر المحيط ٧/ ٢٣٣.

(٥) يعني أن الجواب محذوف للعلم به. ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣٢، إعراب القرآن ٣/ ٣٢٠.

والواهبة قيل[١]: إنها أُمُّ شُـرَيْكٍ بنتُ جابر العامريةُ[٢]، وقيل: خَوْلةُ بنتُ الحكيم بن الأوْقَصِ السُّلَمِيّةُ[٣]، وقيل: ميمونةُ بنتُ الحارث[٤].

وقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾؛ أي: خاصّةً لك ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فليس لامرأةٍ أن تَهَبَ نفسَها لرجلٍ بغير شهودٍ ولا وَلِيٍّ ولا مَهْرٍ إلا لِلنبي ﷺ، وهذه من خصائصـه في النكاح، كالتخيير والعَدَدِ فِي النسـاء، ومـا رُوِيَ/ أنه أعتق [٨٣/ أ] صفية، وجعل عِتْقَها صداقَهـا. ونصب ﴿خَالِصَةً﴾ على الحال[٥]، وقيل[٦]:

---

(١) رَوَى الطبرانيُّ في المعجم الكبير ٢٤/ ٣٥١ أن الواهبة هي أم شريك، وكذلك ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩٢ كتاب التفسير: سـورة الأحزاب، وروى البيهقي أنها خولة بنت حكيم، وذلك في السـنن الكبرى ٧/ ٥٥ كتاب النكاح: باب ما أُبيحَ له ﷺ من الموهوبة، ورَوَى الحاكـمُ أنهـا ميمونة بنت الحـارث، وذلك فـي المسـتدرك ٤/ ٣٣ كتاب معرفة الصحابـة: ذِكْرُ أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وأشـار ابن حجر إلـى تعدد الواهبات، وذلك في فتح الباري ٨/ ٤٠٤، ٩/ ١٦٩.

(٢) هي غزية، أو غزيلة، بنت جابر بن وهب بن حكيم، من بني منقذ بن عبد الله بن لؤي، وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكانت قبل ذلك تحت أَبِي العَكِرِ. [أسد الغابة ٥/ ٥١٣-٥١٤، الإصابة ٨/ ٤١٧، ٤٢٠].

(٣) هي خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السـلمية، امرأة عثمان بن مظعون، لها صحبة، كانت صالحة فاضلة، وهبت نفسـها للنبي ﷺ بعد وفاة عثمان عنها. [أسـد الغابة ٥/ ٤٤٤، تهذيب الكمال ٣٥/ ١٦٤].

(٤) ميمونة بنت الحارث بنِ حَزَنٍ الهلاليةُ، أُمُّ المؤمنين، آخر امرأة تزوجها النبي ﷺ، وآخرهن وفـاةً، بايعت قبل الهجرة، تزوجها النبي سـنة ٧ هـ، وتوفيت سـنة (٥١هـ). [أسـد الغابة ٥/ ٥٥٠، الإصابة ٨/ ٣٢٢: ٣٢٤].

(٥) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣٣، وينظر أيضًا: البحر المحيط ٧/ ٢٣٤، الدر المصون ٥/ ٤٢٢.

(٦) قاله الفراء، وشـبهه بـ«سُـنّةَ اللهِ» و«صِبْغـةَ اللهِ»، ينظر: معانِي القـرآن ٢/ ٣٤٥، وبه قال =

على المصدر، وقيل[١]: على النعت لـ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً﴾.

قولـه تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾.. الآية. من قرأ: «يَحِلُّ» بالياء فلأنّ الفعل مقدَّمٌ على ذِكر الفاعل، وبينهما حائلٌ، ومَنْ قرأ بالتاء فلأنّ النساء إناثٌ[٢]، ومعنى الآية: لا يحل لكَ اليهودياتُ ولا النصرانياتُ بعد المسلمات، ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾؛ أي: لا تتبدل الكتابيات بالمسـلمات، يقول: لا تكـون أُمُّ المؤمنين يهوديةً ولا نصرانيـةً، ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾؛ أي: وإن أَعْجَبْنَكَ بِجمالِهِنَّ، فليس لك أن تُطَلِّقَ مِنْ نسائك، وتَنْكِحَ بَدَلَها امرأةً أعجبتْكَ بجمالها.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ يعني: ما ملكَتْ يمينه من الكتابيات حَلَّ له أن يَتَسَـرَّى بهن، وقيل: معناه: لا يحل لك من النسـاء سـوى هؤلاء اللاتِي اخْتَرْنَـكَ، وليـس لك أن تطلق واحـدة منهن، وتتزوج بَدَلَها، وقالت عائشـة رضي الله عنها: «ما مات رسول الله ﷺ حتى أُحِلَّ له النساءُ»[٣]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يريد: من أعمال العباد ﴿رَّقِيبٗا ٥٢﴾؛ أي: حافظًا.

= الزمخشـري في الكشـاف ٣/ ٢٦٨، وينظر: التبيان للعكبـري ص ١٠٥٩، البحر المحيط ٧/ ٢٣٣، الدر المصون ٥/ ٤٢٢.

(١) حكاه الزمخشري بغير عزو في الكشاف ٣/ ٢٦٩، وينظر: البحر المحيط ٧/ ٢٣٤.

(٢) قـرأ أبو عمرو ويعقوب واليزيدي والحسـن: «لا تَحِلُّ» بالتاء، وقـرأ الباقون بالياء، وروى القُطَعِيُّ عن محبوب عن أبي عمرو أنه قرأ: «لا يَحِلُّ» بالياء، ينظر: السبعة ص ٥٢٣، حجة القراءات ص ٥٧٩، الإتحاف ٢/ ٣٧٧.

(٣) رواه البيهقـي في السـنن الكبرى ٧/ ٥٤ كتاب النكاح: بـاب «كان لا يجوز له أن يبدل من أزواجه أحدًا، ثم نسـخ»، والحاكم في المسـتدرك ٢/ ٤٣٧ كتاب التفسـير: سورة الزمر، وينظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص ٥١.

قولـه تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾؛ أي: منتظرين وقت إدراكه ونضجه، وهو ظرفُ زمانٍ، وأماله حمزة والكسـائي وهشـامٌ[١]، وفيه لغتان، يقال: إنًى وأنًى بكسر الألِـف وفتحها، مثل: إلًى وألًى ومِعًى ومَعًى، والجمع: آناءٌ مثل آلاءٍ، والفعل منـه: أنَى يَأْنِي إنًي بكسـر الألِف مقصـورًا، وأناءً بفتح الألِف ممـدودًا، قال الحُطَيْئةُ:

١٣٧ ـ وَآنَيْتُ العَشـاءَ إلَى سُـهَيْلٍ أوِ الشِّـعْرَى، فَطـالَ بِـيَ الأنـاءُ[٢]

وقال الشيبانِيُّ[٣]:

---

(١) قرأ هشام من طريق الحلوانِيِّ، وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ: بإمالة ألف«إناهُ»، وفتحه الباقون وهشـامٌ من طريـق الدّاجوانِـيِّ، وقَـلَّـلَهُ الأزرقُ وقالونُ، ينظر: السـبعة ص ٥٢٣، النشـر ٢/ ٤٩-٥٠، الإتحاف ٢/ ٣٧٧.

(٢) البيت من الوافر للحطيئة يمدح بَغِيضًا ورواية ديوانه: «فَطالَ بِيَ العَشاءُ»، ويُرْوَى: «وَأكْرَيْتُ العَشاءَ».

اللغة: آنَيْتُ العَشـاءَ: أخَّرْتُهُ حتى يطلع سهيل والشِّـعْرَى، والأناءُ: الاسم منه؛ أي: التأخر، وأكْرَيْتُ أيضًا معناه: أخَّرْتُ. سُـهَيْلٌ والشِّعْرَى: نجمان يطلعان في الشتاء في آخر الليل أو في نصفه.

التخريج: ديوانه ص ٥٤، المقصور والممدود للفراء ص ٣٩، ٤٨، غريب الحديث للهروي ١/ ٧٥، ٤/ ٦٠، الأضداد لابن الأنباري ص ٨٢، الزاهر ١/ ٢٩٤، ٢/ ١٨، جمهرة اللغة ص ٢٥٠، التهذيب ١٠/ ٣٤٣، ١٥/ ٥٥٤، مقاييس اللغة ١/ ١٤١، ٥/ ١٧٤، مجمل اللغة ٤/ ٧٨٢، ديوان الأدب ٤/ ١٠١، الكشف والبيان ٨/ ٥٨، المخصص ١٣/ ٢٦٤، شمس العلـوم ١/ ٣٣٧، ٩/ ٥٨١٦، عيـن المعانِي ورقة ١٠٤/ أ، تفسـير القرطبي ١٤/ ٢٢٦، اللسان: أني، كري، التاج: أني، كري.

(٣) هو خالد بن حِقٍّ كما في السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٥، واللسان: حمل، والسيرة النبوية لابن كثير ١/ ٤٩.

١٣٨ ـ وَكِسْرَى إذْ تَقَسَّمَهُ بَنُوهُ بِأَسْيافٍ كَما اقْتُسِمَ اللِّحامُ
تَمَخَّضَتِ المَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَنَى وَلِكُلِّ حامِلَةٍ تَمامُ(١)

وفيه لغةٌ أُخرى، يقال: آنَ يَأْنِي أَيْنًا، وآنَ يَئِينُ: إذا انتهى مثل: حانَ يَحِينُ(٢)، و﴿غَيْرَ﴾ منصوبٌ على الحال، و﴿إِنَىٰهُ﴾ نصب بوقوع الناظرين عليه، ولا / وجه لجر «غير» على صفة الطعام إلا أن يُقال فِي غير القرآن(٣). [٨٣/ ب]

---

(١) البيتان من الوافر، لعمرو بن حسان يعاتب امرأته، وقد أُنْشِدا لخالد بن حِقٍّ الشيبانِيِّ، ونُسِبا لِعَدِيِّ بن زيد، وهما في ملحق ديوانه، والثانِي منهما في ملحق ديوان النابغة الذبيانِيِّ.
اللغة: تقسمه بنوه: قسموه بينهم. اللِّحامُ: جمع لَحْمٍ. تمخض الولد: تحرك في بطن أمه، وتمخضت المنون: كناية عن الموت. أَنَى: أدرك وبلغ منتهاه. تمام: يقال: أتمت الحُبْلَى فهي مُتِمٌّ: إذا تمت أيام حملها وشارفت الوضع.
التخريج: ملحق ديوان النابغة ص ٢٣٢، ٢٥٠، ملحق ديوان عدي بن زيد ص ٢٠٣، مجاز القرآن ٢/ ١٤٠، جمهرة اللغة ص ٦٠٨، إصلاح المنطق ص ٣، ٣٤٢، الكشف والبيان ٨/ ٥٨، الإنصاف ص ٧٦٠، الاقتضاب ٢/ ١٤١، أساس البلاغة: مخض، المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٢، ٢٦٤، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٢٦، شرح المفصل ٤/ ١٠٣، اللسان: أني، حمل، كثر، مخض.

(٢) ينظر في هذه اللغات: المقصور والممدود للفراء ص ٣٩، ٤٨، المقصور والممدود لابن ولاد ص ٧، المقصور والممدود للقالِي ص ١٧٣، التهذيب ١٥/ ٥٥٣-٥٥٤، لسان العرب: أنى، أين، ولكني لَمْ أقف على لغة «آنَ يَئِينُ»، وأزعم أنها من باب الإبدال بين الهمزة والحاء.

(٣) «غَيْرَ» منصوب على الحال كما ذكر المؤلف، وصاحب الحال هو الضمير في «لَكُمْ»، والعامل فيه «يُؤْذَنَ»، وقد أجاز الفراء خفض «غَيْرَ» على نعت الطعام، ينظر: معانِي القرآن ٢/ ٣٤٧، وقال الأخفش: «ولا يكون جَرًّا على الطعام إلا أن تقول: أنتم». معاني القرآن ص ٤٤٣، يعني: إلا أن يظهر الضمير؛ لأن الكلام جارٍ على غيرِ مَنْ هو له.
وقال النحاس: «ولا يجوز في «غَيْرَ» الخفض على النعت للطعام؛ لأنه لو كان نعتًا لَمْ يكن بُدٌّ من إظهار الفاعلين، وكان يكون: غير ناظرين إناه أنتم، ونظير هذا من النحو: هذا رجل =

قال ابن عبّاسٍ: «نزلت هذه الآية في ناسٍ من المسلمين كانوا يَتَحَيَّنُونَ طعامَ النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يُدْرَكَ، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يَتَأَذَّى بهم، فنَزَلَتْ هذه الآية»[١].

قوله: ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾؛ أي: فاخرجوا من مَنْزِلِهِ وتَفرَّقُوا، ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أي: طالبين للأُنْسِ، يقول: لا تجلسوا بعد الفراغ من الطعام للحديث، واخرجوا إذا فرغتم من بيت النبي ﷺ، ومحلُّه خَفْضٌ، مردودٌ على قوله: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾.. ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[٢].

ورُوِيَ عن جويرية بنِ أسماء[٣] قال: قُرِئَ بين يَدَيْ إسماعيلَ بنِ أَبِي حكيم[٤] هذه الآيةُ، فقال: هذا أَدَبٌ أَدَّبَ اللهُ به الثقلاءَ.

= مع رجل ملازم له، وإن شئت قلت: هذا رجل ملازم له هو». إعراب القرآن ٣/ ٣٢٢، ٣٢٣، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٠، ٢٠١، الإنصاف ص ٥٧ وما بعدها، البيان للأنباري ٢/ ٢٧٢، التبيان للعكبري ص ١٠٦٠، البحر المحيط ٧/ ٢٣٧، الدر المصون ٥/ ٤٢٤.

(١) رواه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٥ كتاب تفسير القرآن: سورة الأحزاب، ٧/ ١٢٨، ١٢٩، ١٣٨ كتاب الاستئذان: باب آية الحجاب، وباب من قام من مجلسه ولَمْ يستأذن، ورواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٤٩، ١٥٢، كتاب النكاح: باب زواج زينب بنت حجش.

(٢) يعني أن «مستأنسين» مخفوض بالعطف على «ناظرين»؛ أي: غير ناظرين وغير مستأنسين، وأجاز النحاة أن يكون منصوبًا بالعطف على «غَيْـرَ»، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٤٧، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٤٣، إعراب القرآن ٣/ ٣٢٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠١.

(٣) هو جويرية بن أسماء بن عبيد الضبعي البصري، أبو مخارق أو أبو مخراق، عالم بالحديث ثقة، روى عن نافع والزهري ورفيقِه مالكِ بنِ أنس، توفِّي سنة (١٧٣هـ). [سير أعلام النبلاء ٧/ ٣١٧، الأعلام ٢/ ١٤٨]، وينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ٥٩.

(٤) إسماعيل بن أَبِي حكيم القرشي بالولاء المدنِي، كاتب من ثقات أهل الحديث، صالحٌ كان يكتب حديثه، روى عن عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز، توفِّي سنة (١٣٠هـ). [تهذيب الكمال ٣/ ٦٣، الأعلام ١/ ٣١٣].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ قرأه العامة بنصب التاء، وقرأ ابن عبّاسٍ بالرفع[١] عطفًا على مَحَلِّ قوله: ﴿ٱللَّهَ ﴾ قبل دخول ﴿ إِنَّ ﴾[٢]، كما قال الشاعر:

١٣٩ ـ فَإِنِّي وَقَيّارٌ بِها لَغَرِيبُ[٣]

---

(١) قرأ ابنُ عباس، وأبو عمرو في رواية عبد الوارث عنه: «وَمَلائِكَتُهُ» بالرفع، ينظر: مختصر ابن خالويه ص١٢١، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٣٢، البحر المحيط ٧/ ٢٣٩.

(٢) هذا على مذهب الكوفيين، فإنهم يجيزون العطف على موضع اسم «إنّ» بالرفع قبل مجيء الخبر، والفراءُ منهم أجاز ذلك فيما لا يظهر فيه الإعراب فقط، والباقون منهم أجازوا ذلك في كل حال. قال الفراء: «وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ [المائدة: ٦٩]، فإن رفع الصابئين على أنه عطف على «الَّذِينَ»، و«الَّذِينَ» حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه، فلما كان إعرابه واحداً، وكان «إنّ» نصبًا ضعيفًا... جاز رفع الصابئين، ولا أسْتَحِبُّ أن أقول: إن عبد الله وزيدٌ قائمان لِتَبَيُّنِ الإعراب فِي عبد الله، وقد كان الكسائي يجيزه لضعف «إنّ». معانِي القرآن ١/ ٣١٠-٣١١. وقد ذهب ثعلبٌ إلى ما ذهب إليه الكسائيُّ، ينظر: مجالس ثعلب ص ٢٦٢.

وأما البصريون فإنهم لا يجيزون ذلك مطلقًا، ويُخَرِّجُونَ ما ورد من ذلك على أن المرفوع مبتدأ حُذِفَ خَبَرُهُ، قال سيبويه: «وأما قوله تعالى: «والصّابِئُونَ» فعلى التقديم والتأخير، كأنه ابتدأ على قوله: «والصّابِئُونَ» بعدما مضى الخبر». الكتاب ٢/ ١٥٥.

وعلى ذلك فالتقدير عند البصريين في آية الأحزاب: إن الله يصلي، وملائكتُهُ يُصَلُّونَ، وجعله الزجاجي معطوفًا على موضع جملة «إنّ»؛ لأنها داخلة على المبتدأ والخبر، ينظر: أمالي الزجاجي ص ٢٢٦، وابن الشجري يجعل المرفوع مبتدأً، وما بعده خبره، وحُذِفَ خبرُ «إنّ» لدلالة الكلام عليه، ينظر: أمالي ابن الشجري ٣/ ١١٣، ١١٤، وينظر في هذه المسألة أيضًا: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٩٢؛ ١٩٤، إعراب القرآن ٣/ ٣٢٣، مجالس العلماء للزجاجي ص ٤٤، الإنصاف للأنباري ص ١٨٥ وما بعدها، شرح الكافية للرضي ٤/ ٣٧٠، ٣٧٢.

(٣) هذا عجز بيت من الطويل، وصدره:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمَدِينَةِ رَحْلُهُ =

نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾[1]، وقد مضت هذه المسألة، ومعنى الآية: إن الله يرحم النبي، والملائكة يدعون له بالرحمة، وقيل: صلاة الرب المغفرة له، وصلاة الملائكة الاستغفار له.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: ادعوا له بالرحمة، واستغفروا له ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ قولوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

فصلٌ

عن الحسن قال: قالوا: يا رسول الله ـ صلى الله عليك وسلم ـ: أرأيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾؟ فقال ﷺ: «هذا من العلم المكنون، ولولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم، إن الله تعالى وَكَّلَ بِي مَلَكَيْنِ، فلا أُذْكَرُ عند مسلم فيصلي عليَّ إلا قال ذانك المَلَكانِ: غفر الله لك، وقال الله وملائكته لِذَيْنِكَ المَلَكَيْنِ: آمين، ولا أُذْكَرُ عند مسلم فلا يُصَلِّي عَلَيَّ

= ويُرْوَى: «وَقَيّارًا» بالنصب، وهو لضابئ بن الحارث البُرْجُمِيِّ، من قصيدة قالَها لَمّا حَبَسَهُ عثمانُ بن عفان بسبب هجائه قومًا من بني جِرْوَلِ بن نهشل.

اللغة: الرَّحْلُ: منزل الرجل ومسكنه، قَيّارٌ: اسم فرسه، وقيل: جَمَلُهُ.

التخريج: الأصمعيات ص ١٨٤، الكتاب ١/ ٧٥، مجاز القرآن ١/ ١٧٢، ٢٥٧، ٢/ ٢٢، معاني القرآن للأخفش ص ٨٢، شرح أبيات سيبويه ١/ ٢٤٤، الإنصاف ص ٩٤، البيان للأنباري ٢/ ١٦٥، التبيان للعكبري ص٤٥١، شرح المفصل ١/ ٩٣، ٨/ ٦٨، شرح الكافية للرضي ٤/ ٣٧١، رصف المباني ص٢٦٧، اللسان: قير، مغني اللبيب ص ٦١٨، ٨١١، المقاصد النحوية ٢/ ٣١٨، شرح شواهد المغني ص ٨٦٧، همع الهوامع ٣/ ٢٠٥، ٢٠٦، خزانة الأدب ٩/ ٣٢٦، ١٠/ ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٠.

(١) المائدة ٦٩.

إلا قال ذانك المَلَكانِ: لا غفر الله لك، وقال الله تعالى وملائكته جوابًا لذينِكَ المَلَكين: آمين»[١].

ومعنى الصلاة عليه من الله: الرحمةُ والمغفرةُ له، ومن الملائكة: الاستغفارُ له.

ثم أمَرَ اللهُ المؤمنين بالصلاة عليه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾؛ أي: ادعوا له بالرحمة واستغفروا له / ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قولوا: [٨٤/ أ]
السلام عليكَ أيُّها النَّبِيُّ؛ لِما رُوِيَ عن كعب بن عُجْرةَ[٢] قال: قلنا: قد عَلِمْنا يا رسول الله السلامَ عليك، فكيف الصلاةُ عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صَلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما صَلَّيْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وبارِكْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مَجِيدٌ»[٣]، رواه البخاري عن آدم بن أَبِي إياسٍ[٤]، ورواه

(١) رواه الطبرانِيُّ عن الحسن بن عَلِيٍّ في المعجم الكبير ٣/ ٨٩، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٦٢، ٦٣، الكشاف ٣/ ٢٧٣، القرطبي ١٤/ ٢٣٣، مجمع الزوائد ٧/ ٩٣ كتاب التفسير: سورة الأحزاب.

(٢) كعب بن عُجْرةَ بن أمية بن عدي البَلَوِيُّ، أبو محمد المدنِيُّ، صحابِيٌّ شهد المشاهد كلها، سكن الكوفة، وتوفِّي بالمدينة سنة (٥١هـ)، عن خمس وسبعين سنةً، روى سبعة وأربعين حديثًا. [أسد الغابة ٤/ ٢٤٣، الأعلام ٥/ ٢٢٧].

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٧، ٥/ ٢٧٤، ٤٢٤، والبخاري في صحيحه ٦/ ٢٧ كتاب تفسير القرآن/ سورة الأحزاب، ٧/ ١٥٦، ١٥٧ كتاب الدعوات: باب الصلاة على النبي، ورواه مسلم في صحيحه ٢/ ١٦ كتاب بدء الأذان: باب الصلاة على النبي بعد التشهد.

(٤) آدم بن عبد الرحمن بن شعيب، أبو الحسن الخراسانِيُّ البغدادي الإمام الحافظ القدوة، شيخ الشام، كان ثقة مأمونًا متعبِّدًا، روى عنه البخاري وغيره، توفِّي سنة (٢٢٠هـ). [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٥، تهذيب الكمال ٢/ ٣٠١].

مسلمٌ عن بندار[١] عن غندر، كلاهما عن شعبة.

ومعنى قوله: «قد علمنا السلام عليك»: هو ما يقوله المصلي فِي التشهد: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

رُوِيَ عن الأصمعي قال: سمعت المَهْدِيَّ عَلَى مِنْبَرِ البصرة يقول: إن الله أمركم بأمْرٍ، بَدَأ فيه بنفسه، وثَنَّى بِمَلائِكَتِهِ، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾، آثَرَهُ ﷺ بها من بين الرسل، واختصكم بها من بين الأمم، فَقابِلُوا نعمةَ الله بالشكر[٢].

فصْلٌ

عن أَبِي طلحة[٣] قال: دخلتُ على النبي ﷺ، فلم أَرَهُ أَشَدَّ استبشارًا منه يومَئِذٍ، ولا أَطْيَبَ نفسًا، قال: فقلتُ: يا رسول الله: ما رأيتُكَ قَطُّ أَطْيَبَ نفسًا، ولا أَشَدَّ استبشارًا منك اليومَ، فقال: «وما يمنعني؟ خَرَجَ آنِفًا جبريلُ من عندي، قال: قال الله تعالى: «مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلاةً صَلَّيْتُ بها عليه عَشْرَ صَلَواتٍ، ومَحَوْتُ عنه عَشْرَ سيئاتٍ وكَتَبْتُ له عَشْرَ حسناتٍ»[٤].

---

(١) هو محمد بن بشار بن عثمان بن داود العبدي، أبو بكر البصري، من حفاظ الحديث الثقات، روى عنه الجماعة، وكان كثير الحديث، توفِّي سنة (٢٥٢هـ). [سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٤٤-١٤٩، الأعلام ٦/ ٥٢].

(٢) ينظر: أسباب النزول ص ٢٤٣، الوسيط ٣/ ٤٨١، تاريخ مدينة دمشق ٥٣/ ٤٢٩.

(٣) هو زيد بن سهل بن الأسود النجاري، أبو طلحة الأنصاري، صحابِيٌّ من الشجعان الرماة المعدودين في الجاهلية والإسلام، شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها، وتوفِّي سنة (٣٤هـ). [أسد الغابة ٥/ ٢٣٤، الإصابة ٢/ ٥٠٢].

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٩، والطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٢٨٠، والكبير ٥/ ١٠٠، ١٠١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦١ كتاب الأدعية: باب الصلاة على النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ يريد: عن نفاقهم، شرط ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني الفجور، وهم الزُّناة، ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهم قوم كانوا يرفعون الأخبار بما يَكْرَهُ المؤمنون، ويقولون: قد أتاكم العدو، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ جواب الشرط، وقيل[1]: نصب اللام على جواب القسم المحذوف، تقديره: واللهِ لَنُغْرِيَنَّكَ بهم؛ أي: لَنُسَلِّطَنَّكَ عليهم، والمعنى: لَنَأْمُرَنَّكَ بقتالهم حتى تقتلهم وتُخْلِيَ عنهم المدينةَ، وهو قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾؛ أي: لا يساكنونك فِي المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾؛ أي: إلا يَسِيرًا حتى يهلكوا.

وقوله: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ يعني: المنافقين أي: مطرودين مُبْعَدِينَ عن الرحمة، وهو منصوبٌ على الحال[2]، وقيل[3]: على الذم، وقوله: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ يعني: وُجِدُوا وأُدْرِكُوا ﴿أُخِذُوا۟﴾؛ أي: أُسِرُوا، والأَخِيذُ: الأَسِيرُ ﴿وَقُتِّلُوا۟﴾ للتكثير ﴿تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾/ مصدر؛ أي: خذوهم واقتلوهم قتلًا؛ أي: الحُكْمُ فيهم هذا على جهة الأمر به ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر؛ أي: سَنَّ اللهُ ذلك سُنَّةً فيمن أَرْجَفَ بالأنبياء ونافق. [٨٤/ ب]

---

(١) هذا هو الأكثر، وهو ما عليه جمهور النحاة، وهو أن القَسَمَ والشَّرْطَ إذا اجتمعا فالجواب للمتقدم منهما، وقد تقدم القسم المضمر هنا، واللَّامُ مُوَطِّئَةٌ له، وعليه فالجواب له، وأما جواب الشرط فمحذوف استغناءً عنه بجواب القسم، وأجاز الفراء كون الجواب للشرط وإن تقدم القسم عليه، ينظر: كتاب سيبويه ٣/ ٨٤، معاني القرآن للفراء ١/ ٦٥، ٦٨، ٢٢٥، ٢/ ١٣٠، ١٣١، الإغفال للفارسي ١/ ٣٩٢ وما بعدها، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٢١٥-٢١٨، شرح الكافية للرضي ٤/ ٤٩٢؛ ٤٩٤، ارتشاف الضرب ص ١٧٨٣.

(٢) هذا قول الفراء والمبرد والزجاج والنحاس، ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٠٩، ٢/ ٢٦٠، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٣٦، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢٧، وينظر أيضًا: المسائل المشكلة ص ٤٢١، ٤٢٢، وصاحب الحال هو واو الجماعة في «يُجَاوِرُونَكَ».

(٣) هذا قولٌ آخَرُ للفراء، قاله في معاني القرآن ٢/ ٣٤٩، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٢، البيان للأنباري ٢/ ٢٧٣.

وقولـه: ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ﴾ أي: مَضَوْا، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ أي: لا يُبَدِّلُ اللهُ سُـنَّتَهُ فيهم إذا أظهروا النفاق، بل يُقْتَلُونَ حيثما ثُقِفُوا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ قـال مقاتـلٌ: وعـظ الله المؤمنيـن ألا يؤذوا محمدًا ﷺ كما آذَوْا بنو إسـرائيل موسـى عليه السّـلام، وهو ما رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسـول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسـرائيل يَغْتَسِـلُونَ عُراةً، يَنْظُرُ بعضُهم إلى سَوْءةِ بعضٍ، وكان موسى يغتسل وَحْدَهُ، فقالوا: واللهِ ما يَمْنَعُ موسـى أن يغتسل معنا إلا أنه آدَرُ[1]، قال: فذهب مَرّةً يغتسل، فوضع ثَوْبَهُ على حَجَرٍ، فَفَرَّ الحَجَرُ بثوبه، فجَمَحَ موسى في إثْرِهِ، يقول: ثَوْبِي حَجَرُ! ثَوْبِي حَجَرُ! حتى نظرتْ بنو إسـرائيل إلى سَـوْءةِ موسـى عليه السّـلام، فقالوا: واللهِ ما بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، قال: فقام [إلى] الحجر بعدما نَظَرَ إليه بنو إسـرائيل، وأخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بالحَجَرِ ضَرْبًا»، قال أبو هريرة: واللهِ إنَّهُ نُدِبَ بالحَجَرِ[2] سِـتّةٌ أو سَبْعةٌ، ضَرْبَ موسى بالحجر»[3]. رواه مسلمٌ عن مُحَمَّدٍ عن رافعٍ[4] عن عبد الرزاق[5]، وهذا قول جميع المفسرين.

---

(١) الآدَرُ: هو الذي يصيبه فَتْقٌ أو انتفاخ في إحدى الخُصْيَتَيْنِ. اللسان: أدر.

(٢) النَّدَبَةُ: أثَرُ الجُرْحِ في الجِلْدِ، يقال: نَدِبَ جُرْحُهُ نَدَبًا وأنْدَبَ، وفي الحديث شُبِّهَ أثَرُ الضرب في الحجر بأثر الجرح. اللسان: ندب.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٢٩، ١٣٠ كتاب أحاديث الأنبياء: باب حديث موسـى مع الخضر، صحيح مسـلم ١/ ١٨٣، ١٨٤ كتاب الحيض: باب تَسَتُّرِ المغتسل بثوب ونحوه، ٧/ ٩٩ كتاب الفضائل: باب من فضائل موسى عليه السلام.

(٤) محمـد بن رافـع بن أبي زيد القشـيري بالولاء، أبو عبـد الله النيسـابوري، زاهد من ثقات المحدثين، كان شـيخ خراسـان مهيباً كبير القدر، توفِّي سنة (٢٤٥هـ). [سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢١٤: ٢١٨، الأعلام ٦/ ١٢٤].

(٥) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري بالولاء، أبو بكر الصنعانيُّ، رَوَى عن الثوري ومالك، =

قولـه: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩﴾ يقـال: وَجُهَ الرَّجُلُ يَوْجُـهُ وَجاهةً، فهو وَجِيهٌ: إذا كان ذا جاهٍ وقَدْرٍ، ومعناه: كان عند الله حَظِيًّا، لا يسأله شيئًا إلا أعطاه، وكان مستجابَ الدعوةِ.

قولـه تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ يعنـي: مُسْتَوِيًا عَدْلاً مستقيمًا، وقيل: صِدْقًا، وقيل: صوابًا، قال ابن عبّاسٍ والضحّاك: هو قولُ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ.

وقولـه: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ جواب الأمر، يعنـي: يُزَكِّي أعمالَكُمْ، ويتقبل حسناتكم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ يعني: ذنوب السر والعلانية، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ يعني: فِي التوحيد ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ فِي الإيمان به، شـرطٌ وجزاءٌ ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ جواب الشرط يعني: فقد نجا بالخير، وأصاب منه نصيبًا وافرًا، وظفِر به.

قوله تعالـى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ يعني: الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثوابُ، وبتضييعها العقابُ ﴿عَلَى﴾/ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ مخافةً وخشيةً، لا معصيةً ومخالفةً، والعرض كان تخييرًا لا إلزامًا، والأمانة مصدرٌ سُمِّيَ بها المفعولُ، وجمعها أماناتٌ، قال الشاعر: [٨٥/ أ]

١٤٠ ـ فَأَخْلَفْنَ مِيعادِي، وَخُنَّ أمانَتِي وَلَيْـسَ لِمَـنْ خـانَ الأمانـةَ دِيـنُ[1]

= وروى عنه ابن عيينة وابن حنبل، توفي سـنة (٢١١هـ)، ألَّفَ الجامع الكبير وتفسير القرآن. [سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٣، الأعلام ٣/ ٣٥٣].

(١) البيت من الطويل لكثير عزة.

التخريج: ديوانه ص ١٧٢، الأغاني ٤/ ١٦٦، التذكرة الحمدونية ٦/ ١٤٧، معجم البلدان ٣/ ٤١٩.

قوله: ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ يعني: خِفْنَ من العذاب، ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: آدم، وقال ثعلب(١): يريد الناس، والألِف واللام للجنس إذْ لَمْ يسبق معهود، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بخطيئته ﴿جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ بعاقبة ما يحمل من الطاعة على الثواب والعقاب.

فَصْلٌ

رُوِيَ عن الحسن فِي هذه الآية قال: «عُرِضَت الأمانةُ على السماوات السَّبْعِ الطِّباقِ التي زُيِّنَتْ بالنجوم، وحَمَلةِ العرشِ العظيمِ، فقيل لهن: أَتَأْخُذْنَ الأمانَةَ بما فيها؟ فقُلْنَ: وما فيها؟ قيل: إنْ أَحْسَنْتُنَّ جُزِيتُنَّ وإن أَسَأْتُنَّ عُوقِبْتُنَّ، فقُلْنَ: لا، ثم عُرِضَتْ على الأَرَضِينَ السَّبْعِ اللَّاتِي شُدَّتْ بالأوتاد، وذُلِّلَتْ بالمهاد، وأُسْكِنَتْ العبادَ، فقيل لهن: أَتَأْخُذْنَ الأمانةَ بما فيها؟ قُلْنَ: وما فيها؟ قيل: إن أَحْسَنْتُنَّ جُزِيتُنَّ، وإن أَسَأْتُنَّ عُوقِبْتُنَّ، قُلْنَ: لا، ثم عُرِضَتْ على الجبال الصُّمِّ الشَّوامِخِ البَواذِخِ الصِّلابِ الصِّعابِ، فقيل لهن: أَتَأْخُذْنَ الأمانةَ بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قيل: إن أَحْسَنْتُنَّ جُزِيتُنَّ وإن أَسَأْتُنَّ عُوقِبْتُنَّ، قُلْنَ: لا، فذلك قوله: «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها»(٢).

وقال ابن جريج(٣): «قالت السماء: يا ربِّ! خَلَقْتَنِي، وجَعَلْتَنِي سقفًا محفوظًا، وأَجْرَيْتَ فِيَّ الشمسَ والقمرَ والنجومَ، لا أتحمل فريضةً، ولا أبتغي

---

(١) ينظر قوله فِي زاد المسير ٦/ ٤٢٩.

(٢) ينظر: الوسيط ٣/ ٤٨٤، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٤، ٢٥٥، تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣٠.

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد، رومي الأصل، تابعي أدرك صغار الصحابة، فقيه الحرم المكي وإمام الحجاز، أول من صنف في العلم بمكة، توفِّي سنة (١٥٠هـ). [سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٥، الأعلام ٤/ ١٦٠]، وينظر قوله فِي الوسيط ٣/ ٤٨٤.

ثوابًا ولا عقابًا، وقالت الأرض: جَعَلْتَنِي بِساطًا ومِهادًا، وشَقَقْتَ فِيَّ الأنهارَ، وأَنْبَتَّ فِيَّ الأشجارَ، لا أتحمل فريضةً ولا أبتغي ثوابًا ولا عقابًا».

وقال مجاهدٌ[(١)]: «لَمّا خَلَقَ اللهُ السماوات والأرض والجبال عَرَضَ الأمانةَ عليها، فلم تقبلها، فلما خلق آدم عرضها عليه، فقال: يا ربِّ، وما هي؟ فقال: إن أَحْسَنْتَ جَزَيْتُكَ، وإن أَسَأْتَ عَذَّبْتُكَ، فقال: قد تَحَمَّلْتُها يا رَبِّ. قال مجاهدٌ: فما كان بين أن تحملها وبين أن أُخْرِجَ من الجنة إلا قَدْرُ ما بين الظُّهر والعَصر».

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه قال[(٢)]: «إن الله تعالى قال لآدم: «إنِّي عَرَضْتُ الأمانةَ على السماوات والأرض/ والجبال، فلم تطقْها، فهل أنت حامِلُها بما فيها؟ قال: إي رَبِّ، وما فيها؟ قال: إن حَفِظْتَها أُجِرْتَ، وإن ضَيَّعْتَها عُذِّبْتَ، قال: فقد حَمَلْتُها بما فيها»، قال: فما غَبَرَ[(٣)] فِي الجنة إلا كقدْرِ ما بين الظهر والعصر حتى أخرجه إبليسُ منها». [٨٥/ ب]

قال جُوَيْبِرٌ[(٤)]: قلتُ للضحّاك: «وما الأمانة؟ قال: الفرائض على كلِّ

---

(١) ينظر: جامع البيان ٢٢/ ٦٦، ٦٧، الوسيط ٣/ ٤٨٥، تاريخ دمشق ٧/ ٤٠٧-٤٠٨، الدر المنثور ٥/ ٢٢٥.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ٢٢/ ٦٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٢ كتاب التفسير: سورة الأحزاب، وينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٤٨٥، المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٢، تاريخ دمشق ٧/ ٤٠٨.

(٣) غَبَرَ: مَكَثَ وبَقِيَ. اللسان: غبر.

(٤) هو جُوَيْبِرُ بن سعيد البلخي، أبو القاسم الخراسانِيُّ، أصله من بلخ، وسكن بغداد، وحاله حسن فِي التفسير، لَيِّنٌ فِي الرواية، ضعيف متروك الحديث، تُوُفِّيَ بين سنة (١٤٠ و١٥٠هـ). [تاريخ بغداد ٧/ ٢٥٠ ميزان الاعتدال ١/ ٤٢٧]، وينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ٦٨، الوسيط ٣/ ٤٨٥، تاريخ دمشق ٧/ ٤٠٨، الدر المنثور ٥/ ٢٢٥.

مؤمنٍ، وحَقٌّ على كلِّ مؤمنٍ ألّا يَغَشَّ مؤمنًا ولا مُعاهَدًا فِي قليلٍ ولا كثيرٍ، فمن انتقص شيئًا من الفرائض فقد خان أمانته».

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال[١]: «لَمّا خَلَقَ اللهُ تعالى الأمانة مَثَّلَها صخرةً، ثم وضعَها حيث شاء، ثم دعا لها السماوات والأرض والجبال يحملنها، وقال لهن: إن هذه الأمانة لها ثوابٌ، وعليها عقابٌ، فقلن: يا ربنا، لا طاقة لنا بها، وأقبل الإنسان مِنْ قَبْلِ أن يُدْعَى، فقال للسماوات والأرض والجبال: ما وَقَفَكُمْ؟ قالوا: دعانا رَبُّنا أن نحمل هذه، فَأَشْفَقْنا منها، فلم نُطِقْها، قال: فَحَرَّكَها بيده، ثم قال: واللهِ لو شئتُ أن أحملها لحملتُها، قالوا: دُونَكَ، فحَمَلَها حتى بلغ بها ركبتَهُ، ثم وضعها، ثم قال: واللهِ لو شئتُ أن أزداد لازْدَدْتُ، قالوا: دُونَكَ، فحملها حتى بلغ بها حِقْوَيْهِ[٢]، ثم وضعها على عاتقه، ثم أهْوَى، فلما أهْوَى لِيَضَعَها قالوا: مَكانَكَ، إن هذه الأمانة لها ثوابٌ، وعليها عقابٌ، فَأَمَرَنا رَبُّنا أن نحملها، فأشفقنا منها، وحملتَها أنتَ من غير أن تُدْعَى إليها، فهي فِي عنقك وأعناق ذريتك إلى يوم القيامة»، والله أعلم.

واختلفوا فِي العَرْضِ على أعيان هذه الأشياء، فقيل[٣]: إن الله رَكَّبَ فيهنَّ العقل، وأفهمهن خطابه حتى فَهِمْنَ، وأُنْطِقْنَ بالجواب، وقيل[٤]: عرضها على مَنْ فيها من الملائكة، وقيل[٥]: عرضها على أهلها دون أعيانها، وهذا كقوله

(١) ينظر: تفسير القرطبي ٤/ ٢٥٧.

(٢) الحِقْوانِ: مثنى حِقْوٍ وهو الخَصْرُ ومَعْقِدُ الإزار، وجمعه أَحْقاءٌ وأَحْقٍ وحِقِيٌّ. اللسان: حقو.

(٣) حكاه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٢٩، وينظر: المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٢، زاد المسير ٦/ ٤٢٨.

(٤) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٢.

(٥) ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٣٢٩، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٨٣.

تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[1] وبابِهِ، والتأويل الأوَّل أَصَحُّ وأَشْبَهُ بظاهر الآية، وما بعده ظاهر التفسير إلى آخرها، والله أعلم.

* * *

(١) يوسف ٨٢.

سورة سبأ

مكية

وهي ثلاثة آلافٍ وخمسمائةٍ واثنا عشر حرفًا، وثمانمائةٍ وثلاثٌ وثمانون كلمةً، وخمسٌ وخمسون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة سبأ لَمْ يَبْقَ نَبِيٌّ ولا رسولٌ إلا كان له يومَ القيامةِ رفيقًا ومُصافِحًا»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة سبأ ضُوعِفَ له الأجرُ أضعافًا، فلا يُحْصَى بعددٍ ولا حسابٍ، ثم يُوضَعُ له أجْرُهُ على الكرسيِّ/ حيث لا يراه إلا الله»(٢). [٨٦/ أ]

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يعني: الشكر للهِ على نِعَمِهِ السوابغِ على

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٦٩، الوسيط ٣/ ٤٨٦، الكشاف ٣/ ٢٩٧، مجمع البيان ٨/ ١٩٠.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

جميع خلقه، فهو وَلِيُّ الحمد ومنتهى الحمد ووَلِيُّ النعم، والحمد هو الوصف بالجميل على وجه التعظيم، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِن خَلْقٍ، ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن خَلْقٍ، فهو المَلِكُ والمالك، لا شريك له في ذلك، و﴿ٱلَّذِى﴾ في موضع خفضٍ على النعت أو البدل، ويجوز أن يكون في موضع رفعٍ على إضمار مبتدأٍ، وأن يكون في موضع نصبٍ بمعنى: أعْنِي[1]، وحكى سيبويه[2]: الحمدُ للهِ أهلِ الحمد بالنصب والرفع والخفض.

قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ كما هو له فِي الدنيا؛ لأن النِّعَمَ فِي الدّارَيْنِ كُلَّها منه، فيَحْمَدُهُ أولياؤُهُ إذا دخلوا الجنة، فيقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[3]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[4]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[5]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمره ﴿ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ بِخَلْقِهِ؛ لعلمه بجميع الأشياء، ما كان منها وما لَمْ يكن، وهو مبتدأٌ وخبرٌ.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ما يدخل فِي الأرض من مطرٍ أو حَبٍّ أو نَوًى أو كَنْزٍ أو مَيْتٍ وما أشبه ذلك، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات والكنوز وسائر المعادن من الذهب والفضّة والصُّفْرِ[6] والنحاس والحديد والرصاص، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من ماءٍ أو مصيبةٍ أو رزقٍ وغير ذلك،

---

(١) هذه الأوجه قالها النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٣١، وينظر: الدر المصون ٥/ ٤٢٨.

(٢) الكتاب ٢/ ٦٢-٦٣، فالنصب على المدح، والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، والخفض على أنه نعتٌ لِلَفْظِ الجلالةِ.

(٣) الزمر ٧٤.

(٤) الأعراف ٤٣.

(٥) فاطر ٣٤.

(٦) الصُّفْرُ: النُّحاسُ الجَيِّدُ، وَقِيلَ: هُوَ ما صَفُرَ مِنْهُ، واحِدَتُهُ صُفْرةٌ. اللسان: صفر.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾؛ أي: يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد، ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بخَلْقِه، فلا أرْحَمَ منه، كَلَّفَهُم اليسيرَ، ورَفَعَ عنهم العَسِيرَ، وصَرَفَ عنهم الوَبِيلَ، وشَكَرَ لهم القليلَ ﴿ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ لِمَنْ تاب إليه، غفر لهم الذنوب العظامَ، وسَتَرَ عليهم قبائح الآثام.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني منكري البعث من أهل مكة ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ﴾ يا محمدُ ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى﴾ قَسَمٌ ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ جواب القسم، ثم عاد ـ جل جلاله ـ بتمجيدِه وتحميدِه والثناء على نفسه، فقال: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾.

واختلف القُرّاءُ فيه، فقرأ يَحْيَى والأعمشُ وحَمْزةُ والكسائيُّ: «عَلَّامِ الغَيْبِ» بِخَفْضِ الميمِ على وزن «فَعّال»، وهي قراءة عبد الله وأصحابِهِ، وقرأ أهلُ الْمَدِينةِ وابنُ عامرٍ ورويسٌ: «عالِمُ» برفع الميم على الاستئناف[1]، وقيل[2]: على خبر ابتداءٍ مَحْذُوفٍ، تقديره: هو عالِمُ الغيب.

وقرأ ابن كثيرٍ وأبو عمرٍو وعاصمٌ ورَوْحٌ[3]: «عالِمِ» بجر الميم[4] رَدًّا

---

(١) ويكون «عالِمُ الْغَيْبِ» مبتدأ، وخبره «لا يَعْزُبُ عَنْهُ»، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٥١، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٠، إعراب القرآن ٣/ ٣٣١، الحجة للفارسي ٣/ ٢٨٨

(٢) قاله الزجاج وغيره، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٠، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣١، الحجة للفارسي ٣/ ٢٨٨.

(٣) هو رَوْحُ بن عبد المؤمن الهُذَلِيُّ بالولاء، أبو الحسن البصري، مقرئ جليل ثقة ضابط صدوق، قرأ على يعقوب الحضرمي، توفي سنة (٢٣٣هـ)، وقيل: (٢٣٥هـ). [تهذيب الكمال ٩/ ٢٤٦-٢٤٧، غاية النهاية ١/ ٢٨٥].

(٤) ينظر في هذه القراءات: السبعة ص ٥٢٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٠٨، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٠١، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٠، البحر المحيط ٧/ ٢٤٨، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٨٠-٣٨١.

[٨٦/ ب] على قوله: ﴿وَرَبِّي﴾، وهو خفضٌ بواو القسم، وهو اختيار/ أبي عبيدٍ فيه وفي أمثاله، يُؤْثِرُ النعوتَ على الابتداء.

ويجوز النصب بمعنى: أعني[١]، وقيل: بِنَزْعِ الواو من «عالِمِ»، قاله الخليل[٢]، وهو خفض بواو القسم، فـ«عالِمٌ» يكون للقليل والكثير، وَ«عَلَّامٌ» للتكثير[٣].

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المعنى: لَتَأْتِيَنَّكُم الساعةُ؛ لِيَجْزِيَ الذين آمنوا، ثم بَيَّنَ جزاءَ الفريقين فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: الذين آمنوا ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ حسَنٌ، يعني: فِي الجنة.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا﴾؛ أي: عملوا فِي إبطال أدِلَّتِنا والتكذيب بكتابنا ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ يعني: مُشاقِّينَ مُغالِبِينَ يحسبون أنهم يفوتوننا، وقرأ مَكِّيٌّ وأبو عمرٍو: «مُعَجِّزِينَ»[٤]؛ أي: مُثَبِّطِينَ الناسَ عن اتباع الرسول والإيمان بالقرآن، نظيرها فِي سورة الحج[٥]، وهو نصبٌ على الحال.

وأصل العجز الضعف، يقال: عَجَزَ عن الأمر يَعْجِزُ عَجْزًا، فهو عاجزٌ،

---

(١) أو بمعنى: اذْكُرْ عالِمَ الغيب، وهذا في غير القرآن، وأما في القرآن فلا يجوز؛ لأنه لَمْ يُقرأْ به، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٠، إعراب القرآن ٣/ ٣٣١.

(٢) الجمل المنسوب للخليل ص ١٠٩-١١٠، ومعني هذا الكلام أن الأصل فيه «وَعالِمِ الْغَيْبِ» بواو القسم، فلما حذفت واو القسم نصب.

(٣) قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٢.

(٤) وبها قرأ أيضًا ابنُ كثير والجحدريُّ وأبو السمال واليزيديُّ وحُمَيْدُ بنُ قيس ومجاهدٌ، ورُوِيَتْ عن ابن محيصن، ينظر: السبعة ص ٤٣٩، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦١، الإتحاف ٢/ ٢٧٨، ٣٨١.

(٥) الحج ٥١، وانظر ما سبق ١/ ٢٥٨.

ثـم قيل لكل مُغالِبٍ: مُعاجِـزٌ، كأنه يطلب عَجْزَ صاحِبِهِ، وقـال أبو عبيدة[١]: معنى ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مسـابِقين. وليس بشـيءٍ؛ لأنه لا يقال: سُوبِقَ اللهُ، كما لا يقال: فلانٌ يُغالِبُ اللهَ، ولا يقال أيضًا: عاجَزَ: إذا سـابَقَ، وإنما أراد أبو عبيدة تأويل قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾[٢].

وقولـه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾ قرأ ابـنُ كثيرٍ ويعقوبُ وحَفْـصٌ والمُفَضَّلُ الميمَ بالرفع على نعت العذاب، وقرأ غيرهم بالخفض[٣] على نعت الرِّجْزِ، والرِّجْزُ أسوأ العذاب، ومثله فِي الجاثية[٤].

قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ هو معطوفٌ على قوله: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: وَلِيَـرَى الذين أُوتُوا العلمَ، يعني: مؤمني أهـل الكتاب: عبدَ الله بن سـلام وأصحابَـهُ، وقيل: هم أصحـاب محمدٍ ﷺ، ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ مفعول «يَرَى» ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ فَصْلٌ عند البصريين، كقوله: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾[٥]، وعِمادٌ عند الكوفيين، قال الشاعر:

١٤١ـ لَيْتَ الشَّبابَ هُوَ الرَّجِيعُ عَلى الفَتَى وَالشَّيْبَ كانَ هُوَ البَدِيءُ الأَوَّلُ[٦]

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٤٢.

(٢) العنكبوت ٤، على أن أبا عبيدة في كلامه الذي أورده الجبليُّ هنا ثم رَدَّهُ، إنما كان يُؤَوِّلُ آيةَ سبأ التي معنا، لا آية العنكبوت كما زعم الجبليُّ.

(٣) ينظـر: السـبعة ص ٥٢٦، تفسـير القرطبـي ١٤/ ٢٦١، البحر المحيط ٧/ ٢٤٩، النشـر ٢/ ٣٤٩، الإتحاف ٢/ ٣٨١.

(٤) الجاثية ١١، وانظر ما سيأتي ٣/ ٣٠.

(٥) آل عمران ١٨٠.

(٦) البيت من بحر الكامل، لَمْ أقف على قائله، والرجيع: كل ما رُجِعَ فيه من قول أو فعل.

التخريـج: معانـي القرآن للفـراء ١/ ٤١٠، ٢/ ٣٥٢، الزاهر لابن الأنبـاري ٢/ ٢١٢، =

فـ﴿هُوَ﴾ الأول عمادٌ، والثانِي اسمٌ، و﴿ٱلْحَقَّ﴾ منصوبٌ بوقوع الفعل عليه، وهو مفعولٌ ثانٍ، قال الشاعر:

١٤٢ ـ وَكائِنْ بِالأَباطِحِ مِنْ صَدِيقٍ يَرانِي إِنْ أُصِبْتُ هُوَ المُصابا[1]

ومن قرأ: «الحَقُّ» بالرفع[2] جعل «هُوَ» ابتداء و«الحَقُّ» خبره.

قوله: ﴿وَيَهْدِىٓ﴾ يعني: القرآن ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ يعني: إلى دِين الله العزيز فِي ملكه الحميد عند خَلْقِه، وهو الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني منكري البعث ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون محمدًا ﷺ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾؛ أي: بَلِيتُمْ بقَطْع أجسامكم، وفُرِّقْتُمْ كل تفريقٍ، وقُطِّعْتُم كل تقطيع، وصِرْتُمْ رُفاتًا وتُرابًا ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ﴾/ ﴿جَدِيدٍ ۝٧﴾ أي: يُجَدَّدُ خَلْقُكُمْ وتُبعثون وتُنشرون بعد هذا. [٨٧/ أ]

= التبيان للطوسي ٨/ ٣٧٧، عين المعانِي ورقة ١٠٥/ ب، الجنى الدانِي ص ٤٩٣، شفاء العليل ص ٣٥٢، الدر المصون ٦/ ٤٣، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٥٦.

(١) البيت من الوافر لجرير، ورواية ديوانه: «لَوْ أُصِبْتُ»، ويُرْوَى: «وَكَمْ لِي فِي الأَباطِحِ»، ويُرْوَى: «يَراهُ لَوْ أُصِبتُ»، والأباطح: جمع أَبْطَحَ وهو مَسِيلٌ فيه دِقاقُ الحَصَى.

التخريج: ديوانه ص ٢١ (ط دار بيروت)، معانِي القرآن وإعرابه ١/ ٤٧٥، الحجة للقراء السبعة ٤/ ٤٧، المسائل المشكلة ص ٤٠٢، أمالي ابن الشجري ١/ ١٦٠، البيان للأنباري ١/ ٢٢٥، شرح شواهد الإيضاح ص ٢٠٠، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٢٤٧، شرح المفصل ٣/ ١١٠، ٤/ ١٣٥، عين المعانِي ورقة ١٠٥/ ب، أمالِي ابن الحاجب ص ٦٦٢، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١٦٨، شرح الكافية للرضي ٣/ ٦١، رصف المبانِي ص ١٣٠، ارتشاف الضرب ص ٩٥٧، مغني اللبيب ص ٦٤٣، شرح شواهد المغني ص ٨٧٥، همع الهوامع ١/ ٢٢٨، ٢/ ٥٠٤، خزانة الأدب ٥/ ٣٩٧، ٤٠١.

(٢) قرأ «الحَقُّ» بالرفع ابنُ أَبِي عبلة، وحكاه أبو معاذ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٢، البحر المحيط ٧/ ٢٤٩.

قال صاحب إنسان العين[١]: وعامل ﴿إِذَا﴾ محذوف أي: بُعِثْتُمْ، دَلَّ عليه ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، [ولا يجوز أن يكون العامل في][٢] ﴿إِذَا﴾: ﴿مُزِّقْتُمْ﴾[٣]، وإنما يعمل في ﴿إِذَا﴾ إذا كان مجزومًا بها، نحو: مَنْ أَضْرِبْ يَضْرِبْنِي، فإنه إذا لَمْ يُجْزَمْ بها كانت مضافةً إلى الفعل، والمضاف إليه لا يعمل فِي المضاف، والجزم بـ﴿إِذَا﴾ ـ وإن جاء في الشِّعر ضرورةً ـ لا يُحْمَلُ عليه القرآنُ[٤]، ورواية الجزم في الشِّعر كما قال:

١٤٣ ـ إذا قَصُرَتْ أَسْيافُنا كانَ طُولُها ... خُطانا إِلَى أعْدائِنا فَنُضارِبِ

وخَطَّأَهُ المغربِيُّ[٥]؛ لأن القصيدة مرفوعة القوافِي، وفيها:

١٤٤ ـ وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا والغُواةُ صَحابَتِي ... أُولَئِكَ خُلْصانِي الَّذِينَ أُصاحِبُ

وفيها:

---

(١) ينظر: عين المعانِي ورقة ١٠٥/ ب، ١٠٦/ أ.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) أجاز الزجاج والنحاس أن يكون «مُزِّقْتُمْ» هو العامل في «إذا»، قال الزَّجّاجُ: «إذا في موضع نصب بـ«مُزِّقْتُمْ»، ويكون «إذا» بمنزلة «إنْ» الجزاء، يعمل فيها الذي يليها». معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤١، وينظر: إعراب القرآن ٣/ ٣٣٣.

(٤) قال سيبويه: «وقد جازَوْا بِها في الشعر مضطرين، شبهوها بـ«إنْ» حيث رأوها لِما يُسْتَقْبَلُ، وأنها لا بد لَها من جواب، وقال قيس بن الخطيم الأنصاري:

إذا قَصُرَت أسيافُنا كانَ وَصلُها ... خُطانا إلَى أعدائنا فنُضارِبِ

فهذا اضطرار، وهو في الكلام خطأ». الكتاب ٣/ ٦١، ٦٢، وينظر أيضًا: المقتضب ٣/ ٥٥، ٥٦، المسائل المشكلة ص ٢١٣، ٢١٤، وقد أجاز ابن مالك الجَزْمَ بها فِي الشعر، ولم يجعله ضرورةً، وذلك في شرح التسهيل ٤/ ٨٢.

(٥) هذا أيضًا من كلام السجاوندي، وضمير المفعول في قوله: «وَخَطَّأَهُ» يعود على الزجاج، فهو يرد على الزجاج في قوله: «إذا في موضع جزم بـ﴿مُزِّقْتُمْ﴾»، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤١.

١٤٥ ـ فَلِلْمالِ عِنْدِي اليَوْمَ راعٍ وَكاسِبُ[(١)]

ولا يَجُـوز أن يعمل فِي ﴿إِذَا﴾: ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾؛ لأن التنبيه قبل التمزق[(٢)]، ولا ﴿جَدِيدٍ﴾؛ لأن مـا بعـد «إنّ» لا يعمل فيه ما قبله، ومثله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[(٣)]، ونصب كُلًّا على الظرف[(٤)].

---

(١) هذا البيت والبيتان الســابقان عليه من بحر الطويل، وهي للأخنس بن شــهاب التغلبي، من قصيدة مرفوعة القوافِي، ورواية الأول في قصيدته:

وَإِن قَصُرَت أَسـيافُنا كانَ وَصلُها ... خُطانا إِلَى القـوم الذينَ نُضارِبُ

وصدر الثالث وروايته في قصيدته:

فَأَدَّيتُ عَنّي ما اسْتَعَرْتُ مِنَ الصِّبا ... وَلِلمـالِ مِنّي اليَوْمَ راعٍ وَكاسِــبُ

ونُسِـبَ الأول لغيره من الشـعراء، فقد نُسِبَ لقيس بن الخطيم، وهو في ديوانه من قصيدة مجـرورة القوافِـي، وليس فيهـا البيتان الآخَرانِ، ونُسِـبَ لكعب بن مالـك، ولعمران بن حِطّانَ، ولشَهْمِ بنِ مُرّةَ، ولرُقَيْمٍ أخي بني الصادرة، ولضِرارِ بنِ الخطاب الفِهْرِيِّ.

اللغة: خُلْصانِي: مَنْ خَلُصَتِ المودةُ بيني وبينهم.

التخريج: شـعر تغلب في الجاهلية ص ١١٦، ١٢٤، المفضليات ص ٢٠٤، ٢٠٧، ديوان قيس بن الخطيم ص٨٨، شعر الخوارج ص ٤٦، الكتاب ٣/ ٦١، مجاز القرآن ٢/ ٢٥٩، المقتضب ٢/ ٥٥، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٢، شـرح أبيات سيبويه ٢/ ١٣٧، الحلل ص ٧١، ٢٩٣، أمالـي ابن الشـجري ٢/ ٨٢، شــرح الجمل لطاهر بـن أحمد ١/ ٣٣٥، منتهـى الطلب ٣/ ٣٩٢، ٣٩٦، شـرح المفصـل ٤/ ٩٧، التذكـرة الحمدونية ٢/ ٤٠٢، شرح التسهيل لابن مالك ٤/ ٨٢، شرح الكافية للرضي ٣/ ٢٧٣، خزانة الأدب ٢/ ٢٦٣، ٦/ ٢٢٢، ٧/ ٢٥، ٢٧، ٣١.

(٢) يعنـي أنه ليس ينبئهم في ذلك الوقت، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٣٣٣، المسـائل المشـكلة ص ٢١٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢١٧، ٢١٨.

(٣) المؤمنون ١٠١.

(٤) هذا إذا جُعِلَ ﴿مُمَزَّقٍ﴾ ظرف مكان، وهو قول الزمخشري، فقد قال: «فهل يجوز أن يكون مكانا؟ قلت: نعم، ومعناه: ما حصل من الأموات في بطون الطير والسـباع، وما مَرَّتْ به =

وقيل[١]: لأنه اسمٌ أُقِيمَ مُقامَ المصدر، تقديره: إذا مُزِّقْتُمْ تَمْزِيقًا.

وقوله: ﴿إِنَّكُمۡ لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍ﴾ يُقرأ بكسر الألِف[٢] على الابتداء والحكاية، مجازه: يقول محمدٌ: إنّكم لفي خلقٍ جديدٍ، يعني: نُبْعَثُ بعد الموت، ونُعادُ خَلْقًا جديدًا، قال ذلك كفارُ مكة على وجه التعجب والتكذيب.

قوله: ﴿أَفۡتَرَىٰ﴾؛ أي: اخْتَلَقَ محمدٌ ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حين يَزْعُمُ أنّا نُبْعَثُ بعد الموت، والألِف ألِف استفهامٍ، وهو استفهامُ تَعَجُّبٍ وإنْكارٍ، ولَمّا دخلت ألِف الاستفهام استغنيتَ عن ألِف الوصل، فحذفتَها، وكان فتح ألِف الاستفهام فَرْقًا بينها وبين ألِف الوصل[٣].

وقوله: ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ استفهامٌ ثانٍ، يقولون: أزَعَمَ محمدٌ كَذِبًا أم به جنونٌ؟ فَرَدَّ اللهُ عليهم، فقال: ﴿بَلِ﴾؛ أي: ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: يصدقون بالبعث ﴿فِى ٱلۡعَذَابِ﴾ فِي الآخرة ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨﴾ من الحق فِي الدنيا.

ثم وعظهم ليعتبروا، فقال: ﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ

= السيولُ، فذهبت به كل مكان، وما سَفَتْهُ الرياحُ، فطرحته كل مَطْرَحٍ»، الكشاف ٣/ ٢٨٠، ٢٨١، وينظر: البحر المحيط ٧/ ٢٥٠، الدر المصون ٥/ ٤٣٢.

(١) ذكره الزمخشري بغير عزو في الكشاف ٣/ ٢٨٠، وينظر: البحر المحيط ٧/ ٢٥٠، الدر المصون ٥/ ٤٣٢.

(٢) لَمْ يَقرأ أحدٌ بغير هذه القراءة كما يوهم كلام المؤلف.

(٣) من أول قوله: «ولما دخلت ألف الاستفهام» قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٣، وقد قرأ ثابتٌ والأنطاكيُّ: «اِفْتَرَى» بهمزة وصل مكسورة فِي الابتداء، ينظر: شواذ القراءة للكرماني ورقة ١٩٦.

﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وذلك أن الإنسان حيثما نَظَرَ رأى السماء، والأرض قُدّامَهُ وخَلْفَهُ، عن يمينه وعن شِماله.

والمعنى: أنهم حيث كانوا فإن أرْضِي وسَمائِي مُحِيطةٌ بهم، لا يَخْرُجُونَ من أقطارها، وأنا القادرُ عليهم لا يعجزونني / ، إن شئت خسفتُ بهم أرْضِي، [٨٧/ ب] وإن شئتُ أسقطتُ عليهم كِسْفًا، أي: قِطْعةً من سمائي، وهو قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ شرط وجزاء.

قرأ العامة بالنون فِي ثلاثتها، وقرأ الأعمشُ وحمزةُ والكسائيُّ وخلَفٌ كُلَّها بالياءِ[١]، وهو اختيار أَبِي عبيدٍ، قال: لذكر الله عزّ وجلّ قبله، وأدغم الكسائي وحده الفاءَ فِي الباء من قوله: «يَخْسِفْ بِهِمُ»[٢].

قال أبو عليٍّ الفارسي[٣]: وذلك غير جائزٍ؛ لأن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطرافِ الثنايا العليا، وانحدر الصوت به إلى الفم، حتى اتصلت بمخرج الثاء؛ ولهذا جاز إبدال الثاء بالفاء في نحو الجَدَثِ والجَدَفِ، وهو القَبْرُ؛ للمقاربة بينهما، فلم يجز إدغامه في الباء، كما لا يجوز إدغام الباء فيه؛ لزيادة صوت الفاء على صوت الباء.

وقرأ حفص: «كِسَفًا»[٤] بفتح السين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيما ترون من

(١) قرأ بالياء في ثلاثتها أيضًا: ابنُ وَثّابٍ وعيسى بنُ عُمَرَ وطلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ، ينظر: السبعة ص ٥٢٧، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٠٢، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٤، البحر المحيط ٧/ ٢٥١، الإتحاف ٢/ ٣٨٢.

(٢) ينظر: السبعة ص ٥٢٧، الإتحاف ٢/ ٣٨٢.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣/ ٢٨٩-٢٩٠ باختلاف في ألفاظه.

(٤) قرأ حفصٌ وأبو عبد الرحمن السلميُّ: «كِسَفًا» بفتح السين، وقرأ الباقون بإسكانها، ينظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٤، الإتحاف ٢/ ٣٨٢، وانظر الآية ٤٨ من سورة الروم ٢/ ٤٥.

السماء والأرض ﴿لَآيَةً﴾ تدل على قدرة الله تعالى على البعث، وعلى ما يشاء من الخسف بهم ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ تائبٍ على ربه راجعٍ إليه بقلبه.

قولـه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ يعني النُّبُـوّةَ والزَّبُورَ والصوتَ الحَسَـنَ، ومـا أُعْطِيَ مـن المُلْكِ في الدنيا، وما سُـخِّرَ له مـن الجبال والطير والحديـد، ثم بيَّنَ ما أعطاه، فقال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ مجازه: وقلنا: يا جبال أوِّبي معه[1]؛ أي: سَبِّحِي معه إذا سَبَّحَ، وقال بعضهم[2]: هو التفعيل من الإيابِ، أي: رَجِّعِي معه التسـبيحَ، وقيل: سِيرِي معه كيف شاء، قال القتيبي[3]: وأصله من التأويب فِي السير، وهو أن تسير النهارَ كُلَّهُ، وتَنْزِلَ ليلاً، قال ابن مقبلٍ:

١٤٦ ـ لَحِقْنا بِحَيٍّ أَوَّبُوا السَّيْرَ بَعْدَما دَفَعْنا شُعاعَ الشَّمْسِ والطَّرْفُ يَجْنَحُ[4]

كأنه أراد: أوِّبي النهارَ كُلَّهُ بالتسبيح معه، وقيل[5]: ﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾: نُوحِي معه، والطيرُ تساعدك على ذلك.

---

(١) أي أنه مقول لقول محذوف، قال أبو عبيدة: «مَجازُهُ مَجازُ المُخْتَصَرِ الذي فيه ضمير: وقلنا: يا جبال أوِّبي معه». مجاز القرآن ٢/ ١٤٢، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٣.

(٢) هذا قول الحسـن وقتادة وأبي عبيد. ينظر: الكشـف والبيان ٨/ ٧١، الكشـاف ٣/ ٢٨١، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٥.

(٣) تفسير غريب القرآن ص ٣٥٣.

(٤) البيت من الطويل لابن مقبل، ونُسِبَ للراعي النميري، وهو فِي ديوانه، وروايته فِي ديوانِهما: «والطرفُ مُجْنَحُ».

اللغة: دَفَعْنا شـعاعَ الشـمسِ: عن أعيننا بالراح؛ لنتمكن من النظر إليهـا، مُجْنَحُ: مُمالٌ إلى الشمس ينظر متى تغيب.

التخريـج: ديوان ابن مقبل ص ٢٥١، ديـوان الراعي ص ٣٩، عين المعانِي ورقة ١٠٦/ أ، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٥، البحر المحيط ٧/ ٢٥٢، روح المعانِي ٢٢/ ١١٣.

(٥) قاله وهب بن منبه، ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٧١، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٥.

قيل[١]: كان داود عليه السّلام إذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بِصَداها، وعَكَفَت الطيرُ عليه من فوقه، فَصَدَى الجبالِ الذي يسمعه الناسُ من ذلك اليوم.

وقرأ الحسنُ وجماعةٌ: «أُوبِي مَعَهُ»[٢]؛ أي: سِيرِي وارْجِعِي معه، والأوّابُ: العابد الراجع إلى العبادة، وأصله الرجوع، والمُسَبِّحُ: المُطِيعُ، وكان داودُ عليه السّلام إذا وَجَدَ فَتْرةً أمَرَ الجبالَ، فَسَبَّحَتْ حتى يَشْتاقَ[٣].

قوله: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ قرأه العامةُ بالنصب، وله وجهان: أحدهما: بإضمار فعلٍ، تقديره: وسَخَّرْنا له الطيرَ، كقوله: أطعمتُهُ طَعامًا وماءً، تريد: وسقيته ماءً[٤]، والثاني: على النداء عطفًا على / موضع الجبال[٥]؛ لأن كلَّ منادًى في [٨٨/ أ] موضع نصبٍ، ويحتمل أن يكون نصبه على أنهما نداءان، أحدهما ليست فيه الألف واللام[٦]، فإذا عطفت اسمًا منادًى فيه الألف واللام على اسمٍ ليس فيه

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٧١، زاد المسير ٥/ ٣٧٣، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٥.

(٢) هذه قراءة ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٢، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٥، البحر المحيط ٧/ ٢٥٢، الإتحاف ٢/ ٣٨٢.

(٣) ينظر: زاد المسير ٥/ ٣٧٣، تفسير القرطبي ١١/ ٣١٩، الدر المنثور ٤/ ٣٢٦.

(٤) هذا قول أبي عمرو بن العلاء، حكاه عنه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٤٣، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٣، إعراب القرآن ٣/ ٣٣٤، معاني القراءات ٢/ ٢٨٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٤.

(٥) هذا قول الخليل وسيبويه، ينظر: الكتاب ٢/ ١٨٦، وحكاه الزجاجي عن أبي عمرو في الجمل ص ١٥١، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٣، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٦) يعني على نية تكرير حرف النداء، وهذا قول الفراء في معاني القرآن ١/ ١٢١، ٢/ ٣٥٥، وقاله صاحب الجمل المنسوب للخليل ص ٨٣.

الألـف واللام، فالأول مرفوعٌ والثاني منصوبٌ، وقيـل[١]: الواو بمعنى «مَعَ» أي: مع الطير، فتكون الطير مأمورةً بالتأويب معه.

وقـرأ يعقوب والأعرج وأبو عبد الرحمن السُّـلميُّ بالرفع[٢] عطفًا على الجبال، كقول الشاعر:

١٤٧ ـ ألا يـا زَيْدُ والضَّحّاكُ سِـيرا   فَقَـدْ جاوَزْتُمـا خَمَـرَ الطَّرِيـقِ[٣]

يجـوز رفـع «الضحّاك» ونصبـه، فالرفع علـى اللفـظ، والنصب على الموضع[٤].

---

(١) هذا قول الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه٤/ ٢٤٣، إعراب القرآن ٣/ ٣٣٤.

(٢) وبهـا قـرأ أيضًا عبدُ الوارث عن أبي عمـرو، ونصرُ بنُ عاصم وأبو يحيـى وأبو نوفل وابنُ أبي عبلة، ورَوْحٌ في روايةٍ عنه، وابنُ أبي إسـحاق ومسلمةُ بنُ عبد الملك وعبيدُ بن عمير، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٢، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٦، البحر المحيط ٧/ ٢٥٣، الإتحاف ٢/ ٣٨٢.

(٣) البيـت من الوافر، لَمْ أقـف على قائله، ويُرْوَى: «ألا يا عَمْـرُو»، و«الضحاك» يروى بالرفع والنصب.
اللغة: الخَمَرُ: مكان منخفض يختفي فيه الذئب.
التخريج: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٥٥، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٠٨، الجمل للزجاجي ص ١٥٣، الأزهية ص ١٦٥، الحلل ص ١٩٦، الأضداد لابن الأنباري ص ٥٣، الكشـف والبيان ٨/ ٧٢، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٢٥٨، ثمار الصناعة للجليس الدينوري ص ٣٥٠، شرح المفصل ١/ ١٢٩، عين المعانِي ورقة ١٠٦/ أ، تفسير القرطبي ٣/ ٥١، اللسان: خمر، الدر المصون ٥/ ٤٣٤، شفاء العليل ص ٩٨١، همع الهوامع ٣/ ١٩٩.

(٤) وكان والخليـل وسـيبويه والمازنـيُّ يختارون الرفـع عطفًا على اللفـظ، وكان أبو عمرو وعيسـى بن عمر ويونس وأبـو عمر الجرمي يختارون النصب عطفـاً على المحل، ينظر: الكتـاب ٢/ ١٨٦-١٨٧، المقتضـب ٤/ ٢١٢، ٢١٣، معانِي القـرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٣، الأصول لابن السراج ١/ ٣٣٦، إعراب القرآن ٣/ ٣٣٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٤.

قولـه: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ كان في يده كالطين المبلول والعجين والشمع، يُصَرِّفُهُ كيف شاء، من غير إدخالِ نارٍ ولا ضربٍ بحديدٍ، وهو قوله: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ دُرُوعًا كَوامِلَ واسعات، ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾؛ أي: لا تجعل مسمار الدرع دقيقًا فَيَقْلَقَ، وَلا غَلِيظًا فَيَكْسِرَ الحِلَقَ[1].

والسَّرْدُ: نَسْجُ حِلَقِ الدروع، ومنه قيل لصانع الدروع: السَّرّادُ، والزَّرّادُ، تُبْدِلُ من السين الزايَ كما يقال: صراطٌ وزِراطٌ[2]، قال أبو ذؤيبٍ:

١٤٨ - وَعَلَيْهِما مَسْرُودَتانِ قَضاهُما ... داوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ[3]

وأصله الوصل والنظم، والسَّرْدُ أيضًا: الخَرْزُ، يُقالُ لِلإِشْفَى: مِسْرَدٌ

(١) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٥٦، وينظر: الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٣٧.

(٢) من أول قوله: «لا تجعل مسمار الدرع دقيقًا». قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٣٥٤، وينظر: معاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٧، غريب القرآن للسجستاني ص ١٢٦، تهذيب اللغة ١٢/ ٣٥٦.

(٣) البيت من الكامل، ويُرْوَى: «وَعَلَيْهِما ماذِيَّتانِ»، ويُرْوَى: «وَتَعاوَرا مَسْرُودَتَيْنِ قَضاهُما»، ويُرْوَى: «صَنَعَ السَّوابِغَ تُبَّعُ» على أن «صَنَعَ» فعل ماضٍ و«السَّوابِغَ» مفعول به، وهذه رواية الأصمعي، ويُرْوَى: «صَنَعُ السَّوابِغِ» مضاف ومضاف إليه على أن لفظ «صَنَع» وصف، يقال: رجلٌ صَنَعُ اليدينِ: إذا كان ماهرًا حاذقًا، والمَسْرُودةُ: الدِّرْعُ المثقوبة، تُبَّعُ: أحد ملوك حمير، تُنْسَبُ إليه الدروعُ التُّبَّعِيّةُ.

التخريج: شرح أشعار الهذليين ص ٣٩، مجاز القرآن ١/ ٥٢، ٢٧٥، ٢/ ٢٤، ١٤٣، المعاني الكبير ص ١٠٣٩، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٨٨، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٧، ٤/ ٣٨٢، الزاهر ١/ ٤٣٧، ٤٨٦، سر صناعة الإعراب ص ٧٦٠، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص ١٠١، المحرر الوجيز ٥/ ٧، شرح المفصل ٣/ ٥٨، ٥٩، عين المعاني ١٠٦/ أ، ١١٧/ أ، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٨، ١٥/ ٣٤٥، اللسان: تبع، صنع، قضى، البحر المحيط ٧/ ٢٤٥، ٤٦٧، الدر المصون ٦/ ٥٩، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ١١٣، التاج: صنع، قضى.

وَسِرادٌ، وللخَرَزِ: سَرْدٌ[١]، قال الشماخ:

١٤٩ ـ كَما تابَعَتْ سَـرْدَ العِنانِ الخَوارِزُ[٢]

ويقال: سَرَدَ الكلامَ: إذا أَتْبَعَ بعضَهُ بَعْضًا[٣].

قوله: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ يعني داود وأهله؛ أي: اشكروا اللهِ بما هو أَهْلُهُ، و﴿صَٰلِحًا﴾ نعـتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، تقديـره: واعملوا عملًا صالحًا ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾ بأعمالكم، لا تخفى عَلَيَّ ضمائر القلوب.

قوله: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ قرأه العامة بنصب الحاء؛ أي: وسخَّرْنا لسليمانَ الرِّيـحَ، وروى أبو بكرٍ والمفضَّل عن عاصمٍ بالرفع[٤] على خبر حرف الصفة،

---

(١) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٣٥٤، والإشْفَى: المِثْقَبُ الذي يُخْرَزُ به، وجمعه الأشافِي.

(٢) هذا عجز بيت من الطويل، للشـماخ يصف أُتُنًا ورَدْنَ وحَسَسْـنَ بالصائد، فنَفَرْنَ على تتابع واستقامة، وصدره:

شَكَكْنَ بِأحْسـاءِ الذِّنابَ عَلَى هُدًى

ويُرْوَى العَجُزُ:

كَما شَـكَّ فِي ثِنْيِ العِنـانِ الخَوارِزُ

اللغة: الشَّـكُّ: الاتصال واللصوق من قولهم: شَـكَّ القومُ بيوتَهم: إذا جعلوها على طريقة واحدة، أحسـاء: موضـع، الذِّنابُ: عَقِبُ كلِّ شـيءٍ وآخرُه، والذِّنابُ: خيطٌ يُشَـدُّ به ذَنَبُ البعيرِ إلى حَقَبِهِ لئلّا يَخْطِرَ بذَنَبِهِ، عِنانُ اللِّجام: السَّيْرُ الذي تُمْسَكُ به الدابةُ، السَّرْدُ: الثَّقْبُ، الخَوارِزُ: جمع خارز وهو من يَخِيطُ الأدَمَ، ثِنْيُ العِنانِ: طَرَفاهُ.

التخريج: ديوانه ص ١٩٤، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٥٤، جمهرة أشعار العرب ص ٦٧٠، تفسـير القرطبي ١٤/ ٢٦٨، اللسـان: عرق، البحر المحيط ٧/ ٢٤٥، أسـاس البلاغة: سرد.

(٣) قاله الزجاج فِي معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٤، وينظر أيضًا: التهذيب ١٢/ ٣٥٦.

(٤) وهي أيضًا قراءةُ ابن محيصن، وقرأ الباقون وحفصٌ عن عاصم: «الريحَ» بالنصب، ينظر: =

وهي اللام الزائدة[(١)]، وقيل[(٢)]: بالابتداء أو بالاستقرار أي: لسليمان الريح ثابتة.

وقولـه: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ يعني: غدوُّها إلى انتصاف النهار مسيرة شهرٍ، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهرٍ، فجعلت تسير به فِي يومٍ واحدٍ مسيرة شهرٍ للراكب.

قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾؛ أي: وقلنا: اعملوا يا آل داود شكرًا لِما أُعْطِيتُمْ من الفضل والخير/ ، والشكر تقوى الله والعمل بطاعته، وهو فِي محل المصدر[(٣)]؛ أي: اشكروا شكرًا، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ العامل بطاعتي شكرًا لنعمتي، وقيل[(٤)]: نصب ﴿شُكْرًا﴾ على المفعول له أي: للشكر، ولا يجوز أن يكون نصبًا على أنه مفعول بوقوع ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ عليه؛ لأنه لا يقال: عملت الشكر. [٨٨/ ب]

فصْلٌ

عن أبِي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر وتلا هذه الآية: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾، ثم قال: «ثَلاثٌ مَنْ أُوتِيَهُنَّ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَ [ما] أُوتِيَ داوُدُ»، فقيل له: ما هي يا رسول

= السبعة ص٥٢٧، حجة القراءات ص ٥٨٣، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٨، البحر المحيط ٧/ ٢٥٣، الإتحاف ٢/ ٣٨٣.

(١) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٥٦، وينظر: عين المعاني ورقة ١٠٦/ أ.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٥.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٧، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٧، التبيان للعكبري ص ١٠٦٥.

(٤) هذا قولٌ آخَرُ للزجاج، قاله في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٦، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٦، التبيان للعكبري ص ١٠٦٥.

الله؟ فقال: «العَدْلُ فِي الغَضَبِ والرِّضا، والقَصْدُ فِي الفَقْرِ والغِنَى، وخَشْيةُ اللهِ فِي السِّرِّ والعَلانِيةِ»[١].

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ يعني سليمان عليه السّلام، ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾ وهي الأرَضةُ ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ وهي العصا بلسان الحبشة وحَضْرَمَوْتَ، وجمعها المَناسِئُ، وأصلها من: نَسَأْتُ الغَنَمَ: إذا زَجَرْتَها وسُقْتَها، قال طرفة:

١٥٠ - وَعَنْسٍ كَأَلْواحِ الإرانِ نَسَأْتُها ... عَلَى لاحِبٍ كَأَنّهُ ظَهْرُ بُرْجِدِ[٢]

أي: سُقْتُها، والإرانُ: النَّعْشُ، والبُرْجُدُ كِساءٌ مخطط.

وهَمَزَها أكثرُ القُرّاءِ، وتَرَكَ هَمْزَها أبو عمرٍو وأهل المدينة[٣]، وهما لغتان[٤]، قال الشاعر فِي الهَمْزِ:

---

(١) ينظر: عين المعانِي ورقة ١٠٦/ أ، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٦، الجامع الصغير ١/ ٥٢٧، كنز العمال ١٥/ ٨١١، ٨٤٧.

(٢) البيت من الطويل، لطرفة يصف ناقته، ورواية ديوانه:

أمُونٍ كَألْواحِ الإرانِ...

ويروى: «نَصَأْتُها» بالصاد.

اللغة: العَنْسُ: الناقة القوية، شبهها بالصخرة لصلابتها. اللاحب: الطريق الواضح.

التخريج: ديوانه ص ٣٥، مجاز القرآن ١/ ٥٠، ٢/ ١٤٥، جمهرة اللغة ص ١٠٦٩، الحجة للفارسي ٣/ ٢٩٢، الكشف والبيان ٨/ ٨١، البصائر والذخائر ٥/ ١٧٩، المحرر الوجيز ٤/ ٤١٢، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٠، اللسان: أرن، نصأ، التاج: نصأ، أرن.

(٣) ينظر: السبعة ص ٥٢٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢١٢، البحر المحيط ٧/ ٢٥٦، النشر ٢/ ٣٤٩، الإتحاف ٢/ ٣٨٣.

(٤) الهمز لغة تميم، وترك الهمز لغة أهل الحجاز، قال الفراء: «ولَمْ يهمزها أهل الحجاز ولا الحسنُ، ولعلهم أرادوا لغة قريش فإنهم يتركون الهمز». معاني القرآن ٢/ ٣٥٦، وينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٤٥، الصحاح ١/ ٧٦، زاد المسير ٦/ ٤٤١، الدر المصون ٥/ ٤٣٦.

١٥١ - ضَرَبْنا بِمِنْسَأةٍ وَجْهَهُ فَصارَ بِذاكَ مَهِينًا ذَلِيلا[١]

وقال آخر في ترك الهمز:

١٥٢ - إذا دَبَبْتَ عَلَى المِنْساةِ مِنْ كِبَرٍ فَقَدْ تَباعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ[٢]

وقوله: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ يعني: سقط على الأرض ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾.. الآية. و﴿أَن﴾ فِي موضع الرفع؛ لأن معنى الكلام: فلما خرَّ تَبَيَّنَ؛ أي: ظهر وانكشف أنْ لو كان الجن يعلمون الغيب[٣] ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ يعني: فِي الشقاء والنَّصَبِ حَوْلاً فِي بيت المقدس، وقيل[٤]:

---

(١) البيت من المتقارب، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: الكشف والبيان ٨/ ٨١، عين المعانِي ورقة ١٠٦/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٩، البحر المحيط ٧/ ٢٤٦، فتح القدير ٤/ ٣١٧، روح المعانِي ٢٢/ ١٢١.

(٢) البيت من البسيط، لَمْ أقف على قائله، ويروى: «مِنْ هَرَمٍ» بدل «من كبر».

التخريج: مجاز القرآن ٢/ ١٤٥، البيان والتبيين ٣/ ٣١، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٥٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢١٣، المحتسب ٢/ ١٨٧، الصحاح ١/ ٧٦، الكشف والبيان ٨/ ٨١، الوسيط ٣/ ٤٨٩، المحرر الوجيز ٤/ ٤١١، عين المعانِي ورقة ١٠٦/ ب، القرطبي ١٤/ ٢٧٩، اللسان: نسأ، نسا، البحر المحيط ٧/ ٢٤٦، الدر المصون ٥/ ٤٣٦، التاج: نسأ، نسي.

(٣) يعني أن «تَبَيَّنَ» فعل لازم بمعنى ظهر وانكشف، فتكون «أنْ» فِي موضع رفع على أنه بدل اشتمال من الجن، والتقدير: فلما خَرَّ ظَهَرَ أمْرُ الجنِّ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٣٣٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٦، كشف المشكلات ٢/ ٢٣٧، التبيان للعكبري ص ١٠٦٥، الدر المصون ٥/ ٤٣٧.

(٤) يعني أنه مفعول به لـ«تَبَيَّنَ» المتعدي بنفسه، والتقدير: تَبَيَّنَتِ الجِنُّ جَهْلَها، وهذا قول الفراء فِي معانِي القرآن ٢/ ٣٥٧، وذهب النحاس إلى أنه في محل نصب على نزع الخافض، والتقدير: لأنْ لَوْ كانوا، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٣٣٨، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٦، التبيان ص ١٠٦٥، البحر المحيط ٧/ ٢٥٧، الدر المصون ٥/ ٤٣٧.

﴿أَن﴾ فِي مَحَلِّ النصب؛ أي: علمتْ وأيقنتْ أن لو كانوا يعلمون الغيب، قال الشاعر:

١٥٣ ـ أفاطِمُ إنِّي مَيِّتٌ فتَبَيَّنِي وَلا تَجْزَعِي كُلُّ الأنامِ يَمُوتُ[1]

وإنما سُمُّوا الجِنَّ؛ لأنهم اسْتَجَنُّوا من الإنس فلم يَرَوْهُمْ.

قال أهل التاريخ: كان عُمْرُ سليمانَ عليه السّلام ثلاثًا وخمسين سنةً، ومدة ملكه أربعين سنةً، ومَلَكَ يَوْمَ مَلَكَ وهو ابن ثلاثَ عشرةَ سنةً، وابتدأ فِي بناء بيت / المقدس لأربع سنين مَضَيْنَ فِي مُلْكِهِ، هكذا ذكره الثعلبي[2]. [٨٩/ أ]

وذكر الواحدي في وَسِيطِهِ فِي سورة النمل بإسناده عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال: أُعْطِيَ سليمانُ بن داود مُلْكَ مشارقِ الأرض ومغاربِها، فَمَلَكَ سبعمائة سنةٍ وستة أشهرٍ، ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع، وأُعْطِيَ عِلْمَ كُلِّ شيءٍ ومَنْطِقَ كُلِّ شيءٍ، وفِي زمانه صُنِعَت الصنائعُ المُعْجِبةُ التي يسمع بها الناس[3]، والله أعلم.

---

(١) البيت من الطويل، لعبد قيس بن خُفاف البُرْجُمِيِّ، وروايته في أكثر المصادر:
ولا تَجْزَعِي، كُلُّ النِّساءِ يَئِيمُ
والشاهد فيه قوله: «فَتَبَيَّنِي»، حيث جاء الفعل «تَبَيَّنَ» متعدياً بنفسه، والتقدير: فَتَبَيَّنِي ذلك، أي: اعلميه.
التخريج: معانِي القرآن للفراء ١/ ١٨٥، الفاضل للمبرد ص ٨٣، الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٢٩، تهذيب اللغة ١٤/ ٣٤٠، تصحيح الفصيح وشرحه ص ٢١٥، شرح شواهد الإيضاح ص ١١٣، زاد المسير ١/ ١٠٩، عين المعانِي ورقة ١٠٦/ ب، اللسان: يتم، البحر المحيط ٧/ ٢٥٧، الدر المصون ٥/ ٤٣٨، المزهر ٢/ ٣٦٦، التاج: يتم، روح المعانِي ١١/ ١٢٢.

(٢) الكشف والبيان ٨/ ٨١.

(٣) الوسيط فِي تفسير القرآن المجيد ٣/ ٣٧١.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾؛ أي: دلالةٌ على وحدانيتنا وقدرتنا، ثم فَسَّرَها، فقال: ﴿جَنَّتَانِ﴾ أي: هي جنَّتان بستانان ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ إحداهما عن يمين الوادي، والأُخرى عن شِماله، واسم الوادي: العَرِمُ.

و«سَبَأٌ» يُقْرَأُ مصروفًا وغير مصروفٍ(١)، فمن صَرَفَهُ فعلى أنه اسم رَجلٍ معروفٍ، وهو [سَبَأُ بنُ](٢) يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطانَ، ومن تَرَكَ صَرْفَهُ فعلى أنه اسم قبيلةٍ، واختاره أبو عبيدٍ؛ لقوله: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾(٣)، وقال الضحاك: سبأٌ مدينة باليمن، بعث الله إليها ثلاثة عشر نبيًّا، فكذبوهم وكفروا بهم، قال: وكان دِينُهم الزندقةَ.

واختلف القراء في «مَساكِنِهِمْ»، فقرأ حمزة والنخعي وحفصٌ: «مَسْكَنِهِمْ» بفتح الكاف على الواحد وبنصب الكاف، مصدرٌ لا يُجمع(٤)، وقرأ يحيى بن وثابٍ والأعمش والكسائي وخَلَفٌ بكسر الكاف على الواحد أيضًا، وقرأ الباقون: «مَساكِنِهِمْ»(٥) على الجمع.

---

(١) ينظر ما سبق في سورة النمل الآية ٢٢ في قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ ١/ ٤٥٠ من هذا الكتاب.
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) اختيار أبي عبيد حكاه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٨، ثم رَدَّ عليه بقوله: «ولو كان كما قال لكان: في مساكنها».
(٤) المَسْكَنُ بفتح الكاف يجوز أن يكون مصدراً، وأن يكون اسماً للمكان؛ لأن فعله سَكَنَ يَسْكُنُ على وزن «فَعَلَ يَفْعُلُ»، وما كان من هذا الباب يأتِي المصدر واسم المكان منه على «مَفْعَلٍ» بالفتح، وهذه لغة أهل الحجاز، وقد يجيء على «مَفْعِلٍ» بالكسر، وهذه لغة تميم، ينظر: الكتاب ٤/ ٩٠، وقال الأزهري: «هما لغتان: مَسْكَنٌ ومَسْكِنٌ، وكسر الكاف فصيح جيد للموضع الذي يُسْكَنُ فيه». معانِي القراءات ٢/ ٢٩١، وينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٠٢، الحجة للفارسي ٣/ ٢٩٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٦.
(٥) ينظر: السبعة ص ٥٢٨، البحر المحيط ٧/ ٢٥٨، النشر ٢/ ٣٥٠، الإتحاف ٢/ ٣٨٤.

قوله: ﴿كُلُواْ﴾؛ أي: وقيل لهم: كلوا ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ على ما أنعم عليكم، وها هنا تمام الكلِم، ثم ابتدأ فقال: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾؛ أي: هذه بلدكم بلدةٌ طيبةٌ؛ أي: طيبةُ الهواءِ، ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ ١٥﴾ أي: وهو رب غفور، يعني: غفور الخطايا، كثير العطايا.

قال ابن زيد بن أسلم[١]: لَمْ يكن في قريتهم بَعُوضةٌ ولا ذُبابٌ ولا بُرْغُوثٌ ولا عَقْرَبٌ ولا حَيّةٌ، وإنْ كان الرَّكْبُ لَيَأْتُونَ وفي ثيابهم القُمَّلُ والدوابُّ، فما هو إلا أن ينظروا إلى بيوتها، فتموتَ تلك الدواب التي في ثيابهم لِطِيبِ هوائِها.

ويقال[٢]: كانت المرأة تحمل مِكْتَلًا[٣] على رأسها، فتدخل البستان، فَيَمْتَلِئُ مِكْتَلُها من ألوان الفاكهة والثمار، من غير أن تَمَسَّ شيئًا بيدها.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ يعني: عن الحق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ قيل[٤]: العَرِمُ اسم الوادي، وقيل[٥]: / هو السد، وهو جمع عَرِمةٍ، وقيل[٦]: العَرِمُ:

---

(١) ينظر قوله في جامع البيان ٢٢/ ٩٥، الكشف والبيان ٨/ ٨٣، عين المعاني ١٠٦/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٤.

(٢) قاله الحسن وقتادة، ينظر: جامع البيان ٢٢/ ٩٥، معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤١٠، الوسيط ٣/ ٤٩٠، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٩.

(٣) المِكْتَلُ: الزَّبِيلُ؛ أي: الوعاء الذي يُحْمَلُ فيه التمرُ والعنبُ ونحوهما. اللسان: كتل.

(٤) قاله ابن عباس وقتادة وعطاء والضحاك ومقاتل، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٨، معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٠٦، إعراب القرآن ٣/ ٣٣٩، زاد المسير ٦/ ٤٤٥، عين المعاني ١٠٦/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٥.

(٥) حكاه النحاس عن المبرد في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٩، وينظر: الدر المصون ٥/ ٤٣٨.

(٦) قاله ابن عباس وعَلِيُّ بن أبي طالب، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٨، زاد المسير ٦/ ٤٤٥، عين المعاني ١٠٦/ ب، البحر المحيط ٧/ ٢٦٠، الدر المصون ٥/ ٤٣٨.

الشديد، أضاف الموصوف إلى الصفة، وأصلها من العَرامةِ، وهي الشدة والقوة، والعُرامُ: شِدّةُ الغلام.

قوله: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ قرأه العامة بالتنوين، وقرأ أبو عمرو ويعقوب بالإضافة[1]، وهما متقاربان، كقول العرب: لفلانٍ أعنابُ كَرْمٍ، وأعنابٌ كَرْمٌ، وثوبُ خَزٍّ، وثوبٌ خَزٌّ، وأسكن الكافَ نافعٌ وابن كثيرٍ، وضمها الباقون.

قال الواحدي[2]: والقراءة الجيدة بالإضافة؛ لأنّ الخَمْطَ عند المفسرين اسم شجرةٍ، قالوا: هو الأراكُ، وأُكُلُهُ: جَناهُ، وهو البَرِيرُ، وكذلك قال الأخفش[3]: الأحسن في مثل هذا الإضافة، مثل: دارُ آجُرٍّ وثَوْبُ خَزٍّ.

و﴿ذَوَاتَىْ﴾ خفض نعت لـ﴿جَنَّتَيْنِ﴾، ومن قرأ: «أُكُلٍ خَمْطٍ» بالتنوين جعله بدلًا من «أُكُلٍ»[4]، ومن قرأ بغير تنوين لـ﴿خَمْطٍ﴾ خفض بالإضافة كما تقدم.

---

(١) وقرأ بالإضافة أيضًا الحسنُ واليزيديُّ، وقرأ نافع وابن كثير وابن محيصن: «أُكْلٍ خَمْطٍ» بإسكان الكاف، ورَوَى عباسٌ عن أبي عمرو: «أُكْلِ خَمْطٍ»، وقرأ الباقون بضم الكاف، ينظر: السبعة ص ٥٢٨، التيسير ص١٨٠، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٦، النشر ٢/ ٣٥٠، الإتحاف ٢/ ٣٨٥.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المَجيد ٣/ ٤٩١.

(٣) قول الأخفش حكاه عنه الفارسي في الحجة ٣/ ٢٩٤.

(٤) الضمير في قوله: «جعله بدلاً يعود إلى لفظ «ذَواتَيْ»، قال النحاس: «ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ»: بالتنوين على أنه نعت لـ«أكل» أو بدل منه؛ لأن الأكل هو الخمط بعينه». إعراب القرآن ٣/ ٣٤٠، وقد ضَعَّفَ الفارسيُّ جَعْلَ الخَمْطِ بدلًا من «أُكُلٍ»، وجعله عطف بيان له. الحجة ٣/ ٢٩٣-٢٩٤، وينظر: معاني القراءات ٢/ ٢٩٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٧، البحر المحيط ٧/ ٢٦٠-٢٦١.

قوله: ﴿وَأَثْلٍ﴾ عطف على ﴿خَمْطٍ﴾، و﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ نعتٌ لـ«شَيْءٍ»[1]، والخَمْطُ: الأراكُ في قول أكثر المفسرين، وقيل: هو شَجَرٌ له شَوْكٌ، قال أبو عبيدة[2]: الخَمْطُ: أُكُلُ شجرةٍ مُرّةٍ ذاتِ شَوْكٍ، وقيل: هو شَجَرُ العِضاهِ[3]، وقيل: هو كُلُّ نَبْتٍ قد أَخَذَ طَعْمَ مَرارةٍ حتى لا يمكن أَكْلُهُ، وهو قول المبرد[4] والزجّاج[5]، وعلى هذا يحسن التنوين فِي ﴿أُكُلٍ﴾ إذا جعلتَ الخَمْطَ اسمًا للمأكول.

والأثل: الطَّرْفاءُ[6]، وقيل[7]: هو شجرٌ يشبه الطَّرْفاءَ، إلّا أنه أعظم منه، والسِّدْرُ إذا كان بَرِّيًّا لا يُنْتَفَعُ به، ولا يَصْلُحُ وَرَقُهُ للغَسُولِ، بخلاف السدر الذي ينبت على الماء.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: البدل ﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾؛ أي: بكفرهم، ومحل ﴿ذَٰلِكَ﴾ نصب بوقوع المُجازاةِ عليه[8] تقديره: جزيناهم ذلك بما كفروا، ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧﴾ لنعمة الله، قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكرٍ ويعقوب بالنون وكسر الزاي ونصب الراء على المفعول، واختاره أبو عبيدٍ، قال[9]:

---

(١) قال العكبري: «و«قليل» نعت لـ«أكل»، ويجوز أن يكون نعتًا لـ«خمط» و«أثل» و«وسدر». التبيان ص١٠٦٦، وينظر: الدر المصون ٥/ ٤٤٠.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٤٧ باختلاف في ألفاظه.

(٣) العِضاهُ: كل شجر له شوك. اللسان: عضه.

(٤) قول المبرد حكاه النحاس عنه في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٩-٣٤٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٩.

(٦) الطرفاء: شجر له شوكٌ. اللسان: طرف.

(٧) قاله السجاوندي في عين المعانِي ورقة ١٠٦/ ب.

(٨) يعني أن «ذَلِكَ» منصوب على أنه مفعول ثانٍ لـ«جَزَى»، وهو مقدم عليه.

(٩) ينظر اختيار أبِي عبيد وقوله في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٠، الكشف والبيان ٨/ ٨٤.

لقوله: ﴿جَزَيۡنَٰهُم﴾ ولَمْ يقل: جُزُوا، وأدغم الكسائيُّ اللامَ في النون على أصله، وقرأ الباقون[1] بياءٍ مضمومةٍ وفتح الزاي ورفع الراء على اسم ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ، ومعنى الآية: وهل يُجازَى مثلَ هذا إلا الكفورُ؟.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ﴾، يعني: وكان من قصتهم أن جعلنا بينهم، يعني: بين أهل سبأ ﴿وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى﴾ يعني الأرض المقدسة والأردن وفلسطين ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ بالشجر والماء / [٩٠/ أ] ﴿قُرٗى ظَٰهِرَةٗ﴾ يعني: متقاربة ﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ﴾؛ أي: وقلنا لهم: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾، وهما ظرفان للسير ﴿ءَامِنِينَ ١٨﴾ يعني: من الجوع والعطش والسِّباعِ، وهو منصوبٌ على الحال.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾؛ أي: اجعل بيننا وبين الشام فَلَواتٍ ومَفاوِزَ؛ لِنَرْكَبَ فيها الرَّواحِلَ، ونَتَزَوَّدَ إليها الأَزْوادَ، فعَجَّلَ لهم الإجابةَ.

واختلف القراء في هذه الآية[2]، فقرأ ابن كثيرٍ وأبو عمرو: «رَبَّنا بَعِّدْ» على وجه الدعاء والسؤال من التبعيد، وهي رواية هشامٍ عن قُرّاءِ الشامِ،

(١) وأبو بكر عن عاصم: «يُجازَى إلاّ الكَفُورُ»، ينظر: السبعة ص ٥٢٨-٥٢٩، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٨، النشر ٢/ ٣٥٠، الإتحاف ٢/ ٣٨٥.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام وابن محيصن واليزيديُّ وابن عباس وابن يعمر وعيسى بن عمر: «رَبَّنا بَعِّدْ»، ورُوِيَتْ عن ابن عامر، وقرأ يعقوب وابن الحنفية وابن عباس وأبو رجاء والحسن وزيد بن عَلِيٍّ وأبو حيوة ونصر بن عاصم: «رَبُّنا باعَدَ»، وقرأ الباقون وابن ذكوان عن ابن عامر: «رَبَّنا باعِدْ». ينظر: السبعة ص ٥٢٩، الحجة للفارسي ٣/ ٢٩٥-٢٩٦، المحتسب ٢/ ١٨٩-١٩٠، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٠-٢٩١، البحر المحيط ٧/ ٢٦٢، النشر ٢/ ٣٥٠، الإتحاف ٢/ ٣٨٥-٣٨٦.

وبَعِّـدْ: بمعنى باعِدْ، مثل ضَعِّفْ وضاعِفْ، وقَرِّبْ وقارِبْ، وقرأ ابنُ الحنفية[1] ويعقوبُ: «رَبُّنا» برفع الباء «باعَدَ» بألِفٍ وفتح العين والدال على الخبر، فـ«رَبُّنا» رفع على الابتـداء، و«باعَدَ» فعلٌ ماضٍ في موضع الخبر، وقرأ الباقون: «رَبَّنا» بفتح الباء، نصب على أنه نداء مضاف «باعِدْ» بالألف وكسر العين وجزم الدال على الدعاء.

ففعـل الله ذلـك بهـم، فقـال: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفـر والمعصية والطغيان، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ فجعلناهم عِبرةً وعِظةً لمن بعدهم، يتحدثون بأمرهم وشأنهم، كيف فعلنا بهم؟ ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾؛ أي: وفرَّقْناهُمْ فِي كل وجـهٍ من البـلاد كُلَّ التفريق، وذلك أن الله تعالى لَمّـا أغرق مكانهم، وأذْهَبَ جَنَّتَيْهِمْ، تَبَـدَّدُوا في البلاد، فصارت العرب تتمثل بهم فـي الفُرْقةِ، فيقولون: تفرقوا أَيْدِي سَبا، وأيادِي سَبا[2]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعني: فيما فعل بسبأٍ ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ لَعِبـَرًا ودلالاتٍ ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٖ ١٩﴾ لأنْعُمِهِ، يعني المؤمن من هذه الأمة إذا أُعْطِيَ شَكَرَ، وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أي: في ظَنِّهِ، نحو: ﴿سَفِهَ

---

(١) هـو محمد بن عَلِـيِّ بنِ أبِي طالب، أبو القاسـم، أمه خولة بنت جعفـر الحنفية، وهو أحد الأبطال الأشـداء في صدر الإسلام، كان واسـع العلم ورعًا، توفِّي بالمدينة سنة (٨١هـ). [تهذيب الكمال ٢٦/ ١٤٧، الأعلام ٦/ ٢٧٠].

(٢) ويقال أيضًا: ذَهَبُوا أيْدِي سَبا وأيادِي سَبا، وكلها بإسكان الياء وعدم الهمز في «سَبا» لكثرة اسـتعمال العرب لـه، ومعناه: تَفَرَّقُوا تَفَرُّقًـا لا اجتماع معه. ينظر: معانِـي القرآن للنحاس ٥/ ٤١٢، مجمع الأمثال ١/ ٢٧٥، المستقصى للزمخشري ٢/ ٨٨-٨٩.

نَفْسَهُۥ﴾ (١)، أو مفعول(٢) نحو: صَدَقْتُهُ الحَدِيثَ، وقال الزجّاج(٣): هو منصوبٌ على المصدر، قرأ أهل الكوفة: «صَدَّقَ» بتشديد الدال، وهي قراءة ابن عبّاسٍ، واختيار أبِي عبيدٍ؛ أي: ظَنَّ فيهم ظَنًّا، حيث قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٤)، وقال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾(٥)، فَصَدَّقَ ظَنَّهُ، وحَقَّقَهُ بفعله ذلك، واتِّباعِهِمْ إيّاهُ، وقرأ الآخرون: «صَدَقَ»(٦) بالتخفيف؛ أي: صَدَقَ عليهم في ظنه، فمن شَدَّدَ نصب الظَّنَّ لأنه مفعول به، ومن خفف نصبه على معنى: صَدَقَ عَلَيْهِمْ فِي ظَنِّهِ، ومن قرأ/ : «صَدَقَ» بالتخفيف «إِبْلِيسَ» بالنصب «ظَنُّهُ»(٧) بالرفع، جعل إبليس مفعولاً، و«ظَنُّهُ» فاعلاً. [٩٠/ ب]

والإشارة في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قيل: أراد: على أهل سبأٍ، وقال مجاهدٌ:

---

(١) البقرة ١٣٠، وهذا قول الفراء والنحاس وغيرهما، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٦٠، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٤، وينظر أيضًا: معانِي القراءات ٢/ ٢/ ٢٩٤، الحجة للفارسي ٣/ ٢٩٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٨.

(٢) هذا قول آخر للنحاس، قاله في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٤، وينظر أيضًا: الحجة للفارسي ٣/ ٢٩٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٨.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥١-٢٥٢.

(٤) ص ٨٢.

(٥) الأعراف ١٧.

(٦) قرأ بالتخفيف ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وابنُ عامر وأبو جعفر ومُجاهِدٌ وشيبةُ ويعقوبُ، ينظر: السبعة ص٥٢٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢١٩، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٢، الإتحاف ٢/ ٣٨٦.

(٧) هذه قراءة زيد بن عَلِيٍّ والزهري وأبِي الهَجْهاجِ الأعرابِيِّ وجعفر بن محمد وسهل وبلال ابن أبِي برزة، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٢، المحتسب ٢/ ١٩١، عين المعانِي ورقة ١٠٦/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٢، البحر المحيط ٧/ ٢٦٣.

على الناس كلهم إلّا من أطاع الله، وذلك قوله: ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ لَمْ يتَّبِعوه، وهو نصبٌ على الاستثناء؛ وذلك أن إبليس ظَنَّ بالمؤمنين ظَنًّا، فوافقه ظَنُّهُ فيهم حين قال لربه: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [(١)] يعني: مَنْ عَصَمْتَ مِنِّي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾؛ أي: لا تنفع شفاعةُ مَلَكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسَلٍ، حتى يُؤْذَنَ له فِي الشفاعة، وهذا تكذيبٌ منه لهم، حيث قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [(٢)].

قرأ أبو عمرٍو وحمزة والكسائي وخلَفٌ والأعمش: «أُذِنَ لَهُ» بضم الألِف، وقرأ الباقون بالفتح[(٣)]، فمن فتح الهمزة كان المعنى: إلا لِمَنْ أذِنَ اللهُ له في الشفاعة، يعني الشافع، ومن ضمَّ الهمزة كان المعنى كقول مَن فتح؛ لأنّ الآذِنَ هو الله تعالى في القراءتين، كقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[(٤)]، ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ﴾، والمُجازِي هو الله تعالى في الوجهين، قال ابن عبّاسٍ: يريد: لا تشفع الملائكة إلا لِمَنْ وَحَّدَ اللهَ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[(٥)].

---

(١) الإسراء ٦٢.
(٢) يونس ١٨.
(٣) قرأ بضم الهمزة أيضًا اليزيديُّ والحسنُ وأبو بكر عن عاصم، وقرأ الباقون وحفصٌ عن عاصم بفتح الهمزة، ينظر: السبعة ص ٥٢٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٢٠، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٥، الإتحاف ٢/ ٣٨٦.
(٤) سبأ ١٧.
(٥) الأنبياء ٢٨.

ثم أخبر عن خوف الملائكة، فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قرأ ابن عامرٍ ويعقوب بفتح الفاء والزاي[1]، وقرأ الباقون بضم الفاء وكسر الزاي، أي: كُشِفَ وجُلِّيَ الفَزَعُ والجَزَعُ عن قلوبهم، وقيل: فُزِّعَتْ قلوبُهُمْ من الفزع، ومعنى ﴿فَزَّعَ﴾ على قراءة ابن عامرٍ ويعقوب؛ أي: كَشَفَ اللهُ الفزعَ عن قلوبهم.

ومعنى القراءتين سواءٌ كما ذكرنا في «أَذِنَ» و«أُذِنَ»، ورُوِيَ عن الحسن أنه كان يقرأ: «حَتَّى إذا فُرِّغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ»[2] بالراء والغين يعني: فُرِّغَتْ قُلُوبُهُمْ من الخوف ﴿قَالُوا۟﴾ يعني الملائكة: ﴿مَاذَا﴾ يا جبريل ﴿قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ يعني الوحي؛ أي: يقول الحق، فنصب الجواب بـ﴿قَالَ﴾، ويجوز رفع الحق على أن «ما» في موضع رفع[3] ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ الرفيع الذي علا فوق خلقه بالقهر والاقتدار ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ يعني: العظيم فلا أعظم منه.

---

(١) وبها قرأ أيضًا ابنُ مسعود وابنُ عباس وطلحةُ وابنُ السميفع وأبو المتوكل الناجي، ينظر: السبعة ص ٥٣٠، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٨، البحر المحيط ٧/ ٢٦٦، الإتحاف ٢/ ٣٨٧.

(٢) قرأ الحسن وقتادة وأبو المتوكل: «فَرَّغَ»، ورُوِيَ عن الحسن وقتادة: «فُرِّغَ»، ورُوِيَ عن الحسن أيضًا: «فَزِعَ» و«فُزِعَ»، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٢، المحتسب ٢/ ١٩١، ١٩٢، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٨، البحر المحيط ٧/ ٢٦٦.

(٣) وقد قرأ ابن أَبِي عبلة: «قالُوا الحَقُّ» بالرفع، على أن «ما» في موضع رفع بالابتداء، و«ذا» اسم موصول بمعنى «الذِي» خبره، ويكون «الحَقُّ» خَبَرَ مبتدأ محذوف؛ أي: هو الحق، أما على قراءة النصب فيكون «ماذا» اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لـ«قالَ»، و«الحَقَّ» مفعول لفعل محذوف تقديره: قال الحقَّ، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٨-٢٠٩، الكامل فِي القراءات للهذليِّ ورقة ٤٥٧، شواذ القراءة للكرماني ورقة ١٩٨، الدر المصون ٥/ ٤٤٤.

فصلٌ

عــن النَّوّاسِ بنِ سِــمْعانَ(١) قال: قــال رســول الله ﷺ: «إذا أراد الله عزّ وجــلّ أن يُوحِــيَ بالأمر ويكلِّم بالوحي أخَذَتِ الســماواتِ منه رجفــةٌ / ـ أو قال: رِعْدةٌ ـ شــديدةٌ خوفًا من الله عزّ وجلّ، فإذا ســمع بذلك أهل السماوات صَعِقُوا وخَرُّوا سُــجَّدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريلَ عليه السّلام فيكلِّمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل عليه السّــلام بالملائكة، فكلما مَرَّ بسماءٍ سألته ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل عليه السّلام: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون مثلَ ما قال جبريل، وينادون: الحقَّ الحقَّ، فينتهي جبريل عليه السّلام بالوحي حيث أمره الله عزّ وجلّ»(٢). [٩١/ أ]

وعن عبد الله بن مســعودٍ قال: قال رســول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ إذا تكلَّم بالوحي سمع أهل السماء صَلْصَلةً كجَرِّ السلسلة على الصفا فيصعقون، فــلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السّــلام، فإذا جاءهم جبريل عليه السّلام فُزِّعَ عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل: ماذا قال ربكم؟ قال: يقول الحقَّ، فينادون: الحقَّ الحقَّ»(٣).

---

(١) النَّوّاسُ بن سِــمْعانَ بن خالد بن عمرو العامري الكلابِيُّ، له ولأبيه صحبة، رَوَى عن النبي ﷺ أحاديثَ، رَوَى عنه جُبَيْرُ بنُ نفير ورجاء بن حيوة وغيرهما. [أسد الغابة ٥/ ٤٥، تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٦].

(٢) رواه ابــن أبِي عاصم في كتاب الســنة ص ٢٢٧، وينظر: الكشــف والبيان ٨/ ٨٧، مجمع الزوائد ٧/ ٩٤-٩٥ كتاب التفسير: سورة سبأ، الدر المنثور ٥/ ٢٣٦، كنز العمال ٢/ ٣٦.

(٣) رواه البخــاري في صحيحه ٨/ ١٩٤ كتاب التوحيــد/ باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، وأبــو داود في ســننه ٢/ ٤٢١ كتاب السُّــنَّةِ: باب في القرآن، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٨٧.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قَضَى الله عزّ وجلّ الأمرَ فِي السماء ضَرَبَت الملائكةُ بأجنحتها خُضُعًا لقوله، كأنه سِلْسِلةٌ على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: الذي قال الحق، وهو العلي الكبير»(١).

وقال المفسرون(٢): لَمّا كانت الفترة التي بين عيسى ومحمَّدٍ ـ عليهما السلام ـ، وبعث اللهُ محمدًا، أنزل اللهُ جبريلَ عليه السّلام بالوحي، فلما نزل ظَنَّت الملائكة أنه نزل بشيءٍ من أمر الساعة، فصعقوا لذلك، فجعل جبريل يَمُرُّ بكل سماءٍ، ويكشف عنهم الفزع، فرفعوا رؤوسهم، وقال بعضهم لبعضٍ: ماذا قال ربكم؟ قالوا: قال الحق، يعني الوحي، وهو العلي الكبير.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني المطر، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني النبات والثمر، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ تَمَّ الكلامُ، ثم قال: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ والألف في ﴿أَوْ﴾ صلةٌ، ومعناه واو العطف، كأنه قال: وإنّا وإيّاكم، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ (٣) الألِف هاهنا صلةٌ، قال أبو عبيدة(٤): معناه: إنّا لَعَلَى هُدًى، وإنّكم إيّاكُم لفي ضلالٍ مُبينٍ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٢١، ٦/ ٢٨ كتاب التفسير: سورة الحِجْر، وسورة سبأ، ٨/ ١٩٤ كتاب التوحيد: باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، ورواه الترمذي في سننه ٥/ ٤٠ أبواب تفسير القرآن: سورة سبأ.

(٢) قاله قتادة ومقاتل والكلبي، ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٨٧-٨٨، الوسيط ٣/ ٤٩٤، زاد المسير ٦/ ٤٥٣، مجمع البيان ٨/ ٢١٥، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٧.

(٣) الإنسان ٢٤.

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٤٨، وقد رَدَّ الفراء وغيره من العلماء قولَ مَنْ قال: إنها بمعنى الواو، قال الفراء: «قال المفسرون: معناه: وإنا لَعَلَى هُدًى، وأنتم في ضلال مبين، معنى «أو» معنى الواو عندهم، وكذلك هو في المعنى، غير أن العربية على غير ذلك، لا تكون «أو» بمنزلة =

والمعنى: ما نحن وأنتم على أمرٍ واحدٍ، إنّ أحد الفريقين لَمُهْتَدٍ والآخر ضالٌّ، فالنبي ﷺ/ ومن اتبعه على الهدى، ومَنْ خالَفَهُ فِي ضلالٍ مبينٍ، فكَذَّبَهُم بأحسنَ مِنْ تَصْرِيحِ الكذبِ، وهذا على وجهِ الاستهزاء بهم، وهو غير شاكٍّ فِي دِينه وهُداهُ، كقول الشاعر:

١٥٤ ـ يَقُولُ القائِلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ ... طَوالَ الدَّهْرِ: ما تَنْسَى عَلِيّا

بَنُو عَمِّ الرَّسُولِ وَأَقْرَبُوهُ ... أَحَبُّ النّاسِ كُلِّهِمُ إلَيّا

فَإنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أُصِبْهُ ... وَلَيْسَ بِمُخْطِئٍ إنْ كانَ غَيّا[1]

= الواو، ولكنها تكون في الأمر المُفَوَّضِ، كما تقول: إنْ شِئْتَ فَخُذْ دِرْهَمًا أو اثنين، فله أن يأخذ واحداً أو اثنين، وليس له أن يأخذ ثلاثة، وفي قولِ مَنْ لا يُبْصِرُ العربيةَ، ويجعل «أو» بمنزلة الواو، يجوز له أن يأخذ ثلاثة. والمعنى في قوله: «وَإنّا أوْ إيّاكُمْ»: إنا لَضالُّونَ أو مُهْتَدُونَ، وإنكم أيضًا لَضالُّونَ أو مهتدون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضّالُّ». معانِي القرآن ٢/ ٣٦٢.

وينظر أيضًا: معانِي القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٥٣، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٦، ٣٤٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٩، التبيان للعكبري ص١٠٦٨-١٠٦٩، البحر المحيط ٧/ ٣٦٧، الدر المصون ٥/ ٤٤٥.

(١) الأبيات من بحر الوافر، لأبِي الأسود الدُّؤَلِيِّ، يَرُدُّ على بَنِي قُشَيْرٍ ويَهْجُوهُمْ، ورواية الأول في ديوانه:

يَقُولُ الأَرْذَلُونَ....... ......لا تَنْسَى عَلِيّا

ورواية الثانِي فيه: «بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ»، ورواية الثالث فيه:

وَفِيهِمْ أُسْوةٌ إنْ كانَ غَيّا

التخريج: ديوانه ص ٧٢، ٧٣، مجاز القرآن ٢/ ١٤٨، الكامل للمبرد ٣/ ٢٠٥، أخبار أبِي القاسم الزجاجي ص١٤٢، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٨٠، الكشف والبيان ٨/ ٨٨، أمالي المرتضى ١/ ٢٩٣، الاقتباس من القرآن ١/ ١٣٨، عين المعانِي ورقة ١٠٧/ أ، تفسير القرطبي ١/ ٤٦٣.

فقاله من غيرِ شَكٍّ، وقد أيْقَنَ أنّ حُبَّهم رُشْدٌ.

قولـه عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يـا محمَّدُ ﴿إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: عامّةً للناس كلهم: أحْمَرِهِمْ وأسْوَدِهِمْ من العرب والعجم وسائر الأمم، وقيل: معناه: كافًّا للناس تكُفُّهُمْ عما هم عليه من الكفر وتدعوهم إلى الإسلام.

وقيل[١]: معنى ﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: إلى النـاس كافـةً، يعنِي: جامعًا لَهُمْ في الإنذار، أو كافًّا لَهُمْ عن الشِّرك، وهو منصوبٌ على الحال، والْهاء فيـه للمبالغة[٢]، وقوله: ﴿بَشِيرًا﴾ يعني: بالجنة لِمَنْ أطاعه ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنار لِمَنْ عصاه، وهما منصوبان على الحال.

فصْلٌ

عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًـا ـ ولا أقُولُ فَخْرًا ـ: بُعِثْتُ إلى الأحمر والأسـود، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مسجدًا وطهورًا، وأُحِلَّ لِيَ المغنمُ ولَمْ يُحَلَّ لأحدٍ كان قبلي، ونُصِرْتُ بالرعب فخافني العدوُّ من مسـيرة شهرٍ، وأُعْطِيتُ الشَّـفاعةَ فادَّخَرْتُها لأُمَّتِي يوم القيامة، وهي ـ إن شاء الله ـ نائلةٌ من لا يشرك بالله شيئًا»[٣].

---

(١) وعلى هذا ففي الكلام تقديم وتأخير كما قال ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٥٦، وينظر أيضًا: تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٠.

(٢) فالهاء فيه مثلها في عَلّامةٍ ونَسّابةٍ وراويةٍ، وصاحب الحال هو الكاف في قوله: «أرْسَلْناكَ»، وقيـل: هو حال من «النـاس»، قال العكبري: «إلا أنه ضعيف عند المتأخرين؛ لأن صاحب الحـال مجرور، ويضعف هنا من وجـه آخر، وذاك أن اللام على هذا تكون بمعنى «إلَى»». التبيان ص ١٠٦٩، وينظر: كشف المشكلات ٢/ ٢٣٩.

(٣) رواه الإمـام أحمـد فـي المسـند ١/ ٢٥٠، ٣٠١، ٣/ ٣٠٤، ٤/ ٤١٦، ٥/ ١٤٨، ١٦١، والدارمي في سننه ٢/ ٢٢٤ كتاب السِّيَرِ: باب «الغنيمة لا تُحَلُّ لأحد قبلنا».

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ وهم الأشراف والقادة ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قال الأخفش(١): الليل والنهار لا يمكران بأحدٍ، ولكن يُمْكَرُ فيهما، كقوله تعالى: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ (٢) يعني: أخرجك أهلُها، وهذا من سَعةِ العربية. كما يقال: عَزَمَ الأمرُ، وفلانٌ نَهارُهُ صائِمٌ ولَيْلُهُ قائِمٌ(٣)، قال الشاعر:

١٥٥ - وَنِمْـتِ وَمـا لَيْـلُ المَطِـيِّ بِنائِمِ(٤)

وقيل(٥): مكر الليل والنهار بهم: طول السلامة فيهما، كقوله تعالى:

---

(١) معاني القرآن ص ٤٤٥.

(٢) محمد ١٣.

(٣) قال سيبويه: «ومثل ما أُجْرِيَ مُجْرَى هذا في سعة الكلام والاستخفاف قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، فالليل والنهار لا يمكران، ولكنَّ المَكْرَ فيهما». الكتاب ١/ ١٧٦، وكرره في الكتاب ١/ ٢١٢، وينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٦٣، وينظر: مجاز القرآن ١/ ٢٧٩، ٣٣٩، ٢/ ٩٦.

(٤) هذا عجز بيت من الطويل، لجرير يجيب الفرزدقَ، وصدره:

لَقَدْ لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ فِي السُّرَى

اللغة: أم غيلان: ابنته، وما ليل المطي بنائم: يقول لها: لا تلومينا في السرى لَيْلَنا ونَهارَنا كلَّه في طلب العلا.

التخريج: ديوانه ص ٩٩٣، الكتاب ١/ ١٦٠، مجاز القرآن ١/ ٢٧٩، ٣٣٩، ٢/ ٩٦، المقتضب ٣/ ١٠٥، ٤/ ٣٣١، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٩، المحتسب ٢/ ١٨٤، الصاحبي ص ٣٦٨، إصلاح الخلل ص ٢١٠، أمالي ابن الشجري ١/ ٥٣، ٢/ ٢٩، الإنصاف ص ٢٤٣، عين المعانِي ورقة ١٠٧/ أ، تفسير القرطبي ٨/ ٣٦٠، ١٤/ ٣٠٣، ٢٠/ ٤٢، شرح الكافية للرضي ١/ ٢٤٩، اللسان: ربح، خزانة الأدب ١/ ٤٦٥، ٤٦٦، ٨/ ٢٠٢.

(٥) قاله سفيان بن عيينة، ذكر ذلك السجاوندي في عين المعانِي ورقة ١٠٧/ أ، وهو بدون نسبة فِي الكشف والبيان ٨/ ٩٠.

﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾[١] ونحوه، قال المبرد[٢]: معناه: بل مكركم فِي الليل والنهار ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾، وهو أنهم كانوا يقولون لهم: إنّ دِيننا هو الحق، وإنّ محمَّدًا ساحرٌ كَذّابٌ/ ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ﴾؛ [٩٢/ أ]
أي: أظهروا الندامة، وهو من الأضداد، يكون بمعنى الإخفاء والإبداء[٣]، كما قال الشاعر:

١٥٦ ـ تَجاوَزْتُ أحْراسًا إلَيْها وَمَعْشَرًا عَلَـيَّ حِراصًا لَـوْ يُسِـرُّونَ مَقْتَلِي[٤]

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾؛ أي: قُرْبَى، يعنِي: قُرْبةً ومَنْزِلاً، وهو في موضع نصبٍ على المصدر، قال الأخفش[٥]: ﴿زُلۡفَىٰٓ﴾ يعنِي: إزْلافًا، وهو اسم المصدر؛ أي: تقرِّبكم عندنا تقريبًا.

---

(١) الحديد ١٦.

(٢) قال المبرد: «تأويله والله أعلم: بل مكركم في الليل والنهار، فأضيف المصدر إلى المفعول». المقتضب ٤/ ٣٣١، وقال مثله في الكامل ١/ ١٣٥، ٣/ ٤١٠.

(٣) ينظر: الأضداد لقطرب ص ٨٩، الأضداد لابن الأنباري ص ٤٥، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٠، الأضداد لأبي الطيب اللغوي ١/ ٣٥٣.

(٤) البيت من الطويل، لامرئ القيس من معلقته، ورواية ديوانه:

تَجاوَزْتُ أحْراسًا وَأهْوالَ مَعْشَرٍ عَلَيَّ حِراصٍ لَوْ يُشِرُّونَ مَقْتَلِي

ومعنى «يُشِرُّونَ»: يُظْهِرُونَ.

التخريج: ديوانه ص ١٣، جمهرة اللغة ص ٧٣٦، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٠، الأضداد لأبي الطيب ١/ ٣٥٥، الاقتضاب ٢/ ١٨٢، إصلاح الخلل ص ١٠٢، تصحيح الفصيح وشرحه ص ٣٨٩، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٣، ١٩/ ١٢، شرح الكافية للرضي ٤/ ٤٧٣، رصف المبانِي ص ٢٩٢، اللسان: شرر، مغني اللبيب ص ٣٥٠، ٦٧٧، الدر المصون ٦/ ٣٩٢، شرح شواهد المغني ص ٦٥١، خزانة الأدب ١١/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(٥) معانِي القرآن ص ٤٤٥، ونص كلامه: «زلفى هاهنا اسم المصدر، كأنه أراد: بالتي تقربكم عندنا إزلافًا».

والمعنى: ومـا أموالكم بالتِي تقربكم عندنا تقريبًـا، ولا أولادكم بالتِي تقرِّبُكم عندنا زلفى، ثم حذف[1] كما قال الشاعر:

١٥٧ ـ نَحْنُ بِما عِنْدَنا وَأَنْتَ بِما عِنْـ ـدَكَ راضٍ، والـرَّأْيُ مُخْتَلِـفُ[2]

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ يعني: لَكِنْ مَنْ آمَنَ، وفِي محل ﴿مَنْ﴾ مِـنَ الإعراب وجهـان، أحدهما: النصب بوقـوع «تُقَـرِّبُ»، والثانِي: الرفع، تقديره: وما هو إلا مَـنْ آمَنَ[3] ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾

---

(١) الحذف هنا من الأول لدلالة الثانِي عليه، وهذا مذهب سيبويه، وقاله الفراء والزجاج، وأجاز الفـراء وجهًا آخر، وهـو أن يكون «الّتِي» للأموال والأولاد معًـا، وعليه فلا حذف، وهو ما رجحـه أكثـر العلماء، ينظر: الكتـاب ١/ ٧٥-٧٦، معانِي القرآن للفـراء ٢/ ٣٦١-٣٦٢، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٥، وينظر أيضًا: معانِي القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٠، إعراب القرآن ٣/ ٣٥١-٣٥٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢١٠، ٢١١، البحر المحيط ٧/ ٢٧٢.

(٢) البيت من المنسـرح، لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي جَـدِّ عبد الله بن رواحة، من قصيدة طويلة يخاطب بها مالكَ بنَ العَجْلانِ الخزرجيَّ، ونُسِبَ لقيس بن الخطيم، ولدرهم بن زيد الأنصاري.

التخريـج: ملحق ديـوان قيس بن الخطيـم ص ٢٣٩، الكتـاب ١/ ٧٥، معاني القـرآن للفراء ١/ ٤٣٤، ٤٤٥، ٢/ ٣٦٣، ٣/ ٧٧، مجـاز القـرآن ١/ ٣٩، ٢٥٨، معانـي القـرآن للأخفـش ص ٨٢، ٣٣٠، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥١، جمهرة أشـعار العرب ص ٥٣١، المقتضب للمبرد ٣/ ١١٢، ٤/ ٧٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٤٤٥، ٣/ ٧، ٥/ ٤٤، شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/ ١٨٦، الصاحبي ص ٣٦٢، الإنصاف ص ٩٥، شرح شواهد الإيضاح ص ١٢٨، التبيان للعكبري ص ٦٤٨، شـرح التسـهيل لابن مالك ١/ ٦١، ٢/ ٥٠، أمالي ابن الحاجب ص ٧٢٦، اللسـان: قعد، مغني اللبيـب ص ٨١٠، المقاصد النحوية ١/ ٥٥٧، همع الهوامع ٣/ ٩٥، خزانة الأدب ١٠/ ٢٩٥، ٤٧٦.

(٣) هذان الوجهان قالهما الفراء والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٦٣، إعراب القرآن =

يُضَعِّفُ اللهُ حسناتِهِمْ، فيجزي بالحسنة الواحدة عَشْـرًا إلى ما زاد، ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ يعني غُـرَفَ الجنة وهي الدرجات والبيـوت فوق الأبنية ﴿ءَامِنُونَ ۝٣٧﴾ من الموت والغِيَر.

قرأ العامة: «جَزاءُ الضِّعْفِ» بالإضافة، وقرأ يعقوب: «جَزاءً» منوَّنًا منصوبًا «الضِّعْفُ»[١] رفعًا، مجازه: فأولئك لهم الضِّعْفُ جَزاءً على التقديم والتأخير، وقـرأ العامة: «فِي الْغُرُفـاتِ» جمعًا، واختاره أبو عُبيدٍ، قـال[٢]: لقوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [٣]، وقـرأ حمـزة والأعمش: «فِـي الْغُرْفةِ»[٤] على واحِدِهِ كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ [٥]، واسم الجنس يجوز أن يُرادَ به الجمعُ.

وما بعد هذا مُفَسَّـرٌ فيما تقدم إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾؛ أي: يُخْلِفُـهُ لكـم أو عليكم، يقال: أَخْلَفَهُ اللهُ لَهُ وعَلَيْهِ: إذا أَبْدَلَ له ما أذهب عنه، قال سعيد بن جبيرٍ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ فِي غير إسراف ولا تقتير ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾.

= ٣/ ٣٥٢، وينظر أيضًا: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢١١، البحر المحيط ٧/ ٢٧٢-٢٧٣، الدر المصون ٥/ ٤٤٩-٤٥٠.

(١) قـرأ يعقوب ورُوَيْسٌ وقتـادة والزهري ونصر بن عاصـم: «جَزاءً الضِّعْـفُ»، وقرأ الباقون بالإضافة، ينظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٦، النشر ٢/ ٣٥١، الإتحاف ٢/ ٣٨٧.

(٢) ينظر اختياره وقوله في الكشف والبيان ٨/ ٩١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٦.

(٣) العنكبوت ٥٨.

(٤) قـرأ بالإفراد أيضًا طلحةُ بن مصرف وخلفٌ وابنُ وثاب، ينظر: السـبعة ص ٥٣٠، تفسـير القرطبي ١٤/ ٣٠٦، البحر المحيط ٧/ ٢٧٣، الإتحاف ٢/ ٣٨٨.

(٥) الفرقان ٧٥.

فَصْلٌ

عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسـول الله ﷺ: «يُنادِي مَلَكٌ كُلَّ ليلة: لِدُوا لِلمَـوْتِ، ويُنـادِي مُنادٍ: اللَّهُمَّ هَبْ لِلمُمْسِـكِ تَلَفًا، ويُنادِي مُنـادٍ: اللَّهُمَّ هَبْ لِلمُنْفِقِ خَلَفًا، ويُنادِي مُنادٍ: لَيْتَ هَذا الخَلْقَ لَمْ يُخْلَقُوا، ويُنادِي مُنادٍ: لَيْتَهُمْ إذْ خُلِقُوا فَكَّرُوا فِيما خُلِقُوا لَهُ»[١].

قولـه تعالـى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنـي الأمم الخاليـة، كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ قَبْلَ/ كفار مكة ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يعني: وما بَلَغَ كفارُ مكة عُشْرَ الذي أُعْطِيَتِ الأممُ الخالية من الأموال والعُدّةِ والقوة والأجسام والنعمة وطول العمر، ويجوز: مِعْشـارَ شُكْرِ ما أنعمنا عليهم، قال الحسن: ما أَدَّوْا من الشكر عُشْرَ ما أُنْعِمَ عليهم.

والمِعْشـارُ والعُشْـرُ والعَشِـيرُ واحدٌ[٢]، ولَمْ يجئ في العدد إلى العشرة على «مِفْعالٍ» إلا هذا والمِرْباعُ، وهو الرُّبُعُ، ويقال: المِعْشـارُ: عُشْـرُ العُشْـرِ، وهـو جزءٌ من مائـةٍ، والمعنى: وما بلغ قومك ـ يا محمَّدُ ـ معشـارَ ما آتينا مَنْ قبلهـم مِن الأمم، فأهلكهم الله بتكذيب الرسـل، وذلـك قوله: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٥﴾ يعني العـذاب والعقوبة، قرأ ورشٌ: «نَكِيرِي» بياءٍ في الوصل فقط، وقرأ الباقون بغير ياءٍ في الحالين[٣]، ومحل ﴿نَكِيرِ﴾ رفعٌ؛ لأنه

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٩٢، الوسيط ٣/ ٤٩٧، مجمع البيان ٨/ ٢٢٢، تفسير القرطبي ٨/ ٣٧٤، الدر المنثور ١/ ٣١٣.

(٢) المعشار والعُشْـرُ والعَشِيرُ: الجزء من أجزاء العشـرة. ينظر: التهذيب ١/ ٤٠٨، الصحاح ٢/ ٧٤٦.

(٣) وقرأ يعقوب بياء فِي الوصل والوقف، ينظر: التيسير للداني ص ١٨٢، النشر ٢/ ٣٥١.

اسم ﴿كَانَ﴾، وخبرُه في قوله: ﴿فَكَيْفَ﴾، والنَّكِيرُ: اسمٌ بمعنى الإنكار.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾؛ أي: آمُرُكُمْ، فَأُوصِيكُمْ بِخَصْلَةٍ واحدةٍ، وهي كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾؛ أي: لأَجْلِ اللهِ، و﴿أَن﴾ في موضع الخفض على البيان من «واحِدةٍ» والترجمةِ عليها[1].

وقوله: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ بمعنى: اثنين مُتَناظِرَيْنِ، وواحدًا واحدًا متفكِّرين، والواو بمعنى «أوْ» للتخيير[2]، وهما في موضع نصبٍ على الحال، وليس معنى القيام هاهنا قيامًا على الرِّجْلَيْنِ، بل هو قيامٌ بالأمر الذي هو طَلَبُ الحَقِّ، وتَمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾، وهو مختصرٌ معناه: ثم تتفكروا جميعًا؛ لتعلموا صحة ما أمرتكم به[3]، والفِكْرُ: طلب المعنى، ثم ابتدأ فقال: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ محمدٍ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ أي: جُنُونٍ كما تقولون، و«ما» هاهنا نَفْيٌ وجَحْدٌ، ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما هو ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ يعني: في الآخرة.

---

(١) يعني أن «أنْ» بدل من «واحِدةٍ». ويجوز أن تكون «أنْ» في موضع رفع خبرًا لمبتدأ محذوف والتقدير: هي أن تقوموا، ويرى الزجاج أنه في موضع نصب على نزع الخافض؛ أي: لأن تقوموا. ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٧، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢١٢، وذكر العكبري أنه يجوز أن يكون في موضع نصب على المفعول لفعل محذوف أي: أعني قيامكم للهِ، ينظر: التبيان ص ١٠٧٠، وينظر أيضًا: البحر المحيط ٧/ ٢٧٦، الدر المصون ٥/ ٤٥٢.

(٢) هذا هو المفهوم من كلام الفراء، فقد قال: «وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، أي: يكفيني منكم أن يقوم الرجل منكم وحده أو هو وغيرُهُ ثم تتفكروا». معاني القرآن ٢/ ٣٦٤، وينظر في مجيئها بمعنى «أوْ»: الجنى الداني ص ١٦٦.

(٣) قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٤٩٨، وينظر: زاد المسير ٦/ ٤٦٥، تفسير القرطبي ١٤/ ٣١١.

قولـه تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ ﴾؛ أي: يرمي ويأتِي بالوحي، يُنَزِّلُهُ من السماء، فيقذفه إلى خير الأنبياء، والقَذْفُ: الرَّمْيُ بالسهمِ والحَصَى والكلامِ، وقولـه: ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ يعني: عالِمُ كُلِّ غَيْبٍ، وإذا قال: عالِمُ الغيب فهو غَيْبُ أمْرٍ واحدٍ، وهو رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، ويجوز: «عَلاَّمَ الْغُيُوبِ» بالنَّصب، قاله الخليل[1]، فمن رفعه فعلى وجهين، أحدهما: أنه خبر ابتداءٍ محذوفٍ، تقديره: هو علّام، والآخر: أنه خبرٌ ثانٍ لقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾، ومن نصبه فعلى وجهين، أحدهما: على المدح، تقديره: أعني علام الغيوب، والآخر: أنه نعت / لقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾. [٩٣/ أ]

قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمَّدُ ﴿إِذۡ فَزِعُواْ﴾ يعني: عند البعث يوم القيامة، ﴿فَلَا فَوۡتَ﴾؛ أي: فلَمْ يَفُوتُوا، يريد: لا يَفُوتُنِي منهم أحدٌ، ولا يَنْجُو مِنِّي ظالِمٌ، ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾﴾؛ أي: من تحت أقدامهم، وقيل: لَمْ يبعدوا مِنْ قَهْرِ اللهِ، وقيل: يعني: من القبور، وحيث كانوا فَهُمْ من الله قريبٌ، لا يبعدون عنه ولا يفوتونه، وقيل: أراد يوم بدر، وجواب «لَوْ» محذوف؛ أي: لرأيتَ ما رأيتَ.

قولـه تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ يعنون بمحمَّدٍ ﷺ وبما جاء به من القرآن حين عاينوا العذاب، ثم قال: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ يعني: التوبة، يقول: ومن أينَ لهم تناول التوبة ونَيْلُ ما يتمنون ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾﴾ يعني: عند معاينة العذاب من مكانٍ بعيدٍ، والتَّناوش: التناول وهو «تَفاعُلٌ» من النَّوْشِ الذي هو التَّناوُلُ، يقال: ناشَ يَنُوشُ: إذا تناول، و«التَّنَاوُشُ» رفعٌ بالابتداء، وخبره «أنّى لَهُم» مقدَّمٌ عليه.

---

(١) الجمل المنسوب للخليل ص ١٢٨، وقد قرأ بالنصب عيسى بنُ عمر وابنُ أبي إسحاق وزيدُ بنُ عَلِيٍّ وابنُ أبي عبلة وأبو حيوة وطلحةُ. ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٣، تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٣، البحر المحيط ٧/ ٢٨٧.

قرأ أبو عمرٍو وأبو بكرٍ والأعمشُ وحمزةُ والكسائيُّ وخَلَفٌ: «التَّناؤُشُ» بالمد والهمز[١]، وهو الإبطاء والبُعْدُ، يقال: نَأَشْتُ الشيءَ: إذا أخَذْتَهُ من بُعْدٍ، والنَّئِيشُ: الشَّيْءُ البَطِيءُ، قال الشاعر:

١٥٨ ـ تَمَنَّى نَئِيشًا أنْ يَكُونَ أطاعَنِي وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الأُمُورِ أُمُورُ[٢]

وقرأ الباقون بغير همز من التناول أيضًا، يقال: نُشْتُهُ نَوْشًا: إذا تَناوَلْتَهُ، قال الراجز:

١٥٩ ـ فَهْيَ تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلا
نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أجْوازَ الفَلا[٣]

---

(١) قرأ بالمد والهمز أيضًا: المفضلُ وأبو بكر عن عاصم، وقرأ الباقون وحفصٌ عن عاصم بغير همز، ينظر: السبعة ص ٥٣٠، حجة القراءات ص ٥٩١، تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٦، البحر المحيط ٧/ ٢٨٠، الإتحاف ٢/ ٣٨٩.

(٢) البيت من الطويل، لِنَهْشَلِ بن حَرِيٍّ، ويُرْوَى:
وَيَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الأُمُورِ أُمُورُ
اللغة: تَمَنَّى نَئِيشًا: تَمَنَّى أخيرًا وبَعْدَ الفَوْتِ أنْ لو كان أطاعني، وقد حدثت أمورٌ لا يُسْتَدْرَكُ بها ما فات.
التخريج: ديوانه ص ٩٥ (ضمن شعراء مقلون)، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٦٥، غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٧٣، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٤٤، التهذيب ١١/ ٤١٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٢٢، مقاييس اللغة ٥/ ٣٧٧، الكشف والبيان ٨/ ٩٥، أساس البلاغة: نأش، التنبيه والإيضاح ٢/ ٣٢٥، البيان للأنباري ٢/ ٢٨٤، عين المعانِي ورقة ١٠٧/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٧، اللسان: نأش، البحر المحيط ٧/ ٢٤٦، الدر المصون ٥/ ٤٥٤، التاج: نأش.

(٣) البيتان من الرجز المشطور، لِغَيْلانَ بن حُرَيْثٍ، ونُسِبا لأبِي النجم العجلي، وليسا في ديوانه، ويُرْوَى الأول: «باتَتْ تَنُوشُ»، والضمير في قوله: «فَهْيَ» للإبل، فالشاعر يصف إبلًا=

وتَناوَشَ القومُ فِي الحــرب: إذا تَدانَوْا وتَناوَلَ بعضُهُمْ بعضًا[١]، واختار أبــو عُبيدٍ تَــرْكَ الهمز، قال[٢]: لأنّ معنــاه التَّناوُل، فإذا هُمِــزَ كان معناه البُعْدَ، فكيــف يقول: أنّى لهم البُعْدُ من مكانٍ بعيــدٍ؟ يعني: مَنْ كان بعيدًا من الآخرة فكيــف يتناول التوبةَ؟ وأنّى تُقْبَــلُ التوبة فِي الدنيا، وقد ذهبت الدنيا، فصارت بعيدًا فِي الآخرة؟!

وعلى قراءةِ مَنْ هَمَزَ فلأنّ واو التناوش مضمومةٌ، وكلُّ واوٍ ضمتها لازمةٌ جاز إبدال الهمــزة منها نحو أدْؤُرٌ وأُجُوهٌ[٣]، والمعنــى: كيف لهم أن يتناولوا الإيمــان من بُعْدٍ ـ يعني: في الآخرة ـ وقد تركوه في الدنيا؟ وهو قوله: ﴿وَقَدْ

= شــربت الماء من الحوض، ويذكر أن قومه كلما حاولوا سَــفَرًا يَسْــقُونَ إبِلَهُمْ على نحوِ ما يُقَدِّرُونَهُ من بُعْدِ المسافة وقُرْبِها.

التخريج: الكتاب ٣/ ٤٥٣، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٦٥، مجاز القرآن ٢/ ١٥٠، إصلاح المنطــق ص٤٣٢، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٤٣، التهذيــب ١١/ ٤١٧، إعراب القراءات السبــع ٢/ ٢٢١، الحجة للفارسي ٣/ ٢٩٨، المنصف ١/ ١٢٤، مقاييس اللغة ٤/ ١١٧، ديوان الأدب ٤/ ٢٢، المخصص ١٤/ ٦٣، الكشف والبيان ٨/ ٩٦، الاقتضاب ٣/ ٣٢٩، أســاس البلاغة: جوز، شمس العلوم ٨/ ٥٢٤٦، البيان للأنباري ٢/ ٢٨٤، شرح المفصل ٤/ ٧٣، ٨٩، عيــن المعانِــي ورقة ١٠٧/ ب، تفســير القرطبي ١٤/ ٣١٦، شــرح الكافية للرضــي ٤/ ٢٦٦، ٣٣٦، اللســان: علا، نوش، البحر ٧/ ٢٤٦، الــدر المصون ٥/ ٤٥٤، الخزانة ٩/ ٤٣٧، ٤٣٨، التاج: نوش، علا، فلا.

(١) ينظر في معانِي التناوش والتناؤش: تهذيب اللغة ١١/ ٤١٦، ٤١٧، اللسان: نأش، نوش.

(٢) ينظر اختيار أبِي عبيد وقوله في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٦، الكشف والبيان ٨/ ٩٦، تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٦.

(٣) مــن أول قولــه: «وعلى قراءة من همز فــلأن واو التناوش». قاله الزجــاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٩، وينظر أيضًا: الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٤٤، معانِي القراءات ٢/ ٢٩٧، الحجة للفارسي ٣/ ٢٩٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢١٣.

﴿كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾؛ أي: كانوا كافرين بمحمَّدٍ ﷺ والقرآنِ في الدنيا من قبل نزول العذاب وما عاينوا من أهوال يوم القيامة، ﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٣﴾ يعني: يَرْمُونَ محمَّدًا ﷺ بالظن لا باليقين، وهو قولهم له: ساحرٌ بل كاهنٌ، بل شاعرٌ مجنونٌ، وقيل: يَرْجُمُونَ بالظن، ويقولون: لا بَعْثَ ولا نُشُورَ، ولا جَنّةَ ولا نارَ، ومعنى الغيب على هذا: الظَّنُّ، وهو ما غاب علمه عنهم، والمكان البعيد/ : بُعْدُهُمْ عَنْ عِلْمِ ما يقولون. [٩٣/ ب]

﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ﴾ يعني: مُنِعَ بين هؤلاء الكفار ﴿وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ من الإيمان والتوبة والرجعة إلى الدنيا فِي وقت الإياسِ، ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم﴾ يعني: بنظرائهم ممن كان على مثل حالهم من الكفار ﴿مِّن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ﴾ من البعث ﴿مُّرِيبِۭ ٥٤﴾ مُوقِعٍ لهم الرِّيبةَ، والله أعلم.

* * *

سورة الملائكة عليهم السلام
مكية

وهي ثلاثة آلافٍ ومائةٌ وثلاثون حرفًا، وسبعمائةٍ وسبعٌ وتسعون كلمةً، وخمسٌ وأربعون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سـورة الملائكة دَعَتْهُ يَوْمَ القيامةِ ثمانيةُ أبوابِ الجَنّةِ: أنِ ادْخُـلْ مِنْ أيِّ الأبوابِ شِئْتَ»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الملائكة ألَحَّ كُلُّ مَلَكٍ في السماء بجزائه، وقالوا: اللهم صَدَقَ عَبْدُكَ، فارْضَ عنه، ولا يزالون حتى يناديهم الرب ـ تعالى وتبارك ـ: أنِّي قد فعلتُ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول: الشـكر للهِ على نِعَمِهِ السَّـوابِغِ على

---

(١) ينظر: الكشـف والبيان ٨/ ٩٧، الوسـيط للواحدي ٣/ ٥٠٠، الكشاف ٣/ ٣١٣، مَجمع البيان ٨/ ٢٣٠.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

جميع خلقه، والشكر مصدر الحمد، تقول: الحمدُ للهِ شُكْرًا، وقوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خالِقُهما ومُبْدِؤُهُما على غير مثالٍ سَبَقَ، كقوله تعالى: ﴿فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [١]؛ أي: خَلَقَكُمْ وابْتَدَأَكُمْ.

وفي محل «فاطِرِ» من الإعراب ثلاثة أوجه[٢]: الخفض على النعت، والرفع على إضمار مبتدأٍ، والنصب على المدح، وكذلك قوله: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[٣] يعني: إلى أنبيائه، ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾؛ أي: ذَوِي أجنحةٍ، جمع جناحٍ، ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ قال الضحّاك: جبريل له جناحان، وميكائيل له ثلاثة أجنحةٍ، وإسرافيل له أربعة أجنحةٍ، وهذا من المعدول الذي لا ينصرف للعدل والصفة، وقد ذكرتُ نظيرَها فِي سورة النساء[٤]، وشرحتُهُ، فأغنى عن الإعادة هاهنا.

قوله: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ معناه: يزيد فِي أجنحة الملائكة ما يشاء، وهذا القول اختيار الزجّاج[٥] والفراء[٦]، وقيل: حُسْنُ الصوتِ[٧]، وقيل: هو الخَطُّ الحَسَنُ، وقيل: هو الملاحة فِي العينين.

---

(١) الإسراء ٥١.

(٢) هذا يَجُوزُ فِي غَيْرِ القرآن، وأما فِي القرآن فلا يجوز؛ لأنه لَمْ يُقْرأْ به.

(٣) ينظر في هذه الأوجه: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦١، إعراب القرآن ٣/ ٣٥٩، وقد قرأ الحسن: «جاعِلُ»، بالرفع بغير تنوين «المَلائِكةِ» بالخفض، وقرأ عبد الوارث عن أبِي عمرو: «جاعِلُ» بالرفع بِغَيْرِ تنوين «المَلائِكةَ» بالنصب، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٤، المحتسب ٢/ ١٩٨، البحر المحيط ٧/ ٢٨٤.

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ النساء الآية ٣، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٥) ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦١.

(٦) ينظر: معانِي القرآن ٣/ ٣٦٦.

(٧) قاله الزهري وابن جريج، ينظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٥٥٤، وهذا على القراءة الشاذة: «يَزِيدُ فِي الحَلْقِ» بالحاء المهملة، وهي قراءة ابن مسعود، ينظر: شواذ القراءة للكرماني ورقة ١٩٩.

فصْلٌ

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أن النبي/ ﷺ رأى جبريل عليه السّلام، وله [٩٤/ أ] ستمائة جناحٍ، فصَعِقَ النبيُّ ﷺ [(١)]، وكذلك قال ابن عبّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ: «رأى رسولُ اللهِ ﷺ ليلة المعراج جبريلَ عليه السّلام، وله ستمائة جناحٍ»[(٢)].

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه سمع نفرًا من أصحابه تفكروا فِي العرش، فقال: «لا تتفكَّروا في هذا، ولكنْ خَلْقٌ من خَلْقِ اللهِ تعالى، قد شَقَّ رأسُهُ السماءَ السابعةَ، ورِجْلاهُ فِي الأرض السابعة، له ثمانية أجنحةٍ، جناحان مُتَسَرْبِلٌ بهما، وجناحان مُرْتَدٍ بهما، وجناحان فِي المشرق، وجناحان فِي المغرب، ناحية العرش على كاهله، يَنْزِلُ الوحيُ على وجهه»، قيل: هو إسرافيل عليه السّلام.

ورَوَى ثورٌ[(٣)] عن بعض أهل العلم أنه قال: بلغنا أن في السماء مَلَكًا قد عَظَّمَهُ اللهُ وشَرَّفَهُ، له ثلاثمائة وستون عينًا من نورٍ، بعضها مثل الشمس، وبعضها مثل القمر، وبعضها مثل كوكب الصبح، يُسَبِّحُ اللهَ ويُقَدِّسُهُ منذ خلقه الله تعالى، فكل تسبيحةٍ تخرج مِنْ فِيهِ يخلق الله تعالى منها ملكًا يسبِّح الله ويقدِّسه، وذلك قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الزيادة والنقصان ﴿قَدِيرٌ ①﴾.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٧، ٤١٢، ٤٦١، والبخاري في صحيحه ٦/ ٥١ كتاب تفسير القرآن: سورة «والنَّجْم»، ورواه مسلم في صحيحه ١/ ١٠٩ كتاب الإيمان/ باب في معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣].

(٢) ينظر: الوسيط ٣/ ٥٠٠، مجمع البيان ٨/ ٢٣١، الدر المنثور ٥/ ٩٤.

(٣) ثور بن يزيد الكَلاعِيُّ، أبو خالد الحمصي، محدث ثقة إلا أنه كان يرى القدر، فأخرجه أهل حمص، فانتقل للمدينة، وتوفِّيَ في بيت المقدس سنة (١٥٣هـ). [سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤٤-٣٤٥، الأعلام ٢/ ١٠٢].

ورُوِيَ عن الهيثم القارئ قال[١]: رأيت النبيَّ ﷺ في المنام، فقال: «أنت الهيثم الذي تُزَيِّنُ القرآنَ بصوتك؟ جزاك الله خيرًا».

ورُوِيَ عن عاصم بن مهاجرٍ الكَلاعِيِّ[٢] عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخَطُّ الحَسَنُ يَزِيدُ الحَقَّ وَضَحًا»[٣].

ورُوِيَ عن قتادة فِي قول الله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾، قال: هو الملاحة فِي العينين[٤]، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ يعني: من خيرٍ وعافيةٍ ونعمةٍ، ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ أي: لا يقدر على حبسها غيره، ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ يعني: وما يحبس من الرزق ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ يعني: فلا مُعْطِيَ له من بعد الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي مُلْكِهِ بالغلبة منه فِي الأشياء كلها على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ فِي مُلْكِهِ بالعدل منه على جميع خلْقِه، وقيل: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فيما أمسك ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما أرسل، ومحلُّ «ما» رفعٌ بالابتداء، وهو شرطٌ وجزاءٌ فِي الموضعين.

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٩٨، عين المعانِي ورقة ١٠٧/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٠، تفسير الثعالبي ٤/ ٣٨٢.

(٢) روى عنه أبو اليمان عن أبيه مرفوعاً: «الخط الحسن... إلخ»، قال الذهبي: «هذا خبر منكر»، وقال ابن قانع عن مهاجر: «لست أعرف له صحبة». ميزان الاعتدال ٢/ ٣٥٨، وينظر: لسان الميزان ٣/ ٢٢١.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٩٨، عين المعانِي ورقة ١٠٧/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٠، وقال الذهبي: «هذا خَبَرٌ منكر». ميزان الاعتدال ٢/ ٣٥٨، وينظر أيضًا: لسان الميزان ٣/ ٢٢١، الجامع الصغير ١/ ٦٣٦، كنز العمال ١٠/ ٢٤٤.

(٤) ينظر: الكامل في الضعفاء ٣/ ٤٧، الكشف والبيان ٨/ ٩٨، الوسيط ٣/ ٥٠٠، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٠، ميزان الاعتدال ١/ ٦٦٣، الدر المنثور ٥/ ٢٤٤.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني أهل مكة ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، ثم أخبر بالنعمة فقال: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾ الآية، وهو استفهام توبيخٍ وتقريرٍ، أي: لا خالِقَ سِواهُ، قرأ شقيق بن سلمة[١] وأبو جعفرٍ والأعمش وحمزة والكسائي: «غَيْرِ»[٢] بالخفض، وهو اختيار أبي عُبيدٍ، وقرأ الباقون بالرفع، فمن رفع «غير» فعلى معنى: هل خالِقٌ غَيْرُ اللهِ؟ لأن ﴿مِنْ﴾ زيادةٌ مُؤَكِّدةٌ، وهو قول الزجّاج[٣]، ومَنْ خفض «غير» جعله صفة «خالق» على/ اللفظ، وهذه الآية حُجّةٌ على القَدَرِيّةِ؛ لأنه نَفَى خالِقًا غَيْرَهُ وهم يثبتون معه خالِقِينَ[٤].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ في البعثِ أنه كائنٌ، والحسابِ والجزاءِ بالثواب والعقاب ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فإنها فانيةٌ ومنقطعةٌ، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ يعني: الباطل وهو الشيطان، وكل من غُرَّ فهو غَرُورٌ.

قرأه العامة بفتح الغين، وقرأ أبو حيوة الشامي وأبو السَّمّالِ العَدَوِيُّ[٥]

(١) شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفِيُّ، ثقة كثير الحديث، أدرك النبيَّ ولَمْ يره، وروى عن عدد الصحابة، حفظ القرآن في شهرين، وعرضه على ابن مسعود، توفِّيَ سنة (٨٢هـ). [حلية الأولياء ٤/ ١٠١، غاية النهاية ١/ ٣٢٨].

(٢) وبها قرأ أيضًا خلفٌ وابنُ محيصن وابنُ وثاب وزيدُ بنُ عَلِيٍّ، وقرأ الباقون بالرفع، ينظر: السبعة ص ٥٣٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٢٤، البحر ٧/ ٢٨٦، الإتحاف ٢/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٢.

(٤) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٩٨، وينظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٢.

(٥) قَعْنَبُ بن أَبِي قَعْنَبٍ العدوي البصري، وقيل: اسمه معتب بن هلال، له اختيار في القراءة شاذ عن الجمهور، لا يُعْتَمَدُ على نقله، ولا يُوثَقُ به، توفي سنة (١٦٠هـ) تقريبًا. [الوافي بالوفيات ٢٤/ ٢٦٣، غاية النهاية ٢/ ٢٧].

بضم الغين[١]، فمن فتح الغين جعله اسمًا للشيطان، ومن ضمها جعله جمع «غارٍّ»، كقولك: جالِسٌ وجُلُوسٌ[٢]، وقيل[٣]: هو جمع غَرٍّ، وغَرَّ [غُرُورًا، فهو] [٤] مصدر كالدُّخُولِ.

قوله: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ نزلت فِي معاندي اليهود والنصارى، وقيل: فِي أبي جهل بن هشامٍ، والعاص بن وائلٍ، وهو محذوف الجواب؛ أي: كمن هداه الله، يعني: عمر بن الخطاب، ويدل على هذا المَحذوف قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾؛ أي: لا تندم يا محمَّدُ على كفار مكة إن لَمْ يؤمنوا، ومحل التاء من ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ نصبٌ على المفعول من أجله، وقيل: على المصدر[٥].

قرأ العامة: «تَذْهَبْ» بفتح التاء والهاء «نَفْسُكَ» بضم السين، وقرأ أبو جعفرٍ بضم التاء وكسر الهاء وفتح السين[٦].

---

(١) وبها قرأ أيضًا أبو بكر بن عياش وسِماكِ بنِ حرب ومحمد بن السَّمَيْفَع، وينظر ما تقدم في الآية ٣٣ من سورة لقمان ص ٣٦٩-٣٧٠، وينظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٣، البحر ٧/ ٢٨٧.

(٢) هذا قول الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٣، إعراب القرآن ٣/ ٣٦١، ومعانِي القرآن للنحاس ٥/ ٤٣٨، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢١٥، عين المعانِي ورقة ١٠٧/ ب.

(٣) هذا القول حكاه النحاس عن أبي حاتم في إعراب القرآن ٣/ ٣٦١، وهو قولٌ آخَرُ للزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٣، معانِي القرآن للنحاس ٥/ ٤٣٨، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢١٥.

(٤) زيادة يستقيم بها المعنى.

(٥) وهذا المصدر حال، ينظر في هذين الوجهين: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٣، التبيان للعكبري ص١٠٧٣، الدر المصون ٥/ ٤٦٠.

(٦) قرأ أبو جعفر وابن محيصن وشيبة، ونافعٌ في روايةٍ عنه، وعيسى بن عمر والشنبوذي =

والحسرة: شدة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تَغْتَمَّ بكفرهم وهلاكهم إذْ لَمْ يؤمنوا، ولا تُهْلِكْ نَفْسَكَ عليهم حسراتٍ على تركهم الإسلامَ، نظيرها قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾ [(١)]؛ أي: قاتِلٌ نَفْسَكَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ عالِمٌ بصنعهم، فيجازيهم على ذلك.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ﴾ قال الفراء[(٢)]: معناه: من كان يريد عِلْمَ العِزّةِ لِمَنْ هِيَ؟ ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾؛ أي: فإنها لله ﴿جَمِيعًا﴾ وقال قتادة[(٣)]: معناه: من كان يريد العزة فَلْيَتَعَزَّزْ بطاعة الله، كما يقال: من أراد المال فالمال لفلانٍ؛ أي: فليطلبه من عنده، ويدل على صحة هذا التأويل ما رُوِيَ عن ثابتٍ[(٤)] عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربَّكم يقول كل يومٍ: أنا العَزِيزُ، فَمَنْ أرادَ عِزَّ الدّارَيْنِ فَلْيُطِعِ العَزِيزَ»[(٥)]. ونصب ﴿جَمِيعًا﴾ على الحال.

= والأشهب العقيلي وأبو بكر وأبو حيوة وحميد والأعمش ويزيد بن القعقاع وقتادة: «فَلا تُذْهِبْ نَفْسَكَ»، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٤، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٥، البحر المحيط ٧/ ٢٨٨، النشر ٢/ ٣٥١، الإتحاف ٢/ ٣٩١، ٣٩٢.

(١) الشعراء ٣.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٦٧.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ٢٢/ ١٤٤، معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٠، الوسيط للواحدي ٣/ ٥٠٢، زاد المسير ٦/ ٤٧٧.

(٤) هو ثابت بن أسلم، أبو محمد البَنانِيُّ القرشي البصري، تابعي صَحِبَ أَنَسَ بن مالك أربعين سنة، وهو ثقة صالح مِنْ أَعْبَدِ أهل البصرة، توفي سنة (١٢٣هـ)، وقيل: (١٢٧هـ). [حلية الأولياء ٢/ ٣١٨، تهذيب الكمال ٤/ ٣٤١].

(٥) هذا حديث موضوع، رواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١١٩-١٢٠، وينظر: الوسيط ٣/ ٥٠٢، زاد المسير ٦/ ٤٧٧، عين المعاني ١٠٧/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٩، تاريخ دمشق ١٢/ ٧.

قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني: الكلام الحسن، وهو قول العبد: لا إله إلا الله، وكُلُّ ذِكْرٍ مَرْضِيٍّ للهِ تعالى، مثل: سبحان الله، والحمد للهِ، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ومعنى / ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ﴾؛ أي: إنه يعلم ذلك، كما يقال: ارتفع الأمر إلى القاضي وإلى السلطان أي: عَلِمَهُ، ويجوز أن يكون معنى ﴿إِلَيۡهِ﴾؛ أي: إلى سمائه، وهو المَحَلُّ الذي لا ينبغي لأحدٍ سواه فيه مُلْكٌ ولا حُكْمٌ، فجعل صعوده إلى السماء صعودًا إليه[١]، والكَلِمُ: جمع كلمة، وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمي: «الْكَلامُ الطَّيِّبُ»[٢]. [٩٥/ أ]

قوله: ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ اختلف العلماء فِي حكم هذه الكناية ومعنى الآية، فقال أكثر المفسرين: الهاء فِي قوله: ﴿يَرۡفَعُهُۥ﴾ راجعة إلى ﴿ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، يعني أن العمل الصالح يرفع الكلِمَ الطيِّب، ولا يُقْبَلُ القولُ إلا بالعمل الصالح، وهذا اختيار نحاة البصرة[٣].

فمن قال قولاً صالحًا، وعَمِلَ عَمَلًا غَيْرَ صالحٍ رَدَّ الله عليه قولَهُ، ومن قال حَسَنًا وعَمِلَ صالحًا رَفَعَهُ، ودليل هذا القول قوله ﷺ: «لا يَقْبَلُ اللهُ قَوْلًا إلا بالعملِ، ولا يَقْبَلُ قَوْلًا ولا عَمَلًا إلا بِنِيّةٍ»[٤]، وجاء في الخبر: «طَلَبُ الجَنّةِ بِلا عَمَلٍ ذَنْبٌ مِنَ الذُّنُوبِ»[٥]، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

---

(١) ينظر فِي هذا: الوسيط ٣/ ٥٠٢، عين المعاني ١٠٨/ أ، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٩.

(٢) هذه قراءة عَلِيٍّ وابن مسعود وزيد بن عليٍّ وإبراهيم النخعي أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٤، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٦٧، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٠.

(٣) ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٥، معانِي القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٠؛ ٤٤٢، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٤.

(٤) رواه ابن حبان عن ابن مسعود في كتاب المجروحين ١/ ١٥٠، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٠١، عين المعانِي ورقة ١٠٨/ أ، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٠، ميزان الاعتدال ١/ ٩٠.

(٥) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٠١.

١٦٠ ـ لا تَرْضَ مِنْ رَجُلٍ حَلاوةَ قَوْلِهِ حَتَّى يُصَدِّقَ ما يَقُولُ فَعالُ
فَإذا وَزَنْتَ مَقالَهُ بِفَعالِهِ فَتَوازَنا فَجَمِيعُ ذاكَ جَمالُ(١)

وقال ابن المقفع(٢): قَوْلٌ بلا عملٍ كثَرِيدٍ بلا دَسَمٍ، وسَحابٍ بلا مَطَرٍ، وقَوْسٍ بلا وَتَرٍ. وقد قيل:

١٦١ ـ لا يَكُونُ المَقالُ إلاَّ بِفِعْلٍ إنّما القَوْلُ زَيْنُهُ فِي الفَعالِ
كُلُّ قَوْلٍ يَكُونُ لا فِعْلَ فِيهِ مِثْلُ ماءٍ يُصَبُّ فِي غِرْبالِ(٣)

وأنشد أبو القاسم الحَبِيبِيُّ(٤) لنفسه:

١٦٢ ـ لا يَتِمُّ المَقالُ إلاَّ بِفِعْلٍ كُلُّ قَوْلٍ بِلا فَعالٍ هَباءُ
إنّ قَوْلاً بِلا فَعالٍ جَمِيلٍ وَنِكاحًا بِلا وَلِيٍّ سَواءُ(٥)

---

(١) البيتان من الكامل، لإسحاقَ الموصليِّ، وأنشد بعضُهم البيتَ الأول مع بيتين آخرين للخليفة العباسيِّ المأمونِ.
اللغة: الفَعالُ: اسم للفعل الحسن، والفَعالُ: فعل الواحد خاصة في الخير والشر.
التخريج: ديوان إسحاق الموصلي ص ١٧٢، نشوار المحاضرة ٧/ ١٣٥، أدب الدنيا والدين ص ٤١٣، الكشف والبيان ٨/ ١٠١، تاريخ دمشق ٨/ ١٦٢، عين المعانِي ورقة ١٠٨/ أ، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٩، حماسة الظرفاء ١/ ٣٠٩.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ١٠١، الكشاف ٣/ ٣٠٢، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٩.

(٣) البيتان من الخفيف، لَمْ أقف على قائلهما أو مناسبتهما.
التخريج: الكشف والبيان ٨/ ١٠١-١٠٢.

(٤) هو الحسن بن محمد بن حَبِيبٍ الحَبِيبِيُّ، أديب واعظ مفسر، وله شعر جيد فِي الوعظ، توفِّي سنة (٤٠٦هـ)، من كتبه: عقلاء المجانين، وصنف في القراءات والتفسير والأدب. [الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٣٩، بغية الوعاة ١/ ٥١٦، الأعلام ٢/ ٢١٣].

(٥) البيتان من الخفيف.
التخريج: الكشف والبيان ٨/ ١٠٢، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٩.

وقيل: هذه الكناية راجعةٌ إلى العمل، يعني أن الكلِم الطيِّب يرفع العمل، فلا يُرْفَعُ وَلا يُقْبَلُ عَمَلٌ إلا أن يكون صادرًا عن التوحيد، وعائدُ الذِّكْرِ يُرْفَعُ ويُنْصَبُ، وهذا التأويل اختيار نحاة الكوفة(١)، وقال آخرون(٢): الهاء كناية عن العمل، والرفع من صفة الله تعالى أي: يرفعه الله.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: المُحتاجون إليه في رزقه ومغفرته، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن عبادتكم ﴿الْحَمِيدُ (١٥)﴾ عند خلقه بإحسانه إليهم، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ شرطٌ وجزاءٌ، ﴿وَيَأْتِ﴾/ ﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾؛ أي: نَفْسٌ مُثْقَلةٌ بالذنوب والخطايا ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ أي: إلى ما حَمَلَتْ من الخطايا والذنوب ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ جزمٌ على جواب الشرط ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾؛ أي: ولو كان الذي يدعوه ذا قرابةٍ ما حَمَلَ عنه شيئًا، قال ابن عبَّاسٍ(٣): يقول الأب والأم: يا بُنَيَّ! احْمِلْ عَنِّي، فيقول: حَسْبِي ما عَلَيَّ. [٩٥/ ب]

وقال الفُضَيْلُ بن عِياضٍ(٤) في قوله تعالى: ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٧، جامع البيان ٢٢/ ١٤٤-١٤٥، الكشف والبيان ٨/ ١٠٢.

(٢) هذا قول قتادة وابن الأنباري، وقد أجاز ابن الأنباري قولَ الفراء أيضًا، ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٤٨، وينظر أيضًا: معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٢، الكشف والبيان ٨/ ١٠٢، زاد المسير ٦/ ٤٧٨.

(٣) ينظر قول ابن عباس في الوسيط ٣/ ٥٠٣.

(٤) الفُضَيْلُ بن عِياضِ بن مسعود، أبو علي التميمي اليربوعي، شيخ الحرم المكي، من أكابر العلماء الصالحين، محدث ثقة، أخذ عنه خلق كثير منهم الشافعي، ولد بسمرقند ونشأ بأَبِيْوَرْدَ، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها، ثم سكن مكة، وتوفي بها سنة (١٨٧هـ). [تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٨١؛ ٣٠٠، الأعلام ٥/ ١٥٣].

قُرْبَىٰٓ﴾، قال: يعني الوالدة تَلْقَى وَلَدَها يوم القيامة، فتقول: يا بُنَيَّ! أَلَمْ يكن بطني لك وِعاءً؟ أَلَمْ يكن ثَدْيِي لك سِقاءً؟ فيقول: بلى يا أُمّاهُ، فتقول: يا بُنَيَّ! أَثْقَلَتْنِي ذُنُوبِي؛ فاحمِلْ عنِّي ذنبًا واحدًا، فيقول: يا أُمّاهُ إِلَيْكِ عَنِّي؛ فَإِنِّي عَنْكِ اليومَ مشغولٌ[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ يعني العالم والجاهل، والمؤمن والكافر، ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ يعني الكفر والإيمان ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ يعني الجنة والنار، والحَرُورُ: الرِّيحُ الحارّةُ بالليل، والسَّمُومُ: الرِّيحُ الحارّةُ بالنهار مع الشمس[٢]، ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ يعني: يُسْمِعُ كَلامَهُ من يشاء من أوليائه الذين خلقهم لجنته، فيتعظون بذلك ويجيبون، ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمَّدُ ﴿بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ يعني الكفار، شَبَّهَهُمْ بالموتى حين صَمُّوا فلا يجيبون.

وقرأ الأشهب العقيلي[٣]: «بِمُسْمِعِ مَنْ فِي الْقُبُورِ»[٤]، بلا تنوين على الإضافة، فعلى هذه القراءة تكون ﴿مَّن﴾ فِي موضع خفضٍ، وعلى قراءة العامة تكون ﴿مَّن﴾ في موضع نصبٍ.

---

(١) ينظر قول الفضيل في الكشف والبيان ٨/ ١٠٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٨.

(٢) وقيل: الحَرُورُ: يكون بالليل والنهار، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٥٤، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٨، إعراب القرآن ٣/ ٣٦٩-٣٧٠، تهذيب اللغة ٣/ ٤٢٨-٤٢٩، ١٢/ ٣٢٠.

(٣) وجاء اسمه في إعراب القراءات السبع ١/ ٩٩: «الأشعث العقيلي»، ولم أقف له على ترجمة.

(٤) وهذه أيضًا قراءة عَلِيِّ بنِ أبي طالب والحسنِ وعيسى بنِ عمر وعمرِو بنِ ميمونٍ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٤، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٠، البحر المحيط ٧/ ٢٩٥.

وقوله: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ ابتداءٌ وخبرٌ، يعني: ما أنت إلا رسولٌ تنذرهم النارَ وتُخَوِّفُهُمْ، وليس عليك غير ذلك، وهو قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: القرآن ﴿بَشِيرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنار، وهما منصوبان على الحال[1] ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾؛ أي: وما من أمة ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ يعني: سَلَفَ فيها نَبِيٌّ.

قوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمَّدُ، يعني أهل مكة، يُعَزِّي نَبِيَّهُ ﷺ، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ المعنى واحدٌ، وإنما كرر ذلك لاختلاف اللفظينِ، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ﴾/ ﴿كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ يعني: إنكاري عليهم بالعذاب والعقوبة، وهو اسمٌ بمعنى الإنكار. [٩٦/ أ]

قرأ وَرْشٌ: «نَكِيري» بياءٍ في الوصل فقط، وقرأ الباقون بغير ياءٍ في الحالينِ، نظيره قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[2]، وقد مضى ذكره في سورة سبأٍ[3].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ بِيضٌ وحُمْرٌ وصُفْرٌ، مختلفٌ في طعمها ورائحتها، وإنما قال: ﴿مُّخْتَلِفًا﴾؛ لأنه قُدِّمَ النَّعْتُ على الاسم؛ فلذلك نُصِبَ، وإذا تقدم نعت النكرة عليها نُصِبَ على الحال، كقولك: هذا رَجلٌ مقبِلٌ، وهذا مُقْبِلًا رَجلٌ[4].

(١) وهي الحال اللازمة الذِّكْرِ.
(٢) سبأ ٤٥.
(٣) ينظر ٢/ ١٨١.
(٤) ونظيره قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، وينظر ما سبق في سورة الأنبياء ١/ ١٧٩.

وقيل(١): ﴿مُخْتَلِفًا﴾ نعت لـ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾، و﴿أَلْوَٰنُهَا﴾ رفع فاعلٍ، وفعلها الاختلاف، فإن قيل: لو كان ﴿مُخْتَلِفًا﴾ نعتَ الثمرات لكان: مختلفة، قلنا: الاختلاف للألوان، ويجوز أن يكون نَعْتُ شيءٍ نعتًا لشيءٍ آخرَ(٢)، كقولك: مَرَرْتُ بامرأة حَسَنٍ زوجُها، فالحَسَنُ الزَّوجُ، والهاء نعت المرأة.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ﴾؛ أي: ومما خلقنا من الجبال جُدَدٌ بيضٌ؛ أي: طُرُقٌ، واحدتها جُدَّةٌ، مثل: غُدَّةٍ وغُدَدٍ، ومُدَّةٍ ومُدَدٍ، وأما جمع الجَدِيدِ فجُدُدٌ بضم الدال، نحو: سَرِيرٍ وسُرُرٍ، قال الفراء(٣): والجُدَدُ: الطُّرُقُ تكون فِي الجبال كالعروق، بِيضٌ وحُمْرٌ وسُودٌ، وقال المبرد(٤): هي طرائق وخطوط. وَنَحْوَ هَذا قالَ المُفَسِّرُونَ فِي تفسير الجدد.

وقوله: ﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ قال الفراء(٥): فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، مَجازُهُ: وسُودٌ غَرابِيبُ؛ لأنه يُقالُ: أَسْوَدُ غِرْبِيبٌ، وقَلَّما يُقالُ: غِرْبِيبٌ أَسْوَدُ. وهي جمع غِرْبِيبٍ، وهو الشديد السواد، تشبيهًا بلون الغراب(٦). قال الشاعر يصف كرمًا:

١٦٣ - وَمِنْ تَعاجِيبِ خَلْقِ اللهِ غاطِيَةٌ ... البَعْضُ مِنْها مُلاحِيٌّ وَغِرْبِيبُ(٧)

---

(١) قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٤٤٧، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٠.
(٢) يعني بذلك النعتَ السببيَّ.
(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٦٩.
(٤) ينظر قول المبرد في الوسيط للواحدي ٣/ ٥٠٤.
(٥) هذا القول لَمْ أقف عليه في معاني القرآن، وإنما حكاه عنه الواحدي في الوسيط ٣/ ٥٠٤، وينظر أيضًا: زاد المسير ٦/ ٤٨٥-٤٨٦، مجمع البيان ٨/ ٢٤٢.
(٦) هذا كلام أبي عبيدة، حكاه عنه النحاس في معاني القرآن ٥/ ٤٥٣، ولَمْ أقف عليه في مجاز القرآن، وهو قول ابن قتيبة أيضًا، قاله في تفسير غريب القرآن ص ٣٦١.
(٧) البيت من البسيط لعبد الله الغامدي، ويُرْوَى: «وَمِنْ أعاجِيبِ... يَخْرُجُ مِنْها»، ويُرْوَى: «يُعْصَرُ مِنْها مُلاحِيٌّ».
=

قولـه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: وخَلَقَ من الناس ﴿وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ ما هو ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ حُمْرٌ وصُفْرٌ وبِيضٌ وسُودٌ، وإنما قال: ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾، ولَمْ يقـل: ألوانها؛ لأن الكناية مردودة إلـى «ما» في الإضمار، مَجازُهُ: ومن الناس والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه[1] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ وتَمَّ الكلامُ هاهنا؛ أي: ومن هذه الأشياء مختلفٌ ألوانُهُ كاختلاف الثمرات والجبال / . [٩٦/ ب]

ثـم ابتدأ فقـال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ قال ابـن عبّاسٍ[2]: يريد: إنما يخافني مِنْ خَلْقِي مَنْ عَلِمَ جَبَرُوتِي وعِزَّتِي وسُـلْطانِي، فمَنْ خَشِيَ اللهَ فهو عالِمٌ، وهذه قراءة العامة، ورُوِيَ عن عمر بن عبد العزيز أنه قرأ: «إنّما يَخْشَى اللهُ» رفعًا «العُلَماءَ» نصبًا، وهو اختيار أبي حنيفة، على معنى: يُعَظِّمُ[3]، وقيـل: يختار. قيل: نزلت هـذه الآية في أبي بكرٍ الصِّدِّيـق ـ رضي الله عنه ـ،

= اللغة: التَّعاجِيبُ: العجائب، لا واحد لها من لفظها، الغاطِيةُ: الكَرْمُ، يقال: غَطَتِ الشجرةُ: إذا طالـت أغصانها، المُلاحِيُّ: نوع من العنـب حَبُّهُ أبيض طويل، الغِرْبِيبُ: عنب بالطائف شديد السواد، وهو أجود العنب.

التخريـج: أدب الكاتـب ص ٢٩٢، جمهـرة اللغـة ص ٥٦٩، ٩١٩، ١٠٧٩، ١٢٦٣، المخصص ٢/ ١٠٦، ١١/ ٧٠، الكشـف والبيان ٨/ ١٠٥، تصحيح الفصيح ص ٣٩٢، الاقتضاب ٢/ ٣٦، ٣/ ٢٣٢، شـرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٠٧، أسـاس البلاغة: صلب، عين المعاني ١٠٨/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٣، اللسان: عجب، غطي، ملح، البحر المحيط ٧/ ٢٩٧، التاج: عجب، غطي.

(١) يعني أنه على تقدير حذف «ما» الموصولة، ينظر: إعـراب القرآن ٣/ ٣٧١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢١٦.

(٢) ينظر قول ابن عباس في الوسيط للواحدي ٣/ ٥٠٤، زاد المسير ٦/ ٤٨٦.

(٣) وهي أيضًا قراءة أبي حيوة، ينظر: شـواذ القراءة للكرمانيِّ ورقة ٢٥٠، الكامل في القراءات ورقة ٤٥٨، إعراب القراءات الشـواذ ٢/ ٣٤٩، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٤، مفاتيح الغيب ٢٦/ ٢١، البحر المحيط ٧/ ٢٩٨.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ ٢٨﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني قُرّاءَ القرآن، أثْنَى عليهم بقراءة القرآن، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ نصبٌ على الحال، وإن شئتَ قلتَ: هما اسمان أقيما مقام المصدر، وقوله: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ لن تكْسُدَ ولن تفسد ولن تهلك، قال الفراء[1]: قوله: ﴿يَرْجُونَ﴾ جواب لقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ ﴾.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ جزاء أعمالهم بالثواب، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ قال ابن عبّاسٍ: سِوَى الثوابِ مما لَمْ تَرَ عَيْنٌ ولَمْ تسمع أُذُنٌ، ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ٣٠﴾ قال ابن عبّاسٍ: غَفَرَ العظيمَ من ذنوبهم، وشَكَرَ اليسيرَ من أعمالهم.

فصْلٌ

عن عبد الله بن عُبيد بن عميرٍ اللَّيثي[2] أنه قال: قام رَجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! ما لِي لا أُحِبُّ الموتَ؟ قال: «أَلَكَ مالٌ؟» قال: نَعَمْ، قال: «فَقَدِّمْهُ»، قال: لا أستطيع، قال: «فإن قُلْتُ: المَرْءُ مَعَ مالِهِ، إنْ قَدَّمَهُ أحَبَّ أنْ يَلْحَقَ بِهِ، وَإنْ أخَّرَهُ أحَبَّ أنْ يَتَأخَّرَ مَعَهُ»[3].

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٦٩، ويعني بالجواب هنا خبر «إنّ».

(٢) أبو هاشم المكي، تابِعِيٌّ روى عن أبيه وعن ابن عباس وابن عمر، كان من عُبّاد أهل مكة، ثقة يحتج بحديثه، توفِّي سنة (١١٣هـ). [تهذيب الكمال ١٥/ ٢٥٩؛ ٢٦١، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٦٩-٢٧٠].

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٠٦، مجمع البيان ٨/ ٢٤٣، تفسير الثعالبي ١/ ٣٠٣-٣٠٤، كنز العمال ١٥/ ٥٥١.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾ يعني: موافقًا ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾؛ أي: لِما قَبْلَهُ مِن الكتب السالفة، وهو منصوبٌ على القطع والحال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ﴾ بهم ﴿بَصِيرٞ ٣١﴾ بأعمالهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ وهم أُمّة محمَّدٍ ﷺ، ثم قَسَّمَهُمْ وَرَتَّبَهُمْ ثلاثَ درجاتٍ، فقال تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بالكفر، وقيل: هو الذي مات على كبيرةٍ، ولَمْ يَتُبْ منها، فذلك في النار، ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ عادلٌ لَمْ يُصِبْ كبيرةً، وهم أصحاب اليمين من أهل الجنة، ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ بالأعمال الصالحة ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بأمر الله وإرادته، وهم المُقَرَّبُونَ إلى عَدْنٍ، وهي الدرجة العليا.

وقال الحسن: الظّالِمُ: الذي تَرْجَحُ سَيِّئاتُهُ على حسناته، والمقتصِد: الذي اسْتَوَتْ حسناتُهُ وسيِّئاتُهُ، والسابق: مَنْ رَجَحَتْ حَسَناتُهُ/ على سيِّئاته، وقيل: [٩٧/ أ] الظّالِمُ: طالِبُ الدنيا، والمقتصِد: طالِبُ العُقْبَى، والسّابق: طالِبُ المَوْلَى، وقيل: الظّالِمُ: مَنْ كان ظاهِرُهُ خَيْرًا من باطنه، والمقتصِد: الذي اسْتَوَى ظاهِرُهُ وباطِنُهُ، والسابق: الذي باطِنُهُ خَيْرٌ من ظاهِرِهِ، وفيه اختلافٌ كثيرٌ بين أهل التفسير يطول شرحه هاهنا[١].

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ يعني إيراثَهُم الكتابَ هو المَنُّ الكبير في الجنة، فإن قيل: ما وجه الحكمة في تقديم الظّالِمِ وتأخير السابق

(١) ينظر في هذه الأقوال وغيرها: جامع البيان ١٦٠؛ ١٦٣، إعراب القرآن ٣/ ٣٧١-٣٧٢، الكشف والبيان ٨/ ١٠٨؛ ١١١، الوسيط للواحدي ٣/ ٥٠٥، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٦، البحر المحيط ٧/ ٢٩٩.

وإنما يقدم الأفضل؟ فالجواب عنه أن نقول: إنما أَخَّرَ السابقَ ليكون أقرب إلى الحسنات والثواب، كما قَدَّمَ الصوامعَ والبِيَعَ فِي سورة الحج[(١)] على المساجد التي هي أفضل بقاع الأرض؛ لتكونَ الصوامعُ أقْرَبَ إلى الهَدْمِ والخَرابِ، وتكونَ المساجدُ أقْرَبَ إلى ذِكْرِ اللهِ تعالى.

ومنهم من قال: إنما فعل ذلك لأنّ الملوك إذا أرادوا الجمع بين أشياءَ بالذِّكْرِ قَدَّمُوا الأدْنَى على الأفضل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [(٢)]، وقال أبو بكر الوَرّاقُ الترمذيُّ[(٣)]: إنما رَتَّبَهُم بهذا الترتيب على مَقامات الناس؛ لأن أحوال العبد ثلاثٌ: معصيةٌ وغفلةٌ، ثم توبةٌ، ثم قُرْبةٌ، فإذا عَصَى دخل في حَيِّزِ الظالمين، وإذا تاب دخل فِي جملة المُقْتَصِدِينَ، وإذا صَحَّت التوبةُ، وكَثُرَت العبادةُ دَخَلَ في أعداد السابقين[(٤)]، وفيه أجوبةٌ كثيرةٌ أعرضنا عنها طَلَبًا للاختصار.

فصْلٌ

عن أَبِي الدرداء قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم

---

(١) الآية ٤٠، وينظر: ص ٨٣.

(٢) الأنعام ١٦٥، وقد جاءت الآية في الأصل: «إن ربك لشديد العقاب وإنه لغفور رحيم».

(٣) هو محمد بن عمر الترمذي، مؤدب الأولياء، صوفي، ولد بِتِرْمِذَ، وأقام بِبَلْخ، وصَحِبَ أحمد بن خَضْرَوَيْهِ البلخي، توفي بعد سنة (٢٤٠هـ)، له تصانيف في الرياضيات. [معجم المؤلفين ١١/ ٩٧].

(٤) انتهى ما نقله المؤلف مختصرًا من الكشف والبيان ٨/ ١٠٧-١٠٨، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٠٨/ ب.

﴿مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فأما الذين سَبَقُوا فيَدْخُلونَ الجَنّةَ بغَيْرِ حِسابٍ، وأما الذين اقْتَصَدُوا فأولئك يُحاسَبُونَ حِسابًا يَسِيرًا، وأمّا الذِينَ ظَلَمُوا أنفسَهُمْ فأولئك يُحْبَسُونَ فِي طُولِ المَحْشَرِ، ثُمَّ هُمُ الذِينَ تَلافاهُمُ اللهُ برحمتِهِ، فهم الذين يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١].

وعن عُمَرَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سابِقُنا سابِقٌ، ومُقْتَصِدُنا ناجٍ، وظالِمُنا مَغْفُورٌ لَهُ»، ثم قرأ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾... الآية[٢].

ثم أخبر الله تعالى بثوابهم، وجَمَعَهُمْ في دخول الجنة، فقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾؛ أي: هي جنات عدْنٍ، وقيل: «جَنّاتُ» بدل من «الْفَضْلُ الْكَبِيرُ»، وقيل: هو ابتداء، وخبره في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾[٣]، والجنّات: البساتين، قال ابن عبّاسٍ: هي / مَعْدِنُهُمْ أبَدًا، يعني: إقامتهم فيها أبدًا، يقال: عَدَنَ الرَّجُلُ فِي المكان: إذا أقام فيه، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «جنات عدْنٍ [٩٧/ ب]

---

(١) فاطر ٣٤، والحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٩٨، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٠٨، مجمع الزوائد ٧/ ٩٥ كتاب التفسير: سورة فاطر، الدر المنثور ٥/ ٢٥١، كنز العمال ٢/ ٣٨.

(٢) ينظر: الضعفاء الكبير ٣/ ٤٤٣، معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٥٨، الكشف والبيان ٨/ ١١١، الوسيط ٣/ ٥٠٥، الجامع الصغير ٢/ ٣٨، الدر المنثور ٥/ ٢٥٢، كنز العمال ٢/ ١٠، ٤٨٥.

(٣) هذه ثلاثة أوجه ذكرها المؤلف في إعراب «جَنّاتُ»، وفيه وجه آخر وهو أن يكون خبرًا ثانيًا لـ«ذَلِكَ» في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢١٧، كشف المشكلات ٢/ ٢٤٤، التبيان للعكبري ص ١٠٧٥، البحر المحيط ٧/ ٢٩٩، الدر المصون ٥/ ٤٦٩.

قَصْرٌ في الجنة له عشرة آلاف بابٍ، على كل بابٍ خمسةٌ وعشرون ألفًا من الحور العِين»[١].

وقوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ وقرأ أبو عمرو: «يُدْخَلُونَها»[٢] على ما لَمْ يُسَمَّ فاعله، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ وهي جمع سِوارٍ ﴿وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ وقد ذكرتُ إعراب قوله: «وَلُؤْلُؤٍ» واختلاف القُرّاءِ فيه فِي سورة الحج[٣]، فأغنى عن الإعادة هاهنا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: ويقولون إذا دخلوا الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ يعني حَزَنَ النار، وقيل: حزن الذنوب والسيئات وخوفِ رَدِّ الطاعات، وقيل: حزن الموت، وقيل: حزن الجنة والنار، لا ندري إلى أيتهما نَصِيرُ؟ وقيل: حزن أهوال الدنيا وأوجالها، وقيل: حزن الحساب والعقاب، وقيل: الحَزَنُ الذي يُحْزِنُنا فِي الدنيا من أمر القيامة وأهوالها، وقيل: حزنُ زوالِ النِّعَمِ، وتقليبِ القلبِ، وخوفِ العاقبةِ، وقيل: حَزَنُ هَمِّ الغَداءِ والعَشاءِ، قال الزجّاج[٤]: أَذْهَبَ اللهُ تعالى عن أهل الجنة كُلَّ الأحزان، ما كان منها لِمَعاشٍ أو مَعادٍ.

والحَزَنُ والحُزْنُ واحدٌ كالبَخَلِ والبُخْلِ[٥] ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب العظام ﴿شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ للحسنات اليسيرة وإن قَلَّتْ.

---

(١) ينظر: الدر المنثور ٤/ ٥٧، كنز العمال ١٤/ ٦٤٥.

(٢) ورُوِيَت هذه القراءة عن ابن كثير أيضًا، ينظر: السبعة ص ٥٣٤، البحر المحيط ٧/ ٢٩٩، الإتحاف ٢/ ٣٩٣.

(٣) الآية ٢٣، وينظر ما سبق ١/ ٢٣٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٠ باختلاف كبير في ألفاظه.

(٥) وقد قرأ جناحُ بن حبيش: «الحُزْنَ»، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٤، البحر ٧/ ٣٠٠.

قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا﴾ أي: أنزلنا ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعني دار الخلود، ودار المُقامةِ والإقامةِ واحدٌ، والمُقامُ ـ بالضم ـ: المَجْلِسُ الذي يُؤْكَلُ ويُشْرَبُ فيه[1]، ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾؛ أي: لا يصيبنا فِي الجنة مشقّةٌ فِي أجسادنا ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾؛ أي: كَلالٌ وإعْياءٌ وفُتُورٌ كما كان يصيبهم فِي الدنيا، قرأ العامة: «لُغُوبٌ» بضم اللام، وقرأ السُّلَمِيُّ بنصب اللام[2]، وهو مصدرٌ أيضًا كالوَلُوغِ والقَبُولِ[3].

فصلٌ

عن ابن عُمَرَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَيْسَ عَلَى أَهْلِ «لا إلَهَ إلاَّ اللهُ» وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلا فِي مَحْشَرِهِمْ وَلا مَنْشَرِهِمْ، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ «لا إلَهَ إلاَّ اللهُ» يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَنْفُضُونَ التُّرابَ عَنْ رُؤُوسِهِمْ، ويَقُولُونَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[4]»/. [٩٨/ أ]

---

(١) قال الفراء: «وقوله: «دارَ المَقامةِ» هي الإقامة، والمَقامةُ: المَجْلِسُ الذي يُقامُ فيه، فالمَجْلِسُ مفتوح لا غير، كما قال الشاعر:

يَوْمانِ: يَوْمُ مَقاماتٍ وَأَنْدِيَةٍ ... وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الأَعْداءِ تَأْوِيبُ

معاني القرآن ٢/ ٣٧٠، وينظر: إعراب القرآن ٣/ ٣٧٤.

(٢) قرأ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالب وابن جبير والسُّلَمِيُّ: «لَغُوبٌ»، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٤، المحتسب ٢/ ٢٠٠، البحر المحيط ٧/ ٣٠٠.

(٣) وقال الزجاج: «والضم أكثر». معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧١، وقال النحاس: «واللُّغُوبُ: الإعْياءُ، واللَّغُوبُ بفتح اللام: ما يُلْغَبُ به». معاني القرآن ٥/ ٤٦٠، وينظر: إعراب القرآن ٣/ ٣٧٤، تهذيب اللغة ٨/ ١٣٨.

(٤) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٤/ ٢٧١، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٩/ ١٨١، =

وعن الضحّاك بن مزاحم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ قال: «إذا دخل أهلُ الجنّةِ الجنّةَ، استقبلهم الولدانُ والخَدَمُ، كأنهم اللُّؤلؤ المكنون، قال: فيبعث الله مَلَكًا من الملائكة معه هديّةٌ من رب العالمين، وكسوةٌ من الجَنّة، قال: فيريد الرَّجلُ منهم أن يدخل الجَنّة، فيقول له المَلَكُ: كما أنت، فيقف ومعه عشرة خواتيم من خواتيم الجنّة هديّةً من رب العالمين، فيضعها في أصابعه، مكتوبٌ فِي أول خاتمٍ منها: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾(١)، وفِي الثاني مكتوب: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾(٢)، وفي الثالث مكتوبٌ: رفعتُ عنكم الأحزانَ والهمومَ، وفي الرابع مكتوبٌ: زَوَّجْناكُم الحورَ العِينَ، وفي الخامس مكتوبٌ: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾(٣)، وفي السادس مكتوبٌ: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾(٤)، وفي السابع مكتوبٌ: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾، وفي الثامن مكتوبٌ: صِرتُمْ آمِنِينَ لا تخافون أبدًا، وفِي التاسع مكتوبٌ: رافقتم النَّبيِّينَ والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وفِي العاشر مكتوبٌ: سكنتم فِي جوارِ مَنْ لا يُؤْذِي الجيرانَ، ثم تقول لهم الملائكة: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾(٥).

= وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١١٢، الوسيط ٣/ ٥٠٦، عين المعانِي ورقة ١٠٩/ أ، مجمع الزوائد ١٠/ ٨٢-٨٣ كتاب الأذكار: باب في فضل «لا إله إلا الله».

(١) الزمر ٧٣.

(٢) ق ٣٤.

(٣) الحجر ٤٦.

(٤) المؤمنون ١١١.

(٥) هذا حديث موضوع، رواه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٢٥١ عن علقمة عن ابن مسعود، وقال: «هذا حديث لا نشك فِي وضعه، وفيه مجهولون وضعفاء»، وينظر أيضًا: الكشف والبيان ٨/ ١١٢-١١٣.

ثم قال تعالى في صفة الكفار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾؛ أي: لا يهلكون[1] فيستريحوا مما هم فيه من العذاب، ونصب ﴿فَيَمُوتُواْ﴾ على جواب النفي بالفاء، وذكر عن الحسن أنه قرأ: «فَيَمُوتُونَ»[2]، ولا يكون حينئذٍ جوابًا للنفي[3]، والمعنى: لا يقضى عليهم ولا يموتون كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[4]، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طَرْفَةَ عَيْنٍ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما ذكرنا ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ٣٦﴾ يعني: كلَّ كافرٍ، قرأه العامة بنصب النون واللام على المفعول، وقرأ أبو عمرو[5] بضم الياء وفتح الزاي ورفع اللام على غير تسمية الفاعل، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يدعون ويستغيثون، ويصيحون فِي النار، وهو «افْتِعالٌ» من الصراخ، يقال للمغيث: صَرِيخٌ، وللمستغيث: صارِخٌ، قال مقاتل: هو أنهم يُنادُونَ: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ جزمٌ على الجواب، قال ابن عبّاسٍ: نَقُلْ: لا إله إلا الله، ﴿غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فِي الدنيا يعني: من الشِّرك، فيقول الله تعالى لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ وهذا مفعولٌ مطلقٌ؛ أي: تعميرًا[6].

---

(١) في الأصل: «لا يهلكوا».

(٢) وهي أيضًا قراءة عيسى بن عمر، ينظر: المحتسب ٢/ ٢٠١-٢٠٢، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٢، البحر المحيط ٧/ ٣٠١.

(٣) بل يكون معطوفًا على «يقضى»، وهو مرفوع، ينظر: معانِي القرآن للفراء ١/ ٢٢٩، ٣/ ٢٢٦، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٤.

(٤) المرسلات ٣٦.

(٥) هذه قراءة أبِي عمرو والحسن واليزيدي وخلف وأبِي حاتم عن نافع، ينظر: السبعة ص ٥٣٥، حجة القراءات ص ٥٩٣، البحر المحيط ٧/ ٣٠١، الإتحاف ٣/ ٣٩٣-٣٩٤.

(٦) قال أبو عبيدة: «ومجاز «ما» هاهنا مجاز المصدر: أو لَمْ نعمركم عُمُرًا يتذكر فيه». مجاز القرآن ٢/ ١٥٦، وينظر: التبيان للعكبري ص ١٠٧٦، أمالِيُّ ابن الحاجب ١/ ٢٠٧.

قال عليه السّلام: «مَنْ عَمَّرَهُ اللهُ سِتِّينَ سَنَةً / فقدْ أعْذَرَ إليه فِي العُمُرِ»[١]. [٩٨/ ب]
وقيل[٢]: السبعون نهاية زمان التفكُّر، ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ يعني مُحَمَّدًا ﷺ، وقيل: القرآن، وقيل: الشَّيب، ومعناه: أو لَمْ نعمِّرْكُم حَتَّى شِبْتُمْ، وفيه يقول الشاعر:

١٦٤ ـ رَأيْتُ الشَّيْبَ مِنْ نُذُرِ المَنايا لِصاحِبِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ نَذِيرِ
فَخُذْ لِلشَّيْبِ أُهْبَةَ ذِي وَقارٍ فَلا خُلْفٌ يَكُونُ مَعَ القَتِيرِ[٣]

قال وهب بن منبّهٍ: ما من شَعرة تَبْيَضُّ إلا وهي تقول للتي تليها: يا أُختي! قد جاءَكِ الموتُ فاسْتَعِدِّي، وقال مالك بن أنسٍ: الشَّيب طريق الموت، وقال قيس بن عاصمٍ[٤]: «الشيب خِطامُ المَنيّةِ».

وأوّلُ مَنْ شابَ إبراهيمُ عليه السّلام فقال: يا ربِّ ما هذا؟ فقال: «وَقارٌ

---

(١) رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة في المسند ٢/ ٤١٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٧٠ كتاب الجنائز: باب من بلغ ستين سنة، ورواه ابن حبان في صحيحه ٧/ ٢٤٥ كتاب الجنائز: فصل في أعمار هذه الأمة.

(٢) ينظر: فيض القدير ١/ ٥٣٨.

(٣) البيتان من الوافر، للعُتْبِيِّ، واسمه محمد بن عبيد الله الأموي.
اللغة: القَتِيرُ: المشيب، وقيل: هو أول ما يظهر منه.
التخريج: الكشف والبيان ٨/ ١١٥، مجمع البيان ٨/ ٢٤٩، عين المعاني ورقة ١٠٩/ أ، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٤، والأول فقط مع بيتين آخرين في روح المعاني للآلوسي ٢٢/ ٢٠١.

(٤) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المِنْقَرِيُّ، أبو علي التميميُّ، صحابِيٌّ مشهور بالحلم والشجاعة، ساد في الجاهلية، وحَرَّمَ الخَمْرَ على نفسه فيها، أسلم مع وفد تميم سنة (٩هـ)، واستعمله الرسول ﷺ على صدقات قومه، نزل البصرة في أواخر أيامه، وتوفي بها سنة (٢٠هـ). [أسد الغابة ٤/ ٢١٩؛ ٢٢١، الإصابة ٥/ ٣٦٧؛ ٣٦٩].

وعِبْرةٌ ونورٌ يوم القيامة»، فقال: يا ربِّ، زِدْنِي وَقارًا[١].

والأوَّل أصَحُّ، وهو قول جمهور المفسرين؛ لأنّ الحُجّةَ تلحق كُلَّ بالغٍ وإن لَمْ يَشِبْ، وإن كانت العرب تسمِّي الشَّيبَ النَّذِيرَ[٢].

فصْلٌ

عن أبِي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمَّرَهُ اللهُ ستين سنةً فقد أعْذَرَ إليه فِي العُمُرِ»[٣]، وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أُمَّتي ما بين الستين إلى السَّبعين، وأقَلُّهُمْ من يَجُوزُ ذلك»[٤]، وقال ﷺ: «مُعْتَرَكُ مَنايا أُمَّتِي ما بَيْنَ السِّتِّينَ إلَى السَّبْعِينَ»[٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾؛ أي: يمنعهما من الزوال والذهاب والسقوط، ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾؛ أي: ولو زالتا على تقدير ذلك لَمْ يمسكهما أحَدٌ غَيْرُ الله، وذلك قوله: ﴿إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ ﴿مِنْ﴾

(١) رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة في الأدب المفرد ص ٢٦٧، وينظر: تاريخ دمشق ٦/ ١٩٩.

(٢) قال أبو عمر الزاهد: «قال ثعلب: اختلف الناس، فقالت طائفة: النذير هاهنا: الشيب، وقالت طائفة: النذير: محمد ﷺ. قال ثعلب: وعلى هذا العملُ ليس على الأول؛ لأنّا قد رأينا من يموت قبل الشيب». ياقوتة الصراط ص ٤١٩.

(٣) سبق تخريجه في الصفحة السابقة الحاشية رقم١.

(٤) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٢١٣ أبواب الدعوات، ورواه ابن ماجه في سننه ٢/ ١٤١٥ كتاب الزهد: باب الأمل والأجل، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٧ كتاب التفسير: سورة الملائكة.

(٥) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١١٤، تاريخ بغداد ٣/ ٩٦، فتح الباري ١١/ ٢٠٤، كنز العمال ١٥/ ٦٧٧.

صلةٌ زائدةٌ، وهذا إخبارٌ عن عظيمِ قدرةِ اللهِ على حفظ السماوات وإمساكها عن الزوال، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ على الكفار؛ إذْ لَمْ يُعَجِّلْ لهم العقوبةَ ﴿غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ إذْ أخَّر عنهم العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ يعني قريشًا ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾؛ أي: رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ﴾ جواب القَسَم ﴿أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ يعنون اليهود والنصارى، ونصب ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ على المصدر، و﴿أَهْدَىٰ﴾ في موضع نصبٍ على الخبر لـ﴿لَّيَكُونُنَّ﴾.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني محمَّدًا ﷺ، ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مَجيئُهُ ﴿إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ يعني: بُعْدًا ونِفارًا ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: تَجَبُّرًا في الأرض بالمعصية، وهو نصبٌ على البدل من/ النُّفور، قاله الأخفش[1]، وقيل[2]: على المصدر، وقيل[3]: هو مفعول من أجلِهِ، ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ يعني: ومَكَرُوا المَكْرَ السَّيِّئَ، وهو عملهم القبيح واجتماعهم على الشِّرك، والمكر هو العمل القبيح، وأضيف المكر إلى صفته، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾؛ أي: لا تَحِلُّ ولا تَنْزِلُ ولا تُحِيطُ عاقبةُ الشِّرْكِ إلا بأهله، فقُتِلُوا يوم بَدْرٍ. [٩٩/ أ]

قرأ العامة: «السَّيِّئِ» بإشباع الإعراب، وقرأ الأعمش وحمزة: «وَمَكْرَ

(١) ينظر قوله في: الكشف والبيان ٨/ ١١٦، كشف المشكلات ٢/ ٢٤٥، زاد المسير ٦/ ٤٩٧، البحر المحيط ٧/ ٣٠٥.

(٢) هذا قول الفارسي، فقد قال: «التقدير في قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٣]: استكبروا استكبارًا في الأرض». الحجة للقراء السبعة ٣/ ٣٠٢.

(٣) قاله الزجاج والنحاس وغيرهما، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٤، إعراب القرآن ٣/ ٣٧٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢١٨، البحر المحيط ٧/ ٣٠٥.

السَّـيِّئْ» بإسـكان الهمزة[١] تَخفيفًـا كراهةً لالتقاء الحـركات، ولا خلاف فِي الثانِي، والقراءة المرضية ما عليه العامة، والنحويون كلهم يزعمون أن هذا من الاضطرار في الشِّعر، ولا يجوز مثلـه فِي كتاب الله تعالى.

وقال أبو عليٍّ الفارسـي[٢]: هو على إجراء الوصل مجرى الوقف، كما حكى سيبويه[٣] من قولهم: ثلاثهَ ارْبَعَهْ، فأجروا الوصلَ مُجْرَى الوقفِ، قال[٤]: ويحتمل أنه خَفَّفَ آخرَ الاسـم لاجتماع الكسرتين والياءين، كما خففوا الباءَ من إبِلٍ لتوالِي الكسرتين، ونُزِّلَ حركةُ الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب.

قـال أبو جعفرٍ النحّـاس[٥]: كان الأعمش يقف على: «وَمَكْرَ السّـيِّئ»، فيتـركُ الحركة، وهو وَقْفٌ حَسَـنٌ تـامٌّ، ثم غَلِطَ عليه الـراوي، فَرَوَى أنه كان يَحْذِفُ الإعرابَ، فتابَعَ حَمْزةُ الغالطَ، فقرأ في الإدراج بترك الحركة[٦].

---

(١) قرأ الأعمش وحمزة وأبو عمرو والكسـائي بإسكان الهمزة وصلاً، إجراءً له مُجْرَى الوقف كقراءة أبِي عمرو: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، ينظر: السبعة ص ٥٣٥-٥٣٦، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٨، الإتحاف ٢/ ٣٩٤.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٣/ ٣٠٢ باختلاف كبير في ألفاظه.

(٣) قال سيبويه: «وزعم من يوثق به أنه سَمِعَ من العرب من يقول: ثَلاثَهَ ارْبَعَهْ، طرح هَمْزةَ أَرْبَعَهْ على الهاء ففتحها، وَلَمْ يُحَوِّلْها تاءً؛ لأنه جعلها ساكنة، والساكن لا يتغير فِي الإدراج، تقول: اضْرِبْ، ثُمَّ تقول: اضْرِبْ زَيْدًا». الكتاب ٣/ ٢٦٥.

(٤) يعني الفارسي.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ٣٧٧ باختلاف يسير في ألفاظه.

(٦) المصدر السـابق ٣/ ٣٧٧، وإنه من غير المقبول أن يُقال في قراءة سـبعية: إن هذه القراءة لحن أو غلط؛ لأنها قد ثبتت عن بعض السبعة، قال ابن الجزري: «وقد أكْثَرَ الأستاذ أبو علي الفارسـيُّ في الاستشـهاد من كلام العرب على الإسكان، ثم قال: فإذا ساغ ما ذكر في هذه القراءة من التأويل لَمْ يَسُغْ أن يقال: لَحْنٌ. قلتُ: وناهيكَ بِإمامَي القراءةِ والنحو: أبِي عمرو والكسائي». النشر ٢/ ٣٥٢.

قولـه تعالـى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ يعنـي: مـن الحـرام ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ يعنـي الأرض، كنايةً عن غير مذكورٍ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ قال الأخفش والحسَنُ بن الفضل[1]: أراد بالدّابّة الناسَ دون غيرهم، وقيـل[2]: أراد الإنسَ والجنَّ وكُلَّ مَـنْ يَعْقِلُ، وأجراها الآخرون على العموم فِي كلِّ ما دَبَّ على وجه الأرض.

فَصْلٌ

عن عبد الله بن عُمَرَ عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «إذا أصـاب الله عزّ وجلّ قومًا بعذابٍ أصـاب به ما بَيْنَ ظَهْرانَيْهِمْ، ثم يُبْعَثُونَ على أعمالهم يوم القيامة»[3].

قولـه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ للميعاد الذي وعدهم إيّاه في اللوح المحفوظ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ يعني: عالِمًا لَمْ تَخْفَ عليه حقيقة أمرهم، ولا يجوز أن يكون العامل فِي «إذا»: ﴿بَصِيرًا﴾، كما لا يجوز: اليومَ إنّ زَيْدًا خارِجٌ[4]، ولكنَّ العامل فيها ﴿جَآءَ﴾؛ لشبهها بحروف المُجازاةِ، وقد يُجازَى بها كما قال قيس بن الخطيم[5]:

---

(١) ينظر قول الأخفش والحسن بن الفضل في الكشف والبيان ٨/ ١١٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦١.

(٢) هذا قول الزجاج، قاله في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٦، وحكاه النحاس عن ابن مسعود في معانِي القرآن ٥/ ٤٦٦، وينظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٣٦١.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١١٦.

(٤) لأن ما بعد «إنّ» لا يعمل فيما قبلها.

(٥) قيس بن الخطيم بن عَدِيٍّ، أبو يزيد الأوسي، شاعر الأوس، وأحد صناديدها في الجاهلية، =

إذا قَصُرَتْ أسْيافُنا كانَ طُولُها خُطانا إلَى أعْدائِنا فنُضارِبِ[1]

/ وبالله التوفيق.

* * *

= أدرك الإسلام، وقُتِلَ قبل الهجرة بسنتين ولم يسلم، وبعضهم يفضله على حسان. [طبقات فحول الشعراء ص ٢٢٨، الأعلام ٥/ ٢٠٥].

(١) تقدم البيت برقم ١٤٣ ٢/ ١٥١ ومن أول قوله: «ولا يجوز أن يكون العامل» قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٧٩، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢١٩.
وقد سبق الحديث عن المجازاة بـ«إذا» عند قوله تعالى: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ الآية ٧ من سورة سبأ، وراجع ما سبق ٢/ ١٥١.

سورة يس
مكية

وهي ثلاثة آلافٍ وعشرون حرفًا، وسبعمائةٍ وسبعٌ وعشرون كلمةً، وثلاثُ وثمانون آيةً.

بابُ ما جاءَ فِيها مِنَ الفَضائِلِ فِي قِراءَتِها

عن أنسٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكلِّ شيءٍ قَلْبٌ، وإنّ قلب القرآن يس، ومن قرأ يس كَتَبَ اللهُ له بقراءتها قراءةَ القرآن عشرَ مَرّاتٍ»(١).

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّ فِي القرآن سُورةً تشفع لقارئها، وتَسْتَغْفِرُ لِمُسْتَمْعْها، ألا وهي يس»(٢).

وعن أبِي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يس تُدْعَى فِي ملكوت الله المُعِمّةَ(٣)»، قيل: يا رسول الله: وما المُعِمّةُ؟ قال: «تَعُمُّ

(١) رواه الدارمي في سننه ٢/ ٤٥٦ كتاب فضائل القرآن: باب في فضل «يس»، والترمذي في سننه ٤/ ٢٣٧ أبواب فضائل القرآن: باب ما جاء في «يس»، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١١٨، المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٥.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١١٨، الكشاف ٣/ ٣٣٣، المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٥.

(٣) المُعِمّةُ: اسم فاعل بوزن مُفْعِلةٌ رغم أن فعله ثلاثي وهو عَمَّ، قال ابن سيده: «وعَمَّهمُ الأمرُ يَعُمُّهم: شَمِلَهُمْ، ورَجُلٌ مُعِمٌّ: يَعُمُّ القوم بخيره، وقال كراع: رجل مُعِمٌّ: يَعُمُّ الناس بمعروفه، أي يجمعهم، وكذلك: مُلِمٌّ: يَلُمُّهُمْ، أي يجمعهم، قال: لا يكاد يوجد «فَعَلَ» فهو «مُفْعِل» غيرهما». المحكم والمحيط الأعظم ١/ ٥٦.

صاحبَهـا بخير الدنيا والآخرة، وتدعى المُكابِدةَ، تُكابِدُ عن قارئها بَلْوَى الدنيا والآخرةِ، وتُدْعَى الدافعةَ والقاضيةَ، تدفع عنه كُلَّ سُوءٍ، وتَقْضِي له كُلَّ حاجة، ومن قرأها عَدَلَتْ له عشرين حجّةً، ومن سمعها كان له ألفُ دينار فِي سبيل الله، ومَنْ كتبها وشربها، دَخَلَ جَوْفَهُ ألْفُ دواءٍ، وألْفُ يَقِينٍ، وألْفُ زُلْفةٍ، وألْفُ رَحْمةٍ، ونُزِعَ عنه كُلُّ داءٍ وغِلٍّ»(١).

وعن أُبَيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ يس يريد بها اللهَ عزّ وجلّ غَفَرَ اللهُ له، وأعْطَى له من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرّةً، وأيُّما مريضٍ قُرِئَ عنده سورةُ يس نزل عليه بعدد كلِّ حرفٍ عشرة أملاكٍ، يقومون بين يديه صفوفًا، فَيُصَلُّونَ، ويستغفرون له، ويشهدون دفنه، وأيُّما مريضٍ قرأ سورة يس وهو فِي سكرات الموت، أو قُرِئَتْ عنده، لَمْ يَقْبِضْ مَلَكُ الموت رُوحَهُ حتى يجيئه رِضْوانُ خازنُ الجِنانِ بشَرْبةٍ من الجنّة، فيشربها وهو على فِراشِه، فيموت وهو رَيّانُ، ويُبْعَثُ وهو رَيّانُ، ويُحاسَبُ وهو رَيّانُ، ولا يحتاج إلى حوضٍ من حياض الأنبياء، حتى يدخل الجنة وهو رَيّانُ»(٢).

وعن أبِي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة يس فِي ليلةٍ أصبح مغفورًا له»(٣).

---

(١) موضوع، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٤٦، ٢٤٧، والخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ١٩٢ وذكر أنه باطل، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١١٨، ١١٩، اللآلئ المصنوعة ١/ ٢٣٤، الفوائد المجموعة ص ٣٠١، كَنْز العمال ١/ ٥٩٠.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١١٩، الوسيط ٣/ ٥٠٩، الكشاف ٣/ ٣٣٣، تفسير البيضاوي ٤/ ٤٤٣، مجمع البيان ٨/ ٢٥٤، عين المعانِي ورقة ١٠٩/ أ، بصائر ذوي التمييز ١/ ٣٩٢.

(٣) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٤٧ وقال: «هذا الحديث من جميع طرقه باطل =

وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خَفَّفَ الله عنهم يومئذٍ، وكان له بعدد مَنْ فيها حسناتٌ»(١)/ .

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قرأ سورة يس ابتغاء وجه الله دخل الجنة»، ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ يس والدخانَ ليلة جمعةٍ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ»(٢).

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ يس والصافات ليلة الجمعة، ثم سأل الله أعطاه سُؤْلَهُ»(٣).

ورُوِيَ عنه عليه السّلام أنه قال: «من قرأ يس خضعت له حمَلة العرش، واضطرب بأركانه، وقال الرَّبُّ ـ تبارك وتعالى ـ: سبحانِي وبحمدي، ما من أحدٍ أكرم عليَّ منكَ، قوموا يا حمَلة العرش، واستقم يا عرش، فَوَعِزَّتِي لأُرْضِيَنَّ فلانًا»(٤).

= لا أصل له»، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١١٩، الجامع الصغير ٢/ ٦٣٣، كنز العمال ١/ ٥٨٠، ٥٩١، الفوائد المجموعة ص ٣٠١، ولكن الدارمي روى بسنده عن أبي هريرة قال: «من قرأ «يس» فِي ليلة ابتغاء وجه الله غَفَرَ الله له في تلك الليلة». سنن الدارمي ٢/ ٤٥٦، ٥٤٧ كتاب فضائل القرآن: باب في فضل «يس».

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١١٩، مجمع البيان ٨/ ٢٥٤-٢٥٥، تفسير القرطبي ١٥/ ٣، بصائر ذوي التمييز ١/ ٣٩٢.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) ينظر: الدر المنثور ٥/ ٢٧٠، كنز العمال ١/ ٥٩١، فتح القدير ٤/ ٣٨٥.

(٤) لَمْ أعثر له على تخريج.

وقال ﷺ: «من قرأ يس فإذا كان جائعًا أشبعه الله، وإن كان ظمآنَ رَواهُ الله، وإن كان عريانًا أَلْبَسَهُ الله، وإن كان خائفًا أَمَّنَهُ الله، وإن كان مُسْتَوْحِشًا آنَسَهُ الله، وإن كان فقيرًا أغناه الله، وإن كان في السجن أخرجه الله، وإن كان أسيرًا خَلَّصَهُ الله، وإن كان ضالًّا هداه الله، وإن كان مديونًا قضى الله دَينه من خزانته»[١].

ويُسَمَّى قارئُها عند الله الشريفَ، ويشفع يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومُضَرَ[٢]، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى[٣]: لكلِّ شيءٍ قلبٌ، وقلب القرآن يس، من قرأها نهارًا كُفِيَ هَمَّهُ، ومن قرأها ليلًا غُفِرَ ذَنْبُهُ.

وعن يحيى بن أبي كثيرٍ[٤] قال: بَلَغَنا أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ يس حين يُصْبِحُ لَمْ يَزَلْ فِي فَرَحٍ حتى يُمْسِيَ، ومَنْ قَرَأها حين يُمْسِي لَمْ يَزَلْ فِي فَرَحٍ حتى يُصْبِحَ، وقد حَدَّثَنِي مَنْ جَرَّبَها، والله أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير النسفي ٣/ ١٥٣، عين المعاني ورقة ١٠٩/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٣، الدر المنثور ٥/ ٢٥٧، كنز العمال ١/ ٥٢٨.

(٢) ينظر: روح المعاني ٢٢/ ٢٠٩ عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٣) هو عبد الرحمن بن يسار وقيل: داود بن بلال بن بليل الأنصاري الأوسي، أبو عيسى الكوفِيُّ، من ثقات التابعين، روى عن أبيه وعُمَرَ وعثمان وعَلِيّ، وتوفي سنة (٨٢ هـ). [تهذيب الكمال ١٧/ ٣٧٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٢].

(٤) هو يحيى بن صالح الطائي بالولاء، أبو نصر اليمامي، أخذ عن أعيان التابعين، من أهل البصرة، وسكن اليمامة فاشتهر، وكان من ثقات المحدثين، توفي سنة (١٢٩هـ). [تهذيب الكمال ٣١/ ٥٠٤؛ ٥١٠، الأعلام ٨/ ١٥٠]، وينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ١١٩، المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٥، تفسير القرطبي ١٥/ ٢، الفتوحات الإلهية ٣/ ٥٠٢.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿يسٓ ۝١﴾ اختلف القراء فيها، فقرأ حمزة والكسائي وخلَفٌ وعاصمٌ فِي أكثر الروايات بكسر الياء، وقرأ أهل المدينة بين اللفظين، وهو الاختيار، وقرأ الباقون بفتح الياء(١).

واختلفوا في النون أيضًا، فقرأ أبو جعفرٍ وأبو عمرو وحمزة وأيوب وأبو حاتمٍ، وعاصمٌ في أكثر الروايات بإظهار النون، واخْتُلِفَ فيه عن نافع وابن كثيرٍ، وأدغمها الباقون في الواو، وقرأ عيسى بن عمر بالنصب، شبيه بـ«أيْنَ» و«كَيْفَ»، وقرأ ابن أبِي إسحاق بكسر النون شبيه بـ«أمْسِ» و«حَذام» و«رَقاشِ»، وقرأ هارونُ الأعورُ(٢) بضم النون، شبيه بـ«مُنْذُ» و«حَيْثُ» / و«قَطُّ»(٣)، وقرأ

---

(١) وحمزة أقرب إلى الفتح من الكسائي في «يس»، ورَوَى أبو بكر عن عاصم الإمالةَ، وكذلك أمالها خَلَفٌ ورَوْحٌ، وقرأ أهل المدينة بين اللفظين، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، وحفصٌ عن عاصمٍ، ونافعٌ في أكثر الروايات بالفتح، ينظر: السبعة ص ٥٣٨، التيسير للدانِي ص ١٨٣، البحر المحيط ٧/ ٣١٠، النشر ٢/ ٧٠، الإتحاف ٢/ ٣٩٧.

(٢) هارون بن موسى الأزْدِيُّ العَتَكِيُّ بالولاء، أبو عبد الله، عالم بالقراءات والعربية، من أهل البصرة، كان يهوديًّا فأسلم، وهو أول من تتبع وجوه القراءات والشاذَّ منها، كان قدريًّا معتزليًّا، توفي سنة (١٧٠هـ). [تهذيب الكمال ٣٠/ ١١٥، غاية النهاية ٢/ ٣٤٨، الأعلام ٨/ ٦٣].

(٣) قال سيبويه: «ويجوز أيضًا أن يكون ياسينُ وصادُ اسمين غير متمكنين فَيُلْزَمانِ الفَتْحَ كما أُلْزِمَتَ الأسماءَ غير المتمكنة الحركاتِ نحو كَيْفَ وأيْنَ وحَيْثُ وأمْسِ». الكتاب ٣/ ٢٥٨، وقال الفراء: «وقد سمعت من العرب من ينصبها فيقول: «ياسِينَ والْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» كأنه يجعلها متحركة كتحريك الأدوات إذا سكن ما قبلها مثل لَيْتَ ولَعَلَّ، ينصب منها ما سَكَنَ الذي يَلِي آخِرَ حروفه، ولو خُفِضَ كما خُفِضَ: جَيْرِ لا أفْعَلُ ذلك، خُفِضَتْ لمكان الياء التي في جَيْرِ». معانِي القرآن ٢/ ٣٧١، وينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ١٩، ٢٠، الأصول لابن السراج ٢/ ١٠٣، إعراب القرآن ٣/ ٣٨١، الكشف والبيان ٨/ ١٢٠.

الآخرون بإخفاء النون[1].

واخْتَلَفَ المفسرون فِي تأويله، فمنهم من قال[2]: هو قَسَمٌ، وجوابه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[3]، وقيل[4]: معناه: «يا إنسان» بلغة طيِّئٍ وقيل[5]: بالسُّرْيانِيّةِ، وقيل[6]: معناه: يا رَجُلُ، وقيل[7]: يا سَيِّدَ البَشَرِ، وقيل[8]: يا محمَّدُ، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وقال كعبٌ[9]: «يس» قَسَمٌ أقسم الله

---

(١) ينظر في هذه القراءات: السبعة ص ٥٣٨، مختصر ابن خالويه ص ١٢٥، المحتسب ٢/ ٢٠٣-٢٠٤، تفسير القرطبي ١٥/ ٣، البحر المحيط ٧/ ٣١٠، النشر ٢/ ١٧، ١٨، الإتحاف ٢/ ٣٩٩.

(٢) هذا قول عكرمة وقتادة، ينظر: معانِي القرآن للنحاس ٥/ ٤٧٢، الكشف والبيان ٨/ ١٢٠، المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦، وقال ابن عطية: «قال أبو حاتم: قياس هذا القول نصب النون كما تقول: اللهَ لأفْعَلَنَّ كذا»، المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٢١، البحر المحيط ٧/ ٣١٠.

(٣) يس ٣.

(٤) قاله ابن عباس والكلبي والحسن والضحاك والأخفش، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٤٤٩، جامع البيان ٢٢/ ١٧٨، معانِي القرآن للنحاس ٥/ ٤٧١، معانِي القراءات ٢/ ٣٠٤، المحتسب ٢/ ٢٠٣، الكشف والبيان ٨/ ١٢٠، الكشاف ٣/ ٣١٣، المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٥، ٤٤٦، البحر المحيط ٧/ ٣١٠، الدر المصون ٥/ ٤٧٤.

(٥) قاله عطاء، ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٢٠.

(٦) قاله الحسن وأبو العالية، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧١، معاني القراءات ٢/ ٣٠٣، ٣٠٤، الكشف والبيان ٨/ ١٢٠، زاد المسير ٧/ ٤.

(٧) قاله أبو بكر الوراق، ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٢٠، تفسير القرطبي ١٥/ ٤.

(٨) قاله ابن الحنفية وابن جبير والضحاك، ينظر: معانِي القراءات ٢/ ٢٠٤، الكشف والبيان ٨/ ١٢٠، زاد المسير ٧/ ٣.

(٩) ينظر قوله في تفسير القرطبي ١٥/ ٥.

به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عامٍ: يا محمَّدُ إنّك لَمِنَ المرسلين. وقال السيد الحِمْيَرِيُّ[١] في المعنى:

١٦٥ـ يانَفْسُ لاتَمْحَضِي بِالنُّصْحِ مُجْتَهِدًا   عَلَى المَوَدّةِ إلاَّ آلَ ياسِينا[٢]

وقيل[٣]: معناه: يَأْسٌ لِمَنْ كَذَّبَ رسولَ الله ﷺ من الجنة، وقيل[٤]: مَجازُها مَجازُ سائِرِ حُرُوفِ التَّهَجِّي في أوائل السور، وقال الكلبي[٥]: الإيسانُ بالياء: لغة طَيِّئٍ، ويَجْمَعُونَهُ أياسِينَ، وهكذا قال الشعبي، والله أعلم.

فإن قيل: لِمَ عُدَّ «يس» آية، ولَمْ يُعَدَّ «طس»[٦]؟ فالجواب أن «طس»

---

(١) هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحميريُّ، أبو هاشم أو أبو عامر، شاعر إمامي متقدم كثير الشعر، ولكن الناس انصرفوا عن شعره لإفراطه في النيل من الصحابة وأزواجِ النبي ﷺ، كان متعصبًا لبني هاشم، توفي ببغداد سنة (١٧٣هـ). [طبقات فحول الشعراء ص ٣٢: ٣٦، الأعلام ١/ ٣٢٢].

(٢) البيت من البسيط للسيد الحميري، وليس في ديوانه، ويُرْوَى:

لا تَمْحَضِي بِالنُّصْحِ جاهِدةً

التخريج: الكشف والبيان ٨/ ١٢٠، المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٥، عين المعاني ١٠٩/ أ، القرطبي ١٥/ ٤، حماسة الظرفاء ٢/ ١٨٧، البحر ٧/ ٣١٠، مناقب أهل البيت ص ٨٩، روح المعاني ٢٢/ ٢١١.

(٣) بغير عزو في عين المعاني ورقة ١٠٩/ أ.

(٤) قاله أبو عبيدة والزجاج، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٥٧، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٧، وقد عقد الزجاج بابًا أورد فيه أكثر آراء العلماء في الحروف المقطعة في أول كتابه معاني القرآن وإعرابه ١/ ٥٩ وما بعدها.

(٥) ينظر قوله في المحتسب ٢/ ٢٠٣، وأنشد ابن جني شاهدًا لذلك:

فَيا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ فاطا وَأَهْلِها   هَلَكْتُ، وَلَمْ أَسْمَعْ بِها صَوْتَ إِيسانِ

وينظر أيضًا: التهذيب ١٣/ ٩٠، اللسان: أنس، وللكلبي والشعبي في عين المعاني ١٠٩/ أ.

(٦) النمل ١.

أشبه «قابيل» من جهة الزِّنةِ والحروف الصحاح، و«يس» أوَّلُهُ حَرْفُ عِلّةٍ، وليس مِثْلُ ذلك في الأسماء المفردة، فأشبه الجملة والكلامَ التامَّ، وشاكَلَ ما بعده من رؤوس الآيِ[١].

ومحلُّ ﴿يسٓ﴾ من الإعراب رَفْعٌ؛ لأنه نداء مفردٍ[٢] على قول من فَسَّرَهُ: يا إنسان، وقد يجوز أن يكون محلُّه رفعًا بابتداءٍ محذوفٍ، تقديره: هذا الكتاب[٣]، وقد يجوز أن يكون نصبًا؛ لأنه مفعولٌ، تقديره: اذكر يس، أو اقرأ يس[٤]، ويجوز أن يكون نصبًا بِنَزْعِ حَرف القَسَم، ويجوز أن يكون خفضًا بإضمار حرف القَسَم[٥].

قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ القرآن: خفضٌ بواو القَسَم، و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ نعته، أقسم الله بالقرآن المحكَم من الباطل ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ جوابٌ لقول كفار مكة: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[٦]، وما أرسل الله إلينا رسولاً، ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ يعني دِين الإسلام الذي لا عِوَجَ فيه.

---

(١) هذا السؤال وإجابته نقلهما المؤلف عن الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ١٢٠، وينظر أيضًا: المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦.

(٢) في الأصل: «ومحل «يس» من الإعراب رفع بالابتداء لأنه نداء مفرد».

(٣) أو على تقدير: هذه يس، ينظر: الدر المصون ٥/ ٤٧٤.

(٤) قاله سيبويه والأخفش، ينظر: الكتاب ٣/ ٢٥٨، معانِي القرآن للأخفش ص ٢٠، وينظر أيضًا: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٢٠.

(٥) الوجهان قالهما العكبري، ولكنه أضاف قائلًا: «وقيل: الكسرة كسرة إعراب، والجَرُّ لحرف القسم مُقَدَّرًا. وهو ضعيف جِدًّا إذْ لو كان كذلك لَنُوِّنَ». إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٥٤، ٣٥٥، وينظر: البحر المحيط ٧/ ٣١٠، الدر المصون ٥/ ٤٧٤.

(٦) الرعد ٤٣.

قوله: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ العزيز في ملكه الرحيم بخَلْقِه، قرأ ابن عامرٍ وأهل الكوفة إلا أبا بكرٍ: «تَنْزِيلَ» بنصب اللام على المصدر، كأنه قال: نَـزَّلَ اللهُ ذلك تَنْزِيلاً من العزيز الرحيم، ثـم أضيف المصدر، فصار معرفةً[1]، وقيل[2]: نصب على الخروج من الوصف.

وقـرأ الآخرون بالرفع[3]، أي: هو ـ يعني: القرآن ـ تَنْزِيلُ العزيز الرحيم، ويجوز الخفض[4] على البدل من القرآن.

قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ اللام متعلق بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾... ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ قال قتادة: لتنذر قومًا لَمْ يأتهم نذيرٌ قبلك؛ لأنهم كانوا

(١) وهو من إضافة المصدر لفاعله، وهذا قول الزجاج، قاله فِي معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٨، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٢٩٠.

(٢) ذكره الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ٨/ ١٢١، وبه قال السجاوندي في عين المعاني ١٠٩/ أ، ومصطلـح الخـروج مـن الوصف مصطلح كوفـي يطلق على معنييـن، الأول: النصـب على الحال، والثاني: المصدر المؤكد لمضمون الجملة السـابقة عليه، وقد يطلق هـذا المصطلح على الصفات المقطوعة للمدح أو الذم، أي بإضمار فعل، وهذا هو المراد هنا، ينظر: مصطلحات النحو الكوفِيِّ ص ٥٩، ٦٠، ١٥٨.

(٣) قـرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ، والكسـائيُّ عن أَبِـي بكر عن عاصم، وحفصٌ عـن عاصم، وخلفٌ والأعمشُ وطلحة والأشـهبُ وعيسى بنُ عمر: «تَنْزِيلَ» بالنصب، وقرأ ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو، وعاصمٌ في رواية يحيى بن آدم عن أبي بكر عنه، وأبو جعفر والحسنُ وشيبةُ والأعرجُ ويعقوبُ: «تَنْزِيلُ» بالرفع، ينظر: السبعة ص ٥٣٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٢٩، تفسير القرطبي ١٥/ ٦، البحر المحيط ٧/ ٣١٠، النشـر ٢/ ٣٥٣، الإتحـاف ٢/ ٣٩٧.

(٤) وقد قرأ بالخفض الحسـنُ، والقَوْرَصِيُّ عن أَبِي جعفر، وأبو حيوة واليزيديُّ وشـيبةُ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٥، تفسير القرطبي ١٥/ ٦، البحر المحيط ٧/ ٣١٠، الإتحاف ٢/ ٣٩٧.

[١٠١/ أ] في الفترة، وهو معنى قولـه: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ عن حُجَجِ التوحيد وأدلة / البعث ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ وَجَبَ العذابُ ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ يعني أكثر أهل مكة كقوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (١)، وهذا إشارة إلى الإرادة السابقة بكفرهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ لأنّ الله تعالى منعهم الهدى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ جمع غُلٍّ ﴿فَهِىَ﴾ يعني أيديهم، كنايةً عن غير مذكورٍ؛ لأنّ الأغلال والأعناق تدل عليها، وذلك أن الغُلَّ يَجْمَعُ اليدَ إلى العنق(٢).

وقوله: ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن وهو مُلْتقى اللَّحْيَيْنِ ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾؛ أي: مغلولون.

نزلت هذه الآية في أبي جهل بن هشامٍ وأصحابه المَخْزُومِيِّينَ(٣)، قال أهل المعاني(٤): وهذا على طريق المَثَلِ، ولَمْ يكن هناك غُلٌّ، قال الفراء(٥): معناه: حَبَسْناهُمْ عن الإنفاق في سبيل الله، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ (٦)، معناه: لا تُمْسِكْها عن النفقة، وقيل: منعناهم عن الإيمان، وعَمّا أرادوا بموانعَ، فجَعَلَ الأغلالَ مَثَلًا لذلك، قاله أبو عُبيدٍ(٧)، وذُكِرَ أن أبا ذُؤَيْبٍ

---

(١) الزمر ٧١.
(٢) قاله الفراء والزجاج، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٢، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٩، وينظر أيضًا: عين المعاني ١٠٩/ ب.
(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٧، الدر المنثور ٥/ ٢٥٨، لباب النقول ص ١٦٦.
(٤) هذا قول أبي عبيد كما في الكشف والبيان ٨/ ١٢١.
(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٧٣.
(٦) الإسراء ٢٩.
(٧) ينظر قول أبي عبيد في الكشف والبيان ٨/ ١٢١.

كان يهوى امرأةً فِي الجاهلية اسمها أم مالكٍ، فلما أسْلَمَ أَتَتْهُ المرأةُ تُراوِدُهُ عن نفسه فَأَبَى عليها، وأنشأ يقول:

١٦٦ ـ فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدّارِ يا أُمَّ مالِكٍ وَلَكِــنْ أحاطَتْ بِالرِّقابِ السَّلاسِــلُ
وَعــادَ الفَتَــى كالكَهْــلِ لَيْــسَ بِقائِلٍ سِوَى العَدْلِ شَيْئًا، فاسْتَراحَ العَواذِلُ[١]

أراد: مُنِعْنا بِمَوانِعِ الإسلامِ عن تعاطي الزِّنى والفسق[٢].

وقيــل[٣]: إن أبا جهلٍ ـ لعنــه الله ـ كان قد حَلَفَ لَئِنْ رَأى محمَّدًا يصلي لَيَرْضَخَنَّ رأسَــهُ، فأتاه ـ وهو يُصلِّي ـ ومعــه حَجَرٌ ليدفعه به، فلما رفعه أُثْبِتَتْ يَــدُهُ إلى عنقه، ولَزِقَ الحَجَرُ بِيَــدِهِ، فلما عاد إلى أصحابه، وأخبرهم بما رأى، سَقَطَ الحَجَرُ مِنْ يَدِهِ، فقال رَجلٌ مِنْ بني مخزومٍ: أنا أقتله بهذا الحجر، فأتاه، وهو يُصَلِّي؛ لِيَرْمِيَهُ بالحَجَرِ، فَأَعْمَى اللهُ بَصَرَهُ، فجعل يَسْــمَعُ صوتَهُ ولا يراه، فرجع إلى أصحابه، فلم يَرَهُمْ حتى نادوه، وقالوا: ما صنعتَ؟ فقال: ما رأيتُه، ولقد سمعتُ صوتَه ولَمْ أرَهُ، ولكنْ حالَ بيني وبينه كهيئة الفحل، يَخْطِرُ بِذَنَبِهِ، لــو دَنَوْتُ منه لأكَلَني، فأنــزل الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾.

---

(١) البيتان من الطويل، لأبِي خِراشٍ الهُذَلِيِّ، يرثي زهير بن العجوة، ونُسِبا لأبِي ذؤيب الهُذَلِيِّ، ولأبِي كَبِيرٍ الهُذَلِيِّ.
التخريج: ديوان الهذليين ٢/ ١٥٠، شرح أشعار الهذليين ص ١٢٢٣، تأويل مشكل القرآن ص ١٤٩، سـيرة ابن هشام ٤/ ٩١٥، الكامل للمبرد ٢/ ٥٠، المسائل الحلبيات ص ٢٤، الكشـف والبيان ٨/ ١٢١، شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٣١٤، عين المعانِي ١٠٩/ أ، تفسير القرطبي ٥/ ١٢١، ٧/ ٣٥٤، اللسان: عهد، التنبيه والإيضاح ٢/ ٤٣.
(٢) ينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٩، أسد الغابة ١/ ٢٩٦.
(٣) ينظر: جامع البيان ٢٢/ ١٨٣، تفسير القرطبي ١٥/ ٧.

وأصل الإقْماحِ: غَضُّ البَصَرِ، ورَفْعُ الرَّأْسِ(١)، يقال: بَعِيرٌ مُقْمَحٌ: إذا رفع رأسه، وغَضَّ بَصَرَهُ، وبَعِيرٌ قامِحٌ: إذا رَوِيَ من الماء فَأَقْمَحَ(٢)، قال الشاعر يذكر سفينة:

١٦٧ ـ وَنَحْنُ عَلَى جَوانِبِها وُقُوفٌ نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإِبِلِ القِماحِ(٣)

وقيل(٤): القامح: الطّامِحُ ببصره إلى مَوْطِئِ قَدَمِهِ، ويقال: أَقْمَحَهُ؛ أي: أَخْشَعَهُ ومَنَعَهُ من أن/ يرفع رأسه أو يُنَكِّسَهُ. [١٠١/ ب]

---

(١) قاله الفراء وأبو عبيد والزجاج، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٣، غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٣٠٣-٣٠٤، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٩، وينظر: التهذيب ٤/ ٨١، الصحاح ١/ ٣٩٧.

(٢) حكاه السجاوندي عن المبرد في عين المعاني ١٠٩/ ب، وقال الفراء: «أَقْمَحَ البعيرُ: رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب»، معاني القرآن ٢/ ٣٧٣، وقال أبو عبيد: «وأما التَّقَمُّحُ في الشراب فإنه مأخوذ من الناقة المُقامِحِ. قال الأصمعي: وهي التي تَرِدُ الحوضَ فلا تشرب. قال أبو عبيد: فَأَتَقَمَّحُ أي: أَرْوَى حتى أَدَعَ الشُّرْبَ من شِدّةِ الرِّيِّ». غريب الحديث ٢/ ٣٠٣، وقال الأزهري: «قال أبو عبيد: قَمَحَ البَعِيرُ يَقْمَحُ قُمُوحًا وقَمَهَ يَقْمَهُ قُمُوهًا: إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء. وروى أبو العباس عن ابن الأعرابِيِّ أنه قال: التَّقَمُّحُ: كراهة الشرب». التهذيب٤/ ٨١، الصحاح ١/ ٣٩٧، اللسان: قمح.

(٣) البيت من الوافر، لبشر بن أبي خازم يصف سفينة يُشَبِّهُ بها ناقَتَهُ، ورواية ديوانه: «عَلَى جَوانِبِها قُعُودٌ».

التخريج: ديوانه ص ٤٨، غريب الحديث للهروي ٢/ ٣٠٤، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٣، جمهرة اللغة ص ٥٦٠، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ١٠٧، ديوان الأدب ١/ ٤٥٦، تهذيب اللغة ٤/ ٨١، مقاييس اللغة ٥/ ٢٤، الكشف والبيان ٨/ ١٢١، المخصص ٧/ ١٠٠، ١٦/ ١٣٤، أساس البلاغة: قمح، عين المعاني ١٠٩/ ب، القرطبي ١٥/ ٨، اللسان: قمح، البحر المحيط ٧/ ٣١١، التاج: قمح.

(٤) قاله الحسن، ينظر: عين المعاني ١٠٩/ ب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى﴾ يعني البعث ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ من خير أو شرٍّ عملوه في حياتهم ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ يعني خُطاهُمْ بأرجلهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ يعني: من الأعمال أي: بيَّناهُ وحفظناه ﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)﴾ وهو اللوح المحفوظ، و﴿نَحْنُ﴾ رفع بالابتداء، و﴿نُحْيِ﴾ خبره، وهما جميعًا خبر ﴿إِنَّا﴾، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصب بإضمار فعلٍ تفسيره ما بعده تقديره: وأحصينا كل شيءٍ أحصيناه.

فصلٌ

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس جزاءً في الصلاة أبْعَدُهُمْ إليها مَمْشًى فأبعدهم»[(١)]، رواه البخاري ومسلمٌ كلاهما عن أبي كُرَيْبٍ عن أبي أسامة عن أبي بُرْدةَ[(٢)] عن أبي موسى عن النَّبيِّ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ يعني: لأهل مكة ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ وهي أنْطاكِيَّةُ ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣)﴾ يعني رُسُلَ عيسى عليه السّلام الذين بعثهم إلى أهلها من الحَوارِيِّينَ يَدْعُونَهُمْ من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، وقصتهم مشهورةٌ في كتب التفسير[(٣)]، ونصب ﴿أَصْحَابَ﴾ على البدل من المَثَلِ[(٤)]، وقيل[(٥)]: هو مفعولٌ ثانٍ.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٥٩ كتاب الأذان: فضل صلاة الفجر في جماعة، صحيح مسلم (واللفظ له) ٢/ ١٣٠ كتاب المساجد: باب فضل كثرة الخُطا إلى المساجد.

(٢) هو عامر وقيل: الحارث بن أبي موسى الأشعري مشهور بكنيته، تابعي ثقة فقيه، كان قاضي الكوفة، وله مكارم ومآثر وأخبار، توفي سنة (١٠٣هـ). [الطبقات الكبرى ٦/ ٢٦٨-٢٦٩، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣: ٣٤٦].

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٢٤، البداية والنهاية ١/ ٢٦٤، ٢٦٥، الدر المنثور ٥/ ٢٦١.

(٤) قوله: «مَثَلاً» يكون بدلاً إذا كان «اضْرِبْ» بمعنى اذْكُرْ، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٣٨٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٢٣، البيان للأنباري ٢/ ٢٩٢، التبيان للعكبري ص ١٠٧٩.

(٥) يكون مفعولا ثانيًا إذا كان «اضْرِبْ» بمعنى اجْعَلْ، وهو ما رجحه مَكِيٌّ في مشكل إعراب =

قولـه: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يعني الأصنام، وهو استفهام إنكار ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾؛ أي: بسوءٍ ومكروهٍ ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ الآيـة؛ أي: ولا يخلصونني من ذلك المكروه، وجزم ﴿تُغْنِ﴾ على جواب الشرط، و﴿يُنقِذُونِ﴾ عطف عليه، أصله: ينقذونني.

قولـه تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاحَ بهم جبريلُ عليه السّلام حين كَذَّبُوا الرُّسُلَ، وقَتَلُوا حَبِيبًا النَّجّارَ مؤمنَ آل يس، صَيْحةً واحدةً ماتوا عن آخرهم، وذلك قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ابتداءٌ وخبرٌ؛ أي: مَيِّتُونَ، والصَّيْحةُ توضع موضع الهَلَكةِ، يقال: صاحَ فلانٌ فِي مال فلانٍ: إذا أَهْلَكَهُ[(١)]، ومنه قول امرئ القيس:

١٦٨ ـ دَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجَراتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثًا مـا حَدِيثُ الرَّواحِلِ[(٢)]

ومعنى «صِيحَ في حُجَراتِـهِ»؛ أي: هَلَكَ وذُهِبَ بـه، و﴿صَيْحَةً﴾ خبر «كانَ»، و﴿وَٰحِدَةً﴾ نعتهـا، ورُوِيَ عـن أَبِي جعفـرٍ أنه قرأ: «صَيْحـةٌ واحِدةٌ»

= القرآن ٢/ ٢٢٣، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٢٩٢، التبيان للعكبري ص ١٠٧٩.

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٥/ ١٦٦.

(٢) البيت من الطويل، لامرئ القيس يمدح جارية بنَ مُرٍّ بنِ حنبلٍ أُخَيَّ بني ثُعَلَ، وفي أوله خَرْمٌ، ويروى: «فَدَعْ»، وعليها فلا خرم فيه.

اللغة: النَّهْبُ: الغنيمة وكل ما انتُهِبَ، الحَجَراتُ: جمع حَجْرةٍ وهي الناحية، يريد: دَعِ النَّهْبَ الذي نُهِبَ من نواحيك، وحدِّثْني حديثَ الرواحل التي ذهبتْ، ما فعلتْ؟

التخريج: ديوانه ص ٩٤، الصاحبي ص ١٨، ٧٣، اللسان: حجر، رسس، سقط، صيح، ارتشاف الضرب ص ١٧٢٩، البحر المحيط ٦/ ١٧٣، ٧/ ٢٢٧، الجنى الداني ص ٢٤٤، مغني اللبيب ص ٢٠٠، ٦٨٩، المقاصد النحوية ٣/ ٣٠٧، ٣٠٨، شرح شواهد المغني ص ٤٤٠، همع الهوامع ٢/ ٣٥٨، المزهر ١/ ٣٢٣، خزانة الأدب ١٠/ ١٥٩، ١١/ ١٧٨.

بالرفع[١]، جَعَلَ الكَوْنَ بِمَعْنَى الوقوع، وحينئذٍ لا يَحْتاجُ إلى خَبَرٍ.

قوله: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ نداءُ نكرةٍ؛ أي: يا هَؤُلاءِ تَحَسَّرُوا حَسْرةً[٢]، تحريضٌ لهم على التحسُّر، وهو منصوبٌ بالتنوين؛ لِتَمَكُّنِ النكرةِ وأنها لا تُبْنَى، قال الشاعر:

١٦٩ - يا راكِبًا بَلِّغَ إخْوانَنا مَنْ كانَ مِنْ كِنْدةَ أوْ وائِلِ[٣]

وقرأ عكرمة: «يا حَسْرَهْ عَلَى العِبادِ» بِجَزْمِ الهاء[٤].

والحسرة: الندامة يوم القيامة، يقول: يا لها من حسرةٍ على الكفار، ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٣٠﴾؛ أي: يسخرون منه، ويقال: الحسرة

---

(١) وبها قرأ أيضًا شيبة والأعرج ومعاذ بن الحارث، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٥، المحتسب ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٢١، البحر المحيط ٧/ ٣١٧، الإتحاف ٢/ ٣٩٩، ٤٠٠.

(٢) على هذا التأويل الذي ذكره المؤلف لا يكون «حَسْرةً» منادى، بل يكون مفعولاً مطلقًا لفعل محذوف، ويكون المنادى محذوفًا، وهو «هَؤُلاءِ» كما قَدَّرَهُ الجِبْلِيُّ هنا، وأما إذا كان «حَسْرةً» هو المنادى، فإن المعنى: يا حَسْرةً هذا أوانُكِ وإبّانُكِ الذي يجب أن تَحْضُرِي فيه، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٤، إعراب القرآن ٣/ ٣٩٢، التهذيب ٤/ ٢٨٧-٢٨٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٢٤، التبيان للعكبري ص ١٠٨١، البحر المحيط ٧/ ٣١٨، الدر المصون ٥/ ٤٨١.

(٣) البيت من السريع، لامرئ القيس، ونُسِبَ لعمرو بن قميئة، وليس في ديوانه، وقوله: «بَلِّغَ» أراد: بَلِّغَنْ بنون التوكيد الخفيفة.

التخريج: ديوان امرئ القيس ص ٢٥٨، التعازي والمراثي للمبرد ص ١٣٧، الحماسة البصرية ص ١٥١، خزانة الأدب ١١/ ٤٥١.

(٤) قرأ عكرمة وابن ذكوان وأبو الزناد والأعرج ومسلم بن جندب: «يا حَسْرَهْ عَلَى العِبادِ» بإسكان الهاء؛ إجراء للوصل مجرى الوقف، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٥، المحتسب ٢/ ٢٠٨، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٣، البحر المحيط ٧/ ٣١٨.

في العربية: الوعظ والتخويف مما عَلِمَ اللهُ تعالى، ولَمْ يَعْلَمُوهُ.

[١٠٢/ أ] قوله/ : ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ يعني أهل مكة، أي: أَلَمْ يُخْبَرُوا ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ نصب بـ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾، والقَرْنُ: أهل كل عصرٍ، سُمُّوا بذلك لاقترانهم فِي الوجود ﴿أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١﴾ لا يعودون إلى الدنيا، أفلا يعتبرون بهم.

قوله: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ﴾ هذه «إن» الثقيلة فِي الأصل، خُفِّفَتْ فزال عملها في أكثر اللغات، ولزمتْها اللامُ فرقًا بينها وبين التي بمعنى «ما»[١].

وقوله: ﴿لَّمَّا جَمِيعٌ﴾ قرأ ابن عامرٍ وعاصمٌ وحمزة والأعمش: «لَمّا» بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف[٢]، فمن شَدَّدَ جعل «إنْ» بمعنى الجحد على [أن «لَمّا»][٣] بمعنى «إلّا»، تقديره: وما كُلٌّ إلاّ جَمِيعٌ، كقولهم: سألتُكَ لَمّا فعلتَ، أي: إلّا فعلتَ[٤]، ومَنْ خَفَّفَ جعل «إنْ» للتحقيق مخففة، و«ما» صلةً، مجازه: وإنْ كُلٌّ لَجَمِيعٌ[٥] ﴿لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢﴾ يعني: يوم القيامة، فيقفون

(١) هذا على قراءة «لَما» بالتخفيف، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٣٩٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٢٥.

(٢) وقرأ بالتشديد أيضًا: الحَسَنُ وابنُ جَمّازٍ وابنُ ذَكْوانَ، وقرأ بالتخفيف نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر والكسائي وابن وردان ويعقوب وخلف وهشام، ينظر: حجة القراءات ص ٥٩٧، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢١٥، التيسير ص ١٢٦، النشر ٢/ ٢٩١، الإتحاف ٢/ ٤٠٠.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) وهذه لغة هذيل، يجعلون «لَمّا» بمعنى «إلّا»، وحكى سيبويه: «أقسمتُ عليك إلّا فَعَلْتَ ولَمّا فَعَلْتَ»، ينظر: الكتاب ٣/ ١٠٥، وينظر أيضًا: معاني القراءات للأزهري ٢/ ٣٠٥.

(٥) قال سيبويه: «واعلم أنهم يقولون: إنْ زَيْدٌ لَذاهِبٌ، وإنْ عَمْرٌو لَخَيْرٌ منك، لَمّا خَفَّفَها جَعَلَها بمنزلة «لَكِنْ» حين خَفَّفَها، وألزمها اللام لئلا تلتبس بـ«إنْ» التي هي بمنزلة «ما» التي تَنْفِي بها، ومثل ذلك: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، إنما هي: لَعَلَيْها حافظ، وقال تعالى: =

على ما عملوا، و﴿كُلٌّ﴾ رفعٌ بالابتداء، و﴿جَمِيعٌ﴾ خبره، و﴿مُحْضَرُونَ﴾ نعته.

ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا، فقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ ابتداءٌ ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ خبَـرُهُ؛ أي: يَدُلُّهم على قدرتنا على البعث إحياءُ الأرض بالنبات بعد أن كانت مَيْتةً لا تنبت شيئًا، وهو قوله: ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ يعني: بالمطر ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني: ما يُقْتاتُ من الحبوب، وقرأ نافع: «الْمَيِّتةُ» بالتشديد[1].

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ يعني: في الأرض ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ يعني: من ثَمَرِ النخيل، كنايةً عن غير مذكورٍ، وهو في اللفظ مذكَّرٌ، قرأ الأعمش بضم الثاء وسكون الميم، وقرأ طلحة ويحيى وحمزة والكسائي وخلَفٌ بضم الثاء والميم، وقرأ الباقون بفتحهما[2].

قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: لَمْ يكن ذلك من صنع أيديهم، ولكنه من فعلنا ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ رَبَّ هذه النعمة فيوحدونه، ومحلُّ «ما» خفضٌ بالعطف على ﴿ثَمَرِهِۦ﴾، ويجوز أن يكون نصبًا.

قرأ العامة: «وَما عَمِلَتْهُ» بالهاء، وقرأ عيسى بن عمر وأهل الكوفة إلا حفصًا: «عَمِلَتْ» بغير هاءٍ[3]، ويجوز في «ما» ثلاثة أوجه، أحدها: الجحد

= ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] إنما هي: لَجَمِيعٌ، و«ما» لغو». الكتاب ٢/ ١٣٩، وينظر أيضًا: مجاز القرآن ٢/ ١٦٠، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٦، إعراب القرآن ٣/ ٣٩٣، المسائل المشكلة ص ١٧٥ وما بعدها، ٣٨١ وما بعدها، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٢٥.

(١) وهي أيضًا قراءة أبي جعفر، ينظر: النشر ٢/ ٢٢٤، الإتحاف ٢/ ٤٠٠.

(٢) ينظر: القرطبي ١٥/ ٢٥، البحر المحيط ٧/ ٣٢٠، النشر ٢/ ٢٦٠، الإتحاف ٢/ ٢٥، ٤٠٠.

(٣) ينظر: السبعة ص ٥٤٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٣١، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢١٦، النشر ٢/ ٣٥٣، الإتحاف ٢/ ٤٠٠.

بمعنى: ولَمْ تعمل أيديهم؛ أي: وجدوها مغلولةً، فلا صُنْعَ لهم، والثانِي: بمعنى المصدر؛ أي: ومِنْ عَمَلِ أيديهم، والثالث بمعنى «الَّذِي»؛ أي: ومما عملت أيديهم من الحروث والغروس.

فمن قرأ: «عَمِلَتْهُ» بالهاء جعلها عائدة إلى «ما» التي هي بمعنى «الذي»، ومن قرأ بحذف الهاء فلأنّ هذه الهاء الراجعة إلى الموصول تجيء محذوفةً في أكثر القرآن، كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ / ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[1]، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[2]، وتكون هذه القراءة كقراءة من قرأ: «عَمِلَتْهُ»؛ لأن الهاء مُرادةٌ وإن حُذِفَتْ من اللفظ[3]. [١٠٢/ ب]

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: نرمي بالنهار عن الليل فنأتِي بالظُّلْمة[4]، وذلك أن الأصل هي الظُّلمة والنهار داخلٌ عليه، فإذا غربت الشمس انسلخ النهار من الليل؛ أي: كُشِطَ وأُزِيلَ فتظهر الظُّلمة[5]، وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾؛ أي: داخلون في ظلام الليل، و﴿ٱلَّيْلُ﴾ رفع بالابتداء، ﴿وَءَايَةٌ﴾ خبره إلا أنّ الخبر مقدَّمٌ على الاسم، ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ.

---

(١) الفرقان ٤١.

(٢) النمل ٥٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٧، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٦، إعراب القرآن ٣/ ٣٩٤، الحجة للفارسي ٣/ ٣٠٧، المسائل المشكلة ص ٣٥٢-٣٥٣، المسائل الشيرازيات ص ٥٠٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٢٦، المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٣، البحر المحيط ٧/ ٣٢٠، الدر المصون ٥/ ٤٨٤، ١٨٥.

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٧٨، وينظر: زاد المسير ٧/ ١٧.

(٥) قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٥١٤.

قولـه عـزّ وجـلّ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ يعني: تسـير في منازلهـا حتـى تنتهي إلى آخر مسـيرها الـذي لا تجاوزه، ثم ترجـع إلى أول منازلها، ورُوِيَ عن ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ أنهما كانا يقرآن: «والشَّمْسُ تَجْرِي لا مُسْتَقَرَّ لَها»[(١)]؛ أي: لا قَرارَ لَها، فهي جاريةٌ أبدًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من أمر الليل والنهار والشمس والقمر ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ الذي فعل هذا لا يخفى عليه شيءٌ.

فصْلٌ

عـن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ لِي حين غربت الشـمس: «أتدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنّها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فَيُؤْذَنُ لها، ويُوشَكُ أن تَسْجُدَ فلا يُقْبَل منها، وتَسْتَأْذِنَ فـلا يُؤْذَنُ لَها، ويُقالُ لَها: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْـتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِها، فذلك قوله عزّ وجـلّ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾»[(٢)]. رواه البخاري بإسناده عن إبراهيم التَّيْمِيِّ[(٣)] عن أبيه عن أَبِي ذَرٍّ عن النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) وهي قراءة النبي ﷺ وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبي جعفر الباقر وجعفر بن محمد وعَلِيِّ ابن الحسـين وابن أبي عبدة، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٧، المحتسـب ٢/ ٢١٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٨، البحر المحيط ٧/ ٣٢١.

(٢) البخاري ٤/ ٧٥ كتاب بدء الخلق: باب صفة الشمس والقمر، ٦/ ٢٩ كتاب تفسير القرآن: سورة يس.

(٣) هـو إبراهيم بن يزيد بن شـريك التيمي، الإمام القدوة الفقيه، عابـد الكوفة، حَدَّثَ عن أبيه والأعمـش، كان شـابًّا صالحًا قانتًا فقيهًا كبير القَدْرِ، رَوَى له السـتة، توفي سـنة (٩٢هـ)، وقيل: (٩٤هـ) في سـجن الحجاج ولم يبلغ أربعين سـنة، وقيل: قتلـه الحجاج. [تهذيب الكمال ٢/ ٢٣٢-٢٣٣، سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٠-٦٢].

قولــه تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ يعني: بالليل أوَّلَ ما يَطْلُعُ كُلَّ ليلةٍ فِي منزلٍ، ويصعد فِي مَنْزِلٍ، حتى ينتهي إلى مستقره الذي لا يجاوزه، ثم يعود إلى أدْنَى منازله، فيكون كالعُرْجُونِ القديم.

قرأ نافعٌ وابن كثيرٍ وأبو عمرٍو وأيوب ويعقوب ـ غَيْرَ رُوَيْسٍ ـ: «والقَمَرُ» بالرفع[١]، واختاره أبو حاتمٍ، قال[٢]: لأنّكَ شَغَلْتَ الفعلَ عنه، فرفعته بالابتداء، وقرأ الباقون بالنصب، واختاره أبو عُبيدٍ، قال[٣]: للفعل المتقدم قبله والمتأخر بعده، فأما المتقدم فقوله: ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾، وأما المتأخر فقوله: ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾.

وقال طاهر بن أحمد[٤]: الرَّفع محمولٌ على الشمس، والنصب محمولٌ على ﴿تَجْرِى﴾ أو على إضمار فعلٍ ليس له موضعٌ من الإعراب.

وقوله: ﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾؛ أي: قَدَّرْنا له منازلَ[٥]، وهي ثمانيةٌ وعشـرون مَنْـزِلاً، يَنْزِلُ القمرُ كل ليلةٍ بِمَنْزِلٍ، وأسـماؤها: الشَّـرَطانُ، والبُطَيْنُ، والثُّرَيّا، والدَّبَـرانُ، والهَقْعةُ، والهَنْعةُ، والذِّراعُ، والنَّثْـرةُ، والطَّرْفُ، والجَبْهةُ، والزُّبْرةُ، والصَّرْفةُ، والعَوّاءُ، والسِّماكُ، والغَفْرُ، والزُّبانَى، والإكْلِيلُ، والقَلْبُ، والشَّوْلةُ،

---

(١) وهي أيضًا قراءة الحَسَـنِ وَرَوْحٍ واليزيدي وابن محيصن، ينظر: السبعة ص ٥٤٠، الكشف ٢/ ٢١٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٩، البحر المحيط ٧/ ٣٢٢، الإتحاف ٢/ ٤٠٠.

(٢) ينظر قول أبي حاتم في الكشف والبيان ٨/ ١٢٨، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٩.

(٣) ينظر قول أبي عبيد في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٩٤، الكشف والبيان ٨/ ١٢١، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٩.

(٤) شرح جمل الزجاجي ١/ ٩٥.

(٥) هذا أحـد قولين قالهما النحاس، ومعنـاه أن الهاء في «قدرناه» نصـب على نزع الخافض، فيكون كقولـه تعالـى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ [الأعـراف: ١٥٥]. إعراب القرآن ٣/ ٣٩٤، وفيـه أوجه أخرى تنظر في مشـكل إعراب القـرآن ٢/ ٢٢٦، الفريد ٤/ ١٠٩، الدر المصون ٥/ ٤٨٦.

والنَّعائِمُ، والبَلَدَةُ، وسَعْدُ الذَّابِحِ، / وسَعْدُ بُلَعَ، وسَعْدُ السُّعُودِ، وسَعْدُ الأَخْبِيةِ، [١٠٣/ أ]
وفَرْغُ الدَّلْوِ المُقَدَّمُ، وفَرْغُ الدَّلْوِ المُؤَخَّرُ، وبَطْنُ الحُوتِ، ويسمَّى الرِّشا[1].

فإذا صار إلى آخر منازله ﴿عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾، وهو العِذْقُ الذي فيه الشَّماريخُ[2]، إذا عَتُقَ ويَبِسَ واصْفَرَّ تَقَوَّسَ، فيصير منحنيًا كهيئة القوس، فشُبِّهَ القمرُ فِي دِقَّتِهِ وصُفْرَتِهِ به، ويقال له أيضًا: الإهانُ[3].

قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجري في سلطانه؛ أي: بضوئه ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ فيطلع في غير سلطانه، فهما يتعاقبان بحسابٍ معلومٍ، لا يجيء أحدهما قبل وقته، ودخلت«لا» لمعنى النفي، وَلَمْ تَنْصِبْ لأنّ الشمس معرفة وكذلك الليل، فهما رفعٌ على الابتداء.

قوله: ﴿وَكُلّٞ﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾؛ أي: يجرون ويسرعون كما تجري الشمس وتَسْبَحُ، والفَلَكُ: القُطْبُ الذي تدور به النجوم[4]، قال الحسن[5]: الفَلَكُ طاحونةٌ كهيئة فَلْكةِ المِغْزَلِ. يريد أن

---

(١) تنظر هذه الأسماء في: أدب الكاتب ص ٦٩، الكشف والبيان ٨/ ١٢٨، عين المعاني ورقة ١١٠/ أ.

(٢) حكاه النحاس عن قتادة في معاني القرآن ٥/ ٤٩٥، قال النحاس: «الذي قاله قتادة هو الذي حكاه أهل اللغة»، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، والشماريخ: جمع شِمْراخٍ وشُمْرُوخٍ وهو غصن دقيق يكون في أعلى الغصن الغليظ، يكون عليه البُسْرُ، حكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ٧/ ٦٤٦-٦٤٧.

(٣) قاله أبو عبيدة والليث، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٦١، وقول الليث في تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٤٤٦.

(٤) هذا قول أبي عبيدة وأبي عبيد، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٣٨، غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٩٧، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ١٠/ ٢٥٦.

(٥) ينظر قوله في جامع البيان ١٧/ ٣٢، التبيان في تفسير القرآن للطوسي ٧/ ٢٤٥.

الذي تجري فيه النجوم مستديرٌ كاستدارة الطاحونة، ويقال: الفَلَكُ: الطريق، وقال النضر بن شُمَيْلٍ[١]: الفَلَكُ من الأرض: ما استدار وأشْرَفَ على ما حوله، وقال الكلبي[٢]: الفَلَكُ: استدارة السماء، وكل شيءٍ استدار فهو فَلَكٌ، والفَلَكُ فِي كلام العرب: كلُّ شيءٍ مستديرٌ، وهو مشتقٌّ من فَلْكةِ المِغْزَلِ، قاله الحسن، وجمعه أفْلاكٌ، ومنه فَلْكةُ المِغْزَلِ، وتَفَلَّكَ ثَدْيُ الجاريةِ: إذا استدار.

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾؛ أي: علامةٌ لأهل مكة على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ قرأ أهل الحجاز: «ذُرِّيّاتِهِمْ» بالألِف على الجمع، وقرأ أهل البصرة: «ذُرِّيَّتَهُمْ»[٣] بغير ألِفٍ على التوحيد، وأراد بالذريّة هاهنا آباءهم وأجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم[٤]، والذريّة تقع على الآباء كما تقع على الأولاد، وعنى بالفُلك[٥] سفينة نوحٍ عليه السّلام، والمشحون: المملوء، ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يعني السفن التي عُمِلَتْ بعد سفينة نوحٍ مِثْلَها وعلى هيئتها وصورتها، ومحل ﴿مَا﴾ نصبٌ بوقوع «خَلَقْنا» عليه.

ثم ذكر أنه بفضله يحفظهم، ولو شاء أغرقهم، فلم يُغِثْهُمْ أحَدٌ، ولَمْ ينقذهم من الغرق، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ يعني: في البحر، ﴿فَلَا صَرِيخَ

(١) قال النضر بن شميل: «الفلكة: أصاغر الإكام، وإنما فلكها اجتماع رأسها كأنها فلكة مغزل لا تنبت شيئًا». ينظر: تهذيب اللغة ١٠/ ٢٥٥.

(٢) ينظر قوله في تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٢٥٤.

(٣) ينظر: السبعة ص ٥٤٠-٥٤١، البحر المحيط ٧/ ٣٢٣، النشر ٢/ ٢٧٣، الإتحاف ٢/ ٤٠١.

(٤) قاله الفراء والنحاس، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٩، معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٩٨، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٩٦.

(٥) في الأصل: «وعنى بالأولاد»، وهو سهو من الناسخ فيما يبدو.

لَهُمْ﴾؛ أي: لا مُغِيثَ لهم من عذابنا، والصريخ هاهنا بمعنى المُصْرِخِ، وأصل الصُّراخِ: الاستغاثة ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ٤٣﴾ يُنْجُونَ/ مما يُرادُ بهم من الغرق، [١٠٣/ ب]
يقال: أنقذه واستنقذه: إذا خَلَّصَهُ من مكروهٍ، قال ابن عبّاسٍ: ولا أحد ينقذهم من عذابي ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ يعني: إلا نِعْمةً مِنّا عليهم، فهي التي تنجيهم ﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ٤٤﴾؛ أي: يعيشون بآجالهم فِي الدنيا إلى حين الموت، وذلك أن الكافر مَتَّعَهُ الله في الدنيا، وَرَزَقَهُ فيها، فإذا ركب السفينة سَلَّمَهُ حتى يموت بأجله، ونصب ﴿رَحْمَةً﴾ على حذف حرف الجر أي: إلا برحمةٍ أو لرحمةٍ[١]، وقال الكسائي[٢]: هو نصبٌ على الاستثناء، وقال الزجّاج[٣]: هو مفعولٌ من أجله، ﴿وَمَتَاعًا﴾ مثله معطوف عليه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعني: لِهؤلاء الكفار ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ يريد: من أمر الآخرة، واعملوا لها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من أمر الدنيا، فاحذروها ولا تَغْتَرُّوا بها وما فيها من زهرتها وزُخْرُفِها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٤٥﴾ لكي تكونوا على رجاء الرحمة من الله، وجواب «إذا» محذوفٌ، تقديره: وإذا قيل لهم هذا أعْرَضُوا[٤]، دليله ما بعده، وهو قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: من عِبْرةٍ ودلالةٍ تدل على قدرتنا وصِدْقِ محمَّدٍ ﷺ ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٤٦﴾.

---

(١) هذا قول مكي بن أبي طالب، قاله في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٢٨.

(٢) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٩٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٢٨، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٥.

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٩.

(٤) قاله الفراء والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٧٩، معانِي القرآن للنحاس ٥/ ٥٠٠، وينظر أيضًا: عين المعانِي ورقة ١١٠/ ب.

قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾ وهي نفخة إسرافيل الأولى، يعني أن القيامة تأتيهم بغتةً، فتأخذهم الصَّيحة ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾؛ أي: يختصمون في البيع والشراء، ويتكلمون في الأسواق والمَجالِسِ، ويُخاصِمُ بعضُهُمْ بعضًا.

واختلف القُرّاءُ فيها، فقرأ ابن كثيرٍ ووَرْشٌ وأبو عُبيدٍ وأبو حاتمٍ بفتح الخاء وتشديد الصاد، ومِثْلَهُ رَوَى هشامٌ عن أهل الشام، لَمّا أدغموا نقلوا حركة التاء إلى الخاء، وقرأ حفصٌ وأيوبُ وورشٌ عن نافعٍ[1] مكسورةَ الخاء مشددّة الصاد، وقرأ أبو عمرٍو بالإخفاء، غير أن أبا عمرٍو وهشامًا يُشِمّانِ الخاءَ شيئًا من الفتح، وقرأ حمزةُ الخاءَ مخففةً والصادَ مكسورةً، أي: يغلب بعضهم بعضًا بالخصام، وهي قراءة أُبَيِّ بنِ كعب[2]، وقرأ الباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد[3] إلا أن أبا بكرٍ يكسر الياء[4].

وأجود القراءة فتح الخاء مع تشديد الصاد؛ لأنّ الأصل: يختصمون، فَأُلْقِيَتْ حركة الحرف المدغم، وهو التاء، على الساكن الذي قبله، وهو

---

(١) الصواب: «قالون عن نافع»، لا ورش عن نافع كما ذكر المؤلف.

(٢) قراءة أُبَيِّ بن كعب هي: «يَخْتَصِمُونَ» بالتاء كما في مختصر ابن خالويه ص ١٢٧، والبحر المحيط ٧/ ٣٢٥.

(٣) قرأ: «يَخِصِّمُونَ» حفصٌ عن عاصمٍ، والكسائيُّ وابنُ عامر وابنُ ذكوان، وهشامٌ في رواية عنه، وخلفٌ عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش، ورُوِيَ من طريق آخر عن أبي بكر عن عاصم أنه قرأ: «يِخِصِّمُونَ» بكسر الياء والخاء، ينظر: السبعة ص ٥٤١، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٨، النشر ٢/ ٣٥٤، الإتحاف ٢/ ٤٠٢.

(٤) ينظر في هذه القراءات: السبعة ص ٥٤١، الكشف ٢/ ٢١٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٨، البحر المحيط ٧/ ٣٢٥، النشر ٢/ ٣٥٤، الإتحاف ٢/ ٤٠٢.

الخاء[1]، ومن قرأ بكسر الخاء حَرَّكَهُ بالكسر لالتقاء الساكنين، وعلى قراءة أهل المدينة جَمْعٌ بين ساكنين، قال الزجّاج[2]: وهو أشد الوجوه وأرْدَؤُها.

ومعنى الآية أن الكفار الذين تقوم عليهم / الساعة تأخذهم الصيحة [١٠٤/ أ] وهم يَخِصِّمُونَ، والقوم إذا كانوا على أمرٍ واحدٍ كان الخبر عن بعضهم كالخبر عن جميعهم[3].

ثم أخبر أن الساعة إذا أخذتهم بغتةً لَمْ يقدروا على الإيصاء بشيءٍ، وذلك قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾؛ أي: فلا يقدرون على أن يُوَصِّيَ بعضُهم بعضًا، ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠﴾ يعني: من الأسواق إلى منازلهم، وهذا إخبارٌ عمّا يَلْقَوْنَ فِي النفخة الأولى.

ثم أخبر عمّا يلقون في النفخة الثانية بعد الموت إذا بُعِثُوا، فقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ وهو كهيئة القرن من الثور، ينفخ فيه إسرافيل عليه السّلام، وهي النفخة الأخيرة نفخة البعث، وبين النفخة الأولى والأخيرة أربعون سنةً، فإذا نفخ في الأولى مات فيها كل شيءٍ مما خلَقَ الله تعالى، ويموت إبليس فيمن يموت، ثم تمطر السماء أربعين يومًا كَمَنِيِّ الرِّجالِ، فينبتون به فِي

---

(١) وهذه القراءة هي التي اختارها الزجاج، فقال: «والقراءة الجيدة «يَخَصِّمُونَ» بفتح الخاء، والأصل: يختصمون، فطرحت التاء على الخاء وأدغمت في الصاد». معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٠، أما الفراء فإنه يرى أن قراءة «يَخِصِّمُونَ» بكسر الخاء أجود وأكثر، قال النحاس رَدًّا عليه: «وكيف يكون أكثر؟ وبالفتح قراءة أهل مكة وأهل البصرة وأهل المدينة». إعراب القرآن ٣/ ٣٩٨، وينظر: الحجة للفارسي ٣/ ٣٠٨.

(٢) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٩.

(٣) قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٥١٥-٥١٦.

قبورهم كما ينبتون في بطون أمهاتهم، ثم تكون النفخة الآخرة[١] ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعني القبور، واحدها: جَدَثٌ، ويقال: جَدَفٌ بالفاء، وهي لغة هذيل ولغة بعض بني تميم[٢].

وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: إلى داعي ربهم ﴿يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ يعني: يخرجون سِراعًا، وهذا يصلح ابتداءً وصِفةً، ومنه قيل للولد: نَسْلٌ؛ لأنه يخرج من بطن أُمِّه، والنَّسَلانُ والعَسَلانُ: الإسراع في السير، يقال: نَسَلَ فِي العَدْوِ يَنْسِلُ نُسَلانًا: إذا أسرع[٣]، وهو يُقْرَأُ بكسر السين وضمها[٤].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ قال المفسرون[٥]: إنما يقولون هذا لأن الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون، فلما بُعِثُوا، وعاينوا القيامة دَعَوْا بالويل، فقالت الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ على ألسنة الرسل أنه يبعثكم بعد الموت ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فِي وَعْدِ البَعْثِ، وقال قتادة[٦]: أول الآية للكافرين، وآخرها للمسلمين، يقول

---

(١) رواه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٩٦، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٢٩ كتاب البعث: باب أمارات الساعة، وينظر: الدر المنثور ٥/ ٢٤٥، ٦/ ٢٥٧.

(٢) قال أبو عبيدة: «الأجداث: واحدها جَدَثٌ، هي لغة أهل العالية، وأهل نجد يقولون: جَدَفٌ». مجاز القرآن ٢/ ١٦٣، وينظر: جامع البيان ٢٣/ ١٩، وقد قرأ بعضهم: «مِنَ الأَجْدافِ» بالفاء، ينظر: الكشاف ٣/ ٣٢٥، تفسير القرطبي ١٥/ ٤٠.

(٣) قاله الجوهري في الصحاح ٥/ ١٨٣٠.

(٤) قرأ أبو عمرو في روايةٍ عنه وابنُ أَبِي إسحاق: «يَنْسُلُونَ» بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها، ينظر: مختصر ابن خالويه ص١٢٦، البحر المحيط ٧/ ٣٢٥.

(٥) هذا قول أُبَيٍّ وابن عباس وقتادة، ينظر: جامع البيان ٢٢/ ٢٠، ٢١، معانِي القرآن للنحاس ٥/ ٥٠٥، إعراب القرآن ٣/ ٤٠٠، الكشف والبيان ٨/ ١٣٠.

(٦) ينظر قوله في الوسيط ٣/ ٥١٦.

الكافر: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾، ويقول المسلم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، ومحلُّ ﴿هَٰذَا﴾ خفضٌ؛ لأنه نعت لقوله: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾ أو بدله[1]، وإن شئت قلت: محلُّه رفعٌ بالابتداء وخبره ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، وذلك إذا وقفت على ﴿مَّرْقَدِنَا﴾[2].

قوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ﴾ ابتداءٌ ﴿جَمِيعٌ﴾ تأكيدٌ ﴿لَّدَيْنَا﴾ نصبٌ على الظرف ﴿مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ خبرُه.

قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ نصبٌ على خبر ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُه[3] ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ يعني: فِي الدنيا من خيرٍ وشرٍّ، ومحلُّ ﴿مَا﴾ نصبٌ من وجهين، أحدهما: أنه مفعول ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ، والثاني: بِنَزْعِ حرف الصفة؛ أي: بما كنتم تعملون.

قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿فِى شُغُلٍ﴾ عَمّا أَهْلُ النّارِ فيه ﴿فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ قرأ ابن كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وشيبة/ بجزم الغين،

---

(١) في الأصل: «ومحل «هذا» خفض لأنه نعته ترجمة «من مرقدنا» أو بدله أو نعته»، وقد رأيت تعديل النص على النحو المثبت.
وإذا كان «هذا» نعتًا أو بدلًا فإن وقف التمام يكون على «هَذا»، وتبتدئ: «ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ»، وهذه قراءةُ غَيْرِ حَفْصٍ، وعلى هذا يكون «ما» في محل رفع إما على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هذا ما وعد الرحمن، وإما على أنه مبتدأ وخبره محذوف تقديره: ما وَعَدَ الرحمنُ حَقٌّ، وإما على أنه فاعل بفعل مضمر تقديره: بَعَثَكُمْ ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩١، إيضاح الوقف والابتداء ص ٤٥١، ٤٥٢، ٨٥٤، إعراب القرآن ٣/ ٤٠٠-٤٠١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٣٠، الفريد للهمداني ٤/ ١١٣، تفسير القرطبي ١٥/ ٤٢.

(٢) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٤٥١، ٤٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، إعراب القرآن ٣/ ٤٠٠، تفسير القرطبي ١٥/ ٤٢.

(٣) يعني أنه مفعول ثانٍ للفعل «تُظْلَمُ» المَبْنِيِّ للمفعول.

واختـاره أبو حاتمٍ(١)، وقرأ الباقون بضـم الغين(٢)، واختاره أبو عُبيدٍ(٣)، وهما لغتان مثل السُّحْتِ والسُّحُتِ ونحوهما، و«فاكِهُونَ» قرأه العامة بالألِف، وقرأ أبـو جعفرٍ: «فَكِهُونَ» و«فَكِهِينَ»(٤) حيث كانا بغير ألِفٍ، وهما لغتان كالحاذِرِ والحَـذِرِ والفـارِهِ والفَـرِهِ، ورُوِيَ عن طَلْحةَ بـن مُصَرِّفٍ أنه قـرأ: «فاكِهِينَ» بالنَّصب على الحال(٥).

واختلفوا في معنـاه، فقيل: فَرِحُونَ، وقيل: معجبـون، وقيل: ناعمون، تقـول العرب للرَّجُلِ إذا كان يَتَفَكَّهُ بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إن فلانًـا لَفَكِهٌ بكذا(٦)، والفَكِهُ أيضًا: الطَّيِّبُ النَّفْـسِ الضَّحُوكُ، يقال: رَجلٌ فَكِهٌ وفاكِهٌ(٧)، ولَمْ يُسْمَعْ لِهَذا فِعْلٌ فِي الثلاثي.

---

(١) ينظر اختياره في إعراب القرآن ٣/ ٤٠١، الكشف والبيان ٨/ ١٣١.

(٢) ينظر: السبعة ص ٥٤١، ٥٤٢، النشر ٢/ ٢١٦، الإتحاف ٢/ ٤٠٢.

(٣) ينظر اختياره في الكشف والبيان ٨/ ١٣١.

(٤) قرأ نافع في روايةٍ عنه، وأبو جعفر وقتادةُ وأبو حيوة ومجاهدٌ وشـيبةُ وأبو رجاء والحسـنُ والأعـرجُ: «فَكِهُـونَ»، وقرأ طلحة بن مصـرف والأعمش: «فاكِهِـينَ»، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٧، تفسـير القرطبي ١٥/ ٤٤، النشـر ٢/ ٣٥٤، البحر المحيط ٧/ ٣٢٧، الإتحاف ٢/ ٤٠٢.

(٥) وعلى هذه القراءة يكون خبر «إنّ» قولَه: «فِي شُغُلٍ». ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠١، إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢/ ٣٦٧.

(٦) من أول قوله: «تقول العرب للرجل إذا كان يتفكه» قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٦٣، وينظـر: غريب القرآن لابـن قتيبة ص ٣٦٦، غريب القرآن للسجسـتانِي ص ١٢٩، معانِي القرآن للنحاس ٥/ ٥٠٧، تهذيب اللغة ٦/ ٢٦.

(٧) قالـه أبـو عبيد وأبو زيد، ينظر قولهما فـي معاني القرآن للنحـاس ٥/ ٥٠٧، تهذيب اللغة ٦/ ٢٦، ٢٧، الوسيط ٣/ ٥١٦.

فصلٌ في معنى الآية

عن أَبِي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة كلَّما جامَعُوا نساءَهُمْ عُدْنَ أبكارًا»[١]، وقيل: شُغْلُهُمْ فِي السَّماعِ.

قيل: سُئِلَ يحيى بن معاذٍ[٢]: أيُّ الأصواتِ أحْسَنُ؟ قال: مَزامِيرُ أُنْسٍ فِي مَقاصِيرِ قُدْسٍ بألحان تحميدٍ فِي رياض تمجيدٍ فِي مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ[٣]، وقيل[٤]: شُغْلُهُمْ بعشرة أشياء: مُلْكٌ لا عَزْلَ معه، وشبابٌ لا هَرَمَ بعده، وصِحّةٌ لا سَقَمَ معها، وعِزٌّ لا ذُلَّ معه، وراحةٌ لا شِدّةَ معها، ونعمةٌ لا مِحنة معها، وبقاءٌ لا فناءَ معه، وحياةٌ لا موت معها، ورضًا لا سخطَ معه، وأنسٌ لا وحشةَ معه.

وقيل[٥]: شغلهم فِي الجنة بسبعة أنواع من الثواب لسبعة أعضاءَ، فأما ثواب الرِّجْلِ فقوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾[٦]، وثواب اليَدِ قوله تعالى: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴾[٧]، وثواب الفَرْجِ قوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير ١/ ٩١، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٣١، مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٧ كتاب أهل الجنة: باب ما جاء في النساء من أهل الجنة، الدر المنثور ١/ ٤١، ٥/ ٢٦٦.

(٢) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا، واعظ زاهد من أهل الري، أقام ببلخ وقدم بغداد فاجتمع إليه الصوفية، توفِّيَ بنيسابور سنة (٢٥٨هـ). [تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٨، الأعلام ٨/ ١٧٢].

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٣١، زاد المسير ٦/ ٢٩٣، عين المعانِي ١١٠/ ب.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٣١.

(٥) ينظر: المصدر السابق ٨/ ١٣١-١٣٢، مجمع البيان ٨/ ٢٨٢.

(٦) الحجر ٤٦.

(٧) الطور ٢٣.

عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ (١)، وثواب البطن قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢)، وثواب اللسان قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٣)، وثواب الأُذُنِ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ (٤)، وثواب العَيْنِ قوله تعالى: ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (٥).

قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ يعني: في ظلال الجنة والشَّجَر، قرأه العامة بالألِف وكسر الظاء: جمعُ ظِلٍّ، وقرأ ابن مسعودٍ وعُبيد بن عميرٍ وحمزة والكسائي وخلَفٌ: «فِي ظُلَلٍ»(٦) على جمع ظُلَّةٍ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾
[١٠٥/ أ] على السُّرُرِ وعليها الحِجالُ، جمع حَجَلةٍ، وهي القُبّةُ على السرير، والأرائك / : جمع أرِيكةٍ مثل سَفِينةٍ وسَفائِنَ، وقيل: الأرائِكُ: هي الفُرُشُ، والاتِّكاءُ: الاعتماد على المرافق.

﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يتمَنَّوْنَ ويَشْتَهُونَ، قال الزجّاج(٧): هو مأخوذٌ من الدعاء، المعنى: كُلُّ ما يَدْعُو به أهلُ الجنة يأتيهم.

(١) الواقعة ٢٢-٢٣.
(٢) الطور ١٩، والمرسلات ٤٣.
(٣) يونس ١٠.
(٤) الواقعة ٢٥-٢٦.
(٥) الزخرف ٧١.
(٦) وهي قراءة الأعمش والسُّلَمِيِّ وطلحة وابن وَثّابٍ، ينظر: السبعة ص ٥٤٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٤٤، البحر المحيط ٧/ ٣٢٧، الإتحاف ٢/ ٤٠٣.
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٢.

قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ قرأ العامة: «سَـلامٌ» بالرفع على خَبَرِ صفةٍ محذوفةٍ، تقديره: لَهُمْ سَلامٌ[1]؛ أي: سَلامٌ عَلَيْهِمْ، وقرأ النَّخْعِيُّ بالنصب على القطع والمصدر، وكذا هو في قراءة ابن مسعودٍ وأُبَيٍّ: «سَلامًا»[2] فيكون مصدرًا، وإن شئت فِي موضع الحال[3]، ونصب ﴿قَوْلًا﴾ على المصدر على معنى: لهم سلامٌ يقوله الله قولًا يوم القيامة[4].

فصْلٌ

عـن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «بَيْنا أَهْلُ الجنة فِي نعيمهم إذْ سَـطَعَ لهم نُورٌ، فرفعوا رؤوسـهم فإذا الرَّبُّ عزّ وجلّ قد أشْـرَفَ عليهم من فوقهم، فقال: السـلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله عزّ وجـلّ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾، فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيءٍ من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، ويَبْقَى نُورُهُ وبركاتُهُ عليهم في ديارهم»[5].

---

(١) هـذا على مذهب الكوفيين، وهو عند البصريين مبتدأ حذف خبره، قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٦٤، وفيه أوجه أخرى تنظر في معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٨٠، ٣٨١، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٢، مشـكل إعـراب القرآن ٢/ ٢٣١، الفريـد للمنتجب الهمداني ٤/ ١١٦، الدر المصون ٥/ ٤٨٩.

(٢) وهي قراءة عيسى بن عمر وابن أَبِي إسحاق، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٦، المحتسب ٢/ ٢١٥، تفسير القرطبي ١٥/ ٤٥، البحر المحيط ٧/ ٣٢٧.

(٣) وإذا كان مَصْدَرًا فالمعنى: يُسَلِّمُ عليهم فِي الجنة سَلامًا، وأما على الحال فصاحب الحال هو الضمير المجرور في «لَهُمْ» أو «ما»، أو العائد المحذوف في «يَدَّعُونَ»، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٤٥٠، إعراب القرآن ٣/ ٤٠١، ٤٠٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٣١، الفريد للهمداني ٤/ ١١٦، الدر المصون ٥/ ٤٩٠.

(٤) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٢، إعراب القرآن ٣/ ٤٠٢.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه ١/ ٦٦ باب فيما أنكرت الجهميةُ، وابن عدي في الكامل في=

قوله: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩﴾ يقال: مِزْتُ الشَّيْءَ من الشيء: إذا عَزَلْتَهُ عنه ونَحَّيْتَهُ، فـ«امْتازُوا» المعنى: اعْتَزِلُوا اليوم، يعني: في الآخرة، من الصالحين[١]، وقيل[٢]: معناه: كونوا على حِدةٍ، وانْفَرِدُوا عن المؤمنين.

وما بعد هذا ظاهرٌ في الإعراب إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾ شرطٌ وجزاءٌ، قرأ الأعمش وعاصمٌ وحمزة: «نُنَكِّسْهُ» بضم النون وكسر الكاف مع التشديد، وقرأ الباقون بفتح النون وضم الكاف مع التخفيف[٣]، وهما لغتان يقال: نَكَسْتُهُ أَنْكُسُهُ، ونَكَّسْتُهُ أُنَكِّسُهُ، والمعنى: نَرُدُّهُ بعد القوة إلى الضعف، وبعد الزيادة إلى النقصان، وبعد الجِدّةِ والطراوة إلى البِلَى والخُلُوقةِ، قال الزجّاج[٤]: معناه: مَنْ أَطَلْنا عُمُرَهُ نَكَّسْنا خَلْقَهُ، فصار بَدَلَ القُوّةِ الضَّعْفُ، وبَدَلَ الشباب الهَرَمُ.

﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ۝٦٨﴾ قرأ نافعٌ وابنُ ذَكْوانَ[٥] بالتاء على خطاب الكفار، وقرأ الباقون بالياء[٦]، والمعنى: أَفَلَيْسَ لهم عَقْلٌ فيعتبروا فيعلموا أن الذي قَدَرَ

= الضعفاء ٦/ ١٣-١٤، وقال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع». الموضوعات ٣/ ٢٦١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩٨ كتاب التفسير: سورة يس.

(١) قاله مقاتل، ينظر: الوسيط ٣/ ٥١٧، عين المعاني ورقة ١١١/ أ.

(٢) قاله السدي والزجاج، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٢، وينظر قول السدي في الكشف والبيان ٨/ ١٣٣، الوسيط ٣/ ٥١٧.

(٣) ورُوِيَ التخفيف عن عاصم أيضًا، ينظر: السبعة ص ٥٤٣، تفسير القرطبي ١٥/ ٥١، النشر ٢/ ٣٥٥، الإتحاف ٢/ ٤٠٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٣.

(٥) هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان، أبو عمرو القرشي الفهري، من كبار القراء، ثقة صدوق، توفي بدمشق سنة (٢٤٢هـ). [غاية النهاية ١/ ٤٠٤-٤٠٥، الأعلام ٤/ ٦٥].

(٦) قرأ بالتاء أيضًا: ابنُ عامر في روايةٍ عنه، وأبو عمرو في روايةِ عَبّاسِ بنِ الفضل عنه، وأبو =

على هذا من تصريف أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت؟.

قوله تعالى / : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: [١٠٥/ ب] إن القرآن شِعْرٌ، وإنّ محمَّدًا شاعرٌ، فقال الله تعالى تكذيبًا لهم: وما علَّمناه الشِّعر وما ينبغي له الشِّعرُ؛ أي: ما يَتَسَهَّلُ له ذلك، وما كان يَتَّزِنُ له بَيْتُ شعرٍ، حتى إذا تمثَّل ببيتِ شِعْرٍ جَرَى على لسانه مُنْكَسِرًا.

رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئِلَتْ: هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيءٍ من الشِّعر؟ فقالت: كان الشِّعْرُ أبغضَ الحديث إليه، ولَمْ يتمثَّلْ بشيءٍ مِنَ الشِّعر إلا ببيتِ أخِي بَنِي قَيْسٍ طَرَفَةَ:

١٧٠ ـ سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ(١)

فَجَعَلَ يَقُولُ: «ويأتيك مَنْ لَمْ تُزَوِّد بالأخبارِ»، فقال أبو بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ: ليس هكذا يا رسول الله، فقال: «إنِّي لستُ بشاعرٍ، ولا ينبغي لِي الشِّعر»(٢).

= جعفر ويعقوبُ وهشامٌ، وقرأ الباقون، وأبو عمرو وابن عامر في رواية أخرى عن كل منهما بالياء، ينظر: السبعة ص ٥٤٣، البحر المحيط ٧/ ٣٢٩، النشر ٢/ ٢٥٧، الإتحاف ٢/ ٤٠٤.

(١) البيت من الطويل لطرفة بن العبد من معلقته.
التخريج: ديوانه ص ٦٦، معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٠٥، معجم الشعراء ص ٦، البصائر والذخائر ٥/ ١٣٠، عين المعانِي ١١١/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٥١، اللسان: ريث، ضمن، البحر المحيط ٧/ ٣٢٩، التاج: ريث.

(٢) رواه الطبري بسنده عن قتادة عن عائشة في جامع البيان ٢٣/ ٣٤، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٣٦، الوسيط ٣/ ٥١٨-٥١٩، عين المعانِي ١١١/ أ، تفسير ابن كثير ٣/ ٥٨٦، الدر المنثور ٥/ ٢٦٨.

وعن عَلِيِّ بن زيدٍ[(١)] عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت: «كَفَى الإسْلامُ والشَّيْبُ لِلْمَرْءِ ناهِيًا»، فقال أبو بكرٍ وعمر ـ رضي الله عنهما ـ: «يا نَبِيَّ اللهِ: إنما قال الشاعر:

١٧١ ـ كَفَى الشَّيْبُ والإسْلامُ لِلْمَرْءِ ناهِيا[(٢)]

نشهد أنّكَ رسول الله»[(٣)]، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ﴾ يعني القرآن؛ أي ما هو ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ فيه الفرائض والحدود والأحكام، ﴿لِّيُنذِرَ﴾ يعني القرآن، ومن قرأ بالتاء فمعناه: لِتُنْذِرَ يا محمَّدُ بما فِي القرآن ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ يعني: مؤمنًا حَيَّ القلبِ؛ لأنّ الكافر كالميت لا يسمع الإنذار فهو ميت القلب.

---

(١) في الأصل: «علي بن زيد بن الحسن»، وهو سهو من الناسخ فيما يبدو، وهو عليُّ بنُ زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جُدْعانَ، أبو الحسن القرشي التَّيْمِيُ، فقيه بصري ضرير، من حفاظ الحديث، ولكنه ليس بالثقة القوي، روى عن أنس بن مالك وابن المسيب والحسن البصري، توفي سنة (١٢٩هـ). [تاريخ دمشق ٤١/ ٤٨٥؛ ٥٠٢، الأعلام ٤/ ٢٨٩].

(٢) هذا عجز بيت من الطويل، لسُحَيْمٍ عبدِ بني الحَسْحاس، وصدره:

عُمَيـرةَ وَدِّع إن تَجَهَّزتَ غادِيا

التخريج: ديوانه ص ١٦، الكتاب ٢/ ٢٦، ٤/ ٢٢٥، سر صناعة الإعراب ص ١٤١، الخصائص ٢/ ٤٨٨، أماليُّ ابن الشجري ٣/ ٢٢٢، أسرار العربية ص ١٤٤، الإنصاف ص ١٦٨، شرح المفصل ٢/ ١١٥، ٧/ ٨٤، ١٤٨، ٨/ ٢٤، ٩٣، ١٣٨، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٣٤، اللسان: كفى، نهي، ارتشاف الضرب ص١٧٠٠، مغني اللبيب ص ١٤٥، المقاصد النحوية ٣/ ٦٦٥، شرح شواهد المغني ص ٣٢٥، خزانة الأدب ١/ ٢٦٧، ٢/ ١٠٢، ١٠٣.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ٣٨٢، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٣٥، تفسير القرطبي ١٥/ ٥٢، تفسير ابن كثير ٣/ ٥٨٥، الدر المنثور ٥/ ٢٨٦.

قرأ أهل المدينة والشام والبصرة إلا أبا عمرو: «لِتُنْذِرَ» بالتاء هاهنا وفي الأحقاف(١)، وقرأ الباقون بالياء، ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: وتَجِبَ الحُجّةُ بالقرآن ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

ثم ذَكَّرَهُمْ قُدْرَتَهُ، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ أي: مما أمَرْنا به وتَوَلَّيْنا خَلْقَهُ بإبداعنا وإنشائنا من غَيْرِ واسطةٍ ولا وكالةٍ ولا شركةٍ ﴿أَنْعَٰمًا﴾ يريد: من الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ ضابطون قاهرون.

وقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ﴾ إن جعلت «ما» بمعنى «الَّذِي» حذفت الهاء لطول الاسم، وإن جعلت «ما» مصدرًا لَمْ تحتج إلى إضمار الهاء في ﴿عَمِلَتْ﴾، وواحد الأنعام نَعَمٌ، والنَّعَمُ يُذكَّر ويُؤنَّث(٢).

والمعنى: إنّا لَمْ نخلق الأنعام وحشيةً نافرةً من بني آدم لا يقدرون على ضبطها، بل هي مسخَّرةٌ مذلَّلةٌ لهم، وهو قوله: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾؛ أي: سخَّرنا لهم الأنعام ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ قرأه العامة بفتح الرّاء؛ أي: مركوبهم، كما يقال: ناقةٌ

---

(١) يعني قوله، تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢]، فقد قرأ بالتاء نافعٌ وابنُ عامر وأبو جعفر ويعقوبُ وسهلٌ، وقرأ الباقون بالياء، ينظر: السبعة ص ٥٤٤، البحر المحيط ٧/ ٣٣١، النشر ٢/ ٣٥٥، الإتحاف ٢/ ٤٠٤.

(٢) من أول قوله: «إن جعلت «ما» بمعنى «الذي» قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ٤٠٦. وأما النَّعَمُ فقد ذكر الفراء أنه مذكر فقال: «والنعم: ذكر، يقال: هذا نَعَمٌ وارِدٌ». المذكر والمؤنث ص ٧٩، وكذلك قال غيره من العلماء، المذكر والمؤنث لأبي حاتم ص ١٩٦، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٤٦٤؛ ٤٦٧، المذكر والمؤنث لابن التستري ص٥٧، ١٠٧، المذكر والمؤنث لابن فارس ص٦٢.

[١٠٦/ أ] حَلُوبٌ؛ أي: مَحْلُوبٌ(١)، وقرأ الأعمش والحسن / بضم الراء على المصدر، ورُوِيَ عن عروة(٢) أنه قال: في مصحف عائشة رضي الله عنها: «رَكُوبَتُهُمْ»(٣). والرَّكُوبُ والرَّكُوبةُ واحدٌ، مثل الحَمُولِ والحَمُولةِ(٤).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ يعني أُبَيَّ بنَ خَلَفٍ ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ شديد الخصومة في إنكار البعث، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ وذلك أنّ أُبَيَّ بنَ خلَفٍ الجُمَحِيَّ أتى النبيَّ ﷺ بعَظْمٍ قد بَلِيَ، فَفَتَّهُ بيده، وقال: يا محمَّدُ! أتَرَى اللهَ يُحْيِي هذا بعدما رَمَّ؟ فقال عليه السّلام: «نعم يُحْيِي اللهُ هذا، ويميتك، ثم يبعثك، ويدخلك النار»، فأنزل الله

---

(١) هو «فَعُولٌ» بمعنى «مفعول»، ولذلك جاء بغير هاء على النسب، أي: ذُو رُكُوبٍ، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٦-٤٠٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٣١-٢٣٢.

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبد الله القرشي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، لم يدخل في شيء من الفتن، رحل إلى مصر فتزوج بها، ثم عاد للمدينة وتوفي بها سنة (٩٣هـ). [تهذيب الكمال ٢٠/ ١١، الأعلام ٤/ ٢٢٦]، وينظر قوله في إعراب القرآن ٣/ ٤٠٧، الكشف والبيان ٨/ ١٣٦.

(٣) قرأ الحسن والأعمش والمُطَّوِّعِيُّ وابنُ السَّمَيْفَعِ وأبو البَرَهْسَمِ: «رُكُوبُهُمْ»، وقرأت عائشة وأُبَيٌّ: «رَكُوبَتُهُمْ»، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٦، ١٢٧، المحتسب ٢/ ٢١٦-٢١٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٥٥-٥٦، البحر المحيط ٧/ ٣٣١.

(٤) الكوفيون يُلْحِقُونَ تاءَ التأنيث بـ«فَعُولٍ» إذا كان بمعنى «مَفْعُولٍ»، ويحذفونها إذا كان بمعنى «فاعِلٍ»، واستدلوا على ذلك بقراءة «رَكُوبَتُهُمْ» بالتاء، ينظر: المذكر والمؤنث للسجستانِيِّ ص ٧٨، ٧٩، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ٥٤، وأما على قراءة «رَكُوبُهُمْ» فالمراد عندهم المذكر، قال ابن الأنباري: «وقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧٢] فذَكَّرَ لأن المعنى: فمنها ما يركبون، فذَكَّرَ لَمّا لَمْ يُقْصَدْ به قَصْدُ تأنيثٍ». المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ٥١: ٥٤، وينظر: إعراب القرآن ٣/ ٤٠٦، ٤٠٧، المذكر والمؤنث لابن فارس ص ٥٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٣٢، الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ١٢٠.

تعالى فيه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾... الآيات[١].

وقولـه: ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ يعنـي فُتاتًـا رُفاتًا بالِيةً، يقال: رَمَّ العَظْمُ: إذا بَلِيَ، والرُّمَّةُ: الحَبْلُ البالِي، والرَّمْرامُ: الحَصَى الصِّغارُ[٢]، وإنمـا لَمْ يقل: رَمِيمة لأنه معدولٌ عن فاعلـةٍ، وكُلُّ ما كان معدولاً عن وَجْهِهِ وَوَزْنِهِ كان مصروفًا عن فاعِلةٍ إلى فَعِيلٍ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٣] أسـقط الهاء لأنها مصروفةٌ عن باغيةٍ[٤]، وقيل[٥]: ﴿رَمِيمٌ﴾ بمعنى مرمومٍ، ككَفٍّ خَضِيبٍ؛ أي: مَخْضُوبٍ، ومحلُّ ﴿مَن﴾ رفعٌ بالابتداء.

قولـه تعالى: ﴿قُلْ﴾ يـا محمَّـدُ ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا﴾ ابتدأها وخلقَها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مـن الابتـداء والإعـادة ﴿عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾، ونصب ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لأنه اسمٌ أُقِيمَ مُقامَ المصدر.

ثم زاد في البيان، وأخبـر عن عجيب صنعه، فقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ يعنـي: الـذي جمع بين الشـيء وضِدِّهِ قادِرٌ على البعث؛ لأنّ النار تـأكل الحطب، وَلَمْ يقل: الخُضْرَ،

---

(١) ينظر: تفسـير عبد الـرزاق ٣/ ١٤٦، جامع البيـان ٢٣/ ٣٨، الكشـف والبيان ٨/ ١٣٧، أسباب النزول ص ٢٤٦، الدر المنثور ٥/ ٢٦٩.

(٢) ينظر: عين المعاني ورقة ١١١/ أ.

(٣) مريم ٢٨.

(٤) يعني أنه «فَعِيلٌ» بمعنى «فاعِلٍ»، ينظر: التبيان للعكبري ص ١٠٨٦، الفريد للهمداني ٤/ ١٢١، الدر المصون ٥/ ٤٩٣.

(٥) يعنـي أنه «فَعِيـلٌ» بمعنى «مفعـول»، ينظر: التبيـان للعكبري ص ١٠٨٦، الـدر المصون ٥/ ٤٩٣.

والشَّجر جَمْعٌ؛ لأنه رَدَّهُ إلى اللفظ(١)، قال ابن عبّاسٍ(٢): وهما شجران أحدهما المَرْخُ، والآخر العَفارُ، فمن أراد منهما النار قطع غصنينِ مِثْلَ السِّواكَيْنِ يَقْطُرُ منهما الماءُ، فيُسْحَقُ المَرْخُ، وهو ذَكَرٌ، على العَفارِ، وهو أُنثى، فتخرج منهما النار بإذن الله تعالى.

قالت الحكماء(٣): كل شيءٍ فيه نار إلا العُنّابَ. وتقول العرب: فِي كُلِّ شَجَرٍ نارٌ واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفارُ(٤).

ومحل ﴿ ٱلَّذِى ﴾ رفعٌ على خبر ابتداءٍ محذوفٍ، تقديره: هو الذي، ويجوز أن يكون نصبًا على المدح، تقديره: أعني الذي، ويجوز أن يكون رفعًا أيضًا على البدل من قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا﴾ (٥).

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ هذا استفهام معناه التَّقرير، يعني: من قدر على خلق السماوات والأرض فِي عِظَمِهِما يقدر على إعادة / خَلْق البشر، وقيل(٦): هو استفهام تقريعٍ وإن أَشْبَهَ التقريرَ؛ لأنّهم أَقَرُّوا بالإنشاء. [١٠٦/ ب]

---

(١) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٨١، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٨، الإغفال للفارسي ٢/ ٤٧٣، الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ١٢١.
(٢) ينظر قول ابن عباس في الكشف والبيان ٨/ ١٣٧.
(٣) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٣٧.
(٤) ينظر: كتاب الأمثال لأبي عبيد ص ١٣٦، الكامل للمبرد ١/ ٢١٢، مجمع الأمثال ٢/ ٤٤٥، المستقصى ٢/ ١٨٣، عين المعاني ١١١/ أ، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفارُ أي: اسْتَكْثَرا وأَخَذا مِنَ النّارِ ما هُوَ حَسْبُهُما، يُضْرَبُ في تَفْضِيلِ بَعْضِ الشَّيْءِ عَلَى بَعْضٍ.
(٥) يعني: على البدل من «الَّذي» في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ﴾ [يس: ٧٩].
(٦) قاله السجاوندي في عين المعاني ورقة ١١١/ أ.

وقولـه: ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ قـرأه العامة بالألِف، وقرأ يعقـوب: «يَقْدِرُ»[١] على الفعل، وإنما دخلت الباء للتوكيد[٢]، والمراد بعثهم كما كانوا أوَّلاً، ثم أجاب هذا الاستفهام بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ يعني: هو قادرٌ على ذلك ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ يخلق خلقًا بعد خَلقٍ ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ بجميع ما خَلَق.

ثم ذكر قدرته على إيجاد الشيء، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ من البعث وغيـره ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، وهو أمْرٌ وَرَدَ لبيان كمال القدرة، قرأ الكسائي وابن عامر: «فَيَكُونَ» بالنصب[٣] عطفًا على «يَقُولَ»، أو على جواب الأمر بالفاء[٤]، وقرأ الباقون بالرفع على القطع والاستئناف على

---

(١) قـرأ يعقوب ورُوَيْسٌ وسـلام وعاصـم الجحدري وابن أبِي إسحاق والأعـرج: «يَقْدِرُ»، وقـرأ الباقون: «بِقادِرٍ»، ينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٦٠، البحر المحيط ٧/ ٣٣٣، النشر ٢/ ٣٥٥، الإتحاف ٢/ ٤٠٥.

(٢) يعني الباء الزائدة في خبر «ليس» على قراءة «بِقادِرٍ» بالباء.

(٣) ينظر: السبعة ص ٥٤٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٤١، تفسير القرطبي ١٥/ ٦٠، النشر ٢/ ٣٥٦، الإتحاف ٢/ ٤٠٥.

(٤) لَمْ يُجِزْ سيبويه فِي مثل هذا إلا الرفعَ، فقال: «ومثله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ كأنه قال: إنما أمْرُنا ذاك فيكونُ، وقد يَجوز النصبُ في الواجب في اضطرارِ الشعرِ». الكتاب ٣/ ٣٩.
وأما ما ذكره المؤلف من أن «فَيَكُونَ»، على قراءة النصب، منصوب بالعطف على «يَقُولَ»، فهذا ما قاله أكثر النحويين، ينظر: معانِي القرآن للفراء ١/ ٧٤، ٧٥.
وأمـا تخريج نصب «فَيَكُونَ» على أنه جواب للأمر بـ«كُنْ» فقـد أجازه الزَّجّاجُ والنَّحّاسُ، قال الزَّجّاجُ فِي آية سورة النحل: «والنصب على ضربين، أحدهما: أن يكون قوله: «فَيَكُونَ» عطفًـا علـى «أنْ نَقُولَ.. فَيَكُونَ»، ويجوز أن يكون نصباً على جـواب «كُنْ». معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٨، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٨.
وهـذا الوجه ضَعَّفَهُ الفارسـيُّ وغيرُه بأن «فَيَكُونَ» لا يجوز أن يكـون جواباً لـ«كُنْ»، ينظر: معانِـي القرآن للأخفـش ص ١٤٤-١٤٥، معانِي القراءات للأزهـري ١/ ١٧٣، الإغفال للفارسي ١/ ٣٧٢، ٣٨٢: ٣٩١، كشف المشكلات ١/ ٢٢٨، التبيان للعكبري ص ١٠٩.

معنى: فهو يكون، قال قتادة: ليس شيءٌ من كلام العرب أخفَّ ولا أهون من ﴿كُن﴾، فأمْرُ الله كذلك.

فصْلٌ

عن عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حَدَّثَنِي حَبِيبِي رَسُولُ الله ﷺ وَيَدُهُ على كَتِفِي قال: «حَدَّثَنِي الصادقُ الناطقُ رسولُ ربِّ العالمينَ وأمينُهُ على وَحْيِهِ جبريلُ عليه السّلام وَيَدُهُ على كتفي قال: سمعتُ إسرافيلَ عليه السّلام يقول: سمعتُ القلَمَ يقول: سمعتُ اللَّوْحَ يقول: سمعتُ الله تعالى من فوق العرش يقول للشيء: كُنْ، فلا تبلغ الكافُ النُّونَ، أو يكونَ الذي يكونُ»[1].

وقيل[2]: إن الدنيا بما عليها حرفان من كتاب الله تعالى، قال لها الجبّار: كُونِي فكانت، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

قال بعض الحكماء في المعنى:

١٧٢ـ لاتَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنَّ ذَلِكَ نَقْصٌ مِنْكَ فِي الدِّينِ
واسْتَرْزِقِ اللهَ مِمّا فِي خَزائِنِهِ فَإِنَّما الرِّزْقُ بَيْنَ الكافِ والنُّونِ[3]

(١) هذا الحديث موضوع، ذكره الفَتَّنِيُّ في تذكرة الموضوعات ص١٣، وينظر: كشف الخفاء ١/ ٤٤٥، ٢/ ٦٩.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٦.

(٣) البيتان من البسيط لعَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ونُسِبا لِمَحْمُودٍ الوَرّاقِ، ولأبي محمد التيمي، ولعبد الله بن المبارك.
التخريج: ديوان الإمام عَلِيٍّ ص ١٩١، ملحق ديوان محمود الوراق ص ١٦٥، ملحق ديوان عبد الله بن المبارك ص ٩٥، الأغاني ١٨/ ١٢٤، روضة العقلاء ص ١٣٢، أدب الدنيا والدين ص ٣٩٠، تاريخ دمشق ٣٨/ ٣٦٨، الجمان في تشبيهات القرآن ص ١٤٠.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ المَلكوت: المُلْكُ، والواو والتاء زائدتان كالرَّهَبُوتِ من الرَّهْبةِ[1]، قال قتادة[2]: ملكوت كل شيءٍ: مفاتيح كل شيءٍ. فهو مَلِكُ كُلِّ شيءٍ، والقادر على كل شيءٍ، وهو فِي كلام العرب بمعنى مُلْكٍ، وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: تُرَدُّون إلى الله بعد الموت، وتصيرون يوم القيامة إلى الموقف العظيم، وبالله التوفيق.

* * *

(١) قال الزجاج: «والملكوت بِمَنْزِلةِ المُلْكِ، إلا أن الملكوت أبلغ فِي اللغة من المُلْكِ؛ لأن الواو والتاء تُزادانِ للمبالغة، ومثل الملكوت: الرَّغَبُوتُ والرَّهَبُوتُ، ووزنه من الفعل فَعَلُوتٌ»، معانِي القرآن وإعرابه ٢/ ٢٦٥، وينظر: المسائل الشيرازيات ص ١٩٩، الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ١٢١.

(٢) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٨، القرطبي ١٥/ ٦٠.



سورة الصافات

مكية

وهي ثلاثة آلافٍ وثمانمائةٍ وستةٌ وعشرون حرفًا، وثمانمائةٍ وستون كلمةً، ومائةٌ واثنتان وثمانون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

/ عن أُبَيٍّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ [١٠٧/ أ] سورة ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ أُعْطِيَ من الأجر عشرَ حسناتٍ، ومُحِيَ عنه عشرُ سيئاتٍ، ورُفِعَ له عشرُ درجاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ جِنِّيٍّ وشيطانٍ، وتباعدت عنه مَرَدةُ الشياطين، وبَرِئَ من الشِّرك، وشَهِدَ له حافِظاهُ يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بالمرسلين»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الصافات رافَقَ بها الأنبياءَ، وغُفِرَ له ذنبُ خمسين عامًا»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ①﴾ يعني الملائكة تَصُفُّ أنْفُسَها فِي

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٣٨، الوسيط ٣/ ٥٢١، الكشاف ٣/ ٣٥٨، مجمع البيان ٨/ ٢٩٣، عين المعاني ورقة ١١١/ ب.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

السماء، يُسَبِّحُونَ اللهَ كصفوف الخلق فِي الدنيا للصلاة.

قوله: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢﴾ يَعْنِي المَلائِكَةَ تزجر السحاب وتَسُوقُهُ، وقال قتادة: يعني زواجر القرآن، وهي كل ما ينهى ويزجر عن القبيح.

قوله: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣﴾ يعني الملائكة يتلون كتاب الله، وقيل: هم جماعة قُرّاءِ القرآن، وهي كلها جَمْعُ الجمع، فالصّافّاتُ جمع الصّافّةِ، والصّافّةُ جمع الصّافِّ[1]، وكذلك أختاها[2]، قال صاحب إنسان العين[3]: ويحتمل دخول التاء للمبالغة، والفاء لبيان أن الكل واحدٌ مع تغير الوصف، تقول: الداخل عَلَيَّ، فالمقيم عندي، فالآكِلُ طَعامِي، يكون الكل شخصًا واحدًا، ولو قلتَ بالواو لَمْ يكن رجلًا واحدًا.

قرأها العامة بإظهار التاء، وقرأ حمزة بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال، وكذلك: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾[4]، وهي مخفوضةٌ بواو القسم[5]، وما

---

(١) في الأصل: «والصافة جمع الصافات».

(٢) قال النحاس: «الصّافّات جمع صافّةٍ، كأنه جماعةٌ صافّةٌ؛ أي: مُصْطَفّةٌ تذكر الله تعالى وتسبحه، والزاجرات جمع زاجرة». معانِي القرآن ٦/ ٧، ٨، وينظر أيضًا: جامع البيان ٢٣/ ٤١، الكشف والبيان ٨/ ١٣٩، الفريد للمنتجب الهمدانِي ٤/ ١٢٣.

(٣) قال السجاوندي: «والصّافّات جمع جماعة، أو تاءُ الصّافّةِ للمبالغة كعَلاّمةٍ». عين المعاني ورقة ١١١/ ب.

(٤) الذاريات ١، قرأ ابن مسعود، وأبو عمرو في روايةٍ عنه، وحمزةُ ويعقوبُ ومسروقٌ والأعمشُ: «والصّافّات صَّفًّا. فالزّاجِرات زَّجْرًا. فالتّالِيات ذِّكْرًا» بإدغام التاء في ثلاثتها في الصاد والزاي والذال، وقرأ أبو عمرو وحمزة ويعقوب: «والذّارِيات ذَّرْوًا»، ولكن أبا عمرو في رواية عباس ابن منصور عنه يقرأ بالإظهار، ولا يُدغم شيئًا من ذلك، وقرأ الباقون بالإظهار فيها جميعًا، ينظر: السبعة ص ٥٤٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٤٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٦١، البحر المحيط ٧/ ٣٣٧، النشر ١/ ٣٠٠، الإتحاف ٢/ ٤٠٧، ٤٩١.

(٥) المخفوض بواو القسم هو لفظ «الصافات» فقط، وأما «الزاجرات» و«التاليات» فهما =

بعدها منصوبٌ على المصدر[١].

قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ يعني: إن ربكم لواحدٌ ليس له شريكٌ، وهذا جواب القسم، أقسم الله تعالى بهذه الأقسام أنه واحدٌ فَرْدٌ، ليس له شريكٌ.

قوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مِنْ خَلْقٍ ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ يعني مشارق الشمس؛ لأنها تَطْلُعُ كُلَّ يومٍ في مشرقٍ، وتَغْرُبُ كُلَّ يوم في مغربٍ؛ فلذلك جَمَعَها، وذلك أن الله تعالى خلق للشمس ثلاثَمائةٍ وستين كُوّةً فِي المشرق، وثلاثَمائةٍ وستين كُوّةً في المغرب، على عدد أيام السنة، تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ من كُوّةٍ، وتَغْرُبُ في كُوّةٍ منها في المشارق والمغارب.[٢].

و﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ رفعٌ على خبر ابتداءٍ محذوفٍ تقديره: هو رب السماوات، ويجوز أن يكون رفعًا على البدل من قوله: ﴿لَوَاحِدٌ﴾[٣].

قوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ سمِّيت بذلك لأنها أدْنَى السماوات وأقربها من الأرض ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ قيل: هي مُعَلَّقةٌ فِي السماء كالقناديل المعلَّقة في المساجد، قرأ أبو بكر: «بِزِينةٍ» منوَّنًا «الكَواكِبَ» نصبًا، أعمل الزينة، وهي

= معطوفان على «الصافات»، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٤٠٩، تفسير القرطبي ١٥/ ٦١.

(١) يعني «صَفًّا» و«زَجْرًا» و«ذِكْرًا»، وقيل: «صَفًّا» مفعول به؛ لأن الصَّفَّ قد يأتِي بمعنى المصفوف، وأما «ذِكْرًا» فهو مصدر من معنى «التّالِياتِ»، ويجوز أن يكون مفعولًا به، ينظر: التبيان للعكبري ص ١٠٨٧، الفريد للهمداني ٤/ ١٢٣، الدر المصون ٥/ ٤٩٤.

(٢) هذا الخبر رواه الطبري عن ابن عباس في جامع البيان ٢٩/ ١٠٨، ١٠٩، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٣٩، تاريخ دمشق ٩/ ٢٧١، تفسير القرطبي ١٥/ ٦٣، كنز العمال ٦/ ١٧١.

(٣) ويجوز أن يكون خبرًا ثانيا لـ«إنّ»، ينظر في هذه الأوجه: معانِي القرآن للأخفش ص ٤٥١، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤١٠، التبيان للعكبري ص ١٠٨٧، الفريد للهمدانِي ٤/ ١٢٣.

مصدرٌ، في الكواكب على معنى: إنّا زَيَّنّا الكواكبَ فيها[١]، وقرأ حمزة وحفصٌ عن عاصمٍ: «بِزِينةٍ» بالتنوين «الكَواكِبِ» خفضًا على البدل من الزينة، وقرأ الباقون: «بِزِينةِ الكَواكِبِ» مضافًا[٢]، قال ابن عبّاسٍ: يعني: كضوء الكواكب.

قوله: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ ﴾ أي: خبيثٍ متمردٍ، معناه: وجعلنا للسماء حِفْظًا، وذلك شائعٌ فِي اللغة، وقيل[٣]: هو نصبٌ على المصدرِ، والفعلُ محذوفٌ، أي: وحَفِظْناها حِفْظًا، أو مَعَ حِفْظٍ.

و«مارِدٍ» نعت لـ«شَيْطانٍ»، والمارد: العاتِي المتكبر، يقال: قد تَمَرَّدَ فلانٌ على أهله: إذا تَكَبَّرَ عليهم، ويقال منه: مَرُدَ يَمْرُدُ مُرُودًا فهو مارِدٌ، وتَمَرَّدَ يَتَمَرَّدُ تَمَرُّدًا، وأصله من قولهم: شَجَرةٌ مَرْداءُ: إذا سقط ورقها، ورَجُلٌ أمْرَدُ: إذا لَمْ يكن له لحيةٌ، وصَخْرةٌ مَرْداءُ: إذا كانت مَلْساءَ، وكل عاتٍ من الجن والإنس تسميه العرب شيطانًا ماردًا[٤].

---

(١) ويجوز أن يكون «الكَواكِبَ» منصوبًا بفعل مضمر؛ أي: أعني الكواكب، أو بدلاً من «بِزِينةٍ» على الموضع؛ لأن الزينة في موضع نصب، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٨، إعراب القرآن ٣/ ٤١٠-٤١١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٣٣-٢٣٤، الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ١٢٤.

(٢) قرأ أبو بكر عن عاصم، وأبو عمرو في روايةٍ عنه، والأعمشُ وابنُ وَثّابٍ: «بِزِينةٍ الكَواكِبَ»، وقرأ حمزة وحفص وابن مسعود وطلحة ومسروق والنخعي والحسن والأعمش: «بِزِينةٍ الكَواكِبِ»، وقرأ الباقون بالإضافة، ينظر: السبعة ص ٥٤٦-٥٤٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٦٤، البحر المحيط ٧/ ٣٣٨، النشر ٢/ ٣٥٦، الإتحاف ٢/ ٤٠٧-٤٠٨.

(٣) قاله الأخفش وأبو عبيدة وغيرهما، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٤٥١، مجاز القرآن ٢/ ١٦٦، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٨، إعراب القرآن ٣/ ٤١١، ويجوز أن يكون مفعولًا له على زياد الواو، والعامل فيه «زَيَّنّا»، ينظر: الفريد ٤/ ١٢٥، البحر المحيط ٧/ ٣٣٨، الدر المصون ٥/ ٤٩٥.

(٤) ينظر في هذه المعانِي: إعراب القرآن ٣/ ٤١١، التهذيب ١٤/ ١١٨-١١٩.

قوله: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ﴾[١] يعني الشياطين ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهم الملائكة، أي: لِكَيْ لا يَسمعوا إلى الكَتَبَةِ من الملائكة مما يكون في الأرض، والمعنى: لِئَلَّا يَسْمَعُوا، فلما حذف «أَنْ» رُفِعَ[٢]، وقرأ حَمْزةُ والكسائيُّ وحَفْصٌ: «يَسَّمَّعُونَ» بالتشديد، وأصله: يتسمعون، فأدغمت التاء فِي السين[٣].

قوله: ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ يعني الشياطين؛ أي: يُرْمَوْنَ ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ من آفاق السماء ﴿دُحُورًا﴾ يبعدونهم عن مَجالِسِ الملائكة، يقال: دَحَرَهُ دَحْرًا ودُحُورًا: إذا طرده وأَبْعَدَهُ، ودُحُورٌ كشُهُورٍ[٤]، والمعنى: يُدْحَرُونَ دُحُورًا عن

---

(١) هذه القراءة قرأ بها ابنُ عباس، وأبو بكر عن عاصمٍ، وابنُ كثير ونافعٌ وابنُ عامر وأبو عمرو والأعمشُ ومجاهدٌ وأبو جعفرٍ ويعقوبُ، ينظر: السبعة ص ٥٤٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٦٥، البحر المحيط ٧/ ٣٣٨، الإتحاف ٢/ ٤٠٨.

(٢) هذا القول حكاه النحاس عن أبي حاتم، وشَبَّهَهُ أبو حاتم بقول الشاعر:

ألا أيُّهَذا اللَّائِمِي أَحْضُرُ الوَغَى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟

معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٠-١١. وقد أنكره كثير من العلماء، قال الزمخشري: «فإن قلتَ: هل يصح قولُ مَنْ زَعَمَ أن أصله: لِئَلّا يَسَّمَّعُوا، فحُذِفَ اللامُ كما حُذِفَ في قولك: جئتك أن تكرمني، فبقي: أَلّا يَسَّمَّعُوا، فحذفت «أَنْ»، وأُهْدِرَ عملُها كما في قول القائل: ألا أَيُّهَذا الزّاجِرِي أَحْضُرُ الوَغَى؟

قلتُ: كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده، فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات، على أنّ صَوْنَ القرآن عن مثل هذا التعسف واجبٌ». الكشاف ٣/ ٣٣٦، وينظر أيضًا: الفريد ٤/ ١٢٦، البحر المحيط ٧/ ٣٣٨، مغني اللبيب ص ٥٠٢، الدر المصون ٥/ ٤٩٦.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه ٤/ ٤٦٣، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٩.

(٤) يعني أنه مصدر على وزن «فُعُول»، لا أنه جَمْعٌ، بدليل قوله بعده: «والمعنى: يُدْحَرُونَ دُحُورًا... وهو منصوب على المصدر».

ويجوز أن يكون «دُحُورًا» منصوبًا على الحال؛ أي: مدحورين أو ذَوِي دُحُورٍ، ينظر: التبيان للعكبري ص١٠٨٨، عين المعانِي ١١١/ ب، الفريد للهمداني ٤/ ١٢٦، ١٢٧، الدر المصون ٥/ ٤٩٦.

تلك المَجالِسِ التي يَسْتَرِقُونَ فيها السمعَ، وهو منصوبٌ على المصدر[(١)].

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ أي: دائم مُوجِعٌ، ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ يعني الكلمة أخذها مُسارَقةً، ومحل ﴿مَنْ﴾ نصبٌ على الاستثناء، ويحتمل أن يكون رفعًا على الابتداء[(٢)]، تقديره: ولكن مَنْ خَطِفَ الخطفة، والاختطاف: الاسْتِلابُ وأَخْذُ الشيء بسرعةٍ، وقال ابن عبّاسٍ: معناه: إلا من وثب الوثبة، ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ لَحِقَهُ نَجْمٌ مضيءٌ يحرقه، وثُقُوبُهُ: ضَوْؤُهُ، يقال: أَثْقِبْ نارَكَ؛ أي: أَضِئْها.

قوله: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ يعني: سَلْ أهلَ مكة يا محمد ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ يعني: مِن السماوات والأرض والجبال، هي أشد خلقًا وأعظم منهم، [١٠٨/ أ] نظيرها قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ / النَّاسِ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[(٤)]، وقيل: معناه: أم مَنْ خلقنا مِنْ قبلهم من الأمم الخالية، وقد أهلكناهم بتكذيب الرسل، فما الذي يُؤَمِّنُ هؤلاء من العذاب.

---

(١) «دُحُورًا» مصدر إما من معنى «يُقْذَفُونَ»، وإما من فعل محذوف معطوف على «يُقْذَفُونَ»، أي: ويُدْحَرُونَ دُحُورًا، ويجوز أن يكون مفعولًا من أجله، أي: ويقذفون من كل جانب للدحور، ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال من الضمير في «يُقْذَفُونَ»، ينظر: التبيان للعكبري ص ١٠٨٨، الفريد للهمداني ٤/ ١٢٦، البحر المحيط ٧/ ٣٣٨، الدر المصون ٥/ ٤٩٦.

(٢) ويكون الخبر قولَه: «فَأَتْبَعَهُ»، وهذا إذا كان الاستثناء منقطعًا، ويجوز أن تكون «مَنْ» فِي موضع رفع بدلًا من الضمير في «يسمعون»، أي لا يسمع الشيطانُ إلا الشيطانُ الذي خطف، ينظر: الفريد للهمداني ٤/ ١٢٧، البحر المحيط ٧/ ٣٣٩، الدر المصون ٥/ ٤٩٦.

(٣) غافر ٥٧.

(٤) النازعات ٢٧.

وقوله: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ، و﴿خَلْقًا﴾ نصبٌ على التفسير، و﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ [١] رفعٌ على ﴿أَهُمْ أَشَدُّ﴾، وهذا استفهامٌ معناه التقرير[٢].

ثـم وَصَفَ خَلْقَهم وأخْبَرَ، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾﴾؛ أي: شديدٍ، وهو الطين الصُّلْبُ اللَّازِقُ المُتَلَزِّجُ المتماسك الذي يلزم بعضه بعضًا، ومنـه: ضَرْبـةُ لازِمٍ ولازِبٍ؛ أي: أمْرٌ يَلْـزَمُ[٣]، ولازمٌ ولازبٌ ولازقٌ ولاصقٌ ولاتبٌ: بمعنًى واحدٍ، والعرب تجعل الباء ميمًا لقُرب مخرجهما[٤].

قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ «أو» بمعنى الواو[٥]، والألِف ألِف استفهامٍ دخلت على حرف العطف، كقوله تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾[٦]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿نَعَمْ﴾ تُبْعَثُونَ ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾؛ أي: صاغرون، والدُّخُورُ: أَشَدُّ الصَّغارِ.

---

(١) في الأصل: «أمن خلقنا».

(٢) ومعناه: أهم أشد خلقًا أم أهل مكة؟

(٣) من أول قوله: «الطين الصلب اللازق»، قاله أبو بكر السجستاني في تفسير غريب القرآن ص١٣٠.

(٤) قال الفراء: «اللازب: اللاصق، وقيس تقول: طين لاتب... والعرب تقول: ليس هذا بضربة لازب ولازم، يبدلون الباء ميما لتقارب المخرج». معاني القرآن ٢/ ٣٨٤، وينظر: إصلاح المنطق ص ٢٨٨، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٩، تهذيب اللغة ١٣/ ٢١٤.

(٥) ليست هذه «أوْ» كما زعم المؤلف، وإنما هي همزة الاستفهام دخلت على الواو العاطفة، اللهم إلا إذا كان يقصد قراءةَ مَنْ قرأ: «أوْ آباؤُنا» بإسكان الواو، وهم أهل الشام والمدينة، ينظر: السبعة في القراءات ص٢٨٦-٢٨٧، حجة القراءات ص ٦٠٨، الإتحاف ٢/ ٤١٠. وفي الجمل المنسوب للخليل ص ٢٨٩ قال: «والواو التي تتحول «أوْ» مثل قول الله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الصافات: ١٦-١٧]، معناه: وَآباؤُنا، ومثله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] معناه: ولا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا.

(٦) الأعراف ٩٨.

وما بعد هذا ظاهر الإعراب إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ يعني الموحدين، استثناهم من المُجْرِمِينَ، وقيل: هو نصب على الاستثناء من قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾.

ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ يعني: على مقدار غَدْوةٍ وعَشِيّةٍ، ثم بَيَّـنَ الرزق، فقال: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ رفعٌ علـى البدل من ﴿رِزْقٌ﴾، وهي جمع فاكهةٍ، وهو كل طعامٍ يؤكل للتلذذ لا للقُوتِ الذي يَحْفَظُ الرَّمَقَ والصحة.

قوله: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يعني: بثواب الله ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمـع سـريرٍ ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾، لا يَرَى بعضُهُمْ قَفا بعـضٍ، بل ينظر بعضهم إلى بعضٍ، وَيُحَدِّثُ بعضُهم بعضًا، وكل واحدٍ يفهم حديث صاحبه وإنْ بَعُدَ، وهو منصوبٌ على الحال.

قوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ من خمرٍ جارية ﴿بَيْضَآءَ﴾ صافيةٍ، ومحلها خفضٌ على البدل من ﴿مَّعِينٍ﴾، وقيل: على النعت لـ«كَأْسٍ». والمَعين هو الطاهر الجاري(١)، وفي قراءة عبد الله: «صَفْراءَ لَذّةٍ لِلشّارِبِينَ»(٢)؛ أي: لذيذةٍ، يقال: شرابٌ لَذٌّ ولَذِيذٌ ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ولا يكون الكأسُ كأسًا حتى يكون فيه شرابٌ، وإلا فهو إناءٌ(٣)، قال الأخفش(٤): كل كأسٍ في القرآن فهو خمرٌ.

---

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٦٩.

(٢) هذه قراءة ابن مسعود والحسن والضحاك، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٨، البحر المحيط ٧/ ٣٤٤.

(٣) هذا قول أبي عبيدة والزجاج، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٦٩، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٣، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤١٩، تهذيب اللغة ١٠/ ٣١٤.

(٤) ينظر قوله في الكشاف للزمخشري ٣/ ٣٤٠، مجمع البيان ٨/ ٣٠٤، البحر المحيط ٧/ ٣٤٤، وكان الواجب أن يقول: «ولا تكون الكأس كأسًا حتى يكون فيها شراب، وإلا فهي =

قولـه: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾؛ أي: لا تَغْتالُ عُقُولَهُمْ فتذهبَ بها / ، ولا يصيبهم منها وجعٌ فِي البطن، ولا صداعٌ فِي الرأس[١]، ويقال للوجع: غَوْلٌ؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك، وقال أهل المعانِي[٢]: الغَوْلُ فسـادٌ يَلْحَقُ فِي خفاء، يقال: اغتاله اغتيالًا: إذا أفْسَدَ عليه أمْرَهُ فِي خُفْيةٍ، ومنه الغَوْلُ والغِيلةُ، وهو القتل خُفْيةً.

قولـه: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧﴾ قرأ حمزة والكسـائي وخلَفٌ بكسـر الزاي هاهنا وفِي سـورة الواقعـة[٣]، ووافقهم عاصمٌ في الواقعة، وقرأ الباقون بفتـح الزاي فيهما[٤]، فمن فتح الزاي فيهما فمعنـاه: لا تَغْلِبُهُمْ على عقولهم، ولا يسـكرون منها، يقال: نُزِفَ الرَّجُلُ فهو مَنْزُوفٌ ونَزِيفٌ: إذا سَـكِرَ وذَهَبَ عَقْلُهُ[٥]، قال الشاعر:

١٧٣ ـ فَلَثِمْـتُ فاها آخِـذًا بِقُرُونِها ... شُـرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ[٦]

= إناء» بتأنيث الضمائر العائدة إلى الكأس؛ لأن الكأس مؤنثة، ولا تُذَكَّرُ بحال، ينظر: المذكر والمؤنث للفراء ص ٧٦، المذكر والمؤنث للسجسـتانِيِّ ص ١٤٣، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٥٥٧-٥٥٨.

(١) هـذا الكـلام قاله الزجاج فـي معاني القـرآن وإعرابـه ٤/ ٣٠٣، وينظر: تفسـير القرطبي ١٥/ ٧٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٥، الكشف والبيان ٨/ ١٤٤.

(٣) الواقعة ١٩، وهي قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩].

(٤) ينظر: السبعة ص ٥٤٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٤٦، ٢٤٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٧٩، البحر المحيط ٧/ ٣٤٤، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٤١١.

(٥) قاله الفراء والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٨٤، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٢٦.

(٦) البيت من الكامل لجميل بثينة، ونُسِبَ لعمر بن أبِي ربيعة، ولعُبَيْدِ بن أوس الطائي، وللراعي النميري، ولعروة بن أذينة.

اللغـة: لَثِمَتُ: قَبَّلْـتُ، القُرُونُ: جمع قَرْنٍ وهـو الذؤابة، وخصَّ به بعضُهـم ذؤابةَ المرأة، الحشرج: الماء العذب البارد. =

أي: السكران، ومَنْ كَسَرَ الزايَ فمعناه: لا يَنْفَدُ شَرابُهُمْ، يقال: أَنْزَفَ الرَّجُلُ فهو مَنْزُوفٌ: إذا فَنِيَتْ خَمْرُهُ[1]، قال الحطيئة:

١٧٤ ـ لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ ... لَبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرا[2]

= التخريج: ديوان جميل بثينة ص ٤٢، ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٧٥، ملحق ديوان الراعي ص ٣٠٢، ملحق ديوان عروة بن أذينة ص ١٣٦، إصلاح المنطق ص ٢٠٨، الشعر والشعراء ص ٤٤٨، الكامل ١/ ٢٩٢، جمهرة اللغة ص ١١٣٣، الكشف والبيان ٨/ ١٤٤، المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٢، عين المعاني ١١٢/ أ، الحماسة البصرية ص ١٠٣٦، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٥٢، اللسان: حشرج، لثم، نزف، ارتشاف الضرب ص ١٦٩٧، الجنى الداني ص ٤٤، مغني اللبيب ص ١٤٣، همع الهوامع ٢/ ٣٣٦.

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٦، تهذيب اللغة ١٣/ ٢٢٦، معاني القراءات ٢/ ٣١٨، الحجة للفارسي ٣/ ٣١٦، على أن قوله: «يقال: أَنْزَفَ الرَّجُلُ فهو مَنْزُوفٌ» فيه تَجَوُّزٌ؛ لأنه إذا كان يريد اسم الفاعل فاسم الفاعل من أَنْزَفَ: مُنْزِفٌ، وإذا كان يريد اسم المفعول فهو مُنْزَفٌ.

(٢) البيت من الطويل للأُبَيْرِدِ الرِّياحِيِّ على الراجح، ونُسِبَ للحطيئة وليس في ديوانه، ويروى:
لَبِئْسَ الَّذِي ما أَنْتُمُ آلَ أَبْجَرا

اللغة: نَدامَى الرَّجُلِ: الذين يُشارِبُونَهُ، أَبْجَرُ: هو أَبْجَرُ بن جابر العِجْلِيُّ، وكان نصرانيًّا.

التخريج: ديوان الأبيرد الرياحي ص ٢٤٩ (ضمن شعراء أمويون)، مجاز القرآن ٢/ ١٦٩، ٢٤٩، جمهرة اللغة ص ٨٢١، تفسير غريب القرآن للسجستاني ص ١٣١، معاني القراءات ٢/ ٣١٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٤٧، الحجة للفارسي ٣/ ٣١٦، المحتسب ٢/ ٣٠٨، الكشف والبيان ٨/ ٨/ ١٤٤، الاقتضاب ٣/ ١٦٠، الكشاف ٣/ ٣٤٠، المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٢، شمس العلوم ١٠/ ٦٥٦٥، الفريد للهمداني ٤/ ١٣١، عين المعاني ورقة ١١٢/ أ، ١٣٠/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ٧٩، ١٧/ ٢٠٣، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٧، اللسان: نزف، البحر المحيط ٧/ ٣٣٦، ارتشاف الضرب ص ٢٠٥١، الدر المصون ٥/ ٥٠١، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٨٨، همع الهوامع ٣/ ٢٤، خزانة الأدب ٩/ ٣٨٨.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾؛ أي: حابسـاتُ الأعْيُنِ، غاضّـاتُ الجُفُـونِ، قَصَرْنَ طَرْفَهُـنَّ عن غَيْـرِ أزواجهن، فلا ينظـرن إلَّا إلَى أزواجهن، ولا يبغين بهم بدلًا، والقَصْرُ معناه الحبس، و﴿عِينٌ﴾: نُجْلُ العُيُونِ حِسانُها، واحدتها: عَيْناءُ، يقال: رَجُلٌ أعْيَنُ وامرأة عَيْناءُ ورجالٌ ونساءٌ عِينٌ.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ﴾ جمع بيضة ﴿مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾؛ أي: مستور مَصُونٌ، شَبَّهَهُنَّ ببَيْـضِ النَّعامِ تُكِنُّها بالرِّيشِ من الريـح والغبار، فلونها أبيض فِي صُفْرةٍ، وهذا أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاء مُشْرَبةً بصُفْرةٍ، قال المبرد[1]: والعرب تشبه المرأة الناعمة في بياضِها وحسنِ لَوْنِها بِبَيْضةِ النَّعامةِ. وإنما ذَكَّرَ المكنونَ، والبَيْضُ جمع؛ لأنه رَدَّهُ إلى اللفظ.

قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ﴾ ابتداءٌ، يعني النعيم ﴿خَيْرٌ﴾ خبر ﴿نُّزُلًا﴾ للمؤمن ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ للكافـر، اسـتفهام توبيخ وإنـكار، ومحلُّه رفع عطف علـى ﴿أَذَٰلِكَ﴾، والزَّقُّومُ: ثَمرةُ شـجرةٍ كريهةِ الطَّعْمِ جِدًّا، مُـرّةٌ مُنْتِنةُ الرِّيح، قَبيحةٌ خَبِيثةٌ، مأخوذٌ من قولهم: تَزَقَّمَ هذا الطعامَ أي: تَناوَلَهُ على كُرْهٍ ومَشَـقَّةٍ شديدةٍ، ونصب ﴿نُّزُلًا﴾ على البيان.

قوله تعالى في قصة نوح عليه السّلام: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾؛ لأن الناس كُلَّهُمْ مِنْ وَلَدِ نُوحٍ عليه السّـلام، وهم ثلاثةُ / أولادٍ لنوحٍ: سـامٌ وحامٌ [١٠٩/ أ]
ويافِثُ، فالعرب كلها يَمَنِيُّها ونِزارِيُّها، والرومُ والفُرْسُ من ولد سامٍ، والسودان

(١) قال المبرد: «والعرب تُشَـبِّهُ المرأةَ بالشـمس والقِـدْرِ والغُصْنِ والكَثِيـبِ والغَزالِ والبقرة الوحشـية والسحابة البيضاء والدُّرّةِ والبَيْضةِ، وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء». الكامل في اللغة والأدب ٣/ ٥٤، فالنص مختلف، وأما النص الوارد هنا فهو في الوسيط للواحدي ٣/ ٥٢٥.

جميع أجناسهم من السند والهند والبربر والقِبْطِ من ولد حامٍ، والصَّقالِبةُ والتُّرْكُ ويأجوج ومأجوج من ولد يافث[(١)].

ونصب ﴿ٱلۡبَاقِينَ﴾ لأنه مفعولٌ ثانٍ، و﴿هُمُ﴾ زائدة، وتسمى فاصلةً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ قيل: الهاء عائدةٌ على محمدٍ ﷺ، حكاه السمرقندي عن الكلبي[(٢)]؛ أي: وإن من شيعة محمدٍ لإبراهيم؛ أي: على دِينِهِ ومِنْهاجِهِ، وأجازه الفراء[(٣)]، ذكره صاحب الشفا بتعريف حقوق المصطفى[(٤)].

وقيل[(٥)]: المراد به نوح عليه السّلام؛ أي: وإنّ مِنْ أَهْلِ مِلّةِ نُوحٍ، وعلى دِينِهِ لَإبْراهِيمَ ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ يعني: صَدَقَ اللهَ، وآمَنَ به بقلبٍ خالصٍ من الشك والشرك، ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ هذا استفهام توبيخ، وَبَّخَهُمْ على عبادة غير الله، فقال: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ﴿دُونَ﴾ نصب نعت لـ﴿ءَالِهَةً﴾، و﴿ءَالِهَةً﴾ بدل من إفك، وإفك منصوب

---

(١) قاله الطبري والنحاس، ينظر: جامع البيان ٢٣/ ٨٠، إعراب القرآن ٣/ ٤٢٦، وينظر أيضًا: الكشف والبيان ٨/ ١٤٥، عين المعاني ١١٢/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٨٩.

(٢) تفسير السمرقندي ٣/ ١١٧.

(٣) قال الفراء: «يقول: إن من شيعة محمد لإبراهيم ﷺ، يقول: على دينه ومنهاجه، فهو من شيعته وإن كان إبراهيم سابقًا له، وهذا مثل قوله: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [يس: ٤١]؛ أي: ذرية من هو منهم، فجعلها ذريتهم وقد سبقتهم». معاني القرآن ٢/ ٣٨٨.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٤٦.

(٥) قاله أكثر المفسرين، ينظر: جامع البيان ٢٣/ ٨٢، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٨، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٨، زاد المسير ٧/ ٦٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٩١.

بـ﴿تُرِيدُونَ﴾[١]، وقيل: معناه: أَتَأْفِكُونَ إفْكًا[٢]، وهو أسوأ الكذب، وتعبدون آلهةً سوى الله؟ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ إذا لَقِيتُمُوهُ وقد عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ، وهو ابتداءٌ وخبرٌ، كأنه قال: ما ظَنُّكُمْ أنه يَصْنَعُ بكم؟ وهذه كلمة تَهَدُّدٌ ووعيدٌ، وقوله: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ إن جعلت «ما» و«ذا» شيئًا واحدًا فمحله نصبٌ بـ﴿تَعْبُدُونَ﴾، تقديره: أيَّ شَيْءٍ تعبدون؟ وإن جعلتهما اسمين فمحل «ما» رفع بالابتداء، و«ذا» خبره، تقديره: ما الذي تعبدون؟ [٣].

قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾ يعني إبراهيم عليه السّلام، وكان قومه يَتعاطَوْنَ عِلْمَ النجوم، فعامَلَهُمْ من حيث كانوا يَتعاطَوْنَهُ حتى لا ينكروا عليه، ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾؛ أي: مريضٌ، والسُّقْمُ والسَّقَمُ: المَرَضُ، وهما لغتان مثل: حُزْنٍ وحَزَنٍ، وذلك أنهم كَلَّفُوهُ بالخروج معهم إلى عيدهم، فنظر إلى النجوم، يُرِيهِمْ أنه مُسْتَدِلٌّ بها على حاله، فلما نظر قال: إنِّي سقيمٌ، اعْتَلَّ بذلك ليتركوه، ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ يعني: ذاهبين منطلقين إلى عيدهم، وهو نصبٌ على الحال.

قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾؛ أي: مال إليها مَيْلةً فِي خُفْيةٍ سِرًّا، ﴿فَقَالَ

(١) والمعنى: أتريدون إفكًا عِبادةَ آلهةٍ، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مُقامه، وإنما قُدِّرَ مضافٌ لأن «إفْكًا» معنًى، و«آلِهةً» عين، والبدل يجب أن يكون مثل المُبْدَلِ منه، ينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ١٣٥، وذهب الزمخشري إلى أن «إفكًا» مفعول له، و«آلِهةً» مفعول به لـ«تُرِيدُونَ»، قال الزمخشري: «أإفكًا: مفعول له، تقديره: أتريدون آلهةً من دون الله إفكًا، وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية، وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهمُّ عنده أن يُكافِحَهُم بأنهم على إفك وباطل في شِرْكِهِمْ». الكشاف ٣/ ٣٤٤.

(٢) يعني أنه مفعول مطلق لفعل محذوف.

(٣) ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٤٢٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٣٨.

أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١)﴾ يعني الطعام الذي يُجاءُ به بين أيدي الأصنام، وإنما قال هذا إبراهيمُ استهزاءً بها، وكذلك قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢)﴾.

ثم أقبل عليهم ضربًا كما قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: فَمالَ وأقْبَلَ على الأصنام ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣)﴾ قيل[١]: بيده اليُمْنَى لأنها أقوى من الشِّمال، وقيل[٢]: أراد باليمين القَسَمَ الذي سبق منه، وهو قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [٣]، ونصب ﴿ضَرْبًا﴾ على المصدر[٤]، وقيل[٥]: على الحال؛ أي: ضاربًا، وقيل[٦]: على نزع الخافض/ ؛ أي: بضرب. [١٠٩/ ب]

قوله: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤)﴾؛ أي: يسرعون، يقال: جاء الرَّجُلُ يَزِفُّ زَفِيفَ النَّعامةِ، وهو أول عَدْوِها وآخر مَشْيِها، وقرأ يَحْيَى والأعمشُ وحمزة: «يُزِفُّونَ»[٧] بضم الياء، وهما لغتان؛ أي: يصيرون إلى الزَّفِيفِ، ومثله قول الشاعر:

---

(١) قاله الربيع بن أنس وابن قتيبة والزَّجّاجُ، ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٢، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٩، الإغفال للفارسي ٢/ ١٨٨، الكشف والبيان ٨/ ١٤٨.
(٢) بغير عزو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٥، جامع البيان ٢٣/ ٨٦، ٨٧، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٤، الإغفال ٢/ ١٨٨، الكشف والبيان ٨/ ١٤٨، الكشاف ٣/ ٣٤٥، المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٩.
(٣) الأنبياء ٥٧.
(٤) قاله الزَّجّاجُ والنحاس ومَكِّيٌّ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٩، إعراب القرآن ٣/ ٤٢٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٣٨.
(٥) ينظر: التبيان للعكبري ص ١٠٩١، الفريد للهمداني ٤/ ١٣٥، البحر المحيط ٧/ ٣٥١، الدر المصون ٥/ ٥٠٨.
(٦) قاله السجاوندي في عين المعاني ورقة ١١٢/ أ.
(٧) وبها قرأ مجاهدٌ والمفضلُ عن عاصم أيضًا، ينظر: السبعة ص ٥٤٨، الإتحاف ٢/ ٤١٢.

١٧٥ـ تَمَنَّى حُصَيْنٌ أنْ يَسُودَ جِذاعَهُ فَأَضْحَى حُصَيْنٌ قَدْ أَذَلَّ وَأَقْهَرا[١]

ومعنى «أَقْهَرَ» صار إلى القهر.

ويُقْرَأُ أيضًا: «يَزْفُونَ»[٢] بفتح الياء مع التخفيف من: وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى: أسرع أيضًا، ولَمْ يعرفها الفراء ولا الكسائي[٣]، قال الزجّاج[٤]: وعَرَفَها غَيْرُهُما.

قولـه: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾؛ لأن إبراهيم عليه السّلام علاهم بالحُجّة حين سَلَّمَهُ اللهُ من النار، ونصب ﴿كَيۡدٗا﴾ بوقوع الإرادة عليه، ويحتمل أن يكون نصبًا على المصدر.

قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾؛ أي: لَمّا شَبَّ حتى بلغ سَعْيُهُ سَعْيَ إبراهيم،

---

(١) البيت من الطويل للمُخَبَّلِ السعدي، يهجو الزِّبْرِقانَ بن بدر وقومَه.
اللغة: حُصَيْنٌ: اسم الزِّبْرِق،انِ بن بدر، وكان رهطُ حُصَيْنٍ يُلَقَّبُونَ الجِذاعَ.
التخريج: ديوان المخبل السعدي ص ٢٩٤ ضمن (شعراء مقلون)، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٨٩، الغريب المصنف ٢/ ٥٩٧، أدب الكاتب ص ٣٤٤، الجيم ٣/ ١٣١، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٣٥، إعراب القرآن للنحاس ٤٢٩، تهذيب اللغة ٥/ ٣٩٥، مقاييس اللغة ٥/ ٣٥، المخصص ٣/ ١٣١، ١٢/ ٢٠٥، ٣١٠، الاقتضاب ٣/ ٢٨٠، عين المعانِي ورقة ١١٢/ أ، تفسير القرطبي ٦/ ٣٩٩، اللسان: جذع، قهر، خزانة الأدب ٨/ ١٠١، التاج: قهر، جذع.

(٢) لَمْ يُسَمَّ من قرأ بها، ينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٩٥، ٩٦، البحر المحيط ٧/ ٣٥١.

(٣) ولَمْ يسمع الفراء أيضًا «يُزِفُّونَ» بضم الياء، قال: «كأنها من أَزْفَفْتُ، وَلَمْ نسمعها إلّا من: زَفَفْتُ»، ثم قال: «وقد قرأ بعض القراء «يَزْفُونَ» بالتخفيف، كأنها من وَزَفَ يَزِفُ، وزعم الكسائي أنه لا يعرفها. وقال الفراء: لا أعرفها أيضًا إلا أن تكون لَمْ تقع إلينا». معانِي القرآن ٢/ ٣٨٨-٣٨٩، وينظر قول الكسائي أيضًا في: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٩، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٤-٤٥، إعراب القرآن ٣/ ٤٢٩، تفسير القرطبي ١٥/ ٩٥.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٩.

وكان يومئذٍ ابنَ ثلاثَ عَشْرةَ سَنةً، ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ يريد: من الرَّأْيِ فيما أَلْقَيْتُ إليكَ، وما الذي تذهب إليه؟ هل تستسلم وتنقاد أو تَأْبَى ذلك؟.

ومحل ﴿مَاذَا﴾ نصب بـ﴿تَرَىٰ﴾ لا بـ«انْظُرْ»؛ لأنه استفهامٌ فلا يعمل فيه ما قبله، وقرأ حمزة: «تُرِي»[(١)] بضم التاء وكسر الراء، ومعناه: ما تُشِيرُ؟ قال الفراء[(٢)]: ماذا تُرِينِي من صبرك أو جزعك؟ ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾؛ أي: ما أُوحِيَ إليك من ذَبْحِي ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ على بلائه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ يعني إبراهيم وابنه الذبيح؛ أي: انقادا وخضعا لأمر الله تعالى، وَرَضِيا به، قال قتادة: سَلَّمَ هذا ابنَهُ، وهذا نَفْسَهُ، وقرأ ابن مسعود: «سَلَّما»[(٣)]؛ أي: فَوَّضا ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾؛ أي: صَرَعَهُ وأَضْجَعَهُ، وكَبَّهُ على وجهه للذبح، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما[(٤)] ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ في ذبح ابنك، قال أهل المعاني[(٥)]: الواو مُقْحَمةٌ صِلةٌ،

(١) قرأ ابن مسعود وحمزة والكسائي وخلف والأعمش وطلحة والأسود بن يزيد وابن وثاب ومجاهد: «تُرِي» بضم التاء وكسر الراء، ينظر: السبعة ص ٥٤٨، البحر المحيط ٧/ ٣٥٥، النشر ٢/ ٣٥٧، الإتحاف ٢/ ٤١٣.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٩٠.

(٣) وبها قرأ أيضًا عَلِيٌّ وابنُ عباس ومجاهدٌ والضحاكُ والأعمشُ والثوريُّ وجعفرُ بنُ محمدٍ والحسنُ والمُطَّوِّعِيُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٩، المحتسب ٢/ ٢٢٢، تفسير القرطبي ١٥/ ١٠٤، البحر المحيط ٧/ ٣٥٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٤١٣.

(٤) قاله أبو عبيدة وابن قتيبة والنحاس، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٧١، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٣، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٥١.

(٥) قاله الفراء في المعاني ١/ ٢٣٨، ٢/ ٢١١، ٣٩٠، وهذا القول حكاه النحاس عن الكوفيين، وأما البصريون فالجواب عندهم محذوف لدلالة الكلام عليه، والتقدير: فَلَمّا أَسْلَما سَعِدا=

مجازه: ناديناه، كقوله تعالى: ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ﴾[1]، وقوله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾[2]، قال امرؤ القيس:

فَلَمّـا أجَزْنا سـاحةَ الحَـيِّ وانْتَحَى ... بِنا بَطْنُ خَبْـتٍ ذِي قِفافٍ عَقَنْقَلِ[3]

أراد: انْتَحَى، وقال الشاعر:

١٧٦ - حَتَّـى إذا قَمِلَـتْ بُطُونُكُـمُ ... وَرَأيْـتُـمُ أبْـنـاءَكُـمْ شَـبُّـوا

وَقَـلَـبْـتُـمُ ظَـهْـرَ الـمِـجَـنِّ لَنا ... إنّ الـلَّـئِـيمَ لَـعـاجِـزٌ خِـبُّ[4]

أراد: قَلَبْتُمْ.

= وأُجْزِلَ لهما الثوابُ. ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٤٣٣، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٥١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٤٠، الجمل المنسوب للخليل ص ٢٨٨، الكشاف ٣/ ٣٤٨، الفريد ٤/ ٣٩، عين المعاني ورقة ١١٢/ أ.

(١) يوسف ١٥.

(٢) الأنبياء ٩٦، ٩٧، وقد تقدم ذلك في آخر الأنبياء ١/ ١٩٣.

(٣) تقدم البيت برقم ٧ ١/ ١٩٣.

(٤) البيت من الكامل، للأسود بن يَعْفُر، ويُرْوَى الأولُ: «امْتَلأتْ بُطُونُكُمُ»، ويُرْوَى الثانِي: «إنّ الغَدُورَ الفاحِشُ».

اللغة: البطون هنا: القبائل، قَمِلَتْ: كَثُرَتْ، المِجَنُّ: التُّرْسُ، وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ لمن أسْقَطَ الحياءَ وفَعَلَ ما يشاء، ويضرب أيضًا لِمَنْ كان على مَوَدّةٍ لصاحبه ثم حالَ عن ذلك، الخِبُّ: الخَدّاعُ المُفْسِدُ.

التخريج: ديوان الأسود بن يعفر ص ١٩، معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٧، ٢٣٨، ٢/ ٥١، المقتضب ٢/ ٧٨، مجالس ثعلب ص ٥٩، سر صناعة الإعراب ص ٦٤٦-٦٤٧، الأزهية ص ٢٣٥-٢٣٦، الكشف والبيان ٨/ ١٥٧، أمالي ابن الشجري ١/ ١٢١، الإنصاف ص ٤٥٨، شرح المفصل ٨/ ٩٤، عين المعاني ورقة ٨٤/ ب، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٣٥٥، رصف المباني ص ٤٢٥، اللسان: قمل، الجنى الداني ص ١٦٥، خزانة الأدب ١١/ ٤٤-٤٥.

[١١٠/ أ] وتَمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾، ثم ابتدأ فقال: / ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ وهـذا ابتداءُ إخبارٍ من الله، وليس بمتصلٍ بما قبله من الكلام الذي نُودِيَ به إبراهيمُ عليه السّلام، والمعنى: إنّا كما ذكرنا من العفو عن ذبح ولده نجزي من أحسن في طاعتنا، قال مقاتلٌ: جزاه الله بإحسانه في طاعته العفوَ عن ذبح ابنه، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ الاختبار الظاهر فيما يُوجِبُ النعمةَ والنقمةَ؛ ولذلك قيل للنقمة: بلاءٌ، وللمحنة: بلاءٌ؛ لأنها سُمِّيَتْ باسم سببها المُؤَدِّي إليها كما قيل لأسباب الموت: هذا الموت بعينه.

فصْلٌ

قال مجاهد: لَمّا أمَرَ اللهُ عزّ وجلّ إبراهيمَ ﷺ بذبح ابنه إسحاق عليه السّلام قال: يا أبت: خُذْ بناصيتي، واجلس بين كتفي فلا أُوذِيكَ إذا وجدتُ حَرَّ السكين، فلما أمَرَّ وَضَحَ السكينِ على حَلْقِهِ انقلبت، قال له: ما لَكَ يا أبَتِ؟ قال: انقلبتْ، قال فاطْعَنْ بها طَعْنًا، قال: فَفَعَلَ فانْثَنَتْ، فَعَلِمَ اللهُ عزّ وجلّ منه الصِّدْقَ، ففداه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾(١).

---

(١) اختلف العلماء في الذبيح، فقيل: إسحاق، وعليه الأكثرون، وقيل: إسماعيل، وهو الأصح وعليه المحققون، بدليل ما رواه الحاكم من أن ابن عباس قال: إن الذبيح إسماعيل [المستدرك ٢/ ٤٣٠]، وما رواه الحاكم عن ابن عمر قال: «وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيم» قال: «إسماعيل عند ذَبْح إبراهيم الكبشَ» [المستدرك ٢/ ٥٥٤؛ ٥٥٩]، والدليل على ذلك أيضًا: أن الله، تعالى، قال بعد هذه القصة: «وَبَشَّرْناهُ بِإسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصّالِحِينَ»، وقد صَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا ابنُ الذبيحين»، وقال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح: إسحاقُ أم إسماعيلُ؟ فقال: يا أُصَمَعِيُّ: أين ذهب عنك عَقْلُكَ؟ ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان بمكة إسماعيلُ، وهو بَنَى البَيْتَ مع أبيه، والمَنْحَرُ بمكة لا شك فيه». اهـ بتصرف من الكشف والبيان ٨/ ١٥٣، وينظر: مجمع البيان ٨/ ٣٢٢، ٣٢٣، عين المعاني ١١٢/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٩٩، تفسير ابن كثير ٤/ ١٦، البداية والنهاية ١/ ١٨١؛ ١٨٥.

الذِّبْحُ بالكسـر: المُهَيَّأُ للذَّبْـحِ، وبالفتح: المصدر، وأصله الشَّـقُّ، قال الشاعر:

١٧٧ ـ كَأَنَّ بَيْـنَ فَكِّهـا والفَـكِّ
فَـأْرةَ مِسْـكٍ ذُبِحَتْ فِي سُـكِّ[1]

أي: فُتِقَتْ بها، وإنما سُـمِّيَ الكَبْشُ عظيمًا لأنــه رَعَى فِي الجنة أربعين خريفًـا، وقيل: لأنه مُتَقَبَّلٌ، وكان كَبْشًـا من الغنم أعْيَنَ أمْلَـحَ أقْرَنَ، قاله أكثر المفسرين، وقيل: سمِّي عظيمًا لأنه فداءُ عَبْدٍ عَظِيمٍ.

قولـه تعالـى: ﴿ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ يعني: وبَشَّـرْنا إبراهيـمَ بِنُبُوَّةِ إسـحاق بعد العفو عنه من الذبح، وهـذا التأويل يؤيد قول من قال: إن الذبيح إسحاق، ونصب ﴿نَبِيًّا﴾ على الحال.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ إلْياسُ: نَبِيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، وقصته مع قومه مشهورةٌ فِي كتب التفسير.

---

(١) البيتان من الرجز المشطور، لمنظور بن مَرْثَدٍ الأسديِّ.
اللغة: فأرة المسك: نافِجَتُهُ أي: وِعاؤُهُ، السُّكُّ: ضربٌ من الطِّيبِ يُرَكَّبُ من مسكٍ ورامَكٍ، ذُبِحَتْ: فُتِقَتْ وشُقَّتْ.
التخريـج: جمهرة اللغة ص ١٣٥، تهذيـب اللغـة ٤/ ٤٧٣، ٩/ ٤٥٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٨٢، المخصص ١١/ ٢٠٠، ١٣/ ٣٩، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٢٦، ثمار الصناعة ص ٢٢٠، أسـاس البلاغة: ذبح، أمالي ابن الشـجري ١/ ١٤، أسرار العربية ص ٤٧، شـرح المفصل ٤/ ١٣٨، ٨/ ٩١، شـرح التسـهيل لابن مالك ١/ ٦٨، شـرح الكافية للرضي ٣/ ٤١٧، اللسان: ذبح، زكك، خزانة الأدب ٧/ ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٦٩، التاج: ذبح، برك، دكك، زكك، سكك، فكك.

وقرأ ابن عامر: «وَإِنّ الياسَ»[(١)] بغير همزٍ، جعل الهمزة التي تصحب اللام للتعريف كقوله: «والْيَسَعَ»[(٢)]، والوجه قراءة العامة؛ لأن الهمزة ثابتة فِي هذا الاسم، وليست للتعريف، ويُقوي ذلك قولُهُ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾[(٣)]، فهذا يَدُلُّ على أن الهمزة ثابتة في إِلْياسَ[(٤)]، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ألا تخافون الله فتعبدوه وتوحدوه[(٥)]؟ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ وهو اسمُ صَنَمٍ لَهُمْ، كانوا يعبدونه من دون الله، ولذلك سميت مدينتهم: بَعْلَبَكَّ[(٦)]، وقيل[(٧)]: البَعْلُ: الرَّبُّ بلغة أهل اليمن، قال ابن عبّاسٍ[(٨)]: سمعتُ أعرابيًّا يقول لآخرَ: مَنْ بَعْلُ هَٰذِهِ النّاقةِ؟ يعني: مَنْ صاحِبُها؟ قال الفراء[(٩)]: هي لغة هُذَيْلٍ.

---

(١) قرأ ابنُ عامر فِي أحد وجهيه، وابنُ محيصن وابنُ ذكوان في روايةٍ عنه، وعكرمةُ والحسنُ بخلاف عنهما، وهشامٌ وأبو رجاء وابنُ محيصن والأعرجُ والمُطَّوِّعِيُّ: «وَإِنّ الْياسَ» بغير همز، ينظر: المحتسب ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤، البحر المحيط ٧/ ٣٥٨، النشر ٢/ ٣٥٩-٣٦٠، الإتحاف ٢/ ٤١٤-٤١٥.

(٢) الأنعام ٨٦، وص ٤٨.

(٣) الصافات ١٣٠.

(٤) قاله الفارسي فِي الحجة ٣/ ٣١٩، وينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٥٣١.

(٥) فِي الأصل: «فتعبدونه وتوحدونه»، والصواب ما أثبت.

(٦) قاله الضحاك والحسن وابن زيد، ينظر: جامع البيان ٢٣/ ١١٠-١١١، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٥٤، المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، زاد المسير ٧/ ٨٠.

(٧) قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة، ينظر: جامع البيان ٢٣/ ١١٠، المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، زاد المسير ٧/ ٨٠، عين المعانِي ورقة ١١٢/ ب.

(٨) ينظر قوله في معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٩٢، ٣٩٣، جامع البيان ٢٣/ ١١٠، إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٢، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٥٤-٥٥، تهذيب اللغة ٢/ ٤١٢-٤١٣، زاد المسير ٧/ ٨٠.

(٩) لَمْ أقف على هذا القول في معانِي القرآن، وإنما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ١٦٨.

قوله: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ يعني: عِبادةَ أَحْسَنِ الخالقينَ، فلا تعبدونه؟/ ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلَفٌ ويعقوب والأعمش ويحيى بن وَثّابٍ والحسن والربيع بن خُثَيْمٍ[1] وابنُ أبي إسحاق وأبو إسحاق بنصب الهاء والباءَيْنِ على البدل من «أَحْسَنَ» أو على الصفة، وهو الاختيارُ، وروايةُ حفصٍ عن عاصمٍ، وقرأ الآخرون بالرفع[2] على الاستئناف؛ لتمام الكلام الأول، على معنى: هو اللهُ رَبُّكُمْ ورَبُّ آبائكم الأولين، والعرب تقول: ضربتُ زيدًا أخاك، وضربت زيدًا أخوك، فينصبون الأخ على الترجمة[3] عن زيدٍ، ويرفعونه بإضمار «هُوَ»، قال ابن الأنباري[4]: وهو من الوجهين جميعًا مُتَرْجِمٌ عن زيدٍ، وأَنْشَدَ لِنُصَيْبٍ[5]:

١٧٨ - إِنّ الَّذِي كانَ يَرْجُو أَنْ يَتِمَّ لَهُ ... حُسْنُ الصَّنِيعةِ فِي الدُّنْيا وَيَحْتَسِبُ
عَبْدَ العَزِيزِ أبا الأَضْيافِ فارَقَكُمْ ... فَهَلْ إِلَيْهِ لِباغِي حاجةٍ سَبَبُ[6]

(١) في الأصل: «خيثم»، وهو تصحيف، وهو الربيع بن خُثَيْمِ بنِ عائذ بن عبد الله بن مَوْهَبَةَ الثوريُّ، أبو يزيد الكوفيُّ، أحد الزُّهّاد الثمانية، تابعيٌّ رَوَى عن النبي ﷺ مرسلًا، ورَوَى عن بعض الصحابة، وأخذ القراءة عن ابن مسعود، توفي سنة (٦٥هـ)، وقيل غير ذلك. [تهذيب الكمال ٩/ ٧٠؛ ٧٦، غاية النهاية ١/ ٢٨٣].

(٢) قرأ بالرفع: أبو بكر عن عاصم، وابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وابن عامر وشيبة وأبو جعفر، ينظر: السبعة ص٥٤٩، تفسير القرطبي ١٥/ ١١٧، النشر ٢/ ٣٦٠، الإتحاف ٢/ ٤١٥.

(٣) يعني على البدل، وهو من مصطلحات الكوفيين.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ص ١٣٢-١٣٣.

(٥) في الأصل: «وأنشد نصيب». وهو نُصَيْبُ بن رَباحٍ أبو مِحْجَنٍ مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل مقدم فِي النسيب والمدح، كان عبدا أسود فاشتراه عبد العزيز بن مروان وأعتقه، وتَنَسَّكَ في أواخر حياته، توفي سنة (١٠٨هـ)، أو (١١١هـ)، أو (١١٣هـ). [الشعر والشعراء ص ٤١٧؛ ٤١٩، الأعلام ٨/ ٣١، ٣٢].

(٦) البيتان من البسيط لنُصَيْبٍ يمدح عبد العزيز بن مروان، لم أقف عليهما في ديوانه المجموع، =

فنصب عبد العزيز علـى الترجمة عن«الذي»، ويجوز رفعه على معنى: هو عبد العزيـز، والمعنى: أنه خالِقُكُمْ وخالِقُ مَنْ قَبْلَكُمْ ورازِقُكُمْ ورازِقُ مَنْ قَبْلَكُمْ، فهو الذي تَحِقُّ له العبادةُ.

قولـه تعالـى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ يعني: أهل دينـه ومَنْ كان على مذهبه، وقيـل[1]: أراد آل محمدٍ ﷺ، وهذه قراءة نافعٍ وشـيبة والأعرج وابن عامرٍ[2]، أضافوا إلى آلِ «ياسِينَ»، وقرأ أبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي: «إلْياسِـينَ»، وإلْياسُ يُسَـمَّى إلْياسِينَ وياسِينَ، وهو اسـمٌ أعجميٌّ مثل مِيكالَ ومِيكائِيلَ، ولذلك لَمْ ينصرف، وإلياسين لغة كإسرائين في إسرائيل[3]، والأشياء الأعجمية إذا وقعت إلى العرب غَيَّرَتْها بضروبٍ من التغيير، فيقولون: إبْرَهِيمُ

= ولكننـي وجدت في ديوانه بيتين على الوزن نفسـه والرَّوِيِّ نفسـه في مـدح عبد العزيز بن مـروان أيضًا، ويمكـن أن يكونا مع البيتين اللذين أنشـدهما المؤلف مـن قصيدة واحدة، وهذان البيتان هما:

مَن ذا، اِبنَ لَيلى، جَزاكَ اللهُ مَغفِرةً ... يُغْنِي مَكانَكَ أوْ يُعْطِي الَّذِي تَهَبُ
قَدْ كانَ عِنْدَ ابْـنِ لَيْلَى غَيْرُ مُعْوِزِهِ ... لِلفَضْـلِ وَصْلٌ وَلِلمُعتَـرِّ مُرْتَغَبُ

التخريج: ديوانه ص ٦٤، الأضداد للأنباري ص ٦٨.

(١) حكاه الفراء عن الكلبي في معانِي القرآن ٢/ ٣٩٢، وينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٧٤، الوسيط ٣/ ٥٣٢، تفسير القرطبي ١٥/ ١١٩.

(٢) وبهـا قـرأ أيضًا ابنُ مسـعود ويعقـوبُ ورُوَيْـسٌ وزيدُ بـنُ عَلِـيٍّ، ينظر: تفسـير القرطبي ١٥/ ١١٨، البحر المحيط ٧/ ٣٥٨، النشر ٢/ ٣٦٠، الإتحاف ٢/ ٤١٥.

(٣) وأنشد الفراء شاهدًا على«إسْرائِيـنَ»:

يَقُولُ أهْـلُ السُّـوقِ لَمّا جِينا:
هَـذا، وَرَبِّ البَيْـتِ، إسْـرائِينا

معانِي القرآن ٢/ ٣٩١.

وَإِبْراهَمُ وَإِبْراهامُ، وكذا أيضًا سَيْناءُ وسِينِينُ، وإلياس وإلياسين[١].

فحُجّةُ مَنْ قَرَأ: «آلِ ياسِينَ» على الإضافة أنها في المصحف مفصولة من «ياسِينَ»، وذلك دليل على أنه «آل». وهذه القراءة بعيدة، قال الفراء وأبو عُبيدٍ[٢]: الوجه قراءة العامة؛ لأنه لَمْ يُقَلْ فِي شيءٍ من السور: على آل فلانٍ وآل فلانٍ، إنما جاء بالاسم، كذلك «إلْياسِينَ» لأنه إنما هو بمعنى اليَأْسِ، أَوْ بِمَعْنَى إلْياسَ وَأَتْباعِهِ.

قال أبو عليٍّ الفارسي[٣]: تقديره: إلْياسِيِّينَ، إلا أن الياء التي للنِّسْبةِ حُذِفَتْ كما حُذِفَتْ في الأشْعَرِينَ والأعْجَمِينَ، فيكون بِمَنْزِلَتِهِمْ بالتخفيف، هكذا ذكره الواحدي[٤]، وفِي حرف عبد الله: «وَإنّ إدْرِيسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ. سَلامٌ عَلَى إدْراسِينَ»[٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾/ أرسله الله إلى سَدُومَ ودامُوراءَ وصامُوراءَ وعامُوراءَ، وهي أربع مدائن، في كل مدينةٍ مائة ألف مقاتلٍ، وقيل: أربعمائة ألف مقاتلٍ سِوَى الذَّرارِيِّ، أهلكهم الله بالخَسْفِ والحَصْبِ.

---

(١) من أول قوله: «والأشياء الأعجمية إذا وقعت» قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ٤٣٨.

(٢) هذا معنى كلام الفراء في معانِي القرآن ٢/ ٣٩١-٣٩٢، وأما قول أبِي عبيد فقد ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٥٣٢، وينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ١١٩.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣/ ٣١٩-٣٢٠ باختلاف في ألفاظه.

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/ ٥٣٢.

(٥) قرأ بذلك ابنُ مسعود وابنُ وَثّابٍ والأعمش والمِنْهالُ بن عمرو وقتادة والحكم بن عيينة، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٨، المحتسب ٢/ ٢٢٤-٢٢٥، تفسير القرطبي ١٥/ ١١٨، البحر المحيط ٧/ ٣٥٩.

قولـه: ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ يعني لوطًا وابنتيه رثيا وزغرتا[١]، ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ يعنـي امـرأة لوطٍ في الباقين فـي العذاب، تقول: غَبَرْتُ في العذاب: إذا بَقِيتَ فيه، ونصب ﴿أَجْمَعِينَ﴾ على الحال، و﴿عَجُوزًا﴾ على الاستثناء.

قوله: ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ يعني: أهلكناهم بالخَسْفِ والحَصْبِ، ﴿ وَإِنَّكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾؛ أي: على آثارهم ومنازلهم بين مكة والشام، وهو نصبٌ على الحال أي: وقت الصباح ﴿ وَبِٱلَّيْلِ ﴾ يعني: تَمُرُّونَ عليهم أيضًا إذا سافرتم ليلاً ونهارًا، غَدْوةً وعَشِيّةً، فعطف الظرف على الحال، وتقديره: مُصْبِحِينَ ومُلِيلِينَ[٢].

وتَمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿ وَبِٱلَّيْلِ ﴾، ثم قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[٣] يريد: ما صُنِعَ بهم، فتعتبرون بهم.

---

(١) هكذا ورد اسـمُهُما في جامع البيان للطبري ١٢/ ١٠٦ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾. هود ٧٧، وقال الأزهري: «زُغَرُ: اسـمُ بنتِ لُوطٍ». التهذيب: زغر ٨/ ٤٨، وينظر: اللسـان: زغر، وجاء اسـمهما في القرطبي ٩/ ٧٦: زيتـا وزعـوراء، وفي قصص الأنبيـاء لابن كثيـر ١/ ٢٦٣ «ريثا وزغرتا»، وينظـر: البداية والنهاية ١/ ٢٠٧.

(٢) هذا قول طاهر بن أحمد في شـرح جمل الزجاجي ١/ ٧٤، وقوله: مُلِيلِينَ: اسـم فاعل من أَلْيَلَ أي: صار فِي الليل، وقال الفارسـي: «فموضع قوله: «بِاللَّيْلِ» نصب على الحال، وفيه ضميـر للمارِّينَ، كأنه قال: تمرون عليهم مصبحين ومظلمين، أي: داخلين فِي الظلام، كما أن المصبحين: الداخلون في الصباح». المسائل الشيرازيات ص ٣٤٧، وينظر أيضًا: أماليُّ ابن الشجري ١/ ١٦٨.

(٣) قـال ابن الأنباري: «وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ» وقف تام، «أَفَلا تَعْقِلُونَ» أَتَمُّ منه». إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٥٩، وينظر: المكتفَى فِي الوقف والابتدا ص ٣٠٤.

قولـه تعالى في قصة يونـس بن مَتَّى عليه السّـلام: ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ أي: مذنب، قد أتى بما يُلامُ عليه، قال أمية بن أبي الصلت:

١٧٩ ـ مِـنَ الآفاتِ لَيْـسَ لَها بأَهْلٍ وَلَكِـنَّ المُسِـيءَ هُـوَ المُلِيـمُ[١]

وقولـه: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ يعني: المصلين، وكان عليه السّـلام قبل أن يَلْتَقِمَهُ الحُـوتُ كَثِيرَ الصَّلاةِ والذِّكْـرِ، ﴿ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾؛ أي: لَصارَ له بَطْنُ الحوت قَبْرًا إلى يوم القيامة، ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾؛ أي: عَلِيـلٌ كالفـرخ المَمْعُـوطِ[٢]؛ أي: طرحناه على وجه الأرض، وأصل العَراءِ الأَرْضُ الخالية عن الشـجر والنبات، ومنه قيل للرجل المتجرد عن الثياب: عريان، قال الشاعر:

١٨٠ ـ تَـرَكَ الْهـامُ بَيْضَهـا بِالعَراءِ صـارَ لِلْحِيـنِ حاضَـنَ العَنْقـاءِ[٣]

---

(١) البيت من الوافر لأمية بن أبي الصلت، ورواية ديوانه: «لَسْتَ لَها بِأَهْلٍ..... هُوَ المَلُومُ».
التخريج: ديوانه ص ١٢٤، جمهرة أشـعار العرب ص ٢٥، شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٢٧، المقاصد النحوية ٢/ ٣٤٧.

(٢) فـي الأصل: «المُمْعَطِ»، والصواب «المَمْعُوط» كما أَثْبَتُّ؛ لأنه ليس هناك «أَمْعَطَ»؛ ليكون اسم المفعول منه مُمْعَطًا، وإنما فعله: مَعَطَ الطائِرَ يَمْعَطُهُ مَعْطًا، فهو مَمْعُوطٌ: إذا نَتَفَ رِيشَهُ أو شَعْرَهُ، ورَجُلٌ أَمْعَطُ: لا شعر على جسده، والفرخ الممعوط: الذي لا شَعَرَ عليه. تهذيب اللغة ٢/ ١٩٣، اللسان: معط.

(٣) البيت من الخفيف، لَمْ أقف على قائله أو مناسبته، وقد ورد في عين المعاني برواية:

تَـرَكَ الْهُـمـامُ بيضهـا بِعَـرّاءِ

اللغـة: الهامُ: جمع هامةٍ، وهي طائر صغيـر من طَيْرِ اللَّيْلِ يَأْلَفُ المقابرَ، وقيل: هي البُومةُ، العَنْقـاء: طائر ضخم معروف الاسـم مجهول الجسـم، يُضْرَبُ به المثلُ في الشـيء الذي يُسْمَعُ به ولا يُرَى.
التخريج: عين المعاني ورقة ١١٢/ ب.

وقيل[١]: العَراء: الصحراء والساحل، أو هي بلدة فِي اليمن لا شجر فيها[٢]، قال الشاعر:

١٨١ ـ فَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ العَراءِ ثِيابِي[٣]

والعراء: التي لا يُوارِيكَ فيها شَيْءٌ، والعَراءُ على وجهين: مقصورٍ وممدودٍ، فالمقصور: الناحية، والممدود: المكان الخالي، سُمِّيَ العَراءَ لأنه لا شَجَرَ فيه، ولا شَيْءَ يُغَطِّيهِ[٤].

قوله: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦﴾ يعني القَرْعَ، وقوله: ﴿عَلَيۡهِ﴾ أي: له، وقيل: عنده، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ﴾[٥]؛ أي: عندي.

---

(١) قاله السدي وابن الأعرابي، ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٧٠، تفسير القرطبي ١٥/ ١٢٩.

(٢) قاله قتادة، ينظر: عين المعانِي ورقة ١١٢/ ب.

(٣) هذا عجز بيت من الكامل، وصدره:

وَرَفَعْتُ رَجُلًا لا أخافُ عِثارَها

وهو لقيس بن جَعْدَةَ الخُزاعِيِّ، وهو يُشْبِهُ بيتًا لأَبِي خِراشٍ الهُذَلِيِّ يقول فيه:

وَرَفَعْتُ ساقًا لا يُخافُ عِثارُها ... وَطَرَحْتُ عَنِّي بِالعَراءِ ثِيابِي

ونُسِب لِتَأَبَّطَ شَرًّا، وليس في ديوانه، ونُسِبَ لتميم بن أسد الخزاعي.

التخريج: شرح أشعار الهذليين ص ١٢٤٠، مجاز القرآن ٢/ ١٧٥، ٢٦٦، جامع البيان ٢٣/ ١٢١، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٣، ٥/ ٢١١، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٥٩، تهذيب اللغة ٣/ ١٥٨، محاضرات الأدباء ٢/ ١٨٧، المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، مجمع البيان ٨/ ٣٣١، ١٠/ ٩٩، عين المعانِي ١١٢/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ١٢٩، اللسان: عرا، البحر المحيط ٧/ ٣٥٤.

(٤) من أول قوله: «والعراء على وجهين» قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٣، وينظر أيضًا: المقصور والممدود للفراء ص ٣٩، المقصور والممدود لابن ولاد ص ٧١، ٧٢، المقصور والممدود لأبِي علي القالِي ص ٣٢٣-٣٢٤، تهذيب اللغة ٣/ ١٥٨.

(٥) الشعراء ١٤.

واليَقْطِينُ: جمع يَقْطِينةٍ، وكل شـجرة ليس لها ساقٌ، يَفْتَرِشُ وَرَقُها على الأرض نحو الدُّبّاءِ[١] والبِطِّيخِ والقِثّاءِ والحَنْظَلِ، فهو يَقْطِينةٌ، فَإِنْ كان لها ساقٌ يُقِلُّها فهي شـجرةٌ فقط، وإن كانت قائمةً، أي: بغير وَرَقٍ مُفْتَرِشٍ، فهي نَجْمةٌ، وجمعها: نَجْمٌ[٢]، وكذلك كل نَبْتٍ يمتد، وينبسط على وجه الأرض، وليس / له سـاقٌ، فهو يَقْطِينٌ، قال النَّقّاشُ[٣]: وَرَقُ القَـرْعِ إذا رُشَّ ماؤُهُ على حائطٍ لَمْ تَقْرَبْهُ ذُبابةٌ.

فصلٌ

عن الحسـن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُوا اليَقْطِينَ، فلو عَلِمَ اللهُ شَـجَرةً أخَفَّ منها لأنْبَتَها على أخِـي يُونُسَ، وَإذا اتَّخَذَ أحَدُكُمْ مَرَقًا، فَلْيُكْثِرْ فيه مـن الدُّبّاءِ، فإنه يزيد فِي الدِّماغِ وفِي العَقْلِ»[٤].

قولـه: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾ ﴿أَوْ﴾ بمعنـى الواو كقوله: «عُذْرًا أَوْ نُذْرًا»[٥]، قال الشاعر:

---

(١) الدُّبّاءُ: القَرْعُ، واحدته دُبّاءةٌ. اللسان: دبي.

(٢) من أول قوله: «وكل شجرة ليس لها ساق»، قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٤٠، وهو قول المبرد كما ذكر القرطبي في تفسيره ١٥/ ١٢٩.

(٣) شفاء الصدور ورقة ١٢٦ (النسخة الثانية).

(٤) ينظر: الدر المنثور ٥/ ٢٩١، كنز العمال ١٥/ ٢٨٠، كشف الخفاء ٢/ ١١٦.

(٥) المرسـلات ٦، وكونها بمعنى الواو هنا هو قـول أبي عبيدة والأخفش وقطرب وابن قتيبة، ينظـر: مجاز القرآن ٢/ ١٧٥، معانِي القرآن للأخفش ص ٣٢-٣٣، تفسـير غريب القرآن ص ٣٧٥، تأويـل مشـكل القرآن ص ٥٤٣، ٥٤٤، إيضاح الوقـف والابتداء ٤٤٠، ٤٤٢، وقول قطرب حكاه عنه ابن جني في الخصائص ٢/ ٤٦٣، وسر صناعة الإعراب ص ٤٠٦، وقـال النحاس رَدًّا على هذا الـرأي: «وهذا خطأ؛ لأن فيه بطلانَ المعانِـي». معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٦١، وينظر: شمس العلوم ١/ ١١٦-١١٧.

١٨٢ ـ فَلَمّا اشْتَدَّ أمْرُ الحَرْبِ فِينا تَـأمَّـلْـنـا رِيـاحًـا أوْ رِزامـا[١]

أي: وَرِزاما، وقال الفراء[٢]: ﴿أَوۡ﴾ هاهنا بمعنى «بَلْ»، أي: بل يزيدون، وأنشد:

١٨٣ ـ بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحا وَصُورَتِها أوْ أنْتِ فِي العَيْنِ أمْلَحُ[٣]

أي: بل أنت في العين أملح، وقال الزَّجّاجُ[٤]: ﴿أَوۡ﴾ هاهنا على أصله، ومعناه: أو يزيدون في تقديركم، إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون. فالشَّكُّ إنما دخل على حكاية قول المخلوقين[٥]، واختلفوا في مبلغ

---

(١) البيت من الوافر، لَمْ أقف على قائله.
اللغة: رياح: حَيٌّ من يربوع، رِزام: أبو حَيٍّ من تَمِيمٍ، وهو رزام بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن عمرو بن تَمِيمٍ.
التخريج: الكشف والبيان ٨/ ١٧١، عين المعاني ١١٢/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٩، ١٥/ ١٣٢.

(٢) معانِي القرآن ١/ ٧٢، ٢/ ٣٩٣، قال النحاس: «وهذا خطأ عند أكثر النحويين الحذاق، ولو كان كما قال لكان: وأرسلناه إلى أكثر من مائة ألف، واستغنى عن «أو». معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٦٠.

(٣) البيت من الطويل، لذي الرمة، وسوف يتكرر ٢/ ٤٧٦.
اللغة: قرن الشمس: أوَّلُها وأعْلاها عند طلوعها، وقيل: أول شعاعها، رونق الضحا: أوله.
التخريج: ملحق ديوان ذي الرمة ص ١٨٥٧، معانِي القرآن للفراء ١/ ٧٢، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٨٢، إيضاح الوقف والابتداء ص ٤٤٠، ٨٨٥، المحتسب ١/ ٩٩، الخصائص ٢/ ٤٥٨، الأزهية ص ١٢١، الإنصاف ص ٤٧٨، زاد المسير ١/ ٤٢، ١٣٠، عين المعانِي ١١٢/ ب، تفسير القرطبي ١/ ٤٦٣، ١٦/ ١٠٠، شرح الكافية للرضي ٤/ ٤٢٠، اللسان: أوا، البحر المحيط ٨/ ٢٣، خزانة الأدب ١١/ ٦٥، ٦٧.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٤ باختلاف في ألفاظه.

(٥) قال ابن جني: «معناه: وأرسلناه إلى جَمْعٍ لو رأيتموهم لقلتم أنتم فيهم: هؤلاء مائة ألف =

الزيادة على مائة ألفٍ، فقيل: عشرون ألفًا، وقيل: بضعٌ وثلاثون ألفًا، وقيل: سبعون ألفًا.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾؛ أي: فاسأل يا محمد أهل مكة سُؤالَ تَوْبِيخٍ وإنكارٍ ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا﴾ عطفٌ على ما قبله، ونصبَ ﴿إِنَٰثًا﴾ على الحال.

قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ استفهامٌ فيه معنى التوبيخ، قرأه العامة بقطع الألف؛ لأنه ألِف استفهامٍ مفتوحةٌ مقطوعةٌ دخلت على ألف الوصل، فبقيت ألِفُ الاستفهام على حالها مثل: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾[1] و﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾[2] و﴿أَذْهَبْتُمْ﴾[3] ونحوِها، وقرأ أبو جعفرٍ ونافعٌ فِي بعض الروايات عنه: «لَكاذِبُونَ ٱصْطَفَى»[4] موصولة على الخبر والحكاية عن قول المشركين، مجازه: ليقولون وَلَدَ اللهُ وإنهم لكاذبون ٱصْطَفَى البنات على

= أو يزيدون، فهذا الشك إنما دخل الكلام على الحكاية لقول المخلوقين؛ لأن الخالق، جل جلاله وتقدست أسماؤه، لا يعترضه الشك في شيء من خَبَرِهِ». سر صناعة الإعراب ص ٤٠٦، وينظر أيضًا: الخصائص ٢/ ٤٦٢، ٤٦٣، معانِي القرآن للنحاس٦/ ٦١-٦٢، المسائل العسكرية ص ٩٤.

(١) ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ ص ٧٥.

(٢) ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ المنافقون ٦.

(٣) ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الأحقاف ٢٠.

(٤) روى المسيبيُّ وقالونُ وأبو بكر بن أبِي أويس عن نافع: «لَكاذِبُونَ. أَصْطَفَى» بقطع الهمزة، ورَوَى ابنُ جَمّازٍ وإسماعيل عن نافع وأبِي جعفر وَصْلَ الهمزة، ورُوِيَ ذلك عن وَرْشٍ، وقرأ بالوصل أيضًا حمزة والأعمش، ينظر: السبعة ص ٥٤٩، تفسير القرطبي ١٥/ ١٣٤، البحر المحيط ٧/ ٣٦١، النشر ٢/ ٣٦٠، الإتحاف ٢/ ٤١٦.

البنين، قال الفراء[(١)]: أراد الاستفهام فحذف حرف الاستفهام كقوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾.

ثم وَبَّخَهُمْ فقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ لله بالبنات ولأنفسكم بالبنين ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ أفلا تتعظون فتنتهون عن هذا القول؟ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ أي: حجة بَيِّنَةٌ على ما تقولون ﴿فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ﴾ الذي لكم فيه الحجة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ في قولكم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ قيل[(٢)]: الجِنَّةُ: الملائكةُ، سُمُّوا جِنًّا لاستتارهم عن / الأبصار، وقيل[(٣)]: هم خازنو الجِنانِ، وقال كفار مكة [١١٢/ أ] ـ لعنهم الله ـ: إن الله صاهَرَ الجِنَّ، فولدت الملائكةَ ـ تعالى الله وتَقَدَّسَ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا ـ، والجِنَّةُ: جمع جِنٍّ كحَبَّةٍ وحَبٍّ، ويقال: به جِنَّةٌ؛ أي: خَبْطُ جِنَّةٍ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾؛ أي: عَلِمُوا أنّ هؤلاء الكفارَ الذين قالوا هذا القول يُحْضَرُونَ النّارَ، ويُعَذَّبُونَ على ما قالوا، ثم نَزَّهَ نَفْسَهُ عما قاله بنو مُدْلِجٍ من الكذب، وهم حَيٌّ من خُزاعةَ، قالوا: الملائكة بنات الله، تَعالَى اللهُ عَنْ ذلك عُلُوًّا كَبِيرًا، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ يعني الموحدين، فإنهم لا يُحْضَرُونَ النارَ، ونصب ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ على الاستثناء[(٤)]، و﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ من نعتهم.

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٩٤، وهو معنى كلام الفراء لا نصه.

(٢) هذا قول أكثر المفسرين، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٤، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٥، جامع البيان ٢٣/ ١٢٩، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٥، إعراب القرآن ٣/ ٤٤٤.

(٣) رواه السُّدِّيُّ عن أَبِي مالك، قال النحاس: «وهو قولٌ غريبٌ». إعراب القرآن ٣/ ٤٤٤، وينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ١٣٤.

(٤) هذا الاستثناء منقطع، وفي المستثنى منه وجوه، أحدها: أنه مستثنى من قوله: «لَمُحْضَرُونَ»، =

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾﴾ يعني الأصنام أي: فإنكم وآلِهَتَكُم التي تعبدون من دون الله ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: مع ذلك ﴿بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ أي: بِمُضِلِّينَ، يقال: فَتَنْتُ الرَّجُلَ وأَفْتَنْتُهُ: إذا أَضْلَلْتَهُ[١]، ويقال: فَتَنْتُهُ على الشيء وبالشيء[٢]، كما يقال: أَضَلَّهُ على الشيء، وأضله به، قال مقاتلٌ: يقول: ما أنتم بمضلين أحدًا بآلهتكم إلا من قَدَّرَ اللهُ له أن يَصْلَى الجحيمَ، وهو قوله: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ يعني: أن قضاءه سَبَقَ فِي قومٍ بالشقاوة وأنهم يَصْلَوْنَ النارَ، فهم الذين يَضِلُّونَ في الدنيا، ويعبدون الأصنام.

وموضع «صالِي» رفعٌ على خبر الابتداء، والأصل في صالٍ: صالِيٌ، فاستثقلوا الضمة في الياء، فحذفوها، فبقيت الياء ساكنة، والتنوين ساكنٌ، فأسقطوا الياء لاجتماع الساكنين، وأبقوا الكسرة في اللام على أصلها، والعلة في هذا أنهم بنوا الخَطَّ على الوقف، فكان حمزة والكسائي يقفان على «صالِ» بغير ياءٍ اتِّباعًا للكِتابِ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ وهذا من قول جبريل عليه السّلام للنبي ﷺ، وفيه إضمارٌ، المعنى: وما منا معشرَ الملائكة مَلَكٌ إلا له

= أي: ولكن المخلصين ناجُونَ، والثانِي: أنه مستثنى من الضمير في قوله: «وَجَعَلُوا»، وتكون جملة «سُبْحانَ اللهِ» اعتراضًا بين المستثنى والمستثنى منه، والثالث: أنه مستثنى من الضمير في قوله: «تَصِفُونَ»؛ أي: يصفه هؤلاء بذلك، لكن المخلصين بَراءٌ من أن يَصِفُوهُ به. ينظر: الفريد ٤/ ١٤٤، الدر المصون ٥/ ٥١٥.

(١) قال الفراء: «وأهل نَجْدٍ يقولون: بِمُفْتِنِينَ. أهل الحجاز يقولون: فَتَنْتُ الرَّجُلَ، وأهل نجد يقولون: أَفْتَنْتُهُ». معانِي القرآن ٢/ ٣٩٤، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٤٥.

(٢) يعني أن «عَلَى» بمعنى الباء، وهو قول الفراء، قاله في معانِي القرآن ٢/ ٣٩٤، وينظر: الوسيط ٣/ ٥٣٤.

(٣) من أول قوله: «والعلة في هذا» قاله ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٤٠.

مقامٌ معلومٌ[1] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ قال قتادة: هم الملائكة صَفُّوا أقدامَهُمْ، وقال الكلبي: صفوف الملائكة فِي السماء كصفوف أهل الدنيا فِي الأرض ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾؛ أي: المُصَلُّونَ المُنَزِّهُونَ اللهَ تعالى عن السوء.

قولـه تعالـى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ يعني أهـل مكـة، أي: وقد كانوا ليقولـون، والـلام لام توكيدٍ، لَمّا خففت «إنَّ» دخلت على الفعـل / ولزمتها [١١٢/ ب] اللام فرقًا بين النفي والإيجاب، والكوفيون يقولون: «إنْ» بمعنى «ما»، واللام بمعنى «إلَّا»؛ أي: وما كانوا إلا يقولون[2] ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ يعني: كتابًا مثل كتبهم.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ يعني: فِي التوحيد، نظيره قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾[3] ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ يعني: بالقرآن، وقيل: بِمُحَمَّدٍ ﷺ أنه مبعوث، وفيه اختصارٌ، تقديره: فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ وعيدٌ لَهُمْ وَتَهْدِيدٌ، فَقُتِلُوا يوم بدرٍ.

---

(١) هـذا قول الزجاج، قاله في معانـي القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٦، وهـو مذهب البصريين، فهم يُخَرِّجُونَ هذه الآيَةَ وما أشـبهها على حذف الموصوف، وأما الكوفيون فإنهم يجعلونه من بـاب حذف الموصـول وبقاء صلته، ينظر: الكتـاب ٢/ ١١٥، ٣٤٥-٣٤٦، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٢٦٤، المقتضب ٢/ ١٣٥؛ ١٣٧، إعراب القرآن ٣/ ٤٤٦، المسـائل المشكلة للفارسـي ص ٢٤٥-٢٤٦، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٤٤، الفريد للهمداني ٤/ ١٤٦، شـرح التسـهيل لابن مالك ٣/ ٣٢٢؛ ٣٢٤، شـرح الكافية للرضي ٢/ ٣٤٦، ٣/ ١٥٤، ارتشاف الضرب ص ١٩٣٨: ١٩٤١.

(٢) ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٤٤٦-٤٤٧، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٤٤-٢٤٥، وقد سـبق مثل ذلك في الآية ٣٢ من سـورة يس، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، وإن كان قد اختار هناك رَأْيَ الكوفيين.

(٣) الأنعام ١٥٧.

قولـه عـزّ وجـلّ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾؛ أي: الغلبـة والقوة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ أي: عما يقولون من الكذب والبهتان أن البنات لله ـ جل وعز عن مقالة الجاحدين ـ.

وقولـه: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ يعني العظَمة والكبرياء والقـدرة والغلبة والقوة، وكل هـذا غير مخلوقٍ، وإنما قال ذلك لأنه منسـوب إليـه، إذْ كان كلامه منه وَعِزَّتُـهُ له، ومن قال: إنه مخلوقٌ فقد كفر؛ لأن أسـماءه نُعُوتُهُ وصِفاتُهُ تعالى، وهو مخفوضٌ على البدل، قال الزجّاج[1]: ويجوز النصب على المدح، والرفع بمعنى: هو رَبُّ العِزّةِ.

قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ لأنهم بَلَّغُوا عن الله تعالى ما أُرْسِلُوا به من التوحيد والشرائع، والسلامُ والأمانُ نعمةٌ من الله تعالى، ولو كان فِي غير القرآن لجاز النصب على المصدر[2].

قوله: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ يعنِي: سيد الخلق أجمعين.

فصْلٌ

عن عَلِيِّ بن أَبِي طالبٍ رضي الله عنه قال: من أَحَبَّ أن يَكْتالَ بالمكيال الأوْفَـى من الأجر يـوم القيامة فليكن آخر كلامه فِي مجلسـه: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[3]/ .

---

(١) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٧.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٤٨.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٧٤، الوسيط ٣/ ٥٣٦، عين المعانِي ورقة ١١٢/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ١٤١، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٨، الدر المنثور ٥/ ٢٩٥، كنز العمال ٢/ ٣٠٨، ٦٤٠.

سورة ص
مكية

وهي ثلاثة آلافٍ وتسعةٌ وستون حرفًا، وسبعمائةٍ واثنتان وثلاثون كلمةً، وثمانٍ وثمانون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيِّ بنِ كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿صٓ﴾ أُعْطِيَ مِنَ الأجْرِ بِوَزْنِ كُلِّ جَبَلٍ سَخَّرَهُ اللهُ لِداوُدَ عَشْرَ حَسَناتٍ، وحَفِظَهُ مِنَ الصَّغِيرةِ والكَبِيرةِ، وعَصَمَهُ أنْ يُصِرَّ عَلَى ذَنْبٍ صَغِيرٍ أوْ كَبِيرٍ»[١].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة ﴿صٓ﴾ ضَحِكَ مالكٌ خازنُ النارِ، وقال: لا سبيل لي عليك، أمِنْتَ فأبْشِرْ»[٢].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿صٓ﴾ قرأه العامة بجزم الدال، وقرأ الحسن وابن

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٧٥، الوسيط ٣/ ٥٣٧، الكشاف ٣/ ٣٨٥، مجمع البيان ٨/ ٣٤٠.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

أبِي إسحاق: «صادِ» بخفض الدال لالتقاء الساكنين[١]، وقرأ عيسى بن عمر: «صادَ»[٢] بفتح الدال، ومثله: «ق»[٣] و«ن»[٤] لاجتماع الساكنين، وحَرَّكَها بأخفِّ الحركات، وقيل[٥]: على الإغراء.

قال الفراء[٦]: فمن قرأ: «صادِ» بخفض الدال جَعَلَهُ أمْرًا من: صادَيْتُ أُصادِي، فيكون على وزن: قاضِ يا رَجُلُ من: قاضَيْتُ، ورامِ من رامَيْتُ، كما قال الشاعر:

١٨٤ - وَأُخْرَى أُصادِي النَّفْسَ عَنْها، وَإنّها ... لَفُرْصةُ حَزْمٍ - إنْ ظَفِرْتُ - وَمَصْدَرُ[٧]

---

(١) قاله الفراء والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٩٦، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٧٤، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٤٩.

(٢) قرأ أُبَيُّ بنُ كعبٍ والحسنُ وابنُ أبِي إسحاق وأبو السمال وابنُ أبِي عبلة ونصر بن عاصم: «صادِ» بخفض الدال، وقرأ عيسى بن عمر، ومحبوبٌ عن أبي عمرو: «صادَ» بالفتح، وقرأ الحسن أيضًا، وهارونُ الأعورُ وابنُ السَّمَيْفَع: «صادُ» بالضم، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٢٩، المحتسب ٢/ ٢٣٠، شواذ القراءة للكرمانِي ٢٠٣، تفسير القرطبي ١٥/ ١٤٢، البحر المحيط ٧/ ٣٦٦، ٣٦٧، الإتحاف ٢/ ٤١٨.

(٣) ق ١.

(٤) القلم ١.

(٥) قاله الأخفش، و«صاد» عنده على هذه القراءة اسم للسورة، ممنوع من الصرف، والمعنى: اذكر صادَ أو اتْلُ صادَ. معاني القرآن ص ٢٠، وينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٧٤، إعراب القرآن ٣/ ٤٤٩، الفريد للهمداني ٤/ ١٥٠.

(٦) هذا الكلام ليس للفراء، وليس في كتابه معانِي القرآن، وإنما هو كلام الأخفش، فقد قال: «وقال بعضهم: «صادِ والقُرْآنِ»، فجعلها من: صادَيْتُ، ثم أمَرَ كما تقول: رامِ، كأنه قال: صادِ القرآنَ بعملك أي: تَعَمَّدْهُ». معانِي القرآن ص ٢٠، كما حكاه ابن الأنباري عن الأخفش في إيضاح الوقف والابتداء ص ٤٨٢-٤٨٣.

(٧) البيت من الطويل، لِتَأَبَّطَ شَرًّا، ورواية ديوانه:

لَخُطَّةُ حَزْمٍ إنْ فَعَلْتُ......

=

وقال آخر:

١٨٥ - أَبِيتُ عَلَى بابِ القَوافِي كَأَنَّما أُصادِي بِها سِرْبًا مِنَ الوَحْشِ نُزَّعا[1]

قال ابن الأنباري[2]: فعلى هذا المذهب تُكْتَبُ «صادِ» على لفظها؛ لأنها قد خرجت من حَدِّ الهجاء.

وموضعه جزم لأنه أَمْرٌ من المُصاداةِ، تقديره: صادِ؛ أي: عارِضْ عَمَلَكَ بالقرآن، ومن قرأ بإسكان الدال كان موضعه نصبًا بإضمار: اذكر أو اقرأ، ويجوز أن يكون نصبًا بحذف حرف القسم منه، ويجوز أن يكون خفضًا بإضمار حرف القسم فيه[3].

واختلفوا في معناه، فقيل: معناه: صَدَقَ اللهُ، وقيل: صَدَقَ محمدٌ ﷺ، وقيل: هو قَسَمٌ أَقْسَمَ اللهُ به، وهو اسمٌ من أسماء الله تعالى، وقيل: هو مفتاح اسم الله تعالى بمعنى: صَمَد، وصانع المصنوعات، وصادق الوعد، وقيل:

= ومعنى «أُصادِي النفسَ»: أُقابِلُها.

التخريج: ديوانه ص ٣٤، الأغاني ١٨/ ٢١٧، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/ ٤٠، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٨١، الحماسة البصرية ص ٢١١، خزانة الأدب ٧/ ٥٠٣.

(١) البيت من الطويل، لسُوَيْدِ بنِ كِراع العُكْلِيِّ يذكر تنقيحه شِعْرَهُ، ونسب لعُوَيْفِ القوافِي.

التخريج: ديوان سويد بن كراع ص٦٢ ضمن (شعراء مقلون)، مَجاز القرآن ٢/ ١٠١، البيان والتبيين ٢/ ١٢، جامع البيان ٢٠/ ٦٨، الأغاني ١١/ ١٣١، عين المعاني ورقة ٩٨/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦٨.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ص ٤٨٣.

(٣) سبق كلامه عن هذه الوجوه قبل قليل، وينظر: الفريد ٤/ ١٤٩-١٥٠، البحر المحيط ٧/ ٣٦٦، الدر المصون ٥/ ٥١٩.

هو بحرٌ في السماء، وقيل: هو اسم السورة إشارة إلى صدود الكفار عن القرآن(١).

[١١٣/ ب] قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾/ أي: ذي البيان، دليله قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾(٢)؛ أي: شَرَفٌ، وقيل: ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ يعني: ذكر الله عزّ وجلّ.

واختلفوا في جواب القسم، فقيل(٣): جوابه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، كما قال تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾(٤)، وقال الأخفش(٥): جوابه: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾(٦)، كقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٧)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾(٨)، ثم قال: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾(٩).

---

(١) ينظر في هذه المعاني: جامع البيان ١٤٠، ١٤١، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٧٣-٧٤، الكشف والبيان ٨/ ١٧٥-١٧٦، الوسيط ٣/ ٥٣٨، زاد المسير ٧/ ٩٧، البحر المحيط ٧/ ٣٦٧.

(٢) الزخرف ٤٤.

(٣) قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٢١-٢٢، وحكاه الطبري عن قتادة في جامع البيان ٢٣/ ١٤٣، وينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٧٦، ٧٧، الكشف والبيان ٨/ ١٧٦، وحكاه السجاوندي عن أبي علي الفارسي في عين المعاني ورقة ١١٣/ أ، وينظر: الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ١٥١.

(٤) ق ١-٢.

(٥) معاني القرآن ص ٤٥٣.

(٦) ص ١٤.

(٧) الشعراء ٩٧.

(٨) الطارق ١.

(٩) الطارق ٤.

وقيل[١]: جوابه قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[٢]، وقيل[٣]: جوابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾[٤]، وهو قول الكسائي[٥].

وقيل[٦]: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: بل الذين كفروا في عِزَّةٍ وشقاق والقرآنِ ذِي الذكر، وقال الفراء[٧]: ﴿صٓ﴾ معناها: وَجَبَ وحَقَّ، جوابٌ لقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾، كما تقول: نَزَلَ واللهِ.

وقال القتيبي[٨]: ﴿بَلِ﴾ إنما تجيء لتَدارُكِ كلامٍ ونَفْيِ آخرَ. مجاز الآية: أن الله أقسم بـ«صاد والقرآن ذي الذكر إن الذين كفروا» ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ حَمِيَّةٍ وتَكَبُّرٍ، ﴿وَشِقَاقٍ ۝٢﴾؛ أي: خلافٍ وفراقٍ وعداوةٍ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، ومحل «لاتَ» نصبٌ على التَّنْزِيهِ والنفي[٩]، و«مَنَاصٍ» خفضٌ بالإضافة.

---

(١) حكاه الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ٨/ ١٧٦، وينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ١٤٤.

(٢) ص ٥٤.

(٣) هذا قول الزَّجّاج والكوفيين، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٩، إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٦١، كشف المشكلات ٢/ ٢٥٨، زاد المسير ٧/ ٩٩، الفريد ٤/ ١٥، وأجازه الفارسي في الإغفال ١/ ١٠٣-١٠٤، وَرَدَّهُ الفراءُ بأنه قد طال الفصلُ بينهما، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧، وينظر أيضًا: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٧٦.

(٤) ص ٦٤.

(٥) ينظر قوله في عين المعانِي ١١٣/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ١٤٤، البحر المحيط ٧/ ٣٦٧، الدر المصون ٥/ ٥٢٠.

(٦) حكاه الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ٨/ ١٧٦.

(٧) معانِي القرآن ٢/ ٣٩٦، ٣٩٧، ومعنى كلامه أن فيه تقديمًا وتأخيرًا.

(٨) تأويل مشكل القرآن ص ٥٣٦.

(٩) هكذا في الأصل، ولا أعرف ما يعنيه بذلك؛ لأن «لاتَ» حرف لا موضع له من الإعراب، ويبدو أنه يريد «حِينَ» لأنه تحدث بعده عن «مَنَاصٍ».

قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ محل ﴿كَمْ﴾ نصب بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، ﴿مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ﴾ يعني: بالإيمان والاستغاثة عند نزول العقوبة وحلول النقمة بهم، ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾، وليس بوقتِ فِرار ولا وَزَرٍ ولا مَنْجاةٍ ولا فَوْتٍ، يقال: ناصَهُ الشَّيْءُ: إذا فاتَهُ، والنَّوْصُ بالنون: التَّأَخُّرُ، والبَوْصُ بالباء: التَّقَدُّمُ، قاله الفراء[١]، وقد جمعهما امرؤ القيس في بيت، فقال:

١٨٦ ـ أَمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ؟ فَتَقْصُرُ عَنْهَا خُطْوَةً فَتَبُوصُ[٢]

و﴿وَّلَاتَ﴾ بمعنى «لَيْسَ» بلغة أهل اليمن[٣]، والمَناصُ مصدر: ناصَ يَنُوصُ، يقال: ناصَ يَنُوصُ نَوْصًا ومَناصًا، وهو المنجاة[٤]، و﴿مَنَاصٍ﴾ مَفْعَلٌ من: ناصَ مثل مَقامٍ.

وتكلم النحويون في «لاتَ»، فقالوا: هي «لا» زيدت فيها التاء، كما قالوا: ثُمَّ وثُمَّتْ ورُبَّ ورُبَّتْ[٥]، وأصلها هاء وُصِلَتْ بـ«لا»، فقالوا: لاهَ لغير

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٩٧.

(٢) البيت من الطويل، ويُرْوَى: «أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى».

التخريج: ديوانه ص١٧٧، معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧، غريب القرآن لابن قتيبة ٣٧٦، الأضداد لابن الأنباري ص ١٠٥، إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٩٠، الكشف والبيان ٨/ ١٧٨، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة لابن السيد ص ٣١٧، عين المعاني ورقة ١١٣/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ١٤٦، التذكرة الحمدونية ٧/ ٢٨١، رصف المباني ص ٤٣٥، اللسان: بوص، قصر، نوص، البحر المحيط ٧/ ٣٦٥.

(٣) ينظر في هذا: الوسيط للواحدي ٣/ ٥٣٨، زاد المسير ٧/ ١٠٠، بينما ذكر سيبويه أنها بمعنى «ليس» في لغة أهل الحجاز، ينظر: الكتاب ١/ ٥٧.

(٤) في الأصل: «المجاز».

(٥) هذا قول جمهور النحويين، وفيها أقوال أخرى، منها: أن «لات» فعل ماض، ومنها: أن أصلها «ليس»، فأبدلت سينُها تاءً وياؤها ألفًا، ومنها: أنها كلمة وبعض كلمة؛ وذلك لأنها =

معنًى حادثٍ، كما زادوها في: ثُمَّةَ، فلما أوْصَلُوها جعلوها تاءً[(١)].

والوقف عليها بالتاء عند الزجّاج وأبِي عَلِيٍّ الفارسيِّ[(٢)]، وعند الكسائي الوقـف عليها بالهاء[(٣)] نحو قاعدة وضاربة، وعند أبِي عُبيدٍ الوقف على «لا»، ثم تبتدئ: «تَحِينَ مَناصٍ»[(٤)]؛ لأن عنده أن هذه التاء تُزادُ مع «حين»، يقال: كان هـذا تَحِينَ كان ذاك[(٥)]، قال الفراء[(٦)]: والاختيار أن ينصب بـ«لاتَ»؛ لأنها في

= «لا» النافيـة والتاء الزائدة في أول الحين، ينظر: الفريد ٤/ ٥١، شـرح الكافية للرضي ٢/ ٢٢٨، ارتشاف الضرب ص ١٢١٠، مغني اللبيب ص ٣٣٤، ٣٣٥.

(١) قال الأزهري: «قال شـمر: اجتمع علماء النحويين على أن أصل هذه التاء في «لات» هاء وُصِلَـتْ بـ«لا»، فقالوا: لاهَ لغيـرِ معنًى حادثٍ، كمـا زادوها في ثُمَّ وثُمّـةَ، ولزمتْ، فلما وصلوها جعلوها تاءً». التهذيب ١٥/ ٤٢١.

(٢) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٢٠، الإغفال للفارسي ٢/ ٥٢٢-٥٢٣.

(٣) ينظر قول الكسـائي في معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٩٨، إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٨٨، ٢٨٩، معانـي القرآن وإعرابـه ٤/ ٣٢٠، إعراب القرآن ٣/ ٤٥١، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٤٧.

(٤) الكسائي وأبو السمال والدوري يقفون على «لات» بالهاء، فيقولون: «لاهْ»، وأبو عبيد يقف على «لا»، ويبتدئ: «تحين مناص»، وقال: إنه في مصحف الإمام: «ولا تحين» التاء متصلة بـ«حين»، ووقف الباقون على «لات» بالتاء للرسم، ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٨٨؛ ٢٩٥، غيث النفع ص٢٤٠، البحر المحيط ٧/ ٣٦٨، النشر ٢/ ١٣٢، الإتحاف ٢/ ٤١٨.

(٥) ذَكَـرَ أبو عبيد ذلـك في كتابه الغريب المصنـف ١/ ٣٥٠، ٣٥١، وينظـر: إيضاح الوقف والابتداء ص٢٩٢، ٢٩٥، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٠: ٤٥٤، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٤٨.

(٦) قال الفراء: «ومن العرب من يضيف «لات» فيخفض، أنْشَدُونِي:

.... لاتَ سـاعـةَ مَنْـدَمِ

ولا أحفظ صدره، والكلام أن يُنْصَبَ بِها؛ لأنها فِي معنى«ليس»، أنشدنِي المفضل:

تَذَكَّـرَ حُـبَّ لَيْلَـى لاتَ حِينـا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينـا =

[١١٤/ أ] معنى «لَيْسَ»، قال: / وأنشدنِي المفضل:

١٨٧ ـ تَذَكَّرَ حُبَّ لَيْلَى لاتَ حِينا ... وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينا[١]

وقال أبو زبيد الطائي[٢]:

١٨٨ ـ طَلَبُوا صُلْحَنا وَلاتَ أوانٍ ... فَأَجَبْنا أنْ لَيْسَ حِينَ بَقاءِ[٣]

= فهذا نصب، وأنشدنِي بعضهم:

طَلَبُوا صُلْحَنا، وَلاتَ أوانٍ ... فَأَجَبْنا أنْ لَيْسَ حِينَ بَقاءِ

فخفض «أوان»، فهذا خفض». معاني القرآن ٢/ ٣٩٧-٣٩٨.

(١) البيت من الوافر، لعمرو بن شَأْسٍ الأسدي، ويُرْوَى: «وَأَمْسَى الشَّيْبُ».

التخريج: شعر عمرو بن شأس ص ٧٣، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧، إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٩٠، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٣، الكشف والبيان ٨/ ١٧٧، المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، زاد المسير ٧/ ١٠٠، عين المعانِي ورقة ١١٣/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ١٤٧، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٧٨، همع الهوامع ١/ ٤٠٣، خزانة الأدب ٤/ ١٦٩، ١٧٨.

(٢) هو حَرْمَلَةُ بن المنذر، أو المنذر بن حرملة بن معدي كرب بن حنظلة الطائي، شاعر معمر، أدرك الإسلام، وظل على النصرانية، وكان في الجاهلية يزور ملوك العجم، وكان في الإسلام يفد على الخليفة عثمان فيكرمه لعلمه وشعره، عاش (١٥٠سنة)، وتوفي سنة (٦٢هـ). [الشعر والشعراء ص ٣٠٧؛ ٣١٠، الأعلام ٧/ ٢٩٣].

(٣) البيت من الخفيف، وقوله: «طَلَبُوا» جواب لـ«لَمّا» في البيت السابق، وهو قوله:

ثُمَّ لَمّا تَشَذَّرَت، وَأنافَتْ ... وَتَصَلَّوْا مِنها كَرِيهَ الصِّلاءِ

التخريج: ديوانه ص ٣٠، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٩٨، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٥٣، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٢٠، إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٩٤، إعراب القرآن ٣/ ٤٥٢، الخصائص ٢/ ٣٧٧، الكشف والبيان ٨/ ١٧٧، المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، الإنصاف ص ١٠٩، شرح المفصل ٩/ ٣٢، الفريد ٤/ ١٥٣، عين المعانِي ورقة ١١٣/ أ، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٧٨، اللسان: أون، لا، لات، البحر المحيط ٧/ ٣٦٧، رصف المبانِي ص ١٦٩، ٢٦٢، مغني اللبيب ص ٣٣٦، ٨٩٢، المقاصد النحوية =

قال ابن عبّاسٍ[١]: كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطربوا فِي الحرب، قال بعضهم لبعضٍ: مناصَ، أي: اهْرُبُوا وخُذُوا حِذْرَكُمْ، فلما نزل بهم العذاب يوم بدر قالوا: مَناصَ مَناصَ، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني محمدًا ﷺ، ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، وذلك حين قال لهم النبيُّ ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»، فنفروا من ذلك، وقالوا: أَجَعَلَ مُحَمَّدٌ الآلِهَةَ إلهًا واحدًا؟ كيف يَسَعُ الخَلْقَ إلَهٌ واحدٌ؟ »[٢]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾؛ أي: عجيبٌ، قال أهل اللغة[٣]: العُجابُ والعَجِيبُ واحدٌ، وهو مما جاء على فَعِيلٍ وفُعالٍ، يقال: رَجُلٌ كَرِيمٌ وكُرامٌ، وكَبِيرٌ وكُبارٌ، وطَوِيلٌ وطُوالٌ، وعَرِيضٌ وعُراضٌ، وسِكِّينٌ حَدِيدٌ وحُدادٌ، وطَيِّبٌ وطُيابٌ، وقَرِيبٌ وقُرابٌ، وذَفِيفٌ وذُفافٌ[٤]، وخَفِيفٌ وخُفافٌ، وأنشد الفراء في كُبارٍ[٥]:

= ٢/ ١٥٦، شرح شواهد المغني ص ٦٤٠، ٩٦٠، همع الهوامع ١/ ٤٠٢، خزانة الأدب ٤/ ١٦٩، ١٨٣، ١٨٥، ٦/ ٥٣٩، ٥٤٥.

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٣ كتاب التفسير: سورة «ص»، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٧٨، تفسير القرطبي ١٥/ ١٤٥.

(٢) رواه الإمام أحمد عن ابن عباس في المسند ١/ ٢٢٧، ٢٢٨، ٣٦٢، والنسائي في السنن الكبرى ٥/ ٢٣٥ كتاب السِّيَرِ: باب «ممن تؤخذ الجزية»، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٢ كتاب التفسير: سورة «ص».

(٣) وقالوا: العُجّابُ بالتشديد أبلغ من العُجابِ بالتخفيف، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٩٨، مجاز القرآن ٢/ ١٧٦، ١٧٧، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٧٩، تهذيب اللغة ١/ ٣٨٦، ٣٨٧، الكشف والبيان ٨/ ١٧٩، الفريد للهمداني ٤/ ١٥٤.

(٤) الذَّفِيفُ: الخفيف السريع على وجه الأرض، وينظر في هذه الكلمات التي ذكرها المؤلف: ياقوتة الصراط ص ٤٣٥.

(٥) معانِي القرآن ١/ ٢٠٤، ٢/ ٣٩٨.

١٨٩ ـ كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِياحٍ يَسْمَعُها لاهُهُ الكُبارُ[١]

وقال آخر فِي طُياب:

١٩٠ ـ نَحْنُ بَذَلْنا دُونَها الضِّرابا
إنّا وَجَدْنا ماءَها طُيابا[٢]

يريد: طَيِّبًا، وقال المفضل فِي «قُرابٍ»:

١٩١ ـ وَلَمّا أنْ رَأيْتُ بَنِي عَلِيٍّ عَرَفْتُ الوُدَّ والنَّسَبَ القُرابا[٣]

---

(١) البيت من مخلع البسيط، للأعشى يهجو بني جَحْدَرٍ، ويُرْوَى: «لاهُمُ الكُبارُ»، ويُرْوَى: و«اللَّهُمُ الكُبارُ».

اللغة: أبو رياح: رجل من بني ضبيعة، كان قَتَلَ رجلًا من بني سعد بن ثعلبة، فسألوه أن يحلف أو يُعْطِيَ الدِّيَةَ، فحَلَفَ ثم قتلوه، فضربته العرب مَثَلًا لِما لا يُغْنِي من الحَلِفِ، لاهُهُ: إلَهُهُ، الكُبار: الكبير.

التخريج: ديوانه ص ٣٣٣، جمهرة اللغة ص ٣٢٧، سر صناعة الإعراب ص ٤٣٠، الكشف والبيان ٨/ ١٧٩، أمالِي ابن الشجري ٢/ ١٩٧، شرح المفصل ١/ ٣، عين المعانِي ورقة ١١٣/ أ، تفسير القرطبي ٤/ ٥٣، شرح الكافية للرضي ١/ ٣٤٦، اللسان: أله، لوه، المقاصد النحوية ٤/ ٢٣٨، همع الهوامع ٢/ ٤٧، خزانة الأدب ٢/ ٢٦٦، ٢٦٩، ٧/ ١٧٦.

(٢) البيتان من الرجز المشطور، لَمْ أقف على قائلهما.

اللغة: ضاربَ الرجلُ صاحبه ضِرابًا ومضاربةً: ضربَ كلٌّ واحد منهما صاحبَه، طُيابًا: طَيِّبًا جِدًّا.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٩٨، ديوان الأدب ٣/ ٣٦٠، تهذيب اللغة ١٤/ ٤١، ٤٢، المحتسب ٢/ ٢٣٠، الصحاح ١/ ١٧٣، الكشف والبيان ٨/ ١٧٩، شمس العلوم ٧/ ٤٢٠٤، عين المعانِي ورقة ١١٣/ أ، اللسان: طيب، التاج: طيب.

(٣) البيت من الوافر للحارث بن ظالِمْ المُرِّيِّ، من قصيدة أنشدها المفضل، يذكر فيها فتكه بخالد بن جعفر بن كلاب، وهو في جوار النعمان بن المنذر، ورواية المفضليات: «بَنِي لُؤَيٍّ»، ويُرْوَى: «وَكُنْتُ إذا رَأيْتُ». =

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّـلَمي وعيسى بن عمر: «عُجّابٌ»(١) بالتشديد، وهو المفرط في العجب، كما قالوا: رَجُلٌ حُسّانٌ وامرأةٌ حُسّانةٌ، وأنشد الفراء(٢):

١٩٢ - وَآثَرْتُ إدْلاجِي عَلَى لَيْلِ حُرّةٍ هَضِيمِ الحَشا، حُسّـانةِ المُتَجَرَّدِ(٣)

وأنشد أبو حاتم:

١٩٣ - جاءُوا بِصَيْدٍ عَجَبٍ مِنَ العَجَبْ
أُزَيْـرِقِ العَيْنَيْـنِ، طُـوّالِ الـذَّنَـبْ(٤)

= التخريج: المفضليات ص ٣١٥، ياقوتة الصراط ص ٤٣٦، أسـاس البلاغة: قرب، منتهى الطلب ٤/ ٣٠، شرح الحماسة للمرزوقي ص١٩٧، البرهان للزركشي ٢/ ٥١٤.

(١) وهـي أيضًـا قراءة عَلِيِّ بـنِ أَبِي طالب وابن مِقْسَـمٍ، ينظر: مختصر ابـن خالويه ص١٣٠، المحتسـب٢/ ٢٣٠-٢٣١، شـواذ القراءة ورقة ٢٠٣، تفسـير القرطبي١٥/ ١٤٩، البحر المحيط ٧/ ٣٦٩.

(٢) معانِي القرآن ٢/ ٣٩٨، والرجز التالِي الذي أنشده أبو حاتم أنشده الفراء أيضًا.

(٣) البيت من الطويل للحطيئة، ورواية ديوانه: «آثَرْتُ» بغير واو، وفيها خَرْمٌ.

اللغة: الإدلاج: السَّـيْرُ فِي آخر الليل. الحَشـا: ظاهر البطن. ومعنى هضيم الحشـا: هيفاءُ ضامرةُ الخصر. حسانة المتجرد: حسنة جدًّا عند التعري. والمعنى: آثرتُ سَيْرِي على هذه المرأة الحرة الكريمة أن أعانقها.

التخريـج: ديوانـه ص ٤٥، معانِي القـرآن للفراء ٢/ ٣٩٨، الأغانِـي ٢/ ٦١، المخصص ٩/ ٤٨، الكشف والبيان ٨/ ١٧٩، مختارات شعراء العرب ص ٤٤٨، عين المعانِي ورقة ١١٣/ أ، التذكرة الحمدونية ٩/ ٣٩٣.

(٤) البيتان من الرجز المشطور، لَمْ أقف على قائلهما، ومعنى «طُوّالِ الذَّنَب»: مُفْرِطُ الطُّولِ.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٩٩، المحتسب ٢/ ٢٣١، الكشف والبيـان ٨/ ١٧٩، مجمـع البيـان ٨/ ٣٤٠، زاد المسير ٦/ ٣٢٠، ٧/ ١٠٣، الفريـد للهمداني ٤/ ١٥٤، تاريخ دمشق ١١/ ٢٦٤، تاج العروس: طول.

قولـه تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ يعني: مِنْ أشْـراف قُرَيْشٍ ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾ يعنِـي: إلى أَبِي طالب، فاشْـكُوا ابنَ أخِيهِ إليـه، ﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾؛ أي: اثْبُتُوا على عبادة الأصنام ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ أي: لَأمْرٌ يُرادُ بنا.

وقولـه: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾ يقال في الأمر من المشـي: اِمْشُـوا، ومن الجَرْيِ: اِجْرُوا، وإنما كُسِرَت الألِفُ والثالثُ مضمومٌ؛ لأن الضمة عارضة على الشِّينِ، وأصله: اِمْشِيُوا بكسر الشين، وإنما حُذِفَتْ ضمةُ الياء للاستثقال، فبقيت الياء ساكنةً، والتقى الياء والواو، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وضُمَّ ما قبل الواو لتصح الواو، فهي عارضة، وليست / بأصل في العَيْنِ، ومن هاهنا لَمْ يختلفوا [١١٤/ ب] في كسـر النـون من قوله تعالـى: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾، كما اختلفـوا في: ﴿أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [(١)] بكسـر النـون وضمها؛ لكونها عارضة فـي ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾، وغير عارضة في ﴿أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ﴾ وما أشبهه.

والمَشْـيُ في الآية يمكن أن يُرادَ به الكثرةُ، مأخوذ من المَشاءِ وهو كثرة الماشية[(٢)]، وقد فَسَّرَ بعضُهُمْ ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾ بذلك، فكأنَّهُ دُعاءٌ لَهُمْ بِالنَّماءِ وَكَثْرةِ الماشِيةِ.

قولـه تعالـى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾؛ أي: مغلوبٌ ممنوعٌ من الصعود إلى السماء، وقيل: معناه: مقهورٌ، وأنت عليهم ـ يا محمدُ ـ

---

(١) النسـاء ٦٦، وقد اختلف القراء فيها، فقرأ عاصمٌ وحمزةُ: «أَنِ اقْتُلُوا» بكسر النون، ورُوِيَتْ أيضًـا عن أبِي عمرو، وقرأ ابن عامر وابن كثير ونافع والكسـائي: «أَنُ اقْتُـلُوا» بضم النون، ينظر: السبعة ص ٢٣٤.

(٢) قال ابن السـكيت: «وتقول: قد أَمْشَـى الرَّجُلُ: إذا كَثُرَتْ ماشِـيَتُهُ، وقد مَشَتِ الماشِيةُ: إذا كَثُـرَتْ أوْلادُها، وناقة ماشـية: كثيرة الأولاد». إصلاح المنطـق ص ٣٢٦، وينظر: تهذيب اللغة ١١/ ٤٣٨-٤٣٩.

مُظَفَّرٌ منصورٌ، و﴿جُندٌ﴾ خبرُ ابتداءٍ محذوفٍ، تقديره: هم جندٌ، و﴿مَّا﴾ صلةٌ زائدةٌ أي: هنالك، وهو إشارة إلى بَدْرٍ ومصارعهم بها، نصبٌ على الظرف، و﴿مَهۡزُومٞ﴾ نعتٌ ﴿جُندٞ﴾ [١].

قوله تعالى: ﴿إِن كُلٌّ﴾؛ أي: ما كُلٌّ منهم ﴿إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤﴾؛ أي: فوجب عليهم عقابِي بتكذيبهم رسلي، ومحل ﴿عِقَابِ﴾ رفعٌ لأنه فاعلٌ، وإنما كسرت الباء لتدل على سقوط الياء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كفار مكة ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ يعني: نفخة القيامة ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾ أي: رجوعٍ، وقيل: سكونٍ، وفيه لغتان: بضم الفاء، وهي لغة تميم وقراءةُ يحيى والأعمش وحمزة والكسائي وخلَفٍ، وبالفتح، وهي لغة قريشٍ وقراءةُ سائرِ القُرّاءِ[٢] واختيارُ أَبِي عُبَيْدٍ بالفتح، بمعنى الراحة والإفاقة، ذهبوا إلى إفاقة المريض من عِلَّتِهِ.

والفُواقُ بالضم: ما بين الحَلْبَتَيْنِ[٣]؛ أي: ما لها انتظار، وهو مشتقٌّ من الرجوع أيضًا؛ لأنه يعود اللبنُ إلى الضَّرْعِ بين الحَلْبَتَيْنِ، وهو أن تُحْلَبَ الناقةُ ثم تُتْرَكُ ساعةً إلى أن يجتمع اللبنُ[٤]، فما بين الحَلْبَتَيْنِ فُواقٌ، فاستُعِيرَ في

---

(١) ويجوز أن يكون «جُنْدٌ» مبتدأً، و«مَهْزُومٌ» خبره، و«ما» زائدة، و«هُنالِكَ» ظرف متعلق بمحذوف نعت لـ«جُنْدٌ»، ويجوز أن يكون «جُنْدٌ» مبتدأ، و«هُنالِكَ» الخبر، و«مَهْزُومٌ» نعت «جُنْدٌ»، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٤٨، كشف المشكلات ٢/ ٢٦٠، التبيان للعكبري ص ١٠٩٨، الفريد للهمداني ٤/ ١٥٥، الدر المصون ٥/ ٥٢٦.

(٢) ينظر: السبعة ص ٥٥٢، البحر المحيط ٧/ ٣٧٣، النشر ٢/ ٣٦١، الإتحاف ٢/ ٤١٩.

(٣) قال ابن السكيت: «وهو فُواقُ النّاقةِ وفَواقُها، وهو ما بين الحَلْبَتَيْنِ، يقال: لا تَنْتَظِرْهُ فُواقَ ناقةٍ وفَواقَ ناقةٍ، وقَرَأت القُرّاءُ: «ما لَها مِنْ فَواقٍ» و«فُواقٍ»، وأما الفُواقُ الذي يأخذ الرَّجُلَ فمضموم لا غير». إصلاح المنطق ص ١٠٧.

(٤) ينظر: إصلاح المنطق ص ١٠٧، تهذيب اللغة ٩/ ٣٣٧-٣٣٨، معاني القراءات ٢/ ٣٢٥.

موضع الانتظار مُدّةً يَسِيرةً، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رابَطَ فُواقَ ناقَتِهِ في سَبِيلِ اللهِ حَـرَّمَ اللهُ عزّ وجلّ جَسَـدَهُ عَلَى النّارِ»(١)، فأما الفُـؤاقُ بالضم والهمز فهو الوَجَعُ لا غَيْرُ(٢)، ومعنى الآية: ليس بَعْدَ الصيحة إفاقةٌ ولا رجوعٌ إلى الدنيا.

قوله: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ يعنون: حَظَّنا ونَصِيبَنا مـن الجنة التي تقـول يا محمد، يقولون ذلك استهزاءً، وقيـل: معناه: عَجِّلْ لنا كُتُبَنا إلى النار، والقِطُّ في كلام العرب: الحظ والنصيب(٣)، وقيل(٤): القِطُّ: الكتـاب بالجوائـز، وجمعه: قُطُوطٌ، قـال ثعلب عن ابن الأعرابـي(٥): القِطُّ: الصحيفة، والقِطُّ: الكتاب. وأصله من الكتابة.

ثم قال الله تعالـى لِنَبِيِّهِ محمدٍ ﷺ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ يعني: ذا القوة/ والعبادة ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ مُطِيعٌ رَجّاعٌ إلى الله بالتوبة، [١١٥/ أ]
وقيـل(٦): الأوّابُ هـو المُسَـبِّحُ بلغـة الحَبَـشِ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسـبيحه ﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾؛ أي: بالعشي وحين تزول الشمس، قال ابن عبّاسٍ(٧): وكان داود عليه السّلام يفهم تسبيح الحجر والشجر.

---

(١) رواه العقيلي عن السيدة عائشة في الضعفاء الكبير ١/ ٢٢، ٢/ ١٤٣، وقال: «هذا الحديث منكر»، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٨١، عين المعانِي ١١٣/ أ.
(٢) هذا القول حكاه الأزهري عن ابن الأعرابِيِّ فِي التهذيب ٩/ ٣٣٧، وينظر: ياقوتة الصراط ص ٤٣٧.
(٣) قاله الفراء والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤٠٠، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٢٣، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٨٧.
(٤) قالـه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٧٩، وينظـر: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٨٨، إعراب القرآن ٣/ ٤٥٧، تهذيب اللغة ٨/ ٢٦٥، عين المعانِي ورقة ١١٣/ أ.
(٥) قول ثعلب حكاه عنه تلميذه أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٤٣٧-٤٣٨.
(٦) قاله سعيد بن جبير، ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٨٣.
(٧) ينظر قوله في المصدر السابق ٨/ ١٨٣.

قوله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ أي: وسَخَّرْنا له الطَّيْرَ مجموعةً ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ أي: مطيعٌ ومُسَبِّحٌ، وهو ابتداءٌ وخبرٌ، ونصب ﴿مَحْشُورَةً﴾ على الحال، قال الفراء[1]: ولو قُرِئَ: «والطَّيْرُ مَحْشُورةٌ» بالرفع لَجازَ؛ لأنه لَمْ يظهر الفعل.

قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾؛ أي: قَوَّيْناهُ، وقرأ الحسن: «وَشَدَّدْنا مُلْكَهُ» بالتشديد[2]، قال ابن عبّاسٍ[3]: كان داودُ عليه السّلام أشَدَّ ملوك الأرض سلطانًا، وكان يحرس محرابه ثلاثةٌ وثلاثون ألف رَجلٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾، ويقال: كان داود عليه السّلام إذا جلس للحكم كان عن يمينه ألف رجلٍ من الأنبياء، وعن يساره ألف رجلٍ من الأخيار.

قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ فالحكمة هي النبوة والإصابة في الأمور، وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه، فقال ابن عبّاسٍ[4]: هو بيان الكلام. وقيل[5]: هو عِلْمُ الكلامِ، وقال عَلِيُّ بن أبِي طالب عليه السّلام[6]: هو البَيِّنةُ على المُدَّعِي واليَمِينُ على مَنْ أنْكَرَ.

---

(١) قال الفراء: «ولو كانت «والطَّيْرُ مَحْشُورةٌ» بالرفع لَمّا لَمْ يظهر الفعل معها، كان صوابًا، تكون مثل قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]. معانِي القرآن ٢/ ٤٠١، وقد قرأ بالرفع إبراهيمُ بنُ أبِي عبلةَ وعاصمٌ الجَحْدَرِيُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٠، شواذ القراءة للكرمانِي ورقة ٢٠٣، البحر المحيط ٧/ ٣٧٤.

(٢) وهي قراءة ابن أبِي عبلة أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٠، شواذ القراءة للكرمانِي ورقة ٢٠٣، البحر المحيط ٧/ ٣٧٤.

(٣) ينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٥٤٤، وفيه: «ستة وثلاثون ألف رجل». عين المعانِي ورقة ١١٣/ أ.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٨٤.

(٥) قاله ابن مسعود والحسن ومقاتل والسُّلَمِيُّ والكلبي، ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٨٤.

(٦) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٨٤، الوسيط ٣/ ٥٤٥، الكشاف ٣/ ٣٦٥، المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧، البحر المحيط ٧/ ٣٧٤.

وقال الشَّعْبِيُّ(١): «سمعت زِيادًا يقول: فصل الخطاب الذي أُعْطِيَ داودُ عليه السّلام: «أمّا بَعْدُ»، قيل: وهو أول من قالها.

وإنما قيل لها: فصل الخطاب لأن الكلام يُسْتَفْتَحُ بحمد الله، ثم يقال: أما بَعْدُ، فالأمر كذا وكذا، فقد فَصَلْتَ بين ذِكْرِ اللهِ وبين الأمر الذي قَصَدْتَ، هكذا في الكتب يقال: مِنْ فلانٍ إلى فلانٍ، سلامٌ عليك، أمّا بَعْدُ، فكذا وكذا، ومنه قول القائل: فلانٌ ليس له أصْلٌ ولا فَصْلٌ، فالأصل: النسب المعروف، والفصل: اللسان الذي يفصل بين الحق والباطل.

قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ يقال: تَسَوَّرْتُ الحائطَ والسُّورَ: إذا عَلَوْتَهُ، وإنما قال: ﴿تَسَوَّرُواْ﴾، والخَصْمُ هاهنا اثنان؛ لأنه على مذهب من يجعل الاثنين جماعةً، فجمع الفعل لأن الاسم يصلح للواحدِ والاثنينِ والجمعِ والمذكرِ/ والمؤنثِ؛ لأن معنى الجمع ضَمُّ [١١٥/ ب] الشيءِ إلى الشيء، فالاثنان فما فوقهما جماعة، كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾(٢)، وقيل(٣): الخَصْمُ مَصْدَرٌ، أي: ذَوُو الخَصْمِ، فلا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ، قال الشاعر:

---

(١) ينظر قوله في: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٢٥، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣٥١، الكشف والبيان ٨/ ١٨٥، المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧، البحر المحيط ٧/ ٣٧٤.

(٢) التحريم ٤، قال سيبويه: «وسألت الخليل، رحمه الله، عن: ما أَحْسَنَ وُجُوهَهُما، فقال: لأن الاثنين جميع، وهذا بِمَنْزِلةِ قول الاثنين: نحن فعلنا ذاك، ولكنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يكون منفردًا، وبين ما يكون شيئًا من شيء، وقد جعلوا المفردين أيضًا جميعًا، قال الله، جل ثناؤه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢١-٢٢]. الكتاب ٢/ ٤٨، وقال مثله في الكتاب ٣/ ٦٢٢.

(٣) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٢٥، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٩٤، إعراب القرآن ٣/ ٤٥٩.

١٩٤ ـ وَخَصْمٍ غِضابٍ يَنْفِضُونَ لِحاهُمُ كَنَفْضِ البَراذِيـنِ الغِراثِ المَخالِيا[١]

وقولـه: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: فخـاف منهمـا حين دخلا عليـه محرابه بغير إذنه، وقد يجاء بـ«إذْ» مرتين، ويكون معناهما كالواحد[٢]، كقولك: ضَرَبْتُكَ إذْ دَخَلْـتَ عَلَيَّ إذِ اجْتَرَأْتَ، فالدخول هو الاجتراء، ويجوز أن تجعل أحدهما على مذهب «لَمّا»[٣].

قوله: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: نحن خصمانِ بَغَى بَعْضُنا على بعضٍ، وأنشد الفراء[٤]:

١٩٥ ـ تَقُولُ ابْنَةُ الكَعْبِيِّ يَوْمَ لَقِيتُها أَمُنْطَلِـقٌ فِـي الجَيْـشِ أَوْ مُتَثاقِلُ[٥]

---

(١) البيت من الطويل للراعي النميري، يمدح هشام بن عبد الملك، وقد جاء في أصل المخطوط كما يلي: «وخصم غصام... البراذين الغزار»، ورواية ديوانه: «البَراذِينِ الغِراثِ»، ويُرْوَى:

جُلُوسًـا عَلَيْها يَنْفِضُـونَ لِحاهُمُ كَما نَفَضَتْ عُجْفُ البِغالِ المَخالِيا

اللغـة: البَراذِينُ: جمع بِرْذَوْنٍ، والبراذيـن من الخيل: ما كان من غير نتاج العرب، الغِراثُ: جمع غَرْثانَ وهو الجائع.

التخريج: ديوانه ٢٩١، رسائل الجاحظ ٢/ ٢٥١، المعانِي الكبير ص ٨٢٥، الكشف والبيان ٨/ ١٨٧، عين المعانِي ورقة ١١٣/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ١٦٥، فتح القدير ٤/ ٤٢٥.

(٢) في الأصل: «معناها كالواو»، والتصويب من معانِي القرآن للفراء.

(٣) مـن أول قوله: «وَقَدْ يُجاءُ بِإذْ مَرَّتَيْنِ» قاله الفـراء في معانِي القرآن ٢/ ٤٠١، وبقية كلامه: «فكأنه قال: إذ تَسَوَّرُوا المِحْرابَ لَمّا دخلوا، وإن شئت جعلت «لَمّا» في الأول، فإذا كانت «لَمّا» أولًا وآخِرًا فهي بعد صاحبتها، كما تقول: أعطيته لَمّا سَـأَلَنِي، فالسـؤال قبل الإعطاء في تقدمـه وتأخره». وقال النحاس: «فجاءت «إذْ» مرتيـن؛ لأنهما فعلان، وزعم الفراء أن إحداهما بمعنى «لَمّا»، وقولٌ آخرُ: أن تكون الثانية وما بعدها تَبْيِينًا لِما قَبْلَها». إعراب القرآن ٣/ ٤٥٩.

(٤) معانِي القرآن ٢/ ٤٠٢.

(٥) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، ويُرْوَى: «لَمّا لَقِيتُها». =

أراد: أَأَنْتَ مُنْطَلِقٌ؟ ويجوز: خَصْمَيْنِ، على معنى: جِئْناكَ خَصْمَيْنِ[١] ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَجُرْ، وقيل: لا تُسْرِفْ، وقرأ أبو رجاء العطاردي: «تَشْطُطْ» بفتح التاء وضم الطاء الأولى[٢]، ومعناه: ولا تبعد عن الحق، والشَّطَطُ والإشْطاطُ: مُجاوَزةُ الحَدِّ، وأصل الكلمة من قولهم: شَطَّت الدارُ وأَشَطَّتْ: إذا بَعُدَتْ[٣] ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢﴾ يعني: وَسَطَ الطريق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ على التمثيل لا على التحقيق؛ لكونهما مَلَكَيْنِ على طريقٍ واحدةٍ وجنسٍ واحدٍ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤]، ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ يريد امرأةً ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ فالنعجة: البقرة الوحشية، وهذا من أحسن التعريض حيث كَنَى بالنِّعاجِ عن النساء، والعرب تفعل ذلك كثيرًا فِي أشعارهم[٥].

= **التخريج**: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤٠٢، جامع البيان ٢٣/ ١٦٩، إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٦١.

(١) هذا أيضًا من كلام الفراء، وأنشد شاهدًا لذلك:

وَقالَتْ: ألا يا اسْمَعْ نَعِظْكَ بِخُطّةٍ فَقُلْتُ: سَـمِيعًا، فانْطِقِي وَأَصِيبِي

ثم قال الفراء: «أي: سَـمِيعًا أَسْمَعُ منك، أو سميعًا وَعَظْتِ، والرفع فيه جائز». معاني القرآن ٢/ ٤٠٢، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٢٦، إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٦١-٨٦٢.

(٢) وهي أيضًا قراءة قتادة وأبِي حيوة وابن أبِي عبلة والحسن، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٠، المحتسب ٢/ ٢٣١، شواذ القراءة للكرمانِيِّ الورقة ٢٠٣، البحر المحيط ٧/ ٣٧٦.

(٣) قاله ابن قتيبة فِي تفسير غريب القرآن ص ٣٧٨، وينظر: تهذيب اللغة ١١/ ٢٦٤.

(٤) الحجرات ١٠، وهذا القول قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ١٨٨.

(٥) ينظر فـي هذه الكناية: تأويـل مشـكل القـرآن ص ٢٦٦-٢٦٧، معانِي القـرآن وإعرابه ٤/ ٣٢٦، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٩٧، الكناية والتعريض للثعلبي ص ٩، ١٠، الكشف والبيان ٨/ ١٨٩، تفسير القرطبي ١٥/ ١٧٢.

وقولـه: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾؛ أي: أَعْطِنِيها، وقيل: ضُمَّها إِلَيَّ حتى أَكْفُلَها، ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ۝٢٣﴾؛ أي: غَلَبَنِـي، مأخـوذٌ من المُعازَّةِ، وهـي المُغالَبَةِ، ﴿قَالَ﴾ داود ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ يعني الشركاء ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصبٍ على الاستثناء، و﴿مَّا هُمْ﴾ مؤكِّدةٌ، كأنه قال: ما أَقَلَّهُمْ، تقول: قَلِيلٌ ما، أي: قَلِيلٌ وأيُّ قَلِيلٍ[1].

قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾؛ أي: ابْتَلَيْناهُ بالخطيئة، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ يعني: سأل داوُدُ عليه السّلام رَبَّهُ غُفْرانَ خطيئته التي أخطأها، وقصته مشهورةٌ، ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ يعني ساجدًا، وعَبَّرَ بالركوع عن السجود لأن كليهما بمعنى الانحناء[2]، ﴿وَأَنَابَ ۝٢٤﴾ راجعٌ/ [إلى] ما يُحِبُّ اللهُ تعالى من التوبة والاستغفار، ونصب ﴿رَاكِعًا﴾ على الحال. [١١٦/ أ]

قولـه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ يعنـي الذَّنـب، ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا﴾ فـي الآخرة ﴿لَزُلْفَىٰ﴾ لَقُرْبـةً ومَكانةً ومَنْزِلةً حَسَـنةً ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥﴾ يعني الجنة التي هي مآب الأوليـاء والأنبياء، ومَحَلُّ «زُلْفَى» نصبٌ؛ لأنه اسـم «إنَّ»، وخبرها قوله: ﴿لَهُۥ عِندَنَا﴾.

---

(١) ويجوز أن تكون «ما» اسـمًا موصولاً بمعنى «الَّـذِي» في موضع رفع على الابتداء، وخبره «قَلِيـلٌ»، و«هُمْ» مبتـدأ، وخبره محذوف، والجملة صلة «مـا»، والمعنى: وقليل الذين هُمْ كذلك، ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٣٣٣، ٨٦٢، كشف المشكلات ٢/ ٢٦٢، عين المعاني ١١٣/ أ، الفريد ٤/ ١٦١.

(٢) قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٥٤٩، وينظر: زاد المسير ٧/ ١٢٢، القرطبي ١٥/ ١٨٢.

قَصَصٌ

رُوِيَ أن داود عليه السّلام لَمّا أصاب الخطيئة فَزِعَ إلى العُبّادِ، فأتى راهبًا في قُلّةِ[١] جَبَلٍ، فناداه بصوتٍ عالٍ، فلم يُجِبْهُ، فلما أَكْثَرَ عليه الصوتَ قال: مَنْ هذا الذي يُنادِي؟ قال: أنا داود نَبِيُّ الله، قال: صاحب القصور الحسنة والخيل المُسَوَّمةِ والنساء والشهوات؟ لئن نِلْتَ الجَنّةَ بهذا لأَنْتَ أَنْتَ، فقال داود: فمن أنت؟ قال: أنا راهبٌ راغبٌ مُرَغِّبٌ، قال: فمن أَنِيسُكَ؟ ومن جليسك؟ قال: اِصْعَدْ تَراهُ إنْ كُنْتَ تُرِيدُ ذلك، قال: فَتَخَلَّلَ داودُ الجبالَ حتى صار إلى القُلّةِ، فإذا هو بمَلِكٍ مُسَجًّى، فقال: هذا جَلِيسُكَ وَأَنِيسُكَ؟ قال: نعم، قال: مَنْ هُوَ؟ قال: مَلِكٌ قِصَّتُهُ مَكْتُوبةٌ فِي لَوْحٍ نحاسٍ عند رأسه، قال: فَقَرَأَ الكتابَ، فإذا فيه مكتوبٌ: أنا فلانُ ابنُ فلانٍ مَلِكُ الأمْلاكِ، عِشْتُ أَلْفَ عام، وبَنَيْتُ أَلْفَ مَدِينةٍ، وهَزَمْتُ أَلْفَ عَسْكَرٍ، وأَحْصَنْتُ أَلْفَ امْـرَأةٍ، وافْتَضَضْتُ أَلْفَ عَذْراءَ، فبينما أنـا فِي مُلْكِي أتانِي مَلَكُ الموت، فأخرجني مما أنا فيه، فهذا الترابُ فِراشِي، والدُّودُ جِيرانِي، قال: فَخَرَّ داوُدُ عليه السّلام مَغْشِيًّا عليه»[٢].

وعن ابن عُمَرَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان الناس يَعُودُونَ داوُدَ عليه السّلام، يَظُنُّونَ أَنّ به مَرَضًا، وما به مَرَضٌ إلا الخوفُ والحَياءُ من الله»[٣]، ورُوِيَ عن داود عليه السّلام أنه ما رَفَعَ رَأْسَهُ بعد الخطيئةِ إلَى السماء حَياءً[٤].

---

(١) القُلّةُ: أعْلَى الجَبَلِ، وقُلّةُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلاهُ. اللسان: قلل.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ١٩٥-١٩٦.

(٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ١٩٦، وينظر: تاريخ دمشق ٥١/ ٢٣، وقال: «غريب جدًا»، الجامع الصغير ٢/ ٢٦٧، كنز العمال ١١/ ٤٩٣.

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ١٩٧، وينظر: المحرر الوجيز ٤/ ٥٠١، الدر المنثور للسيوطي ٥/ ٣٠٣.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾؛ أي: ما خلقناهما إلا للثواب والعقاب، ونصب ﴿بَٰطِلًا﴾ على الحال، ويحتمل أن يكون نَعْتَ مَصْدَرٍ محذوفٍ، تقديره: خَلْقًا باطِلاً[1]، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني أهل مكة هُم الذين ظنوا أنهما خُلِقا بغيرِ شَيْءٍ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ جمع صافِنٍ، وهي الخيل القائمة على ثَلاثِ قَوائِمَ، وقد أقامت الأخرى على طَرَفِ الحافر مِن يَدٍ أو رِجْلٍ[2]، قال عمرو ابن كلثوم:

١٩٦ ـ تَرَكْنا الخَيْلَ عاكِفةً عَلَيْهِ ... مُقَلَّدةً أعِنَّتَها صُفُونا[3]

وقال آخر:/

---

(١) ويجوز أن يكون مفعولاً له، ينظر: الفريد للهمداني ٤/ ١٦٢، الدر المصون ٥/ ٥٣٣.

(٢) حكاه الفراء عن الكلبي في معاني القرآن ٢/ ٤٠٥، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٩، شمس العلوم لنشوان الحميري ٦/ ٣٧٧٢.

(٣) البيت من الوافر، من معلقته، ويُرْوَى:

تَظَلُّ جِيادُهُ نَوْحًا عَلَيْهِ

ويُرْوَى:

تَرَكْنا الخَيْلَ وَهْيَ عَلَيْهِ نَوْحًا

اللغة: عاكفة عليه: مقيمة، القلادة: ما جعل في العنق، ولا يُقَلَّدُ من الخيل إلا سابق كريم.

التخريج: ديوانه ص ٥٧، مجاز القرآن ١/ ٤٠٤، معاني القرآن للأخفش ص ٩٦، الزاهر ٢/ ١٠٠، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٣١٣، شرح القصائد المشهورات ٢/ ٩٩، المحتسب ٢/ ٨١، مقاييس اللغة ٤/ ١٠٩، الكشف والبيان ٨/ ٢٠٠، جمهرة أشعار العرب ص ٢٨١، أمالي المرتضى ١/ ١٠٥، أمالي ابن الشجري ١/ ١٠٧، شمس العلوم ٧/ ٤٦٩٩، شرح المعلقات السبع ص ١٧٢، شرح المفصل ١٠/ ٩٤، التاج: عكف.

١٩٧ ـ أَلِفَ الصُّفُونَ، فَما يَزالُ كَأَنَّهُ مِمّــا يَقُومُ عَلَــى الثَّلاثِ كَسِــيرا[(١)]

يقال: صَفَــنَ الفَرَسُ يَصْفِــنُ صُفُونًا: إذا قام على ثَــلاثٍ وقَلَبَ إحدى حوافره.

وقال القتيبي[(٢)]: الصافن في كـلام العرب: الواقف من الخيل وغيرها، قــال النبي ﷺ: «مَنْ سَــرَّهُ أَنْ يَقُومَ لَــهُ الرِّجالُ صُفُونًا ـ يَعْنِــي: وُقُوفًا ـ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ»[(٣)].

قال البَيْــوَرْدِيُّ[(٤)]: والصّافِناتُ: الخيل التي تقف وتَثْنِي سَــنابِكَ إحْدَى الرِّجْلَيْنِ، وهي أَحْسَنُ الخيل.

والجِيــادُ: الخَيْــلُ السِّــراعُ، جمع جَوادٍ، وســميت جِيــادًا؛ لأنها تجود بالرَّكْضِ[(٥)]، وقيل[(٦)]: الجِيادُ: الطِّوالُ الأَعْناقِ، مأخوذٌ من الجِيدِ.

---

(١) البيت من الكامل، لَمْ أقف على قائله.

اللغة: قوله: «مِمّا يَقُومُ» معناه: من الجنس الذي يقوم على الثلاث، فجعل «ما» اسمًا منكرًا.

التخريج: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٠، الحجة للقراء السـبعة ٤/ ٨٢، ١٤٧، المسـائل الحلبيات ص ٢٠٠، الأزهية ص ٨٧، أمالِيُّ ابن الشـجري ١/ ٨٥، ١٠٦، شـمس العلوم ٣/ ٧٧٢، عيـن المعانِـي ورقـة ٨٦/ ب، ١١٣/ ب، اللســان: صفـن، البحـر المحيـط ٧/ ٣٧٢، مغني اللبيب ص ٤١٩، شرح شواهد المغني ص٧٢٩.

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٣٧٩.

(٣) ينظر: زاد المسير ٧/ ١٢٧، عين المعانِي ورقة ١١٣/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ١٩٣.

(٤) ياقوتة الصراط ص ٤٣٨.

(٥) حكاه النحاس عن مجاهد في معانِي القرآن ٦/ ١٠٩، وينظر: عين المعانِي ورقة ١١٣/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ١٩٢.

(٦) ذكره السـجاوندي بغير عزو في عيـن المعاني ورقة ١١٣/ ب، وينظـر: الفريد للهمداني ٤/ ١٦٣، تفسير القرطبي ١٥/ ١٩٣.

قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ يعني الخيل، وسُمِّيَت الخَيْلُ الخَيْرَ لِما فيها من المنافع[١]، وجاء في الحديث: «الخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَواصِي الخَيْلِ إِلَى يَوْمِ القِيامةِ»[٢]، والعرب تعاقب بين اللّام والراء، فتقول: انْهَمَلَتْ العَيْنُ وانْهَمَرَتْ، وخَتَلْتُ الرَّجُلَ وخَتَرْتُهُ: إذا خَدَعْتَهُ، وفي قراءة ابن مسعود: «إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْلِ»[٣]، وقال مقاتلٌ: حب الخير يعني المال، والمعنى: أَحْبَبْتُ الخَيْرَ حُبًّا، ثم أضاف المصدر[٤].

وقوله: ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾؛ أي: على ذكر رَبِّي[٥]، يعني صلاة العصر، أو تسبيحًا كان وِرْدًا له ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾ يعني الشمس، كِنايةٌ عن غير مذكورٍ، أي: اسْتَتَرَتْ بالليل بما يَحْجُبُها عن الأبصار، فَأَضْمَرَها وَلَمْ يَجْرِ لَها ذِكْرٌ، والعرب تفعل ذلك إذا كان فِي الكلام ما يَدُلُّ على المضمر[٦]، كقول لبيدٍ:

---

(١) قاله أبو بكر السجستانِيُّ في تفسير غريب القرآن ص ١٣٤.

(٢) رواه البخاري بسنده عن عُـرْوةَ البارِقِيِّ في صحيحه ٤/ ١٨٧ كتاب بدء الخلق: باب علامات النبوة في الإسلام، ورواه الطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٢/ ٣٣٨، ١٧/ ١٥٥، ١٥٨، ١٦٠.

(٣) ينظر في هذه القراءة: شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٠٨، وقال الفراء: «والخير في كلام العرب: الخيل». معانِي القرآن ٢/ ٤٠٥، وينظر أيضًا: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٠٩.

(٤) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٨٢.

(٥) يعني أن «عَنْ» بمعنَى «عَلَى»، وينظر: كشف المشكلات ٢/ ٢٦٣، الفريد للهمداني ٤/ ١٦٥، الدر المصون ٥/ ٥٣٤.

(٦) قاله ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٦، وينظر أيضًا: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣١، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١١٠، الإغفال للفارسي ١/ ٣٥٥.

١٩٨ ـ حَتَّى إذا أَلْقَتْ يَدًا فِي كافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْراتِ الثُّغُورِ ظَلامُها[1]

والحجاب: جَبَلٌ دُونَ جَبَلِ قافٍ بمسيرةِ سنةٍ، تغرب الشمسُ من ورائه، ويقال[2]: إن الحجاب: جبلٌ أخضر ممدودٌ من ياقوتٍ محيطٌ بالخلائق، فمنه اخْضَرَّت السماءُ، واخْضَرَّ البحرُ من السماء.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ قيل: الكناية راجعةٌ إلى الخيل، وقيل[3]: إلى الشمس، رَدَّها اللهُ تعالى على سليمان عليه السّلام حتى صَلَّى العصر فِي وقتها، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ وهو نصبٌ على [المصدر][4]، يقال: طَفِقَ

---

(١) البيت من الكامل، لِلَبِيدٍ يصف الشمس.
اللغة: إلقاء اليد: استعارةٌ لغروب الشمس، الكافر: البحر لِسَتْرِهِ ما فيه، أو أراد الليل، أَجَنَّ الظلامُ الشيءَ: سَتَرَهُ.
التخريج: ديوانه ص ١٧٦، غريب الحديث للهروي ٣/ ١٣، الجيم ٣/ ١٦٨، المعانِي الكبير ص ٣٥٨، الزاهر لابن الأنباري ١/ ١١٩، المحتسب ٢/ ٢٣٣، مقاييس اللغة ٥/ ١٩١، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ١٩٦، اللسان: كفر، يدي، التاج: كفر.

(٢) قاله قتادة وكعب، ينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ١٩٥.

(٣) وعلى هذا القول فالخطاب للملائكة، ولكن أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن الضمير للجياد، ينظر: زاد المسير ٧/ ١٣٠، الفريد ٤/ ١٦٦، تفسير القرطبي ١٥/ ١٩٦، الدر المصون ٥/ ٥٣٥.

(٤) أي أنه مفعولٌ مطلقٌ، والعامل فيه فعل محذوف هو خبر لـ«طفق»، أي: طفق يمسح مسحا، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٤٥٤، مجاز القرآن ٢/ ١٨٣، وأجاز العكبري والهمدانِيُّ أن يكون «مَسْحًا» مصدرًا في موضع الحال أي: فَطَفِقَ ماسِحًا، ينظر: التبيان للعكبري ص ١١٠١، الفريد ٤/ ١٦٦، قال السمين: «وهذا ليس بشيء؛ لأن «طَفِقَ» لا بُدَّ لَها من خَبَرٍ». الدر المصون ٥/ ٥٣٥.

يَطْفَقُ طَفَقًا وطُفُوقًا[1]، مثل: ظَلَّ وباتَ، ومَسَحَ يَمْسَحُ مَسْحًا، قال الفراء[2]: والمسح هاهنا: القطع.

والسُّوقُ جمع ساقٍ، يقال: سُوقٌ وسِيقانٌ وأَسْوُقٌ وسُؤْقٌ أيضًا، وسُؤُوقٌ ممدودٌ مهموزٌ جمع ساقٍ أيضًا، وقرأ قنبل: «بالسُّؤْقِ» مهموزًا[3]، والأعناق جمع عُنُقٍ، والمعنى: أنه أَقْبَلَ يضرب سُوقَها وأعْناقَها[4]؛ لأنها كانت سَبَبَ فَواتِ صَلاتِهِ / ، وقيل[5]: معناه: أنه كان يمسح الغبار عنها حُبًّا لها لكرامتها عليه، وجعلها حُبْسًا فِي سبيل الله تعالى.

فَصْلٌ

عَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَمّا أرادَ اللهُ تعالى أَنْ يَخْلُقَ الخَيْلَ قال لريحِ الجنوبِ: إِنِّي خالِقٌ منكِ خَلْقًا، فأجعله

---

(١) قال الأخفش: «وقال: «وَطَفِقًا» [الأعراف ٢٢]، وقال بعضهم: وَطَفَقًا، فمن قال: طَفَقَ قال: يَطْفِقُ، ومن قال: طَفِقَ قال: يَطْفَقُ». معانِي القرآن ص ٢٩٦، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٢/ ٣٢٧، وقال الأزهري: «الليث: طَفِقَ بمعنى عَلِقَ يَفْعَلُ كذا، وهو يَجْمَعُ معنى ظَلَّ وباتَ، قال: ولُغةٌ رديئة: طَفَقَ». تهذيب اللغة ١٦/ ٢٨٥، وينظر: الصحاح ٤/ ١٥١٦.

(٢) معانِي القرآن ٢/ ٤٠٥.

(٣) قرأ ابن كثير في رواية قُنْبُلٍ عنه، وعليُّ بنُ نصر: «بِالسُّؤْقِ»، وقرأ قنبل عن ابن كثير أيضًا، وابنُ محيصن: «بِالسُّؤُوقِ» بهمزة بعدها واوٌ، ينظر: السبعة ص ٥٥٣-٥٥٤، البحر المحيط ٧/ ٣٨٠، النشر ٢/ ٣٣٨، الإتحاف ٢/ ٤٢١.

(٤) قاله أكثر المفسرين، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤٠٥، جامع البيان ٢٣/ ١٨٥، ١٨٦، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٩، الكشف والبيان ٨/ ٢٠١، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣١، إعراب القرآن ٣/ ٤٦٣، ومعانِي القرآن للنحاس ٦/ ١١٢، زاد المسير ٧/ ١٣١.

(٥) قاله ابن عباس ومجاهد، ينظر: جامع البيان ٢٣/ ١٨٦، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١١٢، زاد المسير ٧/ ١٣١.

عِزًّا لأوليائي، ومَذَلّةً على أعدائي، وجَمالاً لأهلِ طاعتِي، فقالت الريح: اخْلُقْ، فقبض منها قَبْضةً، فخَلَقَ فَرَسًا، فقال له: خَلَقْتُكَ عَرَبيًّا، وجعلتُ الخَيْرَ معقودًا بناصيتِكَ، والغنائمَ مجموعةً على ظَهْرِكَ، وعَظَّمْتُ عليك صاحِبَكَ، وجعلتك طَيْرًا بلا جَناحٍ، فأنتَ لِلطَّلَبِ، وأنتَ لِلْهَرَبِ، وسأجعل على ظَهْرِكَ رجالاً يُسَبِّحُونَنِي ويُحَمِّدُونَنِي ويُكَبِّرُونَنِي، فَتُسَبِّحُنِي إذا سَبَّحُوا، وتُهَلِّلُنِي إذا هَلَّلُوا، وتُكَبِّرُنِي إذا كَبَّرُوا»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ تَسْبِيحةٍ وتَحْمِيدةٍ وتَمْجِيدةٍ وتَكْبِيرةٍ يُكَبِّرُها صاحِبُها فيسمعها إلا يُجِيبُه بِمِثْلِها»[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: ابتليناه واختبرناه بِسَلْبِ مُلْكِهِ، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ يعني الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾؛ أي: رجع بعد أربعين يومًا إلى مُلْكِهِ، فلما رجع ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ أي: لا يكون لأحدٍ من بعدي أبدًا، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ٣٥﴾ فاستجبنا له ذلك، فلم يكنْ لأحدٍ بَعْدَهُ من الملك ما كان له، وذلك قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾؛ أي: ساكنة لَيِّنةً رِخْوةً سَهْلةً مُطِيعةً طَيِّبة الهُبُوبِ ﴿حَيْثُ أَصَابَ ٣٦﴾ يعني: حيث أراد من النواحي، يقال: أصابَ اللهُ بكَ خَيْرًا: أي أراد الله بك خيرًا[2]، وتقول العرب[3]: أصابَ الصَّوابَ، فَأَخْطَأَ الجَوابَ، قال الشاعر:

---

(١) قال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع بلا شك». الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ٢٢٤، وينظر أيضًا: الدر المنثور ٣/ ١٩٥، كنز العمال ٤/ ٤٦٤.

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٨٣، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٣٤.

(٣) هذا القول حكاه الأصمعي عن العرب، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٨٠، الزّاهر ٢/ ١٩٤، معاني القرآن للنحاس ٦/ ١١٥، ياقوتة الصراط ص ٤٤٠-٤٤١، تهذيب اللغة ١٢/ ٢٥٣، الكشاف ٣/ ٣٧٥.

١٩٩ ـ أصابَ الصَّوابَ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَأَخْطـا الجَوابَ لَـدَى المُعْضِلِ[١]

ونصب ﴿رُخَآءً﴾ على الحال[٢].

قوله: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلرِّيحَ﴾؛ أي: وسخرنا له الشياطين ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ يَبْنُونَ له ما يَشـاءُ مِنْ مَحارِيـبَ وتَماثِيلَ، ﴿وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ يغوصون في البحار، يستخرجون له اللآلِئَ من البحر، وهو أولُ مَن استخرج اللؤلؤَ من البحر، ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ﴾؛ أي: وسـخرنا له آخرين من مَرَدةِ الشـياطين مُقَرَّنِينَ ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾؛ أي: مشـدودين فِي القيود، واحدها صَفَدٌ، ونصب ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ على النعت للشياطين[٣]، و﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطفٌ على «الشَّياطِينَ»، و﴿مُقَرَّنِينَ﴾ / نعت «آخَرِينَ».

قوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ قال الحسـن[٤]: إن الله عزّ وجلّ لَمْ يُعْطِ أحَدًا عَطِيّةً إلا جعل فيها حسـابًا إلا سـليمانَ، فإن الله أعطاه

---

(١) البيت من المتقارب، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: الكشف والبيان ٨/ ٢١١، المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٦، عين المعانِي ورقة ١١٣/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٠٥، البحر المحيط ٧/ ٣٨٢، الدر المصون ٥/ ٥٣٦، روح المعانِي ٢٣/ ٢٠٣.

(٢) وذهـب الأخفـش إلى أن «رُخـاءً» مفعول مطلق، فقـال: «فانتصاب «رُخـاءً»، والله أعلم، على: رَخَيْناها رُخاءً». معانِي القرآن ص ٤٥٤، وأكثر العلماء على أنه حال من الضمير في «تَجْـرِي»، أو من «الرِّيحَ»، ينظر: التبيان للعكبري ص ١١٠١، الفريد للهمدانِي ٤/ ١٦٧، الدر المصون ٥/ ٥٣٦.

(٣) «كُلَّ بَنّـاءٍ» بدل من «الشَّـياطِينَ»، وليس نَعْتًا له كما زَعَـمَ المؤلف هنا، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٣، الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ١٦٨.

(٤) ينظـر قوله في معانِـي القرآن للنحاس ٦/ ١١٨، الكشـف والبيان ٨/ ٢١١، زاد المسـير ٧/ ١٤١، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٠٦.

عَطاءً هَنِيئًا، فقال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ﴾ أي: أعْطِ مَنْ شِئْتَ، ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ عَمَّنْ شِئْتَ ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ قال: إنْ أعْطَى أُجِرَ، وإن لَمْ يُعْطِ لَمْ يكن عليه تَبِعةٌ.

وقال مقاتلٌ[(١)]: هو فِي أمر الشياطين، أراد: خَلِّ مَنْ شِئْتَ، وأَوْثِقْ مَنْ شِئْتَ منهم، ولا تَبِعةَ عليك فيما تَتَعاطاهُ، ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾ مرجعٍ ومصيرٍ.

فصْلٌ

عن أبِي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه صَلَّى صَلاةً، فقال: «إن الشيطان عَرَضَ لِي نَفْسَهُ عَلَى الصلاة، فأمكنني الله منه، فَذَعَتُّهُ ـ أي: خَنَقْتُهُ أَشَدَّ الخَنْقِ ـ، ولقد هَمَمْتُ أن أُوثِقَهُ إلى ساريةٍ حتى تصبحوا وتنظروا إليه أجمعين، فذكرتُ قَوْلَ سُلَيْمانَ: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾[(٢)]، فَرَدَّهُ اللهُ خاسِئًا، أو قال: خائبًا»[(٣)]، رواه البخاري عن إسحاق بن إبراهيم[(٤)] عن رَوْحٍ وغُنْدَرٍ، ورواه مسلمٌ عن إسحاق بن منصورٍ[(٥)] عن النَّضْرِ ابن شُمَيْلٍ، كلهم عن شُعْبَةَ.

---

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ٢١١.

(٢) جاءت الآية في الأصل هكذا: «رب هب لي ملكًا»، وهو خطأ.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٦١ كتاب الصلاة: باب ما يجوز من العمل في الصلاة، وصحيح مسلم ٢/ ٧٢ كتاب المساجد: باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٩٨.

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم بن مُخَلَّدٍ الحَنْظَلِيُّ، أبو يعقوب التميمي المَرْوَزِيُّ، المشهور بابن راهَوَيْهِ، عالِمُ خُراسانَ، وأحد كبار الحفاظ، ثقة صدوق ورع زاهد، طاف البلاد لأخذ الحديث، روى عنه ابن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم، توفِّي سنة (٢٣٨هـ). [سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٥٨: ٣٨٣، الأعلام ١/ ٢٩٢]

(٥) إسحاق بن منصور بن بَهْرامَ، أبو يعقوب المَرْوَزِيُّ، المعروف بالكَوْسَجِ، فقيه حنبلي =

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ بدلٌ من ﴿عَبۡدَنَآ﴾ ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾؛ أي: بتعبٍ ومَشَقّةٍ وبلاءٍ وضُرٍّ، قال مقاتلٌ: بِنُصْبٍ فِي الجَسَدِ وعَذابٍ فِي المال.

وفيه أربع لغاتٍ: يُرْوَى بضم النون والصاد، وهي قراءة أبي جعفرٍ، وبفتح النون والصاد، وهي قراءةُ يعقوبَ، وبفتح النون وجزم الصاد، وهي قراءة هُبَيْرةَ[1] عن حَفْصٍ عن عاصِمٍ، وبِضَمِّ النونِ وجَزْمِ الصادِ، وهي قراءة الباقين[2].

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾؛ أي: حَرِّكْ رِجْلَكَ ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ﴾ ابتداءٌ [وخبرٌ] ﴿بَارِدٞ﴾ نعته ﴿وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾﴾ عطفٌ على ﴿مُغۡتَسَلُۢ﴾ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ﴾ موعظةً ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ لذوي العقول، ونصب ﴿رَحۡمَةٗ﴾ على

= محدث ثقة ثبت مأمون، ولد بِمَرْوَ، ورحل إلى العراق والحجاز والشام، واستوطن نيسابور، وتوفي بها سنة (٢٥١هـ)، سمع من سفيان بن عيينة ووكيع والنضر بن شميل وغيرهم، روى له البخاري ومسلم. [تهذيب الكمال ٢/ ٤٧٤؛ ٤٧٨، الأعلام ١/ ٢٩٧].

(١) هو هُبَيْرةُ بن محمد التَّمّارُ، أبو عُمَرَ الأبرش البغدادي، أخذ القراءة عرضًا عن حفص، قرأ عليه حَسْنُونُ بن الهيثم وأحمد بن عليٍّ الخزاز والخضر بن الهيثم الطوسي. [غاية النهاية ٢/ ٣٥٣، الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٣٢].

(٢) قرأ أبو جعفر ونافعٌ والحسنُ وشيبةُ وأبو عمار والجُعْفِيُّ وأبو معاذٍ: «بِنُصُبٍ» بضمتين، وهي رواية أبِي عمارة عن حفص عن عاصم، وقرأ الجَحْدَرِيُّ والسُّدِّيُّ ويعقوب والحسن وزيد بن عَلِيٍّ وابن أبِي عبلة: «بِنَصَبٍ»، وقرأ هُبَيْرةُ عن حفصٍ عن عاصمٍ، ويعقوبُ وأبو حيوة: «بِنَصْبٍ»، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم: «بِنُصْبٍ»، قال ابن مجاهد: «والمعروف عن حفص: «بِنُصْبٍ» مضمومة النون ساكنة الصاد». السبعة ص ٥٥٤، وينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٠، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٠٧، البحر المحيط ٧/ ٣٨٤، النشر ٢/ ٣٦٠.

المصدر[١]، وقيل[٢]: على المفعول من أجله، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ عطفٌ عليها، نظيرها في سورة الأنبياء[٣].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بدلٌ منهم، قرأه العامةُ بالألف على الجمع، وقرأ ابن كثير: «عَبْدَنا»[٤] على الواحد، وهي قراءة ابن عبّاس، رُوِيَ عنه أنه كان يقرأ: «واذْكُرْ عَبْدَنا إبْراهِيمَ»، ويقول: إنما ذُكِرَ إبراهيمُ ثُمَّ وَلَدُهُ بَعْدَهُ[٥] ﴿وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ ذَوِي القوة والعبادة ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ يعني البَصائِرِ فِي العلم والدِّين، قرأ العامة: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ بالياء، وقرأ ابن مسعود: «أُوْلِي الأيْدِ والأبْصارِ»[٦] بغير ياءٍ، وهو نصبٌ على النعت للأسماء المتقدمة.

[١١٨/ أ] ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم / بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: اصطفيناهم من وِزْرِ الكُفْرِ لعبادة خالصة لا يشوبها شيءٌ، والدارُ الآخرةُ وذِكْرُها: أن يذكروها

---

(١) قاله النحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٤٦٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٠.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٥، وينظر: التبيان للعكبري ص ١١٠٢، الفريد للهمداني ٤/ ١٦٩.

(٣) الأنبياء ٨٤، وهي: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، وانظر ما تقدم ١/ ٢٠٠.

(٤) هذه قراءة ابن كثير وابن عباس وابن محيصن ومجاهد وحميد، ينظر: السبعة ص ٥٥٤، تفسير القرطبي ١٥/ ٢١٧، النشر ٢/ ٣٦١، الإتحاف ٢/ ٤٢١.

(٥) ينظر قول ابن عباس في معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٦، ثم قال الفراء: «ومثله: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ أَبِيكَ﴾ على هذا المذهب في قراءة ابن عباس»، وينظر أيضًا: جامع البيان ٢٣/ ٢٠٢، إعراب القرآن ٣/ ٤٦٦، الكشف والبيان ٨/ ٢١٢، الوسيط ٣/ ٥٥٩.

(٦) وبها قرأ أيضًا الحسنُ وعيسى بنُ عمر والأعمشُ بخلاف عنهم، والمُطَّوِّعِيُّ وعبدُ الوارث، ينظر: مختصر ابن خالويه ص١٣١، المحتسب ٢/ ٢٣٣، تفسير القرطبي ١٥/ ٢١٧، ٢١٨، البحر المحيط ٧/ ٣٨٥، الإتحاف ٢/ ٤٢٢.

فيعملوا لها، ولا يغفلوا عنها فَيَنْسَـوْها، وقيل: نزع الله ما فِي قلوبهم من حُبِّ الدُّنْيا وذِكْرِها، وأَخْلَصَهُمْ بِحُبِّ الآخرةِ وذِكْرِها.

قرأ أهل المدينة: «بِخالِصةِ» مضافًا، وهي رواية هشـامٍ عن أهل الشـام، وقرأ الباقون بالتنوين على البدل، قاله الثعلبي[١]، و«ذِكْرَى» فِي موضع خفضٍ على البـدل من «خالِصةٍ»، ولا يتبين فيها الإعراب؛ لأن فِي آخِرِها أَلِفًا مقصورًا.

فمـن قرأ: «بِخالِصةٍ» بالتنوين كان المعنـى: جعلناهم لنا خالصين، بأن خَلَصَـتْ لهم ذِكْـرَى الدّارِ، والخالصـة مصدر بمعنى الخُلُـوصِ، والذكرى بمعنـى التذكير؛ أي: خَلَصَ لهم تذكيرُ الـدارِ، وهو أنهم يذكرون بالتأهب لها ويَزْهَدُونَ فِي الدنيا، وذلك شأن الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

ومن قرأ بالإضافة فالمعنـى: أَخْلَصْناهُمْ بأن خَلَصَتْ لهم ذكرى الدار، والخالصـة مصدرٌ مضافٌ إلـى الفاعل، قال ابن عبّـاسٍ: أخلصوا بذكر الدار الآخرة وأن يعملوا لها، والذِّكْرَى على هذا بمعنى الذِّكْرِ، قاله الواحدي[٢].

وقال صاحب إنسان العين[٣]: «ذِكْرَى»: بدل من «خالِصةٍ»؛ أي: بدرجةٍ خالصـةٍ، وخالصة مصدرٌ كالطّاغِيةِ والخائِنةِ، يعنـي: بِإِخْلاصٍ، أو «ذِكْرَى»:

(١) الكشف والبيان ٨/ ٢١٢.

(٢) الوسيط ٣/ ٥٦٢.

(٣) قال السـجاوندي: «بِخالِصةٍ أي: بِكُتُبٍ مُنَزَّلةٍ فيهـا ذكرى الدار. مقاتل: بِنُبُوّةٍ وذِكْرَى الدارِ الآخرةِ، وقيل: بدرجة خالصة، وهو الذكر الجميل في الدنيا على الخُلُوصِ، فتكون الذكرى بـدلا عنها، أو فاعلًا بمعنى الخالصة، أي: بأن خَلَصَتْ لهم ذكرى، وقيل: هي مصدر على خـلاف الصدر كالطاغية والخائنة بمعنى الإخلاص، فتكون «ذِكْرَى» مفعولًا، نحو: عَمْرَكَ اللهُ، أي: أَخْلَصْناهُمْ بِحُبِّ الآخرةِ.... يدل عليه قراءةُ مَدَنِيٍّ وهشام: «بِخالِصةِ ذِكْرَى» على الإضافة، وعن طلحة: «بِخالِصَتِهِمْ». عين المعانِي ورقة ١١٤/ أ.

فاعل أي: بأن خَلَصَتْ لهم ذِكْرَى الدار، أو مفعولٌ؛ أي: بأن يُخْلِصُوا في ذِكْرَى الـدار، نحو: عَمْرَكَ اللهُ، دليله قراءةُ الإضافة، كقولـه: «دُعاءِ الْخَيْرِ»(١) وقراءةُ من قرأ: «بِخالِصَتِهِمْ»(٢). ذِكْرٌ لهؤلاء الأنبياء بالجميل وثَناءٌ عليهم بالصدق.

قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾؛ أي: من الذين اصطفيناهم من الأدناس، وهو جَمْعُ مُصْطَفًى، زِدْتَ عليه ياءً ساكنةً ونونًا، والألِفُ(٣) من مصطفى ساكنةٌ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وكانت أَوْلَى بالحذف لأن قبلها فتحةً، والأخيار جمع خَيِّرٍ على حذف الزائد، كأنك جمعت خَيْرًا، كما تقول: مَيْتٌ وأمْواتٌ، يقال: رَجُلٌ خَيِّرٌ وَخَيْرٌ، كما يقال: هَيِّنٌ بتشديد الياء وهَيْنٌ، ولَيِّنٌ ولَيْنٌ(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «واللَّيْسَعَ» بِلامَيْنِ(٥) ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ سُمِّيَ بذلك لأنه تَكَفَّلَ بقيام الليل وصيام النهار، ولا يَغْضَبَ ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾ يعني: هذا الذي ذكرتُ ذِكْرٌ، ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ «حُسْـنَ»: اسـم «إنَّ»، والخبر: ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴾ /، [١١٨/ ب]

---

(١) فصلت ٤٩.

(٢) هذه قراءة الأعمش وطلحة، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣١، البحر المحيط ٧/ ٣٨٦.

(٣) في الأصل: «والفاء»، وهو وهم من الناسخ فيما يبدو.

(٤) مـن أول قوله: «وهو جمـع مصطفى»، قاله النحاس في إعراب القـرآن ٣/ ٤٦٧، وينظر: التكملة للفارسي ص٤٤.

(٥) قرأ حمزةُ والكسـائيُّ وخلفٌ والأعمش وابن مسـعود ومغيرة بن إبراهيم: «واللَّيْسَعَ» على أن أصله لَيْسَـع كضَيْغَمٍ، وقُدِّرَ تنكيرُهُ، فدخلت «أل» للتعريف، ثم أُدغِمت اللام في اللام، وقرأ الباقون بتخفيف اللام وفتح الياء على أنه منقول من مضارع، وأن أصله «يَوْسَعُ»، ينظر: السبعة ص ٥٥٤-٥٥٥، النشر ٢/ ٢٦٠، الإتحاف ٢/ ٢١، ٤٢٢.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾ فالأبواب عند أبي عَلِيٍّ الفارسيِّ وأصحابِهِ مرفوعٌ على البدل من المضمر في «مُفَتَّحةً»[1]؛ لأن أبواب الجِنانِ من الجِنانِ، فهي بعضها، وقال الفراء[2]: المعنى: مُفَتَّحةً لهم أبْوابُها، والعرب تجعل الألف واللام[3] خَلَفًا من الإضافة. وقال الزجّاج[4]: المعنى: مُفَتَّحةً لهم الأبوابُ منها، والألف واللام للتعريف لا للبدل.

ورفعت ﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ لأنها اسمٌ لِما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ[5]، وأجاز الفراء نصب الأبواب على أن «مُفَتَّحةً» للجنات[6]. و«جَنّاتِ» فِي موضع نصبٍ على البدل من قوله: ﴿لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾.

---

(١) قال الفارسي: «أن يكون بدلاً من المضمر في «مُفَتَّحةً»، كأنه على: فُتِحَت الجِنانُ أبْوابُها، فأُبْدِلَت الأبوابُ من الجنات لأنها منها وبعضُها، كما تقول: ضُرِبَ زَيْدٌ رَأْسُهُ». المسائل المشكلة ص ١٤٣، وقال مثله في الإغفال ٢/ ٥٢٤، ٥٢٩، والإيضاح العضدي ص ١٨٠، ولكنه في المسائل البصريات ص ٥٦١؛ ٥٦٤ أجاز مجيء «أل» عوضًا من الضمير، وإن كان قد عَدَّهُ ضعيفًا.

وقد رَدَّ ابنُ الطراوة تخريج الفارسي للآية على البدل، فقال: «وزعم [يعني الفارسي] أن الأبواب من قوله: ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠]، مرتفع على البدل من المضمر في «مُفَتَّحةً»، لا على «مُفَتَّحةً»؛ لأنه لا عائدَ فيه على «جَنّاتِ عَدْنٍ»، وهذا نفسه يلزم في البدل؛ لأن بدل البعض والاشتمال لا بد فيه من عائد على الأول، فالذي فَرَّ عنه وقع فيه». الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح ص ٥٢، وينظر أيضًا: شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ١٧١.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٤٠٨.

(٣) في الأصل: «الألف والضمير».

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٧ بتصرف من المؤلف في نص الزجاج.

(٥) يعني أن الأبواب نائب فاعل لـ«مُفَتَّحةً»، وهذا ما قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٦٨.

(٦) قال الفراء: «ولو قال: مُفَتَّحةً لهم الأبوابَ على أن تجعل المفتحة في اللفظ للجنات، وفي =

وقال صاحب إنسان العين[١]: في ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ ضمير الجنات، و﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ بدل الاشتمال، ولا ترفع ﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ بـ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ على جعل الألِف واللام بدل الضمير، على تقدير: أبوابها، إذْ لو جاز ذلك لقالوا: هِنْدٌ حَسَنٌ الوَجْهُ، لا: حَسَنةٌ الوَجْهَ، كما قالوا: حَسَنٌ وَجْهُها[٢]، ويَبْعُدُ أن يكون التقدير: مُفَتَّحةً لهم الأبوابُ منها؛ لأن الصفة موضع التخصيص، فلا يحسن الحذف منها[٣]،

= المعنى للأبواب، فيكون مثل قول الشاعر:

وَما قَوْمِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلا بِفَزارةَ الشُّعْرِ الرِّقابا

والشُّعْرَى رِقابا، ويروى: الشُّعْرِ الرِّقابا، وقال عَدِيٌّ:

مِنْ وَلِيٍّ أوْ أخِي ثِقَةٍ والبَعِيدِ الشّاحِطِ الدّارا

وكذلك تجعل معنى الأبواب في نصبها، كأنك أردت: مُفَتَّحةَ الأبوابِ، ثم نَوَّنْتَ فَنَصَبْتَ». معانِي القرآن ٢/ ٤٠٨-٤٠٩.

(١) قال السجاوندي: «قرأ أبو حيوة: «جَنّاتٌ» و«مُفَتَّحةٌ» بالرفع أي: هو جنات... الأبوابُ، أي: منها، فتكون الألف واللام للتعريف، لا بَدَلًا عن الهاء بتقدير: أبوابها، إذِ الحرفُ لا يصلح بدلًا عن الاسم... وقيل: الأبواب بدل من الضمير في «مُفَتَّحةٌ»، إذِ الأبوابُ بَعْضُ الجناتِ، فلم يُحْتَجْ إلَى العائدِ، ولا يُرْفَعُ فاعلان بفعلٍ واحدٍ، وقيل: تقديره: أبْوابُها مُفَتَّحةٌ، فلما قُدِّمَ انتصب». عين المعانِي ورقة ١١٤/ أ.

(٢) هذا من كلام السجاوندي أيضًا، وقد ذكر الفارسي أن الألف واللام في «الأبْوابُ» لو كانت عوضًا من الضمير لوجب نصب «الأبواب»، كما في قولهم: مَرَرْتُ بامرأةٍ حَسَنةٍ الوَجْهَ بالنصب، فلما كانت الأبواب مرفوعةً دَلَّ ذلك على أن «أل» ليست عوضًا من الضمير، ينظر: الإغفال ٢/ ٤٢٥، ٥٢٥، المسائل المشكلة ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) وهذا أيضًا من كلام السجاوندي، وقال الهمدانِيُّ: «وقيل: التقدير: مُفَتَّحةً لهم الأبوابُ منها، فحذف «مِنْها» كما حذف «مِنْهُ» في قولهم: السَّمْنُ مَنَوانِ بِدِرْهَمٍ؛ لأن خبر المبتدأ قد يُحْذَفُ بِأسْرِهِ، وإذا جاز أن يُحْذَفَ جَمِيعُهُ، جاز أن يُحْذَفَ بَعْضُهُ». الفريد ٤/ ١٧٣، ثم قال رَدًّا على هذا القول: «وليست الصفة كذلك؛ لأنها موضع تخصيص، ولو استحسنوا هذا =

فالأبــواب، وهي أبــواب المرادات وأصناف الســعادات، يصلــح بدل الكل، ونصب ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ على النعت لـ«جَنّاتِ»، وقيل: على الحال.

قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ يعني: فِي الجنان مُسْـتَوْطِنِينَ، والاتِّكاءُ: الاعتماد على المرافق، وإنما يكون ذلك في الاسـتيطان ومفارقةِ الانزعاجِ، وهو نصبٌ على الحال[١]، وقيل[٢]: على النعت لـ«جنات».

قولــه: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ يعنــي: فِي الجنــان ﴿بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ مُسْـتَوِياتٌ علــى ميلادِ امرأةٍ واحــدةٍ، بناتُ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ سَنةً، واحدها: تِرْبٌ.

قولــه: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ، يعني المتقين على لســان النبي ﷺ، قــرأ أبــو عمرو وابــنُ كثير بالياء، وقــرأ الباقون بالتاء[٣] علــى معنى: قُلْ للمتقيــن: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾؛ أي: ليومِ الجزاءِ، والمعنى: لإنْجازِ يَوْمِ الحسابِ، فاللام للاختصاصِ والعَرْضِ، ولو قال: فِي يوم الحساب لصار ظرفًا للوعد.

قولــه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ هلاكٍ، ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ يعني: للكفار الذيــن طَغَوْا على الله وكَذَّبُوا الرُّسُــلَ ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥﴾ يعني:

= الحذف في الصفة كما استحسـنوا من الخبر وغيره لَما قالوا: مَرَرْتُ بامرأةٍ حَسَـنةٍ الوَجْهُ». الفريد ٤/ ١٧٣.

(١) وصاحب الحال هو الضمير في «لَهُمْ»، والعامل فيها «مُفَتَّحةً»، ينظر: كشـف المشـكلات ٢/ ٢٦٥، البيان للأنباري ٢/ ٣١٧، الدر المصون ٥/ ٥٣٩.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٦٨.

(٣) قــرأ باليــاء أيضًا: ابنُ مُحَيْصِنٍ والسُّـلَمِيُّ ويعقــوبُ، ينظر: السـبعة ص ٥٥٥، غيث النفع ص ٢٤٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٠، النشر ٢/ ٣٦١، الإتحاف ٢/ ٤٢٣.

شَـرَّ مَرْجِـعٍ ومَصِيرٍ، ثم أخبر بذلك، فقـال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها، بدلٌ من «شَـرَّ»، ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦)﴾ قال ابن عبّاسٍ: بِئْسَ المَسْكَنُ، وبِئْسَ المُمَهَّدُ، ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ يعني الطاغين ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧)﴾ ما يَغْسِقُ من صديد أهل النار؛ أي: يسيل، وقيل[1]: «غَسّاقٌ» باردٌ، يُحْرِقُ كما يُحْرِقُ الحارُّ، والتقدير: هذا حميمٌ وغَسّـاقٌ فَلْيَذُوقُوهُ، كقولـك: زيدٌ ظَرِيفٌ / وكاتِـبٌ فاصْطَحِبُوهُ، [١١٩/ أ] وهـذا الماء حارٌّ ومُنْتِنٌ فاجْتَنِبُوهُ، وكذلك قال الفراءُ والزَّجّاجُ[2]: تقدير الآية: هذا حميمٌ وغَسّاقٌ فَلْيَذُوقُوهُ.

قال الثعلبيُّ رَحِمَهُ اللهُ[3]: وإن شِئْتَ جعلتَه مُسْتَأْنَفًا، وجعلت الكلام قبله مكتفيًـا، كأنك قلتَ: هذا فَلْيَذُوقُوهُ، ثُمَّ قلتَ: منه حَمِيمٌ، ومنه غَسّـاقٌ، كقول الشاعر:

٢٠٠- حَتَّى إذا ما أضاءَ الصُّبحُ فِي غَلَسٍ وَغُـودِرَ البَقْلُ مَلْـوِيٌّ وَمَحْصُودُ[4]

والحميم: الماء الحارُّ الذي قد انتهى حَرُّهُ، والغَسّاقُ: ماءٌ بارِدٌ يُحْرِقُ كما

---

(١) في الأصل: «وقالوا».

(٢) معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤١٠، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٨.

(٣) الكشف والبيان ٨/ ٢١٣.

(٤) البيت من البسيط، لذي الرمة، ورواية ديوانه:

حَتَّى إذا ما اسْتَقَلَّ النَّجمُ فِي غَلَسٍ وَأَحْصَدَ البَقْلُ مَلْـوِيٌّ وَمَحْصُودُ

اللغة: الغَلَسُ: ظلام آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح. المَلْوِيُّ: يَبِيسُ الكَلأ والبَقْلِ.

التخريج: ديوانه ص ١٣٦٦، معانِي القرآن للفراء ١/ ١٩٣، ٢/ ٤١٠، ٣/ ٦٨، جامع البيان ٢٣/ ٢١٠، إعـراب القـرآن ٣/ ٤٦٩، زاد المسير ٤/ ٢٦، ٧/ ١٤٩، عين المعانِي ورقة ١١٤/ أ، تفسير القرطبي ١٠/ ٩١، ١٥/ ٢٢١، البحر المحيط ٧/ ٣٨٨، الدر المصون ٥/ ٥٤٠.

يُحْرِقُ الحارُّ[١]، وقيل[٢]: هو ما سالَ من جلود أهل النار من القَيْحِ والصَّدِيدِ، وقد تقدم، وهو مأخوذ من قولهم: غَسَقَتْ عَيْنُهُ: إذا انْصَبَّتْ، والغَسَقانُ: الانْصِبابُ[٣]، قال الشاعر:

٢٠١ - إذا ما تَذَكَّرْتُ الحَياةَ وَطِيبَها إِلَيَّ جَرَى دَمْعٌ مِنَ العَيْنِ غاسِقُ[٤]

واختلف القُرّاءُ فيه، فقرأ يَحْيَى بنُ وَثّابٍ وحَمْزةُ والكِسائِيُّ وخَلَفٌ وحَفْصٌ بتشديد السين، وخَفَّفَها الآخرون[٥]، قال الفراء[٦]: مَنْ شَدَّدَها جعلها اسمًا من «فَعّالٍ» نحو: الخَبّازِ والطَّبّاخِ، ومَنْ خَفَّفَها جعلها اسما من «فَعالٍ» نحو: العَذابِ، والوجه التخفيف في «غَساقٍ»؛ لأنه اسمٌ موضوعٌ على «فَعالٍ»،

---

(١) هذا قول مجاهد ومقاتل والفراء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤١٠، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٢.

(٢) قاله قتادة والسدي وابن قتيبة والنحاس، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٨١، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٢٨، ١٢٩، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٢.

(٣) حكاه الأزهري عن ابن الأعرابِيِّ في تهذيب اللغة ١٦/ ١٢٨، وينظر: معانِي القراءات ٢/ ٣٣٠-٣٣١، عين المعانِي ورقة ١١٤/ أ.

(٤) البيت من الطويل، لِعِمْرانَ بن حِطّانَ السَّدُوسِيِّ.

التخريج: شِعره ص ١٢٥ ضمن (ديوان الخوارج)، الأضداد لابن الأنباري ص ٥، ١٣٩، الكشف والبيان ٨/ ٢١٣، عين المعانِي ١١٤/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٢.

(٥) قرأ بالتخفيف: ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وابنُ عامر، وأبو بكر عن عاصمٍ، وأبو جعفر ويعقوبُ، ينظر: السبعة ص ٥٥٥، غيث النفع ص ٢٤٢، تفسير القرطبي١٥/ ٢٢١، البحر المحيط ٧/ ٣٨٨، الإتحاف ٢/ ٤٢٣.

(٦) لم أقف على هذا القول في معاني القرآن، وإنما حكاه الثعلبي عنه في الكشف والبيان ٨/ ٢١٣.

ومَنْ شَدَّدَهُ ذهب به إلى: غَسَقَ يَغْسِقُ، فهو غَسّاقٌ[(١)]، ومعنى تكرار قوله: «هذا»؛ أي: للمؤمنين هذا، وإن للطاغينَ.

قولـه: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾؛ أي: مثلـه، يعني العـذاب ﴿أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾؛ أي: أصنافٌ من العذاب، والهاء من ﴿شَكْلِهِۦٓ﴾ تعود إلى الحميم[(٢)]، وقيل[(٣)]: الكناية مـن ﴿شَكْلِهِۦٓ﴾ راجعةٌ إلى العذاب فِي قولـه: ﴿هَٰذَا﴾، و﴿وَءَاخَرُ﴾ عطف على ﴿حَمِيمٌ﴾.

قـرأ أهلُ الكوفة وأبو عمرو ومجاهدٌ: «وَأُخَـرُ» بضم الألف على جَمْعِ أُخْـرَى[(٤)]، وهو الاختيار؛ لأنـه نَعَتَهُ بالجمع، فقـال: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ مثل: الكُبْرَى

(١) قال الفارسـي: «أما الغَسّـاقُ فلا يخلو من أن يكون اسـمًا أو وصفًا، فيبعد أن يكون اسمًا؛ لأن الأسـماء لم تَجِئْ على هـذا الوزن إلا قليلًا، وذلك نحو الكَـلاَّءِ والقَذّافِ والجَبّانِ... فإذا لم يكن اسمًا كان صفةً، وإذا كان صفة فقد أُقِيمَ مُقامَ الموصوف، وألاَّ تُقامَ الصفةُ مُقامَ الموصوف أَحْسَـنُ...، والقراءة بالتخفيف أحسـن من حيث كان فيه الخروج من الأَمْرَيْنِ اللَّذَيْـنِ وصفناهما في غَسّـاقٍ بالتثقيل، وهما قِلّةُ البناء، وإقامـة الصفة مقام الموصوف». الحجة ٣/ ٣٣٠-٣٣١.

(٢) ويجـوز أن يكـون الضمير عائدًا إلى المَذُوقِ الذي دَلَّ عليه قولـه: «فَلْيَذُوقُوهُ»، وهذا على قراءة: «وَأُخَرُ» على الجمع، فيكون «أُخَرُ» مبتدأ، و«مِنْ شَـكْلِهِ» صفة له، و«أَزْواجٌ» خبره، والمعنـى: وأُخَرُ من شـكل الحميم أزواج، ويجـوز أن يكون «أُخَرُ» مبتدأ، و«مِنْ شَـكْلِهِ» خبـره، و«أَزْواجٌ» فاعـلًا بالجار والمجـرور، وفيه أوجه أخرى تنظر في الحجة للفارسـي ٣/ ٣٣٢، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٣، كشـف المشكلات ٢/ ٢٦٦، البيان للأنباري ٢/ ٣١٨، التبيان للعكبري ص١١٠٥، الفريد للهمداني ٤/ ١٧٥، الدر المصون ٥/ ٥٤٠.

(٣) وهذا على قراءة «وَآخَرُ» بالإفراد.

(٤) هذه قراءة أبي عمرو ومجاهد ويعقوب واليزيدي والجحدري وابن جبير وعيسـى بن عمر وحماد بن سـلمة والحسن، ينظر: السبعة ص ٥٥٥، غيث النفع ص ٢٤٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٢، البحر المحيط ٧/ ٣٨٨، الإتحاف ٢/ ٤٢٣.

والكُبَرِ، وقرأ الباقون: «وَآخَرُ» بفتح الألف على الواحد، و«آخَرُ» يصلح مبتدأً، مع أنه مُنَكَّرٌ لأنه وُصِفَ، و﴿أَزْوَاجٌ﴾ خبر، والضمير في الجملة يعود إلى «آخَرُ».

وقوله: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾؛ أي: جماعةٌ، والفَوْجُ: القطيع من الناس، وجَمْعُهُ أفْواجٌ، والمُقْتَحِمُ: الداخل فِي الشيء رَمْيًا بِنَفْسِهِ بِشِدّةٍ وصُعُوبةٍ[1].

قال ابن عبّاسٍ[2]: وذلك أن القادة إذا دَخَلُوا النارَ، ثم دخل معهم الأتباعُ قالت الخَزَنةُ للقادةِ: ﴿هَٰذَا﴾ يعني الأتباع ﴿فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ النارَ؛ أي: أُدْخِلُوها كما دخلتم، فيقول القادة: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ يعني: الأتباع ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝٥٩﴾ كما صَلِيناها، فيقول الأتباع للسادة: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أي: شَرَعْتُمْ وسَنَنْتُم الكُفْرَ لنا، ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٦٠﴾ قرارُكُمْ وقرارُنا.

وقوله: «صالُو النّارِ» الأصل فيه: صالُونَ النّارَ، فأسقطوا النون / [١١٩/ ب] للإضافة، وأسقطوا الواو[3] لسكونها وسكون النون، وكذلك: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾[4]، ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾[5].

وقوله: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ و﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ منصوبان على المصدر[6]،

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٤/ ٧٧، الوسيط للواحدي ٣/ ٥٦٤.
(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ٢١٤، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٣.
(٣) أُسْقِطَتْ الواو في النطق فقط دون الكتابة.
(٤) الدخان ١٥.
(٥) القمر ٢٧، وينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٧٠.
(٦) قاله المبرد والزجاج والنحاس، ينظر: المقتضب ٣/ ٢١٨، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٩، إعراب القرآن ٣/ ٤٧٠، وينظر أيضًا: الفريد ٤/ ١٧٩، الدر المصون ٥/ ٥٤٢.

وقيل[١]: على إضمار الفعل المتروكِ إظْهارُهُ، والمَرْحَبُ والرَّحْبُ: السَّعةُ والسَّهْلُ ضِدُّ الوَعْرِ، ومنه: رَحُبَتِ الدّارُ والمسجدُ، قال أبو عبيدة[٢]: تقول العرب للرجل: لا مرحبا بك أي: لا رَحُبَتْ عليك الأرضُ، يعني: اتَّسَعَتْ.

وقد رَحَّبَ به تَرْحِيبًا: إذا قال له: مَرْحَبًا، وقال القُتَيْبِيُّ[٣]: معنى قولهم: مَرْحَبًا وأهْلاً وسَهْلاً؛ أي: أتَيْتَ رَحْبًا أي سَعةً، وأتَيْتَ سَهْلاً لا حَزَنًا، وأتَيْتَ أهْلاً لا غُرَباءَ، فَأْنَسْ ولا تَسْتَوْحِشْ.

وهي فِي مذهب الدعاء، كما تقول: لَقِيتَ خَيْرًا؛ ولذلك نُصِبَ، قال النابغة:

٢٠٢ - لا مَرْحَبًا بِغَدٍ وَلا أهْلا بِهِ إنْ كانَ تَفْرِيقُ الأحِبّةِ فِي غَدِ[٤]

فنصبه على المصدر.

قوله: ﴿قَالُواْ﴾ يعني الأتباع ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾؛ أي: شَرَعَهُ وسَنَّهُ لنا ﴿فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١﴾ على عذابنا، قال ابن مسعودٍ: يعني حَيّاتٍ وعَقارِبَ وأفاعِيَ ﴿وَقَالُواْ﴾ صناديد قريش وهم فِي النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢﴾ في دار الدنيا، يعني فقراء المؤمنين ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾

---

(١) هذا قول سيبويه، قاله في الكتاب ١/ ٢٩٥، ٣٢٨، وهو قولٌ ثانٍ للمبرد، قاله في المقتضب ٤/ ٣٨٠، وينظر أيضًا: الأصول لابن السراج ١/ ٣٩٤.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٨٦.

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٢٠٠، وهو قول حكاه ابن قتيبة عن الأصمعي.

(٤) البيت من الكامل، للنابغة من قصيدة يصف فيها المتجردة.

التخريج: ديوانه ص ٩٠، الكشف والبيان ٨/ ٢١٤، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٣، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١٠٨، اللسان: غدا.

قرأ أبو عمرو وأهل العـراق إلا عاصمًا وأيوبَ بوصل الألف، وهو الاختيار، وتكون «أمْ» بمعنى «بَلْ»، وقرأ الباقون بفتح الألف وقطعها على الاستفهام[(١)]، وجعلوا «أمْ» جوابًا لها، مجازه: أتخذناهم سخريًّا، وليسوا كذلك، فلم يدخلوا معنـا النار أم زاغت عنهـم الأبصار؟ وقال الفراء[(٢)]: هو من الاسـتفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ، وهو يجوز باستفهامٍ وبِطَرْحِهِ.

وقرأ نافعٌ وحمزة والكسائي: «سُخْرِيًّا» بضم السين، والباقون بالكسر[(٣)]، [فمن] قرأ: «سِـخْرِيًّا» بالكسر فهو من الْهُزْءِ، ومن قرأ بالضم فهو من السُّخْرةِ والإذلال[(٤)].

قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني الذي ذَكَرَهُ ﴿لَحَقٌّ﴾، ثم بَيَّنَهُ، فقال: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ فـ﴿تَخَاصُمُ﴾ بدلٌ من «حَـقٌّ»، أو: هو تخاصمٌ، فيكون خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ، ومجاز الآية: إن تخاصم أهل النار لَحَقٌّ[(٥)].

---

(١) قـرأ بوصل الألف: أبو عمرو وحمزةُ والكسـائيُّ ويعقوبُ وخلـفٌ والأعمشُ واليزيديُّ، وَرُوِيَـتْ عن ابن كثير، وقرأ نافعٌ وابنُ كثيـرٍ وابنُ عامرٍ وعاصمٌ والباقون بقطع الألف على الاستفهام، ينظر: السـبعة ص٥٥٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٥، البحر المحيط ٧/ ٣٨٩، النشر ٢/ ٣٦١-٣٦٢، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٤٢٣-٤٢٤.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٤١١.

(٣) قرأ نافعٌ وحمزةُ والكسـائيُّ، والمُفَضَّلُ عن عاصم، وأبـو جعفرٍ وهبيرةُ وخَلَفٌ والأعمشُ والحَسَـنُ ومجاهدٌ وشـيبةُ وابنُ مسـعودٍ والضَّحّاكُ والأعرجُ وابنُ وَثّابٍ: «سُخْرِيًّا» بضم السين، وقرأ الباقون وحفصٌ عن عاصمٍ: «سِخْرِيًّا» بكسرها، ينظر: السبعة ص ٥٥٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٥، البحر المحيط ٧/ ٣٨٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٨٨، ٤٢٤.

(٤) ينظر ما سبق في الآية ١١٠ من سورة المؤمنون، ١/ ٢٩٩.

(٥) ويجـوز أن يكون خَبَـرًا ثانيًا لـ«ذَلِكَ»، ويجـوز أن يكون بدلًا من «ذَلِـكَ» على الموضع، وتؤيـده قراءةُ زيد بـن علي وابن أبي عبلة وابن السـميفع: «تَخاصُـمَ» بالنصب، وينظر:=

قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ أُنْذِرُكُمْ وأُحَذِّرُكُمْ عُقُوبَةَ اللهِ ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾؛ أي: وقُلْ لهم أيضًا: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.. الآية ﴿٦٦﴾، ومحلُّ ﴿رَبُّ﴾ رفعٌ على خبر ابتداءٍ محذوفٍ، تقديره: هو رَبُّ السماوات، ويجوز أن يكون نعتًا لقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، كذلك: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ نعتٌ لقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾/. [١٢٠/ أ]

فصْلٌ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا تَضَوَّرَ[1] من الليل قال: «لا إله إلا اللهُ الواحدُ القَهّارُ، رَبُّ السماوات والأرض وما بينهما العزيزُ الغفارُ»[2].

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ يعني القرآن ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ يعني الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ في شأن آدم عليه السّلام، وهو قولهم حين قال الله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[3]، هذا قول أكثر المفسرين.

ورُوِيَ عن ابن عبّاسٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «قال رَبِّي: أتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأعلى؟ قال: اخْتَصَمُوا فِي الكَفّاراتِ والدَّرَجاتِ، فَأَمّا الكَفّاراتُ

= إعراب القرآن ٣/ ٤٧١، مختصر ابن خالويه ص ١٣١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٥، شواذ القراءة ورقة ٢٠٩، زاد المسير ٧/ ١٥٣، الفريد للهمداني ٤/ ١٧٨.

(١) التَّضَوُّرُ: التقلب.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى ٤/ ٤٠٠ كتاب النعوت: ذِكْر أسماء الله تعالى، ٦/ ٢١٦، كتاب عمل اليوم والليلة: ما يقول إذا انتبه من منامه، وينظر: صحيح ابن حبان ١٢/ ٣٤٠، كتاب الزينة: باب آداب النوم.

(٣) البقرة ٣٠.

فَإِسْباغُ الوُضُوءِ فِي الشَّتَواتِ[١]، ونَقْلُ الأقْدامِ إلى الجَماعاتِ، وانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، وَأمّا الدَّرَجاتُ فَإفْشاءُ السلامِ، وإطْعامُ الطَّعامِ، والصَّلاةُ بِاللَّيْلِ والنّاسُ نِيامٌ»[٢].

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾؛ أي: ما يُوحَى إِلَيَّ ﴿إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ قال الفراء[٣]: إن شئت جعلت ﴿أَنَّمَآ﴾ في موضع رفع، كأنك قلت: ما يُوحَى إِلَيَّ إلا الإنذارُ، وإن شئتَ جعلتَ المعنى: ما يوحى إِلَيَّ إِلَّا لأنّي نَذِيرٌ مُبِينٌ. وقرأ أبو جعفر: «إنّما»[٤] بكسر الألف؛ لأن الوَحْيَ قَوْلٌ.

قوله: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ يعني: لآدَمَ، نصبٌ على الحال ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ والعرب تؤكد بـ«أَجْمَعِينَ» و«أَكْتَعِينَ»[٥]، فدخلت

---

(١) الشَّتَواتُ: جمع شَتْوةٍ، وهي اسم مَرّةٍ من قولهم: شَتا بالمكان شَتْوًا وشَتْوةً. اللسان: شتو.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٦٨، ٤/ ٦٦، ٥/ ٢٤٣، ٣٧٨، والترمذي فِي سننه ٥/ ٤٤؛ ٤٧ أبواب تفسير القرآن: سورة ص.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٤١، ومعنى كلامه أن قوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ [ص: ٧٠]، في تأويل مصدر نائب عن الفاعل، ويجوز أن يكون فِي موضع نصب على نزع الخافض.

(٤) ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣١، المحتسب ٢/ ٢٣٤، الإتحاف ٢/ ٤٢٤.

(٥) ولكن يجب عند اجتماع هذه الألفاظ أو بعضِها تقديمُ «كُلٍّ» على «أَجْمَعَ»، وتقديمُ «أَجْمَعَ» على «أَكْتَعَ»، وتقديم «أَكْتَعَ» على «أَبْصَعَ»، وتقديم «أَبْصَعَ» على «أَبْتَعَ»، فهذا هو الترتيب الذي ذكره النحاة، قال الأزهري: «الليث: و«أَكْتَعُ» حَرْفٌ يُوصَلُ به «أَجْمَعُ» لا يُفْرَدُ». التهذيب ١/ ٣٠٣، وقال الأزهري: «أبو العباس عن ابن الأعرابيِّ: البَصْعُ: الجَمْعُ، ومنه قولهم في التوكيد: جاء القوم أجمعون أكتعون أبصعون، إنما هو شيء يجمع الأجزاءَ، قال: وقال الفراء: يقولون: أَجْمَعُونَ أَكْتَعُونَ أَبْصَعُونَ، ولا يقولون: أَبْصَعُونَ حتى يتقدمه أَكْتَعُونَ». التهذيب ٢/ ٥٢.

﴿كُلُّهُمْ﴾ للإحاطة، ودخلت ﴿أَجْمَعُونَ﴾ لسرعة الطاعة، وهذا يدل على أن السجود كان منهم كُلِّهِمْ فِي وقتٍ واحدٍ[١].

ثم استثنى إبليسَ من الملائكة، فقال: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ قيل: كان اسمه الحارث، فَسُمِّيَ إِبْلِيسَ حين عصى وتَأَبَّى عن السجود لآدم، فَأَبْلَسَ من الخير.

قوله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾؛ أي: من الظالمين المتكبرين عن السجود، واليَدانِ صفتان من صفات ذاته بلا كَيْفٍ ولا تشبيه[٢]، قال الشاعر:

٢٠٣ـ تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْراءَ ما لَيْسَ لِي بِهِ ... وَلا لِلْجِبالِ الرّاسِياتِ يَدانِ[٣]

والألِفُ في ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أَلِفُ استفهامٍ، دخلتْ على أَلِفِ الخَبَرِ، وهو استفهامُ توبيخٍ وإنكارٍ.

---

(١) قال الزَّجّاجُ: «قال سيبويه والخليل: «أَجْمَعُونَ» توكيد بعد توكيد، وقال محمد بن يزيد: «أَجْمَعُونَ» يدل على اجتماعهم في السجود. المعنى: فسجدوا كُلُّهُم في حال واحدة». معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٩، وقال طاهر بن أحمد: «فأما المسألة التي ذكرها أبو القاسم في آخر الباب في قوله عز وجلّ: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص: ٧٣]، فالفائدة في ذِكْرِ تأكيدَيْنِ عند شيخهم، وهو الزجاج، أن «كلهم» دَلَّ على الإحاطة، و«أجمعين» دَلَّ على معنى الاجتماع وأن السجود منهم كلهم كان في حالٍ واحدٍ». شرح جمل الزجاجي لطاهر ابن أحمد ١/ ٥٦.

(٢) قاله السجاوندي في عين المعانِي ورقة ١١٤/ أ، وينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٨.

(٣) البيت من الطويل، لعُرْوَةَ بن حِزامٍ العُذْرِيِّ، وقد جاء في الأصل هكذا: «**تحملت من دلها**»، وعليها ينكسر وزن البيت، وعفراءُ هذه كانت ابنةَ عَمِّهِ، وكان يحبها.

التخريج: ديوانه ص ٣٩، جمهرة الأمثال ١/ ١٧٤، عين المعانِي ورقة ١١٤/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٨، شرح شواهد المغني ص ٤١٤، خزانة الأدب ٣/ ٣٧٨.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾، ثم استثنى إبليسُ، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ / مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ يعني: المُوَحِّدِينَ، فإنِّي لا أستطيع أن أُغْوِيَهُمْ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ قرأ مجاهدٌ والأعمشُ وعاصمٌ وحمزةُ وخَلَفٌ برفع الأوَّلِ ونَصْبِ الثانِي على معنى: فَأنا الحَقُّ، أو فَمِنِّي الحَقُّ، وأَقُولُ الحَقَّ، وقرأ طَلْحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ: «فالْحَقِّ والْحَقِّ» بالكسر فيهما على القَسَمِ، وقرأ الباقون بنصبهما [١].

واختلف النحاة في وجهيهما، فقيل[٢]: نصب الأول على الإغراء، والثانِي بإيقاع القول عليه، وقيل[٣]: إنه أَتْبَعَ قَسَمًا بعد قَسَمٍ، وقال الفراء وأبو عُبيدٍ[٤]: [معناهما: حَقًّا لآتِيَنَّكَ، والألف واللام وطَرْحُهُما سَواءٌ، وهو بمنزلة

---

(١) قرأ طلحة بن مُصَرِّفٍ والحسنُ وعيسى بنُ عُمَرَ وشُعْبَةُ وعبدُ الرحمن بنُ حماد وابنُ السَّمَيْفَعِ بالخفض فيهما، وقرأ ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عَمْرٍو وابنُ عامرٍ والكسائيُّ بالنصب فيهما، ورواها المفضلُ عن عاصمٍ، ينظر: السبعة ص ٥٥٧، حجة القراءات ص ٦١٨، ٦١٩، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٩، ٢٣٠، البحر المحيط ٧/ ٣٩٢، الإتحاف ٢/ ٤٢٥.

(٢) على معنى: فاتَّبِعُوا الحَقَّ، أو فاسْتَمِعُوا الحَقَّ، أو الْزَمُوا الحَقَّ، وهذا قول النحاس ومَكِّيٍّ، ينظر: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٤١، إعراب القرآن له ٣/ ٤٧٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٥، وينظر أيضًا: معانِي القراءات للأزهري ٢/ ٣٣٣، الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ١٧٩.

(٣) هذا القول حكاه النحاس عن أبي حاتم السجستانِيِّ في معاني القرآن ٦/ ١٤١، ويعني بالقَسَمِ الأوَّلِ: «فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ»، وبالقَسَمِ الثانِي: «فالْحَقَّ»؛ لأن قوله: «والحَقَّ» منصوب بـ«أقُولُ»، قال النحاس: «ولا اختلاف في الثانِي أنه منصوب بـ«أقُولُ»». إعراب القرآن ٣/ ٤٧٤

(٤) معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤١٣، وينظر قول أبِي عبيد في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٤، والكشف والبيان ٨/ ٢١٧، ومعنى قولهما أن «حَقًّا» مصدر مؤكد لمضمون جملة «لأَمْلأَنّ»، كأنه قال: لأمْلأنّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ حَقًّا، قال النحاس: «وذلك عند جماعة من النحويين خطأ، لا يجوز: زَيْدًا لأَضْرِبَنَّ؛ لأن ما بعد اللام مقطوعٌ مما قبلها». =

قولك: حَمْدًا للهِ، والحمد] [١] لِله، وهما بمعنًى واحدٍ.

وقيل[٢]: هو مردودٌ إلى ما قبله ومجازه: فَبِعِزَّتِكَ وبِالحَقِّ والحَقَّ أَقُولُ، فلما حُذِفَ الخافض انتصب كما تقول: اللهَ لأفْعَلَنَّ[٣].

و«الحَقَّ» الثانِي يجوز أن يكون الأوَّلَ، فَكَرَّرَهُ للتأكيد[٤]، ويجوز أن يكون منصوبًا بـ﴿أَقُولُ﴾، كأنه قال: وأقول الحقَّ، وهو قَسَمٌ أَقْسَمَ اللهُ تعالى به أن يملأ جَهَنَّمَ من إبليسَ وأتباعِهِ، وهو قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾؛ أي: من نفسك وذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ومحل ﴿أَجْمَعِينَ﴾ خفضٌ؛ لأنه توكيدٌ للمضمر، وهو الهاء والميم[٥]، وهما في موضع خفضٍ، ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ

= إعراب القرآن ٣/ ٤٧٤، وقال أبو حيان: «وهذا المصدر الجائي توكيدًا لمضمون الجملة لا يجوز تقديمه عند جمهور النحاة». البحر المحيط ٧/ ٣٩٣، وينظر أيضًا: ارتشاف الضرب ص ١٧٨٧، الفريد ٤/ ١٨٠، الدر المصون ٥/ ٥٤٦.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق من معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٣، والكشف والبيان ٨/ ٢١٧.

(٢) قاله الفارسي في الحجة ٣/ ٣٣٦، ٣٣٧، ومعناه أن قوله: «فالحَقُّ» قَسَمٌ، وعليه فجواب القسم قوله: «لأمْلأنّ»، ويكون قوله: «والحَقَّ أَقُولُ» جملةً معترضةً بين القسم وجوابه، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٥، كشف المشكلات ٢/ ٢٦٩، الفريد للهمداني ٤/ ١٨٠، البحر المحيط ٧/ ٣٩٢، ٣٩٣، الدر المصون ٥/ ٥٤٦.

(٣) وقال سيبويه: «واعْلَمْ أنك إذا حَذَفْتَ من المحلوف به حَرْفَ الجَرِّ نَصَبْتَهُ، كما تَنْصِبُ «حَقًّا» إذا قلت: إنّكَ ذاهِبٌ حَقًّا، فالمَحْلُوفُ به مُؤَكِّدٌ به الحَدِيثُ، كما تُؤَكِّدُه بالحق، ويُجَرُّ بحروف الإضافة كما يُجَرُّ «حَقٌّ» إذا قلت: إنّكَ ذاهِبٌ بِحَقٍّ، وذلك قولك: اللهَ لأفْعَلَنَّ». الكتاب ٣/ ٤٩٧.

(٤) قاله الأخفش والفارسي، ينظر: الحجة للفارسي ٣/ ٣٣٧، عين المعانِي ورقة ١١٤/ أ، وينظر أيضًا: كشف المشكلات ٢/ ٢٦٩.

(٥) يعني الهاء والميم في قوله: «مِنْهُمْ»، ويجوز أن يكون توكيدًا للضمير في قوله: «مِنْكَ» =

أَجۡرٍ﴾ يعنـي القرآن، وقيل: على تبليغ الوحـي، كناية عن غير مذكور ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾ ﴿مِنۡ﴾ صلـةٌ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ أتـكلَّفُ القرآنَ من تلقاء نفسـي، وقيل: من طالِبِي الأجْرِ تكليفًا ﴿إِنۡ هُوَ﴾ يعني القرآن، أي: ما هو ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ أي: موعظةٌ للخلق أجمعين ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ يعني القرآن وأنِّي رسولٌ غير مُتكَلِّفٍ ﴿بَعۡدَ حِينِۭ ٨٨﴾ يعني الموت، وقيل: يعني: يوم القيامة، وقيل: يعني يوم بدرٍ.

فصلٌ

عن سَلَمةَ بن نُفَيْلٍ[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلْمُتَكَلِّفِ ثلاثُ علاماتٍ: يُنازِعُ مَنْ فَوْقَهُ، ويَتَعاطَى ما لا يُنالُ، ويقول ما لا يَعْلَمُ»[2].

وعـن عُمَـرَ بنِ الخطاب وعبدِ الله بن مسـعودٍ ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قالا: يا أيها الناس: مَنْ عَلِمَ شيئا فَلْيُعَلِّمْهُ الناسَ ولا يَكْتُمْهُ، ومن لَمْ يَعْلَمْ شيئًا فَلْيَقُلْ: اللهُ أعْلَمُ، فإن من العلم أن يقول لِما لا يعلم: اللهُ أعْلَمُ، ولا يَسْـتَنْكِفْ أن يقول: لا أعلم، فَيَهْلِكَ ويَصِيرَ من المتكلفين، ويَمْرُقَ من الدِّينِ، فإن الله عزّ وجـلّ يقولُ لِنَبيِّهِ ﷺ يقول: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾[3]، والله أعلم، وبالله الحَوْل والقوّة.

= وَلِمَنْ عُطِفَ عليه في قوله: «مِنْهُمْ»، ينظر: الكشاف ٣/ ٣٨٤، الفريد للهمداني ٤/ ١٨١، البحر المحيط ٧/ ٣٩٣، الدر المصون ٥/ ٥٤٧.

(١) هو سـلمة بن نُفَيْلٍ السَّـكُونِيُّ التُّراغِمِيُّ الحضرمي، له صحبة، رَوَى عن النبي ﷺ، رَوَى له النسائيُّ حديثًا واحدًا، أصله من اليمن، وسكن حمص. [تهذيب الكمال ١١/ ٣٢٣، ٤٢٤، الإصابة ٣/ ١٣٠].

(٢) هذا الحديث موضوع، رواه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٨٣، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢١٨، عين المعاني ورقة ١١٤/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٣١، كشف الخفاء ٢/ ٤٠٦.

(٣) روى الإمام أحمد خَبَرًا نحوَهُ عن مسـروق في المسـند ١/ ٤٣١، والبخاري في صحيحه ٦/ ١٩، ٣٢، ٤٠ كتاب تفسير القرآن: سورة العنكبوت، وسورة الزمر، وسورة الدخان.

سورة الزمر

مكيــة إلا آيتين منها، وهــو قوله تعالــى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾... الآية[١]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ / عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾... الآية[٢].

وهي أربعة آلافٍ وسبعمائةٍ وثمانية أحرفٍ، وألفٌ ومائةٌ واثنتان وسبعون كلمةً، وخمسٌ وسبعون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الزُّمَـرِ لَمْ يَقْطَـع اللهُ تعالى رَجاءَهُ، وأعطـاه ثواب الخائفيـن الذين خافوا الله تعالى»[٣].

ورُوِيَ عنــه ﷺ أنــه قال: «مَنْ قَرَأ ســورة الغُرَفِ حَشَـرَهُ الله فــي زُمْرةِ المتقين، وأمِنَ من زُمْرةِ المجرمين»[٤].

---

(١) الزمر ٢٣.

(٢) الزمر ٥٣.

(٣) ينظر: الكشـف والبيـان ٨/ ٢٢٠، الوسـيط ٣/ ٥٦٩، الكشـاف ٣/ ٤١١، مجمع البيان ٨/ ٣٨١، عين المعانِي ورقة ١١٤/ أ.

(٤) لَمْ أعثر له على تخريج.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني القرآن ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ ①﴾ في أمْرِهِ، قال الفراء[١]: معناه: هذا تَنْزِيلُ الكتاب، وإن شئتَ رَفَعْتَهُ بـ«مِنْ» تقديره: مِنَ اللهِ تَنْزِيلُ الكتابِ. وإن شئتَ جعلته ابتداءً وخبره فيما بعده، وهو قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[٢]، وأجاز الفراء والكسائيُّ: «تَنْزِيلَ» بالنصب[٣] على أنه مفعولٌ، قال الكسائيُّ[٤]: معناه: اتَّبِعُوا أو اقْرَؤوا تَنْزِيلَ الكتابِ، وقال الفراء[٥]: على الإغراء مثل: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[٦]؛ أي: الْزَمُوا، وهو مصدرٌ مضافٌ إلى المفعول أو بمعنًى «مُنْزَلٌ» أُضِيفَ إلى مَوْصُوفِهِ لاختلافِ اللفظينِ.

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: للحق ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ②﴾ مُوَحِّدًا له، لا تُشْرِكُ به شَيْئًا، والإخلاص: أن يَقْصِدَ العبدُ بِنِيَّتِهِ وعَمَلِهِ إلى خالقه، لا يجعل ذلك لِعَرَضِ الدُّنْيا، والإخلاص فِي كلام العرب:

---

(١) معانِي القرآن ٢/ ٤١٤.

(٢) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٤٣، إعراب القرآن ٤/ ٣، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٧.

(٣) وقد قرأ بالنصب عيسى بنُ عمر وابنُ أبِي عبلة وزيدُ بنُ عليٍّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣١، البحر المحيط ٧/ ٣٩٧.

(٤) ينظر قول الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٧.

(٥) قال الفراء: «ولو نَصَبْتَهُ وأنتَ تأمر بِاتِّباعِهِ ولُزُومِهِ، كان صوابا، كما قال الله: «كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ»؛ أي: الْزَمُوا كِتابَ اللهِ». معاني القرآن ٢/ ٤١٤.

(٦) النساء ٢٤.

ما لا يَشُوبُهُ غَيْرُهُ، يقال: أَخْلَصْتُ هذا من هذا، لكلِّ ما أَخْرَجْتَهُ مِنْ شَوْبِ غَيْرِهِ[١]، والخالص: هو الذي لا يخالطُه شِرْكٌ، ولا يُمازِجُهُ شَكٌّ، ولا يَشُوبُهُ رِياءٌ، ولا يُطْلَبُ عليه جَزاءٌ، ونصب «مُخْلِصًا» على الحال، و«الدِّينَ» مفعول به، أي: تُخْلِصُ له الدِّينَ.

قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني الأصنام ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ يعني: مَنْزِلةً؛ أي: لِيَشْفَعُوا لنا إلى اللهِ، والتقرب: الشفاعة، والزُّلْفَى: القُرْبَى، واحدتها: زُلْفةٌ وقُرْبةٌ، وهي اسمٌ أُقِيمَ مُقامَ المَصْدَرِ، كأنه قال: إلا ليقربونا إلى الله تقريبًا، فهي في موضعِ نصبٍ على المصدر، وقيل: على المفعول له[٢].

قوله عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لِلْحَقِّ، ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ/ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ يعني: يُغْشِي هَذا هَذا، ويُغْشِي هَذا هَذا[٣]، فَتُذْهِبُ ظُلْمةُ اللَّيْلِ ضَوْءَ النَّهارِ، ويُذْهِبُ ضَوْءُ النَّهارِ ظُلْمةَ اللَّيْلِ، نظيره قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾[٤]، والتكوير: طرح الشيء بعضه على بعضٍ. وأصل التكوير اللَّفُّ والجَمْعُ، من: كَوَّرَ يُكَوِّرُ تكْوِيرًا: إذا جَمَعَهُ، ومنه: كَوْرُ العِمامةِ[٥].

---

(١) الشَّوْبُ: الخَلْطُ. اللسان: شوب.

(٢) كونه مصدرًا هو ما قاله أكثر العلماء، ولَمْ أقف على قولٍ يجيز كونَه مفعولاً له، وقد أجاز العكبري إعرابَهُ حالًا مؤكِّدةً، فقال: «و«زُلْفَى» مصدرٌ أو حالٌ مُؤَكِّدةٌ». التبيان ص ١١٠٨، وينظر: الفريد ٤/ ١٨٤، الدر المصون ٦/ ٥.

(٣) قال النحاس: «قال الضحاك: أي: يُلْقِي هذا عَلَى هذا، وهذا عَلَى هذا». إعراب القرآن ٤/ ٤، وقال أبو عمر الزاهد: «أي: يُدْخِلُ هذا في هذا، وهذا في هذا». ياقوتة الصراط ص ٤٤٣

(٤) الأعراف ٥٤، والرعد ٣.

(٥) من أول قوله: «وأصل التكوير اللَّفُّ»، قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٣٨٢، وينظر: =

قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حَوّاءَ، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ مفسرة في سورة الأنعام(١)، ومعنى الإنزال هاهنا: الإنشاء والإحداث، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ نُطَفًا ثُمَّ عَلَقًا، إلى أن يخرج من بطن أُمِّهِ ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ ظُلْمةِ المَشِيمةِ، وظُلْمةِ البَطْنِ، وظُلْمةِ الرَّحِمِ(٢)، والمَشِيمةُ: هي التي يكون فيها الوَلَدُ، وهي الحَوايا التي يخرج منها الوَلَدُ، والسَّلَى: الَّتِي تكُونُ معها(٣).

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يريد: الذي خلق هذه الأشياء رَبُّكُمْ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾؛ أي: تُعْرِضُونَ عن طريق الحَقِّ بعد هذا البيان.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ الآية، يعني: مخلصًا راجعًا مستغيثًا به، وهو نصبٌ على الحال، وقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ يعني: فِي الدنيا إلى أجَلِكَ، قال الزجّاج(٤): لَفْظُهُ لَفْظُ الأمْرِ، ومعناه التهديدُ والوعيدُ.

ثم قال: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾؛ أي: مصيرك إلى النار، وأراد بذلك

= غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٣٤، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٥٢، وكَوْرُ العمامة: لَفُّها وجَمْعُها، وقيل: إدارَتُها على الرأس. اللسان: كور.

(١) الآية ١٤٣، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٢) قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٨٢، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٤٥، غريب القرآن للسجستانِي ص ١٣٥، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٥٤، ياقوتة الصراط ص ٤٤٣.

(٣) السَّلَى: الجِلْدةُ الرَّقِيقةُ التي يكون فيها الوَلَدُ، يكون هذا للناس والخيل والإبل، والجمع أَسْلاءٌ. اللسان: سلي.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٤٦.

عُتْبَةَ بن رَبيعةَ، وقيل: أبا حذيفة بنَ المغيرة، ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ على النعت لمصدرٍ محذوفٍ أو ظرفٍ محذوفٍ، تقديره: متاعًا قليلًا أو وقتًا قليلًا.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ الأصل: أمْ مَنْ، فأدغمت الميم فِي الميم، وهو يقرأ بالتخفيف والتشديد، قرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وحمزةُ ويحيى والأعمشُ بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد[1].

فمن شَدَّدَ فله وجهان، أحدهما: أن تكون الميم في «أمْ» صلةً، ويكون معنى الكلام الاستفهامَ، وجوابه محذوفٌ، مجازه: أم من هو قانتٌ كَمَنْ هو غَيْرُ قانِتٍ؟ والثانِي: أن يكون بمعنى العطف على الاستفهام، تقديره: أهذا خَيْرٌ أم مَنْ هُوَ قانِتٌ؟ فحُذِفَ لدلالة الكلام، ونحوها كثيرٌ[2].

ومَنْ خَفَّفَ فله أيضًا وجهان، أحدهما: أن يكون الألف في «أَمَنْ» بمعنى حرف النداء، تقديره: يا مَنْ هُوَ قانِتٌ، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بـ«يا»، فتقول: يا زَيْدُ أَقْبِلْ، وتقول: أَزَيْدُ أَقْبِلْ[3].

---

(١) ينظر: السبعة ص ٥٦١، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٣٨، البحر المحيط ٧/ ٤٠٢، الإتحاف ٢/ ٤٢٨.

(٢) ينظر في هذين الوجهين: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٥٨، إعراب القرآن ٤/ ٥، ٦، الحجة للفارسي ٣/ ٣٣٩، الكشف والبيان ٨/ ٢٢٣، عين المعانِي ورقة ١١٤/ ب.

(٣) هذا الوجه قاله الفراء والنحاس، وعليه فالمعنى: يا مَنْ هُوَ قانِتٌ، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤١٦، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥، وقد رَدَّهُ الفارسيُّ، فقال: «ولا وَجْهَ للنداء هاهنا؛ لأن هذا موضعُ مُعادَلةٍ، فليس النداءُ مما يقع في هذا الموضع، إنما يقع في نحو هذا الموضعِ الجُمَلُ التي تكون إخبارًا، وليس النداء كذلك». الحجة ٣/ ٣٣٩، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٨، كشف المشكلات ٢/ ٢٧١، الفريد للهمداني ٤/ ١٨٥.

[١٢٢/ أ] والوجه الثانِي(١): أن / يكون الألِفُ في «أمَنْ» أَلِفَ الاستفهام، ومعنى الآية: أهذا كالذي جَعَلَ للهِ أندادًا، فاكتفى بما سبق إذْ كان معنى الكلام مفهومًا.

والقانت: المقيمُ على الطاعة، القائمُ بما يجب عليه من أمر الله تعالى، وآناءُ الليل: ساعاتُهُ، وهو نصبٌ على الظرف، ونصب ﴿سَاجِدًا﴾ ﴿وَقَآئِمًا﴾ على الحال، قيل: نزلت هذه الآية في أبِي بكرٍ الصديق ـ رضي الله عنه ـ، وقيل: في عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وقيل: في عَمّارِ بنِ ياسِرٍ مَوْلَى أبِي حذيفةَ بنِ المغيرة بنِ عبد الله المخزوميِّ(٢)؛ لأنه قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ يعني عَمّارًا ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أبا حذيفة، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يَتَّعِظُ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ ذَوُو العقول.

فصْلٌ

عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ قال: سمعتُ ابن عبّاسٍ يقولُ: «مَنْ أحَبَّ أن يُهَوِّنَ اللهُ عزّ وجلّ عليه الموقفَ يوم القيامة فَلْيَرَهُ اللهُ فِي سواد الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه»(٣).

---

(١) هذا الوجه قاله الفراء والأخفش والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤١٧، معانِي وإعرابه ٤/ ٣٤٧، وقول الأخفش حكاه النحاس في معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٥٧، على أن الأخفش قد ضَعَّفَ قراءة التخفيف، قال النحاس: «قال الأخفش: قراءةُ مَنْ قَرَأ: «أمَنْ هُوَ» بالتخفيف ضعيفة في العربية؛ لأن ألف الاستفهام لا يُعْتَمَدُ على ما قبلها»، وينظر أيضًا: الحجة للفارسي ٣/ ٣٤٠، معانِي القراءات للأزهري ٢/ ٣٣٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٨، كشف المشكلات ٢/ ٢٧١.

(٢) القول الأول لابن عباس، والثانِي لابن عُمَرَ، والثالث لِمُقاتِلٍ، ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٢٤، الوسيط ٣/ ٥٧٤، أسباب النزول للواحدي ص ٢٤٧، زاد المسير ٧/ ١٦٦-١٦٧، عين المعانِي ١١٤/ ب، لباب النقول ص ١٦٨.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٢٣٩، تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان) ٥/ ٨٢.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ يعني: بالتوحيد لا أشرك به شيئًا، ونصب ﴿ٱللَّهَ﴾ بـ﴿أَعْبُدُ﴾، و﴿مُخْلِصًا﴾ على الحال، والدِّين نصب بوقوع الإخلاص عليه.

وقوله: ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أمْرُ تَوْبِيخٍ وتهديد، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿لَهُم﴾ يعني: للكفار ﴿مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أطباقٌ وسُرادِقاتٌ من النارِ ودُخانِها، وهي رفعٌ على خبر اللام الزائدة في قوله: ﴿لَهُم﴾، ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ فِراشٌ ومِهادٌ من نارٍ، وإنما سُمِّيَ الأسفلُ ظُلَلاً؛ لأنها ظُلَلٌ لِمَنْ تَحْتَهُمْ، نظيرها قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[2]، قال ثعلب[3]: قلتُ لابن الأعرابِيِّ: ظُلَلٌ مِنْ فوقهم، كيف تكون الظلل من تحتهم؟ قال: الظُّلَلُ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ لِمَنْ تَحْتَهُمْ من الطَّبَقِ الثانية، فهي لهم ـ يعني: لِمَنْ فَوْقَهُمْ ـ بِساطٌ، وهي لِمَنْ تَحْتَهُمْ ظُلَلٌ، وهكذا هَلُمَّ جَرًّا حتى يَنْتَهِيَ إلى القعر من النار، أجارنا الله منها.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ﴾؛ أي: فَأَدْخَلَهُ ﴿يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ نصبٌ على الظرف؛ أي: عُيُونٌ تَنْبُعُ، جمع يَنْبُوعٍ وهو يَفْعُولٌ[4] من: نَبَعَ الماءُ يَنْبَعُ، والينابيع: الأمكنة التي يَنْبُعُ منها الماء.

---

(١) فصلت ٤٠.

(٢) الأعراف ٤١.

(٣) حكاه عنه أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٤٤٤-٤٤٥، والأزهري في تهذيب اللغة ١٤/ ٣٦٠.

(٤) في الأصل: «مفعول»، وهو خطأ. وينظر: مجاز القرآن ١/ ٣٩٠، معاني القرآن للنحاس ٦/ ١٦٥، تهذيب اللغة ٣/ ٨.

قولـه: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ﴾ يعني: بالماء ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ مِـنْ بَيْنِ أَحْمَرَ وأَخْضَرَ وأَصْفَرَ، مختلفٍ فِي طعمه ورائحته، وإنما قال: ﴿مُّخْتَلِفًا﴾ / لأنه قدم النعت على الاسم، فلذلك نصب، نظيره في سورة الملائكة[١]. [١٢٢/ ب]

وقولـه: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يعني: من بعد الخُضْرةِ والحُسْـنِ، يقال: هاجَتِ الأرضُ: إذا ذَوَى[٢] ما فيها من الخُضْرةِ ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ مُتبقِّعًا لَوْنُهُ، نظيره في سورة الحديد[٣]، وهو منصوبٌ على الحال.

قولـه تعالـى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن، أكْمَلُـهُ بُرْهانًا، وأجْمَعُـهُ بيانًا، وأعْدَلُهُ حُكْمًا، وأفْصَحُهُ نَظْمًا ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [يُشْـبِهُ] بعضُهُ بعضًا في الحسـن، ويُصَدِّقُ بعضُـهُ بعضًا[٤]، ليس فيه تناقـضٌ ولا اختلافٌ، وقيل[٥]: لأن الآية منه تُشْـبِهُ الآيةَ، والكلمة تشـبه الكلمة، وسُمِّيَ حَدِيثًا؛ لأن النبـي ﷺ كان يُحَدِّثُ به قومـه، ويخبرهم ما يُنَزَّلُ عليـه منه. ونصب ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ على البدل من ﴿أَحْسَنَ﴾.

وقوله: ﴿مَّثَانِىَ﴾ يعني: وعدًا ووعيدًا، وأمرًا ونهيًا، مشتملاً على البركة والشـفاءِ في الدنيا، والرحمةِ والثوابِ والعقابِ في الآخرة، وهو جمعُ مَثْنَى،

---

(١) فاطر ٢٧، وهي قوله تعالى: ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾، وينظر ٢/ ١٩٩.

(٢) ذَوَى الزَّرْعُ: ذَبَلَ وجَفَّ. اللسان: ذوي.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ [الحديد: ٢٠]، وينظر ما سيأتي ٣/ ٣٤١.

(٤) هذا قول سـعيد بن جبير والنحاس، ينظر: جامع البيان ٢٣/ ٢٥٠، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٦٨، الكشف والبيان ٨/ ٢٣٠، الوسيط للواحدي ٣/ ٥٧٨.

(٥) قالـه قتادة والسـدي، ينظر: جامـع البيان ٢٣/ ٢٥٠، الكشـف والبيان ٨/ ٢٣٠، تفسـير القرطبي ١٥/ ٢٤٩.

وهو المُرَدَّدُ والمُكَرَّرُ، وسُـمِّيَ القرآنُ مَثانِيَ لأنـه تُثَنَّى فيه الأخبار والأحكام والحدود، وتُثَنَّى فيه التلاوة، فلا يُمَلُّ. وهو منصوبٌ على النعت للكتاب، ولَمْ ينصرف لأنه جَمْعٌ لا نظير له في الواحد.

وقولـه: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يريـد: خوفًا مما فِي القرآن من الوعد والوعيد، ومعنى ﴿تَقْشَعِرُّ﴾: تأخذهم قشـعريرةٌ، وهي تَغَيُّرٌ يحدث في جِلْدِ الإنسـان عنـد الوجل والخوف، وقولـه: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: تطمئـن وتسـكن ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ والجنـةِ والثوابِ، فحذف مفعول الذِّكر للعلم، ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني أحسـن الحديـث، وهو القرآن ﴿هُدَى ٱللَّهِ قُلُوبُهُم ﴿٢٣﴾﴾ الآية.

فصْلٌ

عن العباسِ بنِ عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقْشَعَرَّ جِلْدُ العَبْدِ مِنْ خَشْيةِ اللهِ تَحاتَّتْ ذُنُوبُهُ، كَما يَتَحاتُّ عَنِ الشَّجَرةِ اليابِسةِ وَرَقُها»[1].

قال الزجّاج[2]: إذا ذُكِرَتْ آيـاتُ العذاب اقْشَعَـرَّتْ جُـلُودُ الخائفين لِله، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ إذا ذُكِـرَتْ آياتُ الرحمـة. وهذا مع قول جميع المفسرين.

---

(١) ينظر: الكشـف والبيان ٨/ ٢٣٢، الوسيط ٣/ ٥٧٨، عين المعانِي ورقة ١١٤/ ب، مجمع الزوائـد ١٠/ ٣١٠ كتاب الزهد: باب فيمن اقشـعر من خشـية الله، ومعنـى «تَحاتَّتْ عنه ذُنُوبُهُ»: تساقطت. اللسان: حتت.

(٢) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٥٢.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ نزلت في أبي جهلٍ، قال الكلبي(١): يُنْطَلَقُ به إلى النار مغلولًا، فإذا رَمَتْ به الخَزَنَةُ فيها لَمْ يَتَّقِها بِأَوَّلَ مِنْ وَجْهِهِ. قال الزجّاج(٢): والمعنى: أفمن يتقي بوجهه سُوءَ العذاب كمن يدخل الجنة؟.

[١٢٣/ أ] / ومَحَلُّ «مَنْ» رفعٌ بالابتداء، وخبره مضمرٌ فيه، تقديره: كَمَنْ ليس بهذه الصفة، وكَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للإسلامِ(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ يعني أهل مكة ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ لكي يتعظوا بما فيه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ قيل: غير ذِي لَحْنٍ، وقيل: غير مختلفٍ، ولكنه مستقيم ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ وقيل: غير مخلوقٍ، وفي هذا رَدٌّ على من يقول بِخَلْقِ القرآن، وتكذيبٌ له.

ونصب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ على الحال، وقيل: على القطع، وقيل: على معنى: أنزلناه قرآنًا عَرَبِيًّا، فيكون أيضًا منصوبًا على الحال، وقيل(٤): ﴿عَرَبِيًّا﴾ منصوبٌ على الحال، و﴿قُرْءَانًا﴾ تَوْطِئَةٌ للحال، كما تقول: مررت بِزَيْدٍ رجلًا صالِحًا، فقولك: صالِحًا منصوب على الحال.

---

(١) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٣/ ٥٧٩.

(٢) قال الزجاج: «هذا مِمّا جَوابُهُ مَحْذُوفٌ، المعنى: كَمَنْ يَدْخُلُ الجَنّةَ». معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٥٢.

(٣) هذا شرح وتوضيح لِما قاله الزجاج، وقال الأخفش: «وقال: «أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ»، فهذا لَمْ يظهر له خبر في اللفظ، ولكن المعنى، والله أعلم، كأنه: أفمن يتقي بوجهه أفضلُ أم مَنْ لا يَتَّقِي». معاني القرآن ص ٤٥٦.

(٤) هذا قول الزجاج والأخفش الأصغر، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٩، وقول الأخفش الأصغر حكاه النحاس عنه في إعراب القرآن ٤/ ١٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٩.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ قال الكسـائي[١]: نصب ﴿رَّجُلًا﴾؛ لأنه ترجمةٌ للمَثَلِ وتفسـيرٌ له، وإن شئت نصبته بِنَزْعِ الخافض، مجازه: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِرَجُلٍ أو في رَجُلٍ، وقيل[٢]: هو منصوبٌ على البدل من المَثَلِ.

وقولـه: ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾؛ أي: مُتَعاسِـرُونَ مُتَضايِقُـونَ، وقيل: مُخْتَلِفُونَ، والشَّكَسُ: سُوءُ الخُلُقِ، وهو مَثَلٌ لعابد الأصنام[٣].

وقوله: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ يعني: خالصًا لِرَجُلٍ، لا يَشْـرَكُهُ فيه غَيْرُهُ، يقال: سَـلِمَ الشَّـيْءُ لفلان: إذا خَلَصَ له[٤]. قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو ويعقوبُ وابن عبّاسٍ ومجاهدٌ والحسنُ: «سـالِمًا» بالألف، وقرأ الباقون: «سَلَمًا» بغير ألف، وقرأ بعضهم: «سِـلْمًا»[٥] بكسر السين وإسـكان اللام، وهما مصدران وُصِفَ بهما[٦]؛ أي: سِلْمٌ إليه، وهو سِلْمٌ وسَلَمٌ: لا يَعْتَرِضُ فيه عليه أحَدٌ، وهذا

---

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ٢٣٣، المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٩، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٥٢، البحر المحيط ٧/ ٤٠٧.

(٢) والتقدير على هذا: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً مَثَلَ رَجُلٍ، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، ينظر: كشف المشكلات ٢/ ٢٧٢، عين المعانِي ورقة ١١٤/ ب، الفريد ٤/ ١٩٠.

(٣) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٨٣، تهذيب اللغة ١٠/ ٥-٦.

(٤) قاله أبو بكر السجستانِيُّ في تفسير غريب القرآن ص ١٣٥.

(٥) قرأ بالألف أيضًا ابنُ مسعود وابنُ محيصن واليزيديُّ والجحدريُّ وعكرمةُ وقتادةُ والزهريُّ، ورواها أبانٌ عن عاصم، وقرأ ابنُ جبير وعكرمةُ وأبو العالية ونصرُ بن عاصم: «سِلْمًا»، وقرأ الباقون وحفصٌ عن عاصمٍ: «سَلَمًا»، ينظر: السبعة ص ٥٦٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٥٣، البحر المحيط ٧/ ٤٠٧، الإتحاف ٢/ ٤٢٩.

(٦) قال الزجاج: «وسَـلَمٌ وسِـلْمٌ: مصدران وُصِفَ بهما على معنى: ورَجُلاً ذا سَـلَمٍ». معانِي القـرآن وإعرابه ٤/ ٣٥٢، وينظـر: معاني القراءات ٢/ ٣٣٨، تهذيـب اللغة ١٢/ ٤٤٨، الحجة للفارسي ٣/ ٣٤١، الفريد للهمداني ٤/ ١٩١.

مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لأهل التوحيد، ومَثَلُ الذي عَبَدَ الآلهةَ مَثَلُ صاحب الشركاء المُتَشاكِسِينَ؛ أي: المُخْتَلِفِينَ العَسِرِينَ الأخلاقَ[1].

ثم قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ يعني المؤمنَ الذي لا يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ وَحْدَهُ، والكافرَ الذي يَعْبُدُ آلِهةً شَتَّى، وهذا استفهامٌ معناه الإنكارُ؛ أي: لا يستويان، وإنما لَمْ يَقُلْ: مَثَلَيْنِ لأنهما جميعا ضُرِبا مَثَلًا واحدًا[2]، يعني أن إرضاء الواحد أسهل من إرضاء الفِئةِ، ونصب ﴿مَثَلًا﴾ على التفسير.

وَتَمَّ الكلامُ، ثم قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: له الحمد كله دون غيره من المعبودين ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ما يصيرون إليه من العقاب، والمراد بالأكثر الكُلُّ.

ثم أخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بأنه يموت، وأن هؤلاء الذين يكذبون يموتون، ويجتمعون للخصومة عند الله، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ قال الحسن والفراء والكسائي[3]: المَيِّتُ بالتشديد: مَنْ لَمْ

---

(١) من أول قوله: «وهما مصدران وصف بهما»، قاله أبو بكر السجستانِيُّ فِي تفسير غريب القرآن ص ١٣٥.

(٢) قاله الفراء في معانِي القرآن ٢/ ٤١٩، وينظر أيضًا: عين المعانِي ورقة ١١٥/ أ.

(٣) قول ثلاثتهم في الكشف والبيان ٨/ ٢٣٤ وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٥٤، ولم أقف على قول الفراء في المعانِي، وقال الزجاج: «وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، أصله: المَيِّتةُ بالتشديد، إلا أنه مخفف، ولو قرئت: «المَيِّتةُ» لَجازَ، يقال: مَيِّتٌ ومَيْتٌ، والمعنى واحد، وقال بعضهم: المَيِّتُ يقال لِما لَمْ يَمُتْ، والمَيْتُ لِما قد مات، وهذا خطأٌ، إنما مَيِّتٌ يصلح لِما قد مات ولَما سيموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال الشاعر في تصديق أن المَيِّتَ والمَيْتَ بمعنى واحد:

لَيْسَ مَنْ ماتَ فاسْتَراحَ بِمَيْتٍ ... إنّما المَيْتُ مَيِّتُ الأحْياءِ =

يَمُتْ وسَـيَمُوتُ/ ، والمَيْتُ بالتخفيف: الذي فارقه الرُّوحُ، فلذلك لَمْ يخففه هاهنا، قال الخليل:

٢٠٤ ـ تُسـائِلُنِي تَفْسِيرَ مَيْتٍ وَمَيِّتٍ فَدُونَـكَ قَدْ فَسَّـرْتُ إنْ كُنْتَ تَعْقِلُ
فَمـا كانَ ذا رُوحٍ فَذَلِـكَ مَيِّـتٌ وَما المَيْتُ إلّا مَنْ إلَى القَبْرِ يُحْمَلُ(١)

فبَيَّنَ الفرقَ بينهما فِي البيت الأخير.

وقـرأ ابن محيصن وابن أبِي إسـحاق وابن أبِي عبلة وعيسـى بن عمر: «إنّـكَ مائِـتٌ» بالألف «وَإنّهُـمْ مائِتُـونَ»(٢)، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ

= فجعـل المَيْتَ مخففًا من المَيِّتِ». معانِي القرآن وإعرابه ٢/ ١٤٤، وقال النحاس: «ومَيِّتٌ جائـز أيضًا، وتخفيفه جائز عنـد غير أبِي عمرو بن العلاء، فإنـه كان لا يجيز التخفيف في المستقبل». إعراب القرآن ٤/ ١١، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ٣٤٣.

(١) البيتان من الطويل، وقد نُسِبا للخليل بن أحمد في عين المعانِي، ورواية صدر الأول في تاج العروس:

أيا سـائِلي تَفْسِـيرَ مَيْتٍ وَمَيِّتِ

تاج العروس: موت، وقد استبعد الأستاذ صبحي البصام أن يكون هذان البيتان لأبِي عمرو ابن العلاء أو للخليل، فقال: «إنما هما من نَمَطِ الشعر التعليمي الذي لا عهد للخليل بمثله، فكيف أبو عمرو؟ وهو بأسلوبه المُتَكَلَّفِ ومعناه الفاسدِ ليس مما يجوز أن يُلَطَّخَ بزمانهما». مقال بعنوان: «مَيِّتٌ بالتثقيل ومَيْتٌ بالتخفيف»، للأستاذ صبحي البصام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٥٧، الجزء الثانِي ص ١٧٤، سنة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

التخريج: تفسير النسفي ٣/ ٢١٩، عين المعانِي ورقة ١١٥/ أ، التاج: موت.

(٢) وبهـا قرأ أيضًا ابنُ الزبيـر واليمانِيُّ وابنُ أبِي غوث، ينظر: مختصـر ابن خالويه ص ١٣١، المحتسب ٢/ ٢٥٣، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٥٤، الإتحاف ٢/ ٤٢٩، قال النحاس: «وهي قراءة حسـنة، ومثل هـذه الألف تحذف في السـواد، ومائت في المسـتقبل كثير في كلام العرب، ومثله: ما كان مريضًا وإنه لَمارِضٌ من هذا الطعام». إعراب القرآن ٤/ ١١، وينظر أيضًا: الفريد للهمداني ٤/ ١٩١، البحر المحيط ٧/ ٤٠٨.

﴿تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ المُحِقُّ والمُبْطِلُ والظَّالِمُ والمظلوم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ يعني محمدًا ﷺ، وقيل: جبريل عليه السّلام، وأراد: جاء بالتوحيد والقرآن ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يعني أبا بكرٍ وأصحابَه المؤمنين ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣﴾ الذين اتَّقوا الشِّرْكَ.

﴿وَٱلَّذِى﴾ لإبهامه يصلح للجمع والواحد[1]، وَوَحَّدَ ﴿جَآءَ﴾ على اللفظ، وإن قُرِئَ: «جاؤوا»[2]، وجَمَعَ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وقولِهِ: ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، ثم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[4]، أو حُذِفَ النُّونُ[5] كما قال الشاعر:

٢٠٥ ـ أَبَنِي كُلَيْبٍ إنّ عَمَّيَّ اللَّذا قَتَلا المُلُوكَ وَفَكَّكا الأغْلالا[6]

فحذف النون.

---

(١) يعني أنه يصلح للمفرد وغيره كـ«مَنْ».

(٢) قرأ ابن مسعود والأعمش والربيع بن أنس: ﴿والَّذِي جاءُوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ﴾، ينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ١٧٤، شواذ القراءة ورقة ٢١٠، عين المعاني ورقة ١١٥/ أ، مختصر ابن خالويه ص١٣٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٥٦.

(٣) البقرة ٨.

(٤) البقرة ١٧.

(٥) حُذِفَت النون لطول الاسم، وهو قول سيبويه كما في الكتاب ١/ ١٨٦، وينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ١٧٦، إعراب القرآن ٤/ ١٢، وينظر: الجمل المنسوب للخليل ص ٢١٦، الفريد للهمداني ٤/ ١٩٢، شرح الكافية للرضي ٣/ ١٠٣.

(٦) البيت من الكامل، للأخطل يهجو جريرًا.

اللغة: بنو كليب: قوم جرير، عَمّا الأخطل: أبو حنش عُصْمُ بنُ النعمان، وَدَوْكَسُ بنُ الفَدَوْكَسِ، وكان أبو حَنَشٍ قد قَتَلَ شُرَحْبِيلَ بنَ الحارث في يوم الكُلابِ الأولِ. =

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا ﴾ الآيـة، قـال ابن عبّاسٍ رضي الله عنه [١]: فِي ابـن آدم نَفْسٌ ورُوحٌ، بينهما مثل الشعاع، فالنفس: التي بها العقل والتمييز، والروح: التي بها النَّفَسُ والتحريك، فإذا نام العبد قَبَضَ اللهُ تعالى نفسه ولَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ.

وقـال المفسـرون[٢]: إن أرواح الأحيـاء والأموات تلتقي فـي المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد رجوعَها إلى الأجساد أمسك الله تعالى أرواح الأموات عنده وحَبَسَـها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى وقت انقضاء مدة حياتها، وذلك قوله تعالى: ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾.

قرأ يحيى والأعمشُ وحمزةُ والكسـائيُّ وخَلَـفٌ: «قُضِيَ» بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء «المَوْتُ» بالرفع[٣] على مذهب ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ، وقرأ

= **التخريـج**: ديوانه ص ٢٤٦، الكتاب ١/ ١٨٦، معانِي القرآن للأخفش ص ٨٥، المقتضب ٤/ ١٤٦، المحتسب ١/ ١٨٥، سر صناعة الإعراب ص ٥٣٦، المنصف ١/ ٦٧، الأزهية ص ٢٩٦، إصلاح الخلل ص ٢٠٥، أماليِّ ابن الشجري ٣/ ٥٥، شمس العلوم ٩/ ٥٩٥٣، شـرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ١٦١، ٢/ ١٩٠، شرح المفصل ٣/ ١٥٤، ١٥٥، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٦٢، ١٩٢، شرح الكافية للرضي ٣/ ١٠٢، ٤٩٥، رصف المبانِي ص ٣٤١، اللسان: خطا، ذا، فلج، لذي، البحر المحيط ٧/ ٤١١، همع الهوامع ١/ ١٦٣، خزانة الأدب ٣/ ١٨٥، ٦/ ٦، ٨/ ٢١٠، التاج: لذي.

(١) ينظر قوله في الكشـف والبيـان ٨/ ٢٣٨، مجمع البيان ٨/ ٤٠٤، زاد المسـير ٧/ ١٨٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٦١.

(٢) هذا القول رواه النحاس عن ابن جبير في معانِي القرآن ٦/ ١٧٨، وينظر: جامع البيان ٢٤/ ١٢، الكشف والبيان ٨/ ٢٣٨، زاد المسير ٧/ ١٨٦، القرطبي ١٥/ ٢٦٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٦٠.

(٣) وهي أيضًا قراءة طلحة وعيسـى بن عمر، ينظر: السـبعة ص ٥٦٢، ٥٦٣، تفسـير القرطبي ١٥/ ٢٦٣، البحر المحيط ٧/ ٤١٤، الإتحاف ٢/ ٤٣٠.

الباقون بفتحهـا، وهو الاختيار لقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ فهو يَقْضِي عليها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيتعظون ويعتبرون.

فصْلٌ

عن أَبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا أَوَى أَحَدُكُمْ إلى فراشه فَلْيَضْطَجِعْ على شِـقِّهِ الأيمنِ، وَلْيَقُلْ: باسـمكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وبِكَ أَرْفَعُهُ، فإن أَمْسَكْتَ نفسي فاغفر لها، وإن أَرْسَلْتَها / فاحفظها بِما تَحْفَظُ به عِبادَكَ الصّالِحِينَ»[1]. [١٢٤/ أ]

وعن ابن عبّاسٍ قال: عَلَّمَنِي رسولُ اللهِ ﷺ أن أقول إذا أَخَذْتُ مَضْجَعِي عند النوم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْـلَمْتُ نفسـي إليك، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إليك، ووَجَّهْتُ وَجْهِي إليك، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إليك؛ رَهْبَةً مِنْكَ، ورَغْبَةً إليكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَى منك إلا إليك، اللهم آمَنْتُ بكتابك الذي أَنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ، فإن مِتَّ من ليلتكَ فأنتَ على الفطرة، وإن أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْرًا، واجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تتكلم به»[2]، هذا الحديث رواه البخاري بإسناده عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾ نزلت في أهل مكة، زعموا أن الأصنام شـفعاؤهم عند الله، فقـال الله تعالى منكرا عليهم: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٤٦، ٢٨٣، ٢٩٦، ٤٢٢، ٤٣٣، والبخاري في صحيحه ٧/ ٤٩، كتـاب الدعوات: باب التعوذ والقراءة عند النـوم، ٨/ ١٦٩ كتاب التوحيد: باب السـؤال بأسـماء الله تعالى، ورواه مسلم في صحيحه ٨/ ٧٩ كتاب الذِّكْرِ والدُّعاء: باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) صحيح البخاري ٧/ ١٤٦، ١٤٧، كتاب الدعوات: باب إذا بات طاهرًا، وباب ما يقول إذا نام، وباب النوم على الشِّقِّ الأيمنِ، ٨/ ١٩٦ كتاب التوحيد: باب قول الله تعالَى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ [النسـاء: ١٦٦]، ورواه الإمام مسـلم فـي صحيحه ٨/ ٧٧ كتاب الدعاء والتوبة: باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾ يعني: لأهل مكة ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يريد: مَنْ بِهَذِهِ الصفةِ تتخذونهم شفعاءَ؟.

ثم أخبر أنه لا شفاعة إلا بإذنه، فقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ نصبٌ على الحال، فإن قيل: «جَمِيعٌ» إنما يكون للاثنين فصاعدًا، والشفاعة واحدةٌ، فالجواب: أن الشفاعة مصدرٌ، والمصدر يُؤَدِّي عن الاثنين والجميع[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ﴾ أي: انقبضت، وقيل: نَفِرَتْ، واقْشَعَرَّتْ عن التوحيد ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني: الأصنام التي عبدوها من دونه ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يفرحون، وذلك حين قرأ عليهم النبي ﷺ بمكة سورة النجم، فقال: تلك الغَرانِيقُ العُلَى، وإن شفاعتهن لَتُرْجَى، فرح كفار مكة بذلك حين سمعوا أنّ لَها شفاعةً[٢].

وأصل الاشمئزاز: النفور والازْوِرارُ، و﴿وَحْدَهُ﴾ نَصْبٌ على المصدر عند سيبويه والخليل[٣]، وهو حال عند يونس[٤].

---

(١) السؤال وجوابه قالهما النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٤، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٥٩.

(٢) سبق التعرض لقصة الغرانيق وإبطالها عند تناول الآية ٥٢ من سورة الحج ١/ ٢٥٨.

(٣) قال سيبويه: «هذا باب ما جُعِلَ من الأسماء مصدرًا كالمضاف، وذلك قولك: مررتُ به وَحْدَهُ، ومررتُ بهم وَحْدَهُمْ، ومررت برجلٍ وَحْدَهُ، ومثل ذلك في لغة أهل الحجاز: مررتُ بهم ثُلاثَتَهُمْ وأرْبَعَتَهُمْ... وزعم الخليل، رحمه الله، حيث مَثَّلَ نَصْبَ «وَحْدَهُ» و«خَمْسَتَهُمْ» أنه كقولك: أفْرَدْتُهُمْ إفرادًا، فهذا تمثيل، ولكنه لَمْ يُسْتَعْمَلْ في الكلام». الكتاب ١/ ٣٧٣، ٣٧٤، ولكن سيبويه أورد «وَحْدَهُ» بعد ذلك في باب ما ينتصب أنه حال يقع فيه الأمر وهو اسم، وحمله على ما ورد عن العرب حالًا وهو معرفة، مثل: أرْسَلَها العِراكَ ونحوه، ينظر: الكتاب ١/ ٣٧٦، ٣٧٧.

(٤) قول يونس حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٤، ومَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن =

قولـه تعالـى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ نصبٌ على النداء المضاف، وقال صاحب إنسان العين: هو[1] منصوبٌ بإضمار فعلٍ؛ لأن ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ فِي معرض الأصوات، ولا يوصف؛ ولأنه في غاية المعرفة، فلا يُعَرَّفُ بالصِّفةِ[2].

والحَقُّ أنه[3] بِمَنْزِلَةِ: يا أللهُ يا فاطِرَ السماواتِ، وقد ذكرتُ نظيرها في سورة آل عمران، في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [4].

قولـه تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾، والقرآن

= ٢/ ٢٥٩، ولكن سيبويه ذكر أن يونس ينصب «وَحْدَهُ» على الظرف، فقال: «وزعم يونس أن «وَحْدَهُ» بِمَنْزِلَةِ «عِنْدَهُ»، وجعل يونس نصب «وَحْدَهُ» كأنك قلت: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ على حِيالِهِ، فطُرِحَتْ «عَلَى»، فمِنْ ثَمَّ قال: هو مثل «عِنْدَهُ»، وهو عند الخليل كقولك: مررت به خصوصًا». الكتاب ١/ ٣٧٧، ٣٧٨، وهذا ما حكاه عنه ابن السراج في الأصول ١/ ١٦٦، وحكاه الجوهري والأنباري وابن بَرِّيٍّ عن يونس وعن الكوفيين، ينظر: الصحاح للجوهري ٢/ ٥٤٧، البيان للأنباري ٢/ ٣٢٤، التنبيه والإيضاح لابن بري ٢/ ٦٠.

(١) يعني قوله تعالى: «فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ».

(٢) انتهى كلام السجاوندي، وهو موافق لِمَذْهَبِ سيبويه من جهةٍ أن «فاطر السماوات» ليس نعتًا لقوله: «اللهم»، ولكنه مُخالِفٌ لقول سيبويه من جهةٍ أخرى، وهي أن «فاطر» منصوب على تكرير حرف النداء عند سيبويه، ولكنه عند السجاوندي منصوب بفعلٍ مضمرٍ، فقد قال سيبويه: «وقال الخليل، رحمه الله: اللَّهُمَّ نداء، والميم هاهنا بدل من «يا»، فهي هاهنا، فيما زعم الخليل، آخرَ الكلمةِ بِمَنْزِلَةِ «يا» في أولها... وإذا أَلْحَقْتَ الميمَ لَمْ تَصِفِ الاسم، من قِبَلِ أنه صار مع الميم عندهم بِمَنْزِلَةِ صَوْتٍ، كقولك: يا هَناهُ، فأما قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٦]، فعلى «يا»، فقد صَرَّفُوا هذا الاسمَ على وجوهٍ؛ لكثرته في كلامهم، ولأن له حالًا ليست لغيره». الكتاب ٢/ ١٩٦-١٩٧.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر: ٤٦].

(٤) آل عمران ٢٦.

كله حَسَنٌ، / وإنما معنى الآية: الْتَزِمُوا طاعَتَهُ، واجْتَنِبُوا مَعْصِيَتَهُ ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ يعني: فجأة، نصب على الحال ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾ بإتيان العذاب.

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ يعني: لِئَلَّا تقول، كقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[1]، و﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾[2] ونحوها[3]، ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾؛ أي: يا نَدامَتا، ويا حُزْنا، والتحسر: الاغتمام على ما فات، يسمى بذلك لانحساره عن صاحبه بما يمتنع عليه استدراكُه وتَلافِي الأمْرِ فيه.

والألف في قوله: «يا حَسْرَتا» هي ياء المتكلم، وإنما أريد: «يا حَسْرَتِي»[4] على الإضافة، ولكن العرب تُحَوِّلُ الياءَ التي هي كنايةُ اسمِ المتكلم في الاستغاثة ألِفًا، تقول: يا وَيْلَتا ويا نَدَما، فيُخْرِجُونَ ذلك على لفظ الدعاء،

---

(١) النحل ١٥، ولقمان ١٠.

(٢) النساء ١٧٦.

(٣) هذا قول الكوفيين، يُضْمِرُونَ اللامَ قبل «أنْ»، و«لا» بعدها، قال الفراء: «وقوله: «يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا» معناه: ألاَّ تضلوا، ولذلك صلحت «لا» في موضع «أنْ»، هذه محنة لـ«أنْ»، إذا صلحت في موضعها «لِئَلَّا» و«كَيْلا» صلحت لا». معاني القرآن ١/ ٢٩٧، وكرره في المعاني ١/ ٣٦٦، ٢/ ٣٢٧، ٣٨٣، ٤٢١، وينظر: شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٤٢٠-٤٢١، وبه قال الهروي في الأزهية ص ٧٠، ومذهب البصريين أن «أنْ» وما بعدها في موضع نصب مفعول له على تقدير حذف مضاف، أي: مَخافةَ أن تقول نفسٌ أو كَراهةَ أن تقول نفس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٥٩، إعراب القرآن ٤/ ١٧، أمالِيُّ ابن الشجري ٣/ ١٦٠-١٦١، الجنى الداني ص٢٢٤، ٢٢٥، مغني اللبيب ص٥٥.

(٤) وقد قرأ بها الحسنُ وأبو جعفر، ينظر: البحر المحيط ٧/ ٤١٧، الإتحاف ٢/ ٤٣١.

وربما ألحقوا بها الهاء(١). وأنشد الفراء(٢):

٢٠٦ - يـا مَرْحَبـاهُ بِحِمـارِ ناجِيَهْ
إذا أَتَـى قَـرَّبْتُـهُ لِلسّانِيَـهْ(٣)

---

(١) هـذا كلام الفراء فـي معانِي القرآن ٢/ ٤٢١-٤٢٢، فهو يجيز زيـادة هذه الهاء بعد الألف فـي الندبة وصلًا ووقفًا، وقد تابعه المؤلف عليه، وقد قرأ ابن كثير ورُوَيْسٌ: «يا حَسْـرَتاهْ» في الوقف فقط، ينظر: البحر المحيط ٧/ ٤١٧، الإتحاف ٢/ ٤٣١، وهذا مذهب الخليل وسـيبويه، وهو جواز زيادة هـذه الهاء بعد الألف في الندبة في الوقـف فقط لبيان الألف. الكتاب ٢/ ٢٢١، وقد رَدَّ الزَّجّاجُ قول الفراء فقال: «وزعم الفراء أنه يجوز: يا حَسْرَتاهَ على كذا وكذا بفتح الهاء، ويا حَسْرَتاهِ بالكسر والضم، والنحويون أجمعون لا يجيزون أن تثبت هذه الهاء في الوصل، وزعم أنه أنشده من بني فقعس رجل من بني أسد:

يـا رَبِّ يـا رَبّـاهُ إيّـاكَ أَسَـلْ
عَفْـراءَ يا رَبّاهُ مِـنْ قَبْلِ الأَجَلْ

وأنشده أيضًا:

يـا مَرْحَبـاهِ بِحِمـارِ ناجِيَـهْ

والذي أعرف أن الكوفيين ينشدون:

يـا مَرْحَبـاهُ بِحِمـارِ ناجِيَـهْ

قال أبو إسحاق: ولا أدري لِمَ استشهد بهذا، ولَمْ يُقْرَأْ به، ولا ينفع في تفسير هذه الآية شيئًا، وهـو خطأ». معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٥٨-٣٥٩، وينظـر أيضًا: إعراب القرآن ٤/ ١٧، الكشف والبيان ٨/ ٢٤٦، المفصل للزمخشري ص٤٣.

(٢) معانِي القرآن ٢/ ٤٢٢.

(٣) من الرجز المشطور لأبِي فَقْعَسٍ.

اللغة: ناجية: اسـم شـخص، وبنو ناجية: قوم من العرب، وناجية: ماء لبني أسـد، السانية: الناقة التي يُسْتَقَى عليها.

التخريـج: معانِي القـرآن وإعرابه ٤/ ٣٥٩، تهذيب اللغـة ١٣/ ٧٦، المنصف ٣/ ١٤٢، الخصائص ٢/ ٣٥٨، الكشـف والبيان ٨/ ٢٤٦، الحلل ص ٨٤، ٢٢٧، تفسـير القرطبي ١٥/ ٢٧٠، شرح المفصل ٩/ ٤٦، ٤٧، رصف المبانِي ص ٤٠٠، اللسان: سنا، ارتشاف=

وربما ألحقوا بها اليـاء بعد الألف ليدل على الإضافة، وكذلك قرأه أبو جعفر: «يا حَسْـرَتايَ»[١] ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾؛ أي: قَصَّرْتُ ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فـي طاعة الله، وقيـل[٢]: في قُرْبِ الله تعالى من الجنـة، وقيل[٣]: في حَقِّ الله، وقيل[٤]: في أمر الله.

قال أهل المعانِي[٥]: هذا كما يقال: هذا صغيرٌ فِي جنب ذلك الماضي فِي أمره، وقيل[٦]: في سـبيل الله ودِينه، والعرب تسمي السبب والطريق إلى الشيء جَنْبًا، تقول: تَجَرَّعْتُ فِي جَنْبِكَ غُصَصًا وبَلايا: أي بِسَبَبِكَ وأَجْلِكَ، قال الشاعر:

٢٠٧ ـ أَفِي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعَتْنِي مَلامةً لَعَمْـرِي لَقَدْ كانَـتْ مَلامَتُها ثِنَى[٧]

= الضرب ص ٢٣٩٠، همع الهوامع ٣/ ٢٤٧، خزانة الأدب ٢/ ٣٨٨، ١١/ ٤٦٠، شـرح شواهد الشافية ص ٤٠٠، التاج: سني.

(١) وهـي أيضًا قراءة ابن جَمّازٍ وابن وَرْدانَ، والياء مفتوحة أو سـاكنة على هذه القراءة، ينظر: القرطبي ١٥/ ٢٧١، البحر المحيط ٧/ ٤١٧، النشر ٢/ ٣٦٣، الإتحاف ٢/ ٤٣٠.

(٢) قالـه أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٤٤٧، وحكاه الأزهري عن الفراء في التهذيب ١١/ ١١٦، وينظر: زاد المسير ٧/ ١٩٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٧١.

(٣) قالـه سـعيد بن جبير، ينظر: الكشـف والبيان ٨/ ٢٤٦، الكشـاف ٣/ ٤٠٤، زاد المسـير ٧/ ١٩٢.

(٤) قالـه مجاهد والسـدي والزَّجّـاجُ، ينظر: جامـع البيـان ٢٤/ ٢٥، معانِي القـرآن وإعرابه ٤/ ٣٥٩، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٨٦، الكشف والبيان ٨/ ٢٤٦، الوسيط ٣/ ٥٨٩، البحر ٧/ ٤١٧.

(٥) ذكـره الثعلبي فِي الكشـف والبيـان ٨/ ٢٤٦، وحكاه السـجاوندي عـن مجاهد فِي عين المعانِي ورقة ١١٥/ أ.

(٦) هذا القول بغير عزو في الكشف والبيان ٨/ ٢٤٧، وعين المعانِي ورقة ١١٥/ أ.

(٧) البيت من الطويل، لكعب بن زهير يعاتب امرأته على لومها له في بَكْرٍ نَحَرَهُ، ونُسِبَ لأوس ابن حجر، ولِمَعْنِ بن أَوْسٍ. =

وقيل(١): في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله وثوابِهِ، والعرب تسمي الجانب جَنْبًا، قال الشاعر:

٢٠٨ ـ النّاسُ جَنْبٌ والأمِيرُ جَنْبُ(٢)

يعني: الناس من جانب والأمير من جانب، وقيل(٣): معناه: فِي ذات الله، ويقال: ما فَعَلْتَ فِي جَنْبِ حاجتي: أي فِي حاجتي، قال كُثَيِّرٌ:

٢٠٩ ـ ألا تَتَّقِينَ اللهَ فِي جَنْبِ عاشِقٍ لَـهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ؟(٤)

= اللغة: البَكْرُ: الفَتِيُّ من الإبل، الثِّنَى: الأمر يُعادُ مرتين.

التخريج: ديوان كعب بن زهير ص ١٢٨، ملحق ديوان أوس بن حجر ص ١٤١، غريب الحديث للهروي ١/ ٩٨، تهذيب اللغة ١٥/ ١٣٧، الحجة للفارسي ٤/ ٩٦، مقاييس اللغة ١/ ٣٩١، مجمل اللغة ١/ ١٦٣، الصاحبي ص ١٨٥، الصحاح ٦/ ٢٢٩٤، الكشف والبيان ٨/ ٢٤٧، المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٨، مجمع البيان ٧/ ١٠، عين المعانِي ورقة ١١٥/ أ، اللسان: ثني، طوي، البحر المحيط ٧/ ٤١٨، الدر المصون ٦/ ٢٠، التاج: ثنى.

(١) ذكره الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ٨/ ٢٤٧، وينظر: عين المعانِي ورقة ١١٥/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٧١.

(٢) من الرجز المشطور، لَمْ أقف على قائله، وقبله:

قُسِّمَ مَجْهُودًا لِـذاكَ القَلْبُ

التخريج: معانِي القرآن للأخفش ص ٢٣٧، العين ٦/ ١٤٧، التهذيب ١١/ ١٢٢، الكشف والبيان ٨/ ٢٤٧، المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٨، تفسير القرطبي ٥/ ١٩٢، ١٥/ ٢٧١، اللسان: جنب، البحر المحيط ٧/ ٤١٨.

(٣) قاله أبو بكر السجستانِيُّ فِي تفسير غريب القرآن ص ١٣٦.

(٤) البيت من الطويل لِكُثَيِّرٍ، ونُسِبَ لِجَمِيلِ بثينة، ولسابق البربري، وروايته في ديوان كُثَيِّرٍ: «فِي حُبِّ عاشِقٍ... عَلَيْكِ تَصَدَّعُ»، ويُرْوَى: «أما تَتَّقِينَ... فِي قَتْلِ عاشِقٍ».

التخريج: ديوان كثير ص ٤٠٩، ديوان جميل ص ١١٩، الكشاف ٣/ ٤٠٤، غريب القرآن للسجستانِي ص١٣٦، مجمع البيان ٨/ ٤٠٩، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٧١، الحماسة البصرية ص ١٠٥٢، البحر المحيط ٧/ ٤١٨، الدر المصون ٦/ ٢٠، التاج: جنب، جيم.

قوله: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ يعني المستهزئين بدين الله وكتابه ورسولِه والمؤمنين به، قال قتادة في هذه الآية[(١)]: لَمْ يَكْفِهِ أنه ضَيَّعَ طاعةَ الله تعالى حتى جعل يَسْخَرَ بأهل طاعته، يعني: يستهزئ بهم.

فَصْلٌ

رُوِيَ عن أبي صالح فِي معنى هذه الآية قال: «كان رَجُلٌ عالِمٌ فِي بني إسرائيل ترك عِلْمَهُ وأخَذَ فِي الفسق، وكان عنده مال فأتاه إبليس فقال له: لك عمرٌ طويلٌ فَتَمَتَّعْ فِي الدنيا ثم تُبْ، فأخذ فِي الفسق، وأنْفَقَ مالَهُ فِي الفجور، فأتاه مَلَكُ الموتِ/ فقال له: من أنت؟ قال: أنا مَلَكُ الموت جئت لأقبض رُوحَكَ، [١٢٥/ أ] فقال: يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ الله، ذهب عُمْرِي فِي طاعة الشيطان، وأسْخَطْتُ رَبِّي، فَنَدِمَ حين لا ينفعه الندم، فأنزل الله تعالى خَبَرَهُ فِي القرآن»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ يعني: رَجْعةً إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فِي نصب قوله: ﴿فَأَكُونَ﴾ وجهان[(٣)]، أحدهما: على جواب «لَوْ»، والثاني: على الرَّدِّ على موضع الكَرّةِ، وتوجيهُ الكَرّةِ فِي المعنى: لَوْ أنْ أكُرَّ، كقول الشاعر:

---

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ٢٤٧.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٤٧، الكشاف ٣/ ٤٠٤، عين المعاني ورقة ١١٥/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٧٢.

(٣) ينظر: الكتاب ٣/ ٢٨ وما بعدها في «باب الفاء»، وهذان الوجهان قالهما الفراء في المعاني ٢/ ٤٢٢، والنحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٨، وينظر: الفريد للهمداني ٤/ ١٩٦، البحر المحيط ٧/ ٤١٨، الدر المصون ٦/ ٢٠.

٢١٠ـ فَما لَكَ مِنْها غَيْرُ ذِكْرى وَحِسْبةٍ وَتَسْأَلَ عَنْ رُكْبانِها أَيْنَ يَمَّمُوا[(١)]

فنصب «تَسْأَلَ» على موضع الذِّكْرَى؛ لأن معنى الكلام: فمالك منها إلا أن تَذْكُرَ، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[(٢)] عطف ﴿يُرْسِلَ﴾ على موضع الوحي فِي قوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾.

قوله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ قرأ العامة بفتح الكاف والتاء جميعًا، وقرأت عائشة رضي الله عنها بكسرها أجْمَعَ، رَدَّتْها إلى النَّفْسِ، ورُوِيَ ذلك عن النبي ﷺ، قالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ [يقرأ]: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(٣)] على مخاطبة النفس.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فزعموا أن له ولدًا وشريكًا ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ رفع على الابتداء والخبر، وقال صاحب

---

(١) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤٢٣، جامع البيان ٢٤/ ٢٧، الكشف والبيان ٨/ ٢٤٨، المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٨، عين المعانِي ورقة ١١٥/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٧٢، البحر المحيط ٧/ ٤١٨، الدر المصون ٦/ ٢٠، فتح القدير ٤/ ٤٧٢، روح المعانِي ٢٤/ ١٨.

(٢) الشورى ٥١.

(٣) وهي أيضًا قراءة أُمِّ سَلَمةَ والشافعيِّ وأبِي بكر وابنِ يَعْمُرَ والجَحْدَرِيِّ وأبِي حَيْوةَ والزعفرانِيِّ وابنِ مِقْسَمٍ ومحمدِ بنِ عيسى، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٧٣، البحر المحيط ٧/ ٤١٩. والحديث رواه أبو داود في سننه ٢/ ٢٤٦ كتاب الحروف والقراءات، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٢٣/ ٣٩٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٣٧، كتاب التفسير: القراءات، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٠١، كتاب التفسير: سورة الزمر.

إنسان العين(١): هو حالٌ، نحو: رَأَيْتُ زَيْدًا أَمْرُهُ مُسْتَقِيمٌ، وقُرِئَ: «وُجُوهَهُمْ»(٢) بالنصب على البدل، و«مُسْوَدَّةً» حال(٣)، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ المتكبرين عن الإيمان.

قوله عزّ وجلّ: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: مفاتيح خزائن السماوات والأرض، واحدها مِقْلادٌ مثل مِفْتاحٍ ومَفاتِيحَ، ومِقْلِيدٌ مثل مِنْدِيلٍ

---

(١) قاله في عين المعانِي ورقة ١١٥/ أ، وهو يعني أن جملة ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]، حال بتقدير الواو؛ لأن «رَأى» هنا بَصَرِيّةٌ، وقد خَلَتِ الجملةُ من الواو لأن فيها ضميرًا يعود على صاحب الحال، وما قاله السجاوندي هنا موافق لِما قاله سيبويه في الكتاب ١/ ١٥٥، كما جَوَّزَ سيبويه والفارسيُّ والزمخشريُّ أن تكون «رَأى» هنا عِلْمِيّةً، وعلى هذا فجملة: «وُجُوهُهُمْ مُسْوَدّةٌ» في موضع نصب على أنها مفعول ثانٍ لـ«تَرَى»، ينظر: المسائل الحلبيات ص ٦٣، كشف المشكلات ٢/ ٢٧٤، الفريد ٤/ ١٩٧، وقد استبعد أبو حيان هذا الوجه، فقال: «وهو بعيد؛ لأن تَعَلُّقَ البَصَرِ برؤية الأجسام وألوانها أظْهَرُ من تعلق القلب». البحر المحيط ٧/ ٤١٩، وينظر أيضًا: الدر المصون ٦/ ٢١.

(٢) لم أقف على صاحب هذه القراءة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٢٤، البحر المحيط ٧/ ٤١٩.

(٣) هذا أيضًا من كلام السجاوندي، وعلى هذا يكون «وُجُوهَهُمْ» بَدَلَ اشتمالٍ من «الَّذِينَ»، و«مُسْوَدّةً» حالًا منه، وهذا أيضًا موافق لما قاله ذكر سيبويه، فقد قال: «وتقول: جعلتُ مَتاعَكَ بَعْضَهُ فوقَ بعضٍ، فله ثلاثة وجوه في النصب: إن شئتَ جعلت «فَوْقَ» في موضع الحال، كأنه قال: علمت مَتاعَكَ وهو بَعْضُهُ على بعض، أي: في هذه الحال، كما جعلت ذلك في «رأيت» من رؤية العين، وإن شئت نصبته على ما نصبت عليه: رأيتُ زَيْدًا وَجْهَهُ أَحْسَنَ من وجه فلان». الكتاب ١/ ١٥٦، ١٥٧، وينظر أيضًا: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤٢٤، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٥٦، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٩، المسائل الحلبيات ص ٦٣، الفريد ٤/ ١٩٧، وقد أعربه العكبري بَدَلَ بَعْضٍ من كُلٍّ في إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤١٢.

ومَنادِيلَ، ومِقْلَدٌ أيضًا[١]، ويقال[٢]: هو جَمْعٌ لا واحد له من لفظه. والأقالِيدُ أيضًا، الواحد: إقْلِيدٌ[٣].

فصْلٌ

عن عَلِيٍّ بن أبِي طالب رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن تفسير المقاليد، فقال: «يا عَلِيُّ! سَألْتَ عظيمًا، المقاليد هي أن تقول عَشْرًا إذا أصبحتَ، وعَشْرًا إذا أمسيتَ: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وأستغفر الله، ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيءٍ قدير، مَنْ قالها عشرًا إذا أصبح، وعشرًا إذا / أمسى أعطاه الله خصالاً سِتًّا، أوَّلُهُنَّ: [١٢٥/ ب] يحرسه من إبليس وجنوده، فلا يكون لهم عليه سلطانٌ، والثانية: يُعْطَى قِنْطارًا من الجنة أثْقَلَ فِي ميزانه من جبل أُحُدٍ، والثالثة: يرفع الله له درجة لا ينالها إلا الأبرارُ، والرابعة: يُزَوِّجُهُ من الحُورِ العِينِ، والخامسة: يَشْهَدُ له اثنا عشر ألف مَلَكٍ، يكتبونها فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ، يشهدون له بها يوم القيامة، والسادسة: يكون له من الأجر كمن قرأ التوراة والإنجيل والزَّبُورَ والفرقانَ، وكَمَنْ حَجَّ واعتمر، فَقَبِلَ اللهُ حِجَّتَهُ وعُمْرَتَهُ، وإن مات فِي يومه أو ليلته أو شَهْرِهِ مات شهيدًا،

---

(١) قاله أبو عبيدة فِي مجاز القرآن ٢/ ١٩١، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٣٦، الكشف والبيان ٨/ ٢٤٩، الوسيط ٣/ ٥٩٠، وقال ابن قتيبة: «واحدها إقْلِيدٌ». غريب القرآن ص ٣٨٤.

(٢) ذكره أبو بكر السجستانِيُّ بغير عزو فِي تفسير غريب القرآن ص ١٣٦.

(٣) قال النحاس: «واحدها مِقْلِيدٌ، وأكثر ما يستعمل فيه إقْلِيدٌ»، إعراب القرآن ٤/ ٢٠، وقال الأزهري: «قال الليث: والإقْلِيدُ: المفتاح بلغة أهل اليمن». التهذيب ٩/ ٣٢، وينظر أيضًا: ياقوتة الصراط ص ٤٤٧، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٣٦.

وطُبِعَ بِطابَعِ الشهداء، فهذا تفسير المقاليد»[١].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ «غَيْرَ» نصب بـ﴿أَعْبُدُ﴾ تقديره: أَأَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ فيما تأمرونني أيها الجاهلون؟[٢]، وقال صاحب إنسان العين[٣]: ﴿أَفَغَيْرَ﴾ منصوب بـ﴿تَأْمُرُونِّي﴾، و﴿أَعْبُدُ﴾ ارتفع بِحَذْفِ «أنْ»، و«أنْ» وما بعده في معنى المصدر أي: عِبادَتَهُ، وهو بدل اشتمال «غَيْرَ»، كقوله: «إلَّا الشَّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ»[٤]، والمراد: بِأنْ أعْبُدَ، حُذِفَ الباءُ كما في قولهم:

أمَرْتُكَ الخَيْرَ..............[٥]

قال[٦]: ولا يحسن نصب ﴿أَفَغَيْرَ﴾ بـ﴿أَعْبُدُ﴾؛ لأنه في تقدير الصلة، لا يعمل فيما قبله[٧]، و﴿تَأْمُرُونِّي﴾ معترض، أي: أأعْبُدُ غَيْرَ الله فيما تَأْمُرُونِّي؟ فلا مَحَلَّ لـ﴿أَعْبُدُ﴾ من الإعراب.

---

(١) رواه العقيلي في الضعفاء الكبير ١/ ١١٨، ٤/ ٢٣١-٢٣٢، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٤٥، وقال: «هذا الحديث من الموضوعات الباردة التي لا تليق بمنصب رسول الله ﷺ»، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٤٩-٢٥٠، عين المعاني ورقة ١١٥/ أعن عَلِيِّ بن أبي طالب، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٧٦.

(٢) هذا قول الخليل وسيبويه والكسائي والأخفش، ينظر: الكتاب ٣/ ١٠٠، معاني القرآن للأخفش ص ٤٥٧، وينظر قول الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٠، وينظر أيضًا: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٦١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٦٠.

(٣) عين المعاني ورقة ١١٥/ ب.

(٤) الكهف ٦٣.

(٥) تقدم هذا البيت برقم (١٠٨)، ٢/ ٢٢.

(٦) يعني صاحب إنسان العين.

(٧) يعني أن «أعْبُدُ» كان في الأصل منصوبًا بـ«أنْ» فلما حذفت «أنْ» ورُفِعَ الفعلُ فكأنه لا يزال في صلة «أنْ»، قال المبرد: «وهذا قَوْلٌ آخَرُ وهو حذف الباء كما قال:

أمَرْتُكَ الْخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مالٍ وَذا نَشَبِ =

واختلف القراء فِي قوله: ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾، فقرأ أهل المدينة: «تَأْمُرُونِي» بنونٍ واحدةٍ خفيفةٍ على الحذف والتخفيف، وقرأ أهل الشام بنونين على الأصل، وقرأ الآخرون بنونٍ واحدةٍ مشدَّدةٍ على الإدغام، وفتح الياءَ نافعٌ وابنُ كثيرٍ، وأسكنها الباقون(١)، والأصل: تأمرونني، فأدغمت النون فِي النون، فأما «تَأْمُرُونِي» بنونٍ واحدةٍ مخففةٍ فإنما يجيء مثله فِي الشعر شاذًّا، وأبو عمرٍو يقول: إنه لحنٌ(٢)، وقد أنشد سيبويه(٣):

٢١١ ـ تَراهُ كالثَّغامِ يُعَلُّ مِسْكًا   يَسُوءُ الفالِياتِ إذا فَلَيْنِي(٤)

= وأنا أكره هذا الوجه لِبُعْدِهِ، ولا يجوز على هذا القول أن ينصب غيرًا بـ«أَعْبُدُ»؛ لأن «أَعْبُدُ» على هذا في صلة «أنْ». المقتضب ٢/ ٨٣، وينظر أيضًا: المسائل المنثورة ص ١٦٠، ١٦١، كشف المشكلات ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥، الفريد للهمداني ٤/ ١٩٨، البحر المحيط ٧/ ٤٢١، الدر المصون ٦/ ٢٢.

(١) ينظر: السبعة ص ٥٦٣، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٧٦، البحر المحيط ٧/ ٤٢١، النشر ٢/ ٣٦٣، ٣٦٤، الإتحاف ٢/ ٤٣١، ٤٣٢.

(٢) ينظر قول أبي عمرو في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٠.

(٣) الكتاب ٣/ ٥٢٠.

(٤) البيت من الوافر، لعمرو بن معدي كرب، من قصيدة قالها في امرأةِ أبيه التي تزوجها بعد موت أبيه في الجاهلية.

اللغة: الثَّغام: شجرة بيضاء الزَّهْرِ والثَّمَرِ يشبه بها الشيب، واحدتها ثَغامةٌ، العَلَلُ: الشَّرْبة بعد الشَّرْبة الأولى، الفاليات: جمع فالية، من قولهم: فَلَيْتُ رأسَه: إذا بحثه عن القمل.

التخريج: ديوانه ص ١٨٠، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٩٠، مجاز القرآن ١/ ٣٥٢، معانِي القرآن للأخفش ص٢٣٥، معانِي القرآن وإعرابه ١/ ٢١٦، ٢/ ٤٢٢، جمهرة اللغة ص ٤٥٩، إعراب القرآن ٢/ ٧٨، ٣٨٣، ٤/ ٢١، شرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٠٤، إعراب القراءات السبع ١/ ٣٤٥، المسائل الحلبيات ص ٢٢١، المنصف ٢/ ٣٣٧، البيان للأنباري ٢/ ٣٢٦، شرح شواهد الإيضاح ص ٢١٣، شرح المفصل ٣/ ٩١، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١٤٠، شرح الكافية للرضي ٣/ ٥٥، اللسان: حيج، فلا، ارتشاف الضرب ص٩٢٦، مغني اللبيب ص ٨٠٨، المقاصد النحوية ١/ ٣٧٩، خزانة الأدب ٥/ ٣٧١: ٣٧٣.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: وما عَظَّمُوا اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ حين أشركوا به غَيْرَهُ، ثم أخبر عن قدرته وعظَمته، فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: مِلْكُهُ بلا مانع ولا مُنازِعٍ، وهي اليوم أيضًا مِلْكُهُ، ونظيرها قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[1] و﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[2].

وقال الأخفش[3]: هذا كما يقال: خُراسانُ في قَبْضةِ فُلانٍ، ليس أنها في كَفِّهِ، وإنما معناه: أنها ملكه، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ قرأه / العامة: «مَطْوِيّاتٌ» بالرفع على الابتداء والخبر، وقرأ عيسى بن عمر بالكسر[4]، ومحلها النصب على الحال أو القطع، وكذلك أجاز الفراء والكسائي[5] والزجاج: «مَطْوِيّاتٍ» بكسر التاء، قال الزجّاج[6]: على الحال.

وذِكْرُ اليمين للمبالغة فِي الاقتدار، وقيل: هو بمعنى القُوّةِ، وقيل: اليمين

---

(١) الفاتحة ٤.

(٢) غافر ١٦.

(٣) هذا معنى كلام الأخفش، فقد قال: «وقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] يقول: في قدرته، نحو قوله: «وَما مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ»؛ أي: وما كانت لكم عليه قدرةٌ، وليس المِلْكُ لليمين دون الشمال وسائرِ البَدَنِ، وأما قوله: «قَبْضَتُهُ» نحو قولك للرجل: هذا في يدك وفي قبضتك». معانِي القرآن ص ٤٥٧.

(٤) وقرأ بها عاصم الجَحْدَرِيُّ أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٢، البحر المحيط ٧/ ٤٢٢.

(٥) قال الفراء: «وينصب المَطْوِيّات على الحال أو على القطع، والحال أجود». معانِي القرآن للفراء ٢/ ٤٢٥، وينظر قول الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢.

(٦) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٦١.

القَسَـمُ؛ لأنه حَلَفَ أن يَطْوِيَها ويُفْنِيَها، وهو اختيار عَلِيِّ بنِ مَهْدِيٍّ الطبريِّ(١)، قال: معناه: مَفْنِيّاتٌ بِقَسَـمِهِ(٢)، ثم نَزَّهَ نَفْسَهُ فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾.

فصلٌ

عـن عبد الله بن مسـعودٍ قال: جاء حَبْرٌ من اليهـود إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! إن اللهَ يُمْسِـكُ السـماواتِ يوم القيامة على إصْبَعٍ، والأَرَضِينَ على إصْبَعٍ، والجبالَ والشجرَ على إصبع، والماءَ والثَّرَى على إصبع، وسائرَ الخلق علـى إصبع، ثم يَهُزُّهُنَّ، فيقـول: أنا المَلِكُ، أنا الله، فضحك رسـول الله ﷺ تَعَجُّبًـا مما قال الحَبْرُ، وتَصْدِيقًا له، ثـم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣).

وعن ابن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ قائمًا على هذا المنبر، يعني منبر رسـول الله ﷺ، وهو يحكي عن ربه عزّ وجلّ، فقـال: «إن الله عزّ وجلّ إذا كان

---

(١) هو عَلِيُّ بن محمد بن مهديٍّ الطبري الأشـعري، أبو الحسـن، محدث فقيه مفسـر مشارك في أصناف العلوم، صحب أبا الحسـن الأشعري بالبصرة، وأخذ عنه، توفي سنة (٣٨٠هـ) تقريبًا، من كتبه: مشـكلات الأحاديث الواردة. [طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٤٦٦، ٤٦٨، الوافِي بالوفيات ٢٢/ ١٤٣، معجم المؤلفين ٧/ ٢٣٤].

(٢) ينظر اختيار عَلِيِّ بن مَهْدِيٍّ وقوله في الكشف والبيان ٨/ ٢٥١.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٢٤، ٣٧٨، ٤٣٠، والبخاري في صحيحه ٦/ ٣٣ كتاب تفسير القرآن: سورة الزمر، ٨/ ١٧٤، ١٨٧، ٢٠٢ كتاب التوحيد: باب «يقبض اللهُ الأرضَ يوم القيامة»، وباب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ورواه مسلم في صحيحه ٨/ ١٢٥، ١٢٦ كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

يَوْمُ القيامةِ جَمَعَ السماواتِ السَّبْعَ والأَرَضِينَ السَّبْعَ في قبضته ـ تبارك وتعالى ـ، ثم قال: هكذا، وشَدَّ قبضته ثم بَسَطَها، ثم يقول: أنا الله الرحمن، أنا الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بَدَأْتُ الدنيا ولَمْ تَكُ شَيْئًا، أنا الذي أعَدْتُها، أين الملوك؟ وأين الجبارون؟ وأين المتكبرون؟ »، قال: فَرَجَفَ المِنْبَرُ حَتَّى قُلْنا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ[1].

وعن الحسن بن عَلِيٍّ قال: قال النبي ﷺ: «أمانٌ لأُمَّتِي من الغَرَقِ إذا ركبوا في الفلك: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿يُشْرِكُونَ﴾، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾»[2].

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ نصب على الاستثناء، واختلفوا في مَن الذي لم يَشَأِ اللهُ أنْ يُصْعَقُوا، فقيل: هم الشهداء متقلدون بسيوفهم حول العرش، وقيل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ رفعٌ لأنه نَعْتُ مَصْدَرٍ أُقِيمَ/ مُقامَ ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ، تقديره: نُفِخَ فيه نَفْخَةٌ أُخْرَى، وهي نفخة البعث [١٢٦/ ب] ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ ﴿يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ و﴿يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ينتظرون ما يقال لهم وما يؤمرون به، ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ وهو أن الله يخلق في القيامة نورًا يُلْبِسُهُ وَجْهَ الأرضِ، فتشرق الأرض به من غير شمسٍ ولا قمرٍ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٧٢، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٢٥٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨٤ كتاب الإيمان: باب «إن الله لا ينام»، ١٠/ ٣٤٤، كتاب البعث: باب طيِّ السماوات والأرضين.

(٢) هود ٤١، والحديث رواه الطبراني عن ابن عباس في المعجم الأوسط ٦/ ١٨٤، والمعجم الكبير ١٢/ ٩٧، وينظر: الكامل في الضعفاء ٧/ ١٩٨، مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٢، كتاب الأذكار: باب ما يقول إذا ركب البحر.

وما بعد هذا ظاهر الإعراب إلى قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ يعني: أفواجًا، وقيل: جماعاتٍ فِي تَفْرِقةٍ، واحدتها زُمْرةٌ واحدةٌ، وهو نصبٌ على الحال، ومثله في الإعراب قوله عزّ وجلّ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ يعني الجنة.

واختلف النحاة في جوابه، فقال بعضهم[1]: جوابه: «فُتِحَتْ أبوابُها»، والواو مُقْحَمةٌ زائدة عند الكوفيين، تقديرها: حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءً﴾ [2] يعني: ضِياءً، وهذا خطأ عند البصريين؛ لأنها تفيد معنى، وهي للعطف هاهنا.

وقيل[3]: جوابه: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا﴾، والواو ملغاةٌ، تقديره: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتها، وقال بعضهم[4]: إن جوابه مضمرٌ،

(١) هذا قول الكوفيين. ينظر: معانِي القرآن للفراء ١/ ١٠٨، ٢٣٨، ٢/ ٢١١، ٣٩٠، ٣/ ٢٤٩، وينظر قولهم أيضًا في معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٩٦، إعراب القرآن ٤/ ٢٢، سر صناعة الإعراب ص ٦٤٦، ٦٤٧، الإنصاف ص ٤٥٦ وما بعدها.

(٢) الأنبياء ٤٨، وينظر ١/ ١٩٤.

(٣) قاله الأخفش فِي معاني القرآن ص ١٢٥، ٤٥٧، وحكاه عنه ابن الجوزي فِي زاد المسير ٧/ ٢٠١.

(٤) هذا قول الخليل وسيبويه، قال سيبويه: «وسألت الخليل عن قوله، جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]. أين جوابها؟ وعن قوله جَلَّ وعَلا: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجوابَ في كلامهم؛ لِعِلْمِ المُخْبَرِ لأيِّ شَيْءٍ وُضِعَ هذا الكلامُ». الكتاب ٣/ ١٠٣، وهو أيضًا قول المبرد والزجاج، ينظر: المقتضب ٢/ ٧٧: ٩٩، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٦٤، وينظر أيضًا: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ١٩٧، إعراب القرآن ٤/ ٢٢، كشف المشكلات ٢/ ٢٧٧، الفريد ٤/ ٢٠٢، البحر ٧/ ٤٢٥.

ومعنى الكلام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ دَخَلُوها ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، وقال أبو عبيدة[1]: جوابه مكفوفٌ عن خبره، والعرَب تفعل هذا لدلالة الكلام عليه، قال الأخطل فِي آخر قصيدة له:

٢١٢ - إذا ما خِلالٌ مِنْ قُرَيْشٍ تَفَضَّلُوا عَلَى النّاسِ فِي أنّ الأكارِمَ نَهْشَلا[2]

واختلف القراء فِي قوله: «فُتِحَتْ»، فَخَفَّفَها أَهْلُ الكوفة فِي الموضعين، وشَدَّدَها الباقون على التكثير[3].

ومعنى قوله: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾؛ أي: طِبْتُمْ للجنة؛ لأن الذنوب والمعاصي مَخابِثُ في الناس، فإذا أراد الله أن يُدْخِلَهُم الجنةَ غَفَرَ لهم

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٩٢، وهو نفسه قول سيبويه.

(٢) البيت من الطويل للأخطل، وليس فِي ديوانه، قال البغدادي: «نسبه ابن يعيش إلى الأخطل، وله فِي ديوانه قصيدة على هذا الوزن والرَّوِيِّ، ولَمْ أجده فيها».
ويُرْوَى: «سِوَى أنّ حَيًّا»، ويُرْوَى: «خَلا أنّ حَيًّا».
اللغة: الخِلالُ: جمع خُلّةٍ، وهي الصداقة، وهي هنا بمعنى الصديق، تفضلوا: رَجَحُوا بالفضل والمزية، نَهْشَلٌ: أبو قبيلة، وهو نَهْشَلُ بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ونهشل بدل من الأكارم، والخبر محذوف؛ أي: أن الأكارم نهشلَ قد تفضلوا.
التخريج: مجاز القرآن ١/ ٣٣١، ٢/ ١٩٢، المقتضب ٤/ ١٣١، الخصائص ٢/ ٣٧٤، أماليُّ ابن الشجري ٢/ ٦٣، شرح المفصل ١/ ١٠٤، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١٥، شرح الكافية للرضي ٤/ ٣٩٩، اللسان: نهشل، خزانة الأدب ١٠/ ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦١، ٤٦٢، التاج: نهشل.

(٣) قرأ بالتشديد نافعٌ وابنُ كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب، ينظر: السبعة ص ٥٦٣، ٥٦٤، الإتحاف ٢/ ٤٣٢.

تلك الذنوبَ، فَفارَقَتْهُم المَخابِثُ[١] والأرْجاسُ من الأعمال، فطابوا للجنة، ومن هذا قول العرب: طابَ لي هذا، وطاب لِي العيشُ؛ أي: فارَقَتْهُ المَكارِهُ، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ يعني: مقيمين في جنات النعيم أبَدَ الآبِدِينَ، وهو منصوبٌ على الحال.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يعني أرض الجنة، ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ يعني ثواب المطيعين، و«حَيْثُ» مبنيٌّ على الضم، ومحله نصبٌ بـ«نَتَبَوَّأُ»[٢].

[١٢٧/ أ] ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ/ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: مُحْدِقِينَ مُحِيطِينَ، يقال: رأيتُ الأميرَ قد حَفَّتْ به الجُنودُ والعَساكِرُ: إذا أحاطت حوله[٣]، وله المثل الأعلى.

و﴿حَآفِّينَ﴾ جمع حافٍّ، لكن قيل[٤]: لا واحد له من لفظه؛ لأن الواحد لا يَحُفُّ، وأدخل ﴿مِنْ﴾ هاهنا للتوكيد، ونصب ﴿حَآفِّينَ﴾ على الحال.

---

(١) المخابث: المفاسد، الواحد: مَخْبَثة. اللسان: خبث.

(٢) «حَيْثُ» منصوب بـ«نَتَبَوَّأُ»؛ لأنه هو المُتَّخَذُ، وقيل: هو ظرف، ينظر: التبيان للعكبري ص ١١١٤، الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ٢٠٢.

(٣) قال أبو عمر الزاهد: «يقال: قَدْ حَفَّتِ العَساكِرُ بمَلِكِها: إذا طافَتْ بِهِ». ياقوتة الصراط ص ٤٤٨، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٤/ ٣.

(٤) هذا القول حكاه النحاس عن الفراء، فقال: «وقال الفراء: لا يُفْرَدُ لهم واحدٌ؛ لأن هذا الاسم لا يقع لهم إلا مجتمعين». إعراب القرآن ٤/ ٢٣، ولم أقف عليه في معاني القرآن للفراء، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٦٢، الفريد٤/ ٢٠٣، القرطبي ١٥/ ٢٨٧، البحر ٧/ ٤٢٥، الدر المصون ٦/ ٢٦.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يريد: بما يستحق من حَمْدِهِ، مُتَلَذِّذِينَ بذلك التسبيح، لا متعبدين؛ لأن التكليف يزول في ذلك اليوم ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ يعني: بين أهل الجنة والنار ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ أي: يقول المؤمنون: الحمد لله على ما أُوتِينا من نِعَمِهِ وإحسانه إلينا ونَصْرِهِ على من ظَلَمَنا.

فَصْلٌ

روي عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ على المنبر آخِرَ الزُّمَرِ، فتحرك المنبر مرتين[1]، والله أعلم.



(١) رواه الطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٨/ ١٧٢، وابن عدي في الكامل فِي الضعفاء ٤/ ٣٤٢، وذكره الثعلبِيُّ في الكشف والبيان ٨/ ٢٦٠، والهيثميُّ في مجمع الزوائد ٢/ ١٩٠، كتاب الصلاة: باب الخطبة والتلاوة فيها.

سورة المؤمن

مكية

وهي أربعة آلافٍ وتسعمائةٍ وستون حرفًا، وألفٌ ومائةٌ وتسعٌ وتسعون كلمةً، وخمسٌ وثمانون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿حمٓ﴾ المؤمن لَمْ يَبْقَ رُوحُ نَبِيٍّ ولا صِدِّيقٍ ولا شَهِيدٍ ولا مُؤْمِنٍ إلا صَلَّوْا عَلَيْهِ واسْتَغْفَرُوا لَهُ»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة المؤمن كان عند الله وجيها مَرْضِيًّا في دينه مُخْلَصًا»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قولـه عزّ وجلّ: ﴿حمٓ ۝١﴾ افتتح الله السورة بحرفين من حروف

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٦٢، الوسيط ٤/ ٣، الكشاف ٣/ ٤٤٠، مَجمع البيان للطبرسي ٨/ ٤٢٢.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

الهجاء، وجعلهما افتتاحًا للسورة وشعارًا لها، وهو يُقْرَأُ بفتح الحاء وكسرها، حيث قرأ ابن كثيرٍ وحفصٌ وهشامٌ بالفتح، وقرأ نافعٌ وأبو عمرٍو بين اللفظين، وقرأ الباقون بالإمالة[1].

وهو قَسَمٌ أَقْسَمَ اللهُ به، وهو اسمٌ من أسماء الله عزّ وجلّ، وقال الحسن وقتادة[2]: هو اسمٌ من أسماء القرآن، وقال ابن عبّاسٍ[3]: هو اسمُ الله الأعظمُ، وقال القُرَظِيُّ[4]: أقْسَمَ اللهُ بِحِلْمِهِ ومُلْكِهِ ألاَّ يُعَذِّبَ أحَدًا جاء إليه يقول: لا إله إلا الله، مُخْلِصًا من قلبه، وقال عطاء الخُراسانِيُّ[5]: الحاء افتتاح أسماء الله تعالى: حليمٌ وحميدٌ وحَيٌّ وحَنّانٍ وحكيمٌ، والميم افتتاح اسمه: مَلِكٌ ومَجِيدٌ ومَنّانٌ.

وعن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ: «حم اسمٌ من أسماء الله، وهي مفاتيحُ خزائنِ / رَبِّكَ عزّ وجلّ»[6]، والله أعلم. [١٢٧/ ب]

---

(١) قرأ بالفتح أيضًا: أبو عمرو ونافعٌ في روايةٍ عنهما، وقرأ بين اللفظين أيضًا: أبو عمرو في روايةٍ عنه، ونافعٌ وأبو جعفر والأزرقُ وشَيْبَةُ ووَرْشٌ وقالُونُ، وقرأ بالإمالة: حَمْزةُ والكسائيُّ، وابنُ عامر في روايةِ ابنِ ذَكْوانَ عنه، وأبو بكر عن عاصم، وخلفٌ، وأبو عمرو في روايةٍ عنه، ينظر: السبعة ص ٥٦٦-٥٦٧، غيث النفع ص ٢٤٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٩٠، النشر ٢/ ٧٠-٧١، الإتحاف ٢/ ٤٣٤.

(٢) ينظر قولهما في جامع البيان ٢٤/ ٥٠، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٢٠١، الكشف والبيان ٨/ ٢٦٣، زاد المسير ٧/ ٢٠٦، عين المعانِي ورقة ١١٥/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٨٩.

(٣) ينظر قوله في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٦٥، الكشف والبيان ٨/ ٢٦٣، عين المعانِي ورقة ١١٥/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٨٩.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ٢٦٣.

(٥) ينظر قوله في المصدر السابق ٨/ ٢٦٣، زاد المسير ٧/ ٢٠٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٨٩.

(٦) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٦٣، تاريخ دمشق ٣٤/ ١٦، تفسير ابن كثير ٤/ ١١٥، الدر المنثور ٥/ ٣٤٥، ٦/ ٢.

ولم ينصرف؛ لأنه اسمٌ للمؤنثِ، أو لأنها أعجميةٌ مثل: هابيل وقابيل[(١)].

قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني القرآن ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ بخلقه، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ لِمَنْ قال: لا إله إلا الله، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ ممن قال: لا إله إلا الله، ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ لِمَنْ لا يقول: لا إله إلا الله، ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ يعني: ذي الغِنَى والفَضْلِ عَمَّنْ لا يُوَحِّدُهُ، ولا يقول: لا إله إلا الله.

وقال أهل الإشارة[(٢)]: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ فضلًا، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ وعدًا، ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ عدلاً، ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ مصير العباد فِي الآخرة، فيجزيهم بأعمالهم، والتَّوْبُ جمع تَوْبةٍ مثل: دَوْمةٍ ودَوْمٍ وعَوْمةٍ وعَوْمٍ، ويجوز أن يكون مصدرًا من: تابَ يَتُوبُ تَوْبًا[(٣)].

وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ قيل[(٤)]: هما معرفتان، فيكون خفضهما

---

(١) قرأ العامة: «حاميمْ» بإسكان الميم كسائر الحروف المقطعة، وقرأ الزُّهْرِيُّ بضم الميم على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: هذه حامِيمُ، أو على أنه مبتدأ وخبره ما بعده، وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر: «حامِيمَ» بالنصب إما لالتقاء الساكنين، وإما على أنه منصوب بفعل مضمر؛ أي: اقرأ حاميم، وإما على حذفِ حَرْفِ القَسَمِ، وهي في هذا كُلِّهِ غيرُ مصروفة، إما للعلمية والتأنيث، وإما للعلمية والعجمة، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ١٩: ٢٢، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٦٥، إعراب القرآن ٤/ ٢٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٦٣، الفريد ٤/ ٢٠٤، البحر المحيط ٧/ ٤٠٣.

(٢) ينظر قولهم في الكشف والبيان ٨/ ٢٦٤، القرطبي ١٥/ ٢٩١.

(٣) الوجهان قالهما أبو عبيدة والأخفش، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٩٤، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٥٩، وقال النحاس: «والتَّوْبُ جمع تَوْبةٍ، أو مَصْدَرٌ، وقال أبو العباس: الذي يسبق إلى القلب أن يكون مصدرًا؛ أي: يقبل هذا الفعل، كما تقول: قال يقول قولًا، وإذا كان جمعًا فمعناه: يقبل التوبات». إعراب القرآن ٤/ ٢٦، وينظر أيضًا: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٢٠٢، ياقوتة الصراط ص ٤٤٩، الوسيط ٤/ ٤.

(٤) هذا قول الفراء والأخفش، فقد أجازا أن يكونا معرفتين، وإن كانت الإضافة فيهما لفظيةً. =

علـى النعت، وقيل[١]: هما نكـرةٌ، فيكون خفضهما على البدل، وأما ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ و﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ فهمـا نكرتان، فيكون خفضهما على البدل، لا على النعت، هكذا ذكره الصَّفّارُ[٢].

ومعنـى قوله: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ يعني: ذي الفضل والغِنَى والسَّـعةِ والنِّعَمِ على عباده، وأصل الطَّوْلِ الإنْعامُ الذي تطول مُدَّتُهُ على صاحبه، تقول: اللهم طُلْ علينا؛ أي: أنْعِمْ علينا وتَفَضَّلْ، ومنه قيل للنفع: طائلٌ، يقال: ما حَظِيتُ منه بطائلٍ، وما حَظِيتُ منه بِنائلٍ؛ أي: لَمْ أَتَّخِذْ منه مَنْفَعةً[٣].

قولـه تعالـى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ يعنـي: قبل كفار مكـة ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ يعني الكفار الذين تَحَزَّبُوا على أنبيائهم بالمخالفة والعداوة ﴿مِنۢ

= معاني القرآن للفراء ٣/ ٥، معاني القرآن للأخفش ص ٤٥٩، وقد ذكر سيبويه أن المضاف إضافـةً لفظيـةً يجوز أن تُنْعَـتَ به النكرةُ؛ لأنه لا يكتسـب التعريفَ لأنـه بمعنى الحال أو الاسـتقبال، ومَثَّلَ لذلـك بقوله تعالى: ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقـاف: ٢٤]. الكتاب ١/ ٤٢٨، ٤٢٩، وذهب الزجاج إلى أن ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، معرفتان، فيكونان نعتين. معانِـي القـرآن وإعرابه ٤/ ٣٦٦، وينظر أيضًـا: إعراب القـرآن ٤/ ٢٦، التبيان للعكبري ص ١١١٥، الفريد ٤/ ٢٠٥، الدر المصون ٦/ ٢٨.

(١) قاله الفراء والأخفش أيضًا، وهذا إذا جعلت الإضافة فيهما غير محضة؛ لأنها تكون بمعنى الحال أو الاسـتقبال، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٥، معاني القرآن للأخفش ص ٤٥٩، وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٤/ ٢٦، وجعلها الزمخشـريُّ كُلَّها أبدالًا. الكشاف ٣/ ٤١٢، ٤١٣، وينظر أيضًا: البحر المحيط ٧/ ٤٣٠، ٤٣١.

(٢) يعنـي النَّحّاسَ، ومن أول قوله: «هما معرفتـان فيكون خفضهما». قاله النحاس فِي إعراب القرآن ٤/ ٢٦.

(٣) ينظر: تفسـير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٨٥، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٠٣، الكشف والبيان للثعلبي ٨/ ٢٦٤.

﴿بَعْدِهِمْ﴾ من بعد قوم نوحٍ، نحو عادٍ وثمود فَمَنْ بَعْدَهُمْ، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ﴾ قَصَدُوهُ ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ ويقتلوه، قال الفراء(١): كان حقه أن يقول: «بِرَسُولِها»، وكذلك هي فِي قراءة عبد الله(٢)، ولكنه أراد بالأمة الرِّجالَ، فلذلك قال: ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾ أي: خاصَمُوا رُسُلَهُم، فقالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾(٣)، فهلَّا أرسَلَ اللهُ إلينا ملائكةً، وأمثالَ هذا من القول؛ ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ الذي جاءت به الرسل، ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ يريد: بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ استفهامُ تقريرٍ لعقوبتهم الواقعة بهم/ .

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: ومثلما حَقَّ على الأمم المكذبة ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٦﴾ وقال الأخفش(٤): معناه: لأنهم أو بأنهم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ محل ﴿الَّذِينَ﴾ رفعٌ على الابتداء، وخبره ﴿يُسَبِّحُونَ﴾، و﴿حَوْلَهُ﴾ نصب على الظرف.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يُنَزِّهُونَ اللهَ بالتحميد والتسبيح ﴿وَيُؤْمِنُونَ

---

(١) هذا معنى كلام الفراء، وليس نصه، فقد قال الفراء: «وقوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ﴾ [غافر: ٥]، ذهب إلَى الرجال، وفي حرف عبد الله: «بِرَسُولِها» وكُلٌّ صوابٌ». معاني القرآن ٣/ ٥.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٤/ ٥٤، البحر المحيط ٧/ ٤٣٢.

(٣) إبراهيم ١٠.

(٤) معانِي القرآن ص ٤٦٠، ومعناه أن «أنّ» وما بعدها في تأويل مصدر، في موضع نصب بِنَزْعِ الخافض، وقال غير الأخفش: يجوز أن يكون في موضع رفع بدلا من «كَلِمَةُ رَبِّكَ» أي: حَقَّ لَهُم أنهم أصحاب النار، وأجاز الزجاج: «إنهم» بكسر الهمزة. ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٦٧، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦، الفريد للهمداني ٤/ ٢٠٥، البحر المحيط ٧/ ٤٣٢.

بِهِۦ﴾ يصدِّقون بأنه واحدٌ لا شريك له ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا﴾؛ أي: ويقولون ـ يعني حمَلة العرش ومن حوله ـ: ﴿رَبَّنَا﴾ نداءٌ مضافٌ ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ نصبٌ على التفسير، وقيل: على المصدر، وقيل[1]: على النقل أي: وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ وعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ، ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الشِّرك ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ دِينَكَ الإسلامَ ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾.

فصلٌ فِي بعض صفات العَرْش وحمَلَته ومن حوله على الاختصار

رَوَى لقمانُ بنُ عامرٍ[2] عن أبيه قال: «إن الله عزّ وجلّ خلق العرش من جوهرةٍ خضراءَ، وجعل له ألْفَ ألْفِ رَأْسٍ، في كل رأسٍ ألْفُ ألْفِ وجهٍ، وستمائة ألف وجهٍ، الوجه الواحد كطبقات الدنيا ألْفَ ألْفِ مَرّةٍ، وستمائة ألف مرة، فِي كل وجهٍ ألْفُ ألْفِ لسانٍ وستمائة ألفٍ، كل لسانٍ يسبح الله بألْفِ ألْفِ لُغةٍ، خلق الله من لغات العرش خَلْقًا فِي مَلَكُوتِهِ يسبحه ويقدسه بتلك اللغة»[3].

---

(١) يعني التمييز المُحَوَّلَ عن الفاعل، قال الزمخشري: «الرحمة والعلم هُما اللذان وَسِعا كُلَّ شيءٍ في المعنى، والأصل: وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَتُكَ وعِلْمُكَ، ولكن أُزِيلَ الكلامُ من أصله بأن أُسْنِدَ الفعلُ إلَى صاحب الرَّحْمةِ والعلم، وأُخْرِجا منصوبَيْنِ على التمييز». الكشاف ٣/ ٤١٦-٤١٧، وهو قول السجاوندي أيضًا، قاله في عين المعانِي ورقة ١١٦/ أ، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ١١١٦، الدر المصون للسمين الحلبي ٦/ ٣١.

(٢) لقمان بن عامر الوِصابِيُّ أو الأَوْصابِيُّ، أبو عامر الحمصي، تابعي محدث ثقة صدوق يكتب حديثه، روى عن أبِي الدرداء وأبِي هريرة وأبِي أُمامةَ وغيرهم. [تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٤٦؛ ٢٤٨، ميزان الاعتدال ٣/ ٤١٩].

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٦٧، عين المعانِي ورقة ١١٦/ أ، روح البيان للبروسوي ٨/ ١٥٦، الدر المنثور ٣/ ٢٩٧.

وقال ابن عبّاسٍ: «حَمَلةُ العرش ما بين كَعْبِ أحَدِهِمْ إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام، أرْجُلُهُمْ في الأرض السفلى، ورؤوسهم تحت العرش، وهم خُشُوعٌ لا يرفعون طَرْفَهُمْ، وهم أشد خوفًا من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفًا من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشد خوفًا من التي تليها»(١).

ورُوِيَ عن جعفر بن محمدٍ عن أبيه عن جَدِّهِ أنه قال: إن بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خَفَقانَ الطَّيْرِ المسرعة ثمانين ألف عام، والعرش يُكْسَى كُلَّ يوم تسعين ألْفَ ألْفِ لَوْنٍ من النور، لا يستطيع أن / يَنْظُرَ إليه خَلْقٌ من خلق الله تعالى، والأشياء كلها في العرش كحلقةٍ في فَلاةٍ مُلْقاةٍ، وحول العرش صفوفٌ من الملائكة الكَرُوبِيِّينَ(٢) لا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إلا الله، يطوفون بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، فإذا رفعوا أصواتهم قالوا: سبحانك وبحمدك، ما أعْظَمَكَ وأجَلَّكَ، أنت الله لا إله غيرك، أنت الأكبر، الخلق كلهم لك راجُونَ، وجعل الله عزّ وجلّ بينه وبين الملائكة الذين هم حول العرش سبعين حجابًا من نار، وسبعين حجابًا من ظُلْمةٍ، وسبعين حجابًا من نور، وسبعين حجابًا من دُرٍّ أبْيَضَ، وسبعين حجابًا من ياقُوتٍ أحْمَرَ، وسبعين حجابًا من زُمُرُّدٍ أخْضَرَ، وسبعين حجابًا من دُرٍّ أصْفَرَ، وسبعين حجابًا من ثَلْجٍ، وسبعين حجابًا من بَرَدٍ، وسبعين حجابًا من ماء، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله(٣). [١٢٨/ ب]

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٦٦، الكشاف ٣/ ٤١٥، عين المعاني ورقة ١١٦/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٩٤، روح البيان ٨/ ١٥٥، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ١٣، الدر المنثور ٥/ ٣٤٧، تفسير الخازن ٤/ ٦٦.

(٢) هم سادة الملائكة، وهم المقربون، ومنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقيل: هم أقرب الملائكة إلى حملة العرش. اللسان: كرب.

(٣) ينظر: الكشاف ٣/ ٤١٥، تفسير البغوي ٤/ ٩٢، عين المعاني ورقة ١١٦/ أ، روح البيان للبروسوي ٨/ ١٥٦، تفسير الخازن ٤/ ٦٦.

قولــه تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعنــي العذاب ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يريــد: يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ لأن المُعافَى من العذاب مَرْحُومٌ، وهذا جواب الشــرط، ومحل «مَنْ» يجوز أن يكون رفعًا بالابتداء، ويجوز أن يكون نصبًا بـ«تَقِ»، وحذفت الياء للشرط.

قوله عزّ وجــلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ يعنــي: بغــض الله لكــم فِــي الدنيــا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ أكبر من بغضكم أنفسكم عند حلول العذاب بكم، والمَقْتُ: البُغْضُ والبَراءةُ[١].

قال البصريون[٢]: وهذه اللام لام الابتداء، ومثله في العربية: لَزَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو. وقال أحمد بن يحيى ثعلب[٣]: هي لام اليمين تدخل على الحكاية أو ما ضارَعَ الحكايةَ؛ لتدل على أن ما بعده استئنافٌ، ولا يجوز [أن يكون][٤] من جوابات الأيمان.

قولــه تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ هــذا قول الكفار فِي النار، وذلك أنهم كفروا بالبعث في الدنيــا، وأقَرُّوا في الآخرة بِمَوْتَيْنِ وحَياتَيْنِ، يعنــي: أنهم كانوا نُطَفًــا، فأحياهم لَمّا خَلَقَهُمْ فهذه موتــةٌ وحياةٌ، ثم أماتهم عند

---

(١) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٤٤٩-٤٥٠، وينظر: تهذيب اللغة ٩/ ٦٦-٦٧.

(٢) قــال الأخفــش: «وقــال: ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فهذه اللام هــي لام الابتداء، كأنه: يُنادَوْنَ يُقالُ لَهُمْ؛ لأن النداءَ قَوْلٌ، ومثله في الإعراب: لَزَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو». معانِي القرآن ص ٤٦٠، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧.

(٣) ينظر قوله في عين المعانِي ورقة ١١٦/ أ.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

آجالهم ثم بعثهم في الآخرة، فهذه مَوْتةٌ وحَياةٌ أخرى، ثم قالوا: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بأن البعث حقٌّ، وكانت ذنوبهم أنهم قالوا: لا بَعْثَ ولا نُشُورَ، ثم سألوا الرجعة إلى الدنيا، فقالوا: ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ/ خُرُوجٖ﴾ يعني: من النار ﴿مِّن سَبِيلٖ ١١﴾ [١٢٩/ أ]
من طريق إلى الدنيا، فَنَعْمَلَ بطاعتك وما يرضيك، ونصب ﴿ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ على المصدر فِي الموضِعين، وقيل: نصب ذلك لأنه أقيم مقام المصدر تقديره: أَمَتَّنا إماتَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ[1].

قوله: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني: مخلصين له التوحيد والطاعة، وهو نصبٌ على الحال ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ من أهل مكة.

ثم عَظَّمَ نَفْسَهُ، فقال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يعني الكبرياء والعظمة في السماوات، والرفيع بمعنى الرافع، والمعنى: أنه يرفع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خالقه ومالكه، وهو مرفوعٌ على إضمار مبتدأٍ، قال الأخفش[2]: ويجوز نصبه على المدح، وقيل: ﴿رَفِيعُ﴾ ابتداءٌ، و﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ نعته، وخبره ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾.

ويحتمل أن يكون ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خَبَرَ الابتداءِ، ويحتمل أن يكون ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ خبَرًا لابتداءٍ محذوفٍ كما تقدم، تقديره: هو رفيعٌ.

قوله: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ يعني: يُنَزِّلُ الوَحْيَ من السماء بأمره، وقيل: من قضائه ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ وسَمّاهُ رُوحًا لأنه تَحيا به القلوبُ كما تَحيا بالأرواح.

---

(١) أي على النعت لمصدر محذوف، ينظر: الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٢٠٧.

(٢) قال الأخفش: «رَفِيعُ: على الابتداء، والنصب جائز، لو كان، في الكلام على المدح». معانِي القرآن ص٤٦٠.

قولـه: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ يعنـي: يـوم يلتقـي أهلُ السـماء وأهلُ الأرض، وقرأ الحسـن: «لِتُنْـذِرَ» بالتـاء[١]، وهو مخاطبةٌ للنبـي ﷺ، وتَأَوَّلَ أبـو عُبيدٍ قراءة من قرأ: «لِيُنْذِرَ» بالياء أن المعنى: لِيُنْـذِرَ اللهُ عزّ وجلّ [٢]، قال الزجّـاج[٣]: والأجـود أن يكون للنبي ﷺ لأنه أقـرب. و﴿يَوْمَ﴾ نصبٌ برفع حرف الصفة تقديره: لينذركم يومَ التلاق[٤]......؛ لأنه رأس آية[٥].

قوله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾؛ أي: خارجون من قبورهم ظاهرون، لا يَسْتُرُهُمْ

---

(١) وهـي قـراءة ابن عباس وابـنِ السَّـمَيْفَعِ واليمانِـيِّ ورَوْحٍ وزَيْدٍ ويعقـوبَ، ينظر: مختصر ابـن خالويه ص ١٣٣، تفسـير القرطبـي ١٥/ ٣٠٠، البحر المحيـط ٧/ ٤٣٧، الإتحاف ٢/ ٤٣٥.

(٢) ينظر تأويل أبِي عبيدٍ في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨.

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٦٩.

(٤) معنى كلامه أن «يَوْمَ» ظرف، وهو ما لَمْ يُجِزْهُ الفارسيُّ وغَيْرُهُ، فقد قال الفارسي: «المعنى: أي: أخاف عليكم عذابَ يوم التلاقي، فإذا كان كذلك كان انتصابُ «يَوْمَ» انتصابَ المفعول بـه، لا انتصابَ الظرف؛ لأن إعرابـه إعرابُ المضافِ المحذوفِ». الحجة ٣/ ٢٤٧، وقال المنتجـب الهمدانِيُّ: «و«يَوْمَ» مفعولُ الإنذارِ، لا ظرف له كما زعم بعضهم؛ لأن الإنذار لا يكون فيه وإنما به». الفريد للهمداني ٤/ ٢٠٨.
وقد أجاز أبو حيان أن يكون «يَوْمَ» ظرفًا، فيكون المفعول محذوفًا؛ أي: لِيُنْذِرَ العَذابَ يَوْمَ التَّلاقِ. ينظر: البحر المحيط ٧/ ٤٣٧، وينظر أيضًا: الدر المصون ٦/ ٣٣.

(٥) يبـدو أن قبل هـذه الجملة سَـقْطًا، ويمكن أن يكون النـص كما يلي: «وَحُذِفَـتِ الياءُ من «التَّـلاقِ» لأنه رأس آية»، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨، وحَذْفُ الياءِ قراءةُ عاصمٍ وأبِـي عمرو وابن عامر وحمزة والكسـائي، فهم لا يثبتون الياءَ وَصْـلًا ولا وَقْفًا، وقرأ نافع بإثبات الياء في الوصل فقط، ينظر: السـبعة ص٥٦٨، معانِـي القراءات ٢/ ٣٤٣، إعراب القراءات السـبع ٢/ ٢٦٢، حجة القراءات ص ٦٢٧، ٦٢٨، الحجة للفارسـي ٣/ ٣٤٦، ٣٤٧.

شَيْءٌ، ومحل ﴿هُم﴾ رفعٌ بالابتداء، و﴿بَٰرِزُونَ﴾ خبره، وقال ابن الأنباري[(١)]: موضع ﴿هُم﴾ رفعٌ بـ﴿بَٰرِزُونَ﴾، و﴿بَٰرِزُونَ﴾ رفع بـ﴿هُم﴾، و﴿يَوۡمَ هُم﴾ حرفان: في هذه السورة وفي سورة الذاريات: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾[(٢)].

قال: وإنّما صار هذا حَرْفَيْنِ لأن ﴿هُم﴾ فِي موضع رفع بما عادَ من ﴿يُفۡتَنُونَ﴾، وقوله: ﴿يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾[(٣)] و﴿يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِى / فِيهِ يُصۡعَقُونَ﴾[(٤)] حرف واحدٌ؛ لأن ﴿هُم﴾ في موضع خفضٍ بإضافة اليوم إليه، والخافض والمخفوض بِمَنْزِلةِ حرفٍ واحدٍ.

وقوله: ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَىۡءٌ﴾ لا يَسْتَتِرُ منهم أحَدٌ، ولا يخفى على الله من أعمالهم شيءٌ، ثم يقول الله فِي ذلك اليوم: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ وذلك عند فناء الخلق، حِينَ لا أحَدَ يُجِيبُهُ، فَيُجِيبُ نَفْسَهُ: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ الذي قَهَرَ خَلْقَهُ بالموت، فهو السائل وهو المجيب ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ يَجْزِي المُحْسِنَ بِإحسانِهِ، والمُسِيءَ بِإساءَتِهِ، ﴿لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾.

فصْلٌ

عن ابن مسعودٍ قال: «يَجْمَعُ اللهُ الخَلْقَ يوم القيامة في صعيدٍ واحدٍ بأرضٍ بيضاءَ، كأنها سَبِيكةُ فِضّةٍ، لَمْ يُعْصَ اللهُ عليها قَطُّ، فَأَوَّلُ ما يُتَكَلَّمُ به: أنْ

(١) إيضاح الوقف والابتداء ص ٣٤٤-٣٤٥، وهذا على مذهب الكوفيين في أن المبتدأ والخبر يترافعان.

(٢) الذاريات ١٣، وانظر ما سيأتي ٣/ ١٦٥.

(٣) الذاريات ٦٠.

(٤) الطور ٤٥.

يُنادِي مُنادٍ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾... الآية»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا المَلِكُ، أنا الدَّيّانُ، لا ينبغي لأحَدٍ من أهل الجنة أنْ يَدْخُلَ الجنةَ، ولا لأحَدٍ من أهل النار أنْ يَدْخُلَ النارَ، وعنده مظلَمة حتى أقْضِيَهُ منه»، ثم تلا هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ يا محمد، يعني: أهل مكة ﴿يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾ يعني يوم القيامة، سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها قريبةٌ، وإن استبعد الناسُ أمْرَها[٣]؛ إذْ كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ، يقال: أزِفَ الشَّيْءُ يَأْزَفُ أزَفًا فهو آزِفٌ، ويقال: أزِفَتْ فهي آزِفةٌ، وأزِفَ شُخُوصُ فُلانٍ: إذا قَرُبَ[٤]، وأزِفَ الأمرُ: أي دَنا وقَرُبَ، قال النابغة:

٢١٣ ـ أزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أنّ رِكابَنا   لَمّا تَزُلْ بِرِحالِنا، وَكَأنْ قَدِ[٥]

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٧٠، عين المعاني ورقة ١١٦/ أ، الدر المنثور ٥/ ٣٤٨، فتح القدير ٤/ ٤٨٦.

(٢) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن أنيس في المسند ٣/ ٤٩٥، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٥، كتاب الأهوال: باب «لا يدخل أهل الجنة حتى يُنَقَّوْا»، وينظر: الوسيط ٤/ ٧، تفسير القرطبي ٤/ ٢٧٣.

(٣) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٦٩.

(٤) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٣٨٦، وحكاه النحاس عن الكسائي فِي معانِي القرآن ٦/ ٢١١.

(٥) البيت من الكامل للنابغة، من قصيدة له في وصف المتجردة زَوْجِ النعمانِ بنِ المنذر، ورواية ديوانه: «أفِدَ التَّرَحُّلُ»، ويُرْوَى في كتب النحو: «وَكَأنْ قَدِنْ» بزيادة تنوين الترنم.
التخريج: ديوانه ص ٨٩، سر صناعة الإعراب ص ٣٣٤، ٤٩٠، ٧٧٧، الأزهية ص ٢١١، الكشف والبيان ٨/ ٢٧٠، شرح المفصل ٨/ ١١٠، ١٤٨، ٩/ ١٨، ٥٢، شرح التسهيل لابن مالك ٤/ ١٠٩، شرح الكافية للرضي ١/ ٤٤، ٤/ ٨٥، ٣٩٠، ٤٧٩، رصف =

أي: قَـرُبَ، ونظير هذه الآيـة: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [(١)]؛ أي: قَرُبَـتِ القِيامةُ، ومحـل ﴿يَوْمَ﴾ نصـب بِنَـزْعِ الصفـة؛ أي: ليـوم الآزفة، وقيـل: نصب على الظرف[(٢)].

وقولـه: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ يعني مغمومين مكروبين، ممتلئيـن غَمًّا وخَوْفًا وحُزْنًا، والكاظم: المُمْسِـكُ للشـيء على ما فيه، ومنه: كَظَمَ قِرْبَتَهُ: إذا شَدَّ رَأْسَها.

وهو منصوبٌ على الحال والقطع[(٣)]، وقيل: على التفسير، وأجاز الفراء رفـع ﴿ كَٰظِمِينَ ﴾ علـى أنه خبرٌ للقلوب، وقـال[(٤)]: لأن المعنـى: / إِذْ هُمْ [١٣٠/ أ]

= المبانِـي ص ٧٢، ١٢٥، ٤٤٨، ارتشـاف الضـرب ص١٢٨٠، ٢٣٦٤، الجنـى الدانِـي ص ١٤٦، ٢٦٠، مغني اللبيب ص ٢٢٧، ٤٤٨، الدر المصون ٦/ ٣٥، المقاصد النحوية ١/ ٨٠، ٢/ ٣١٤، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٢٨، همع الهوامع ١/ ٤٥٧، ٢/ ٤٤٨، ٥١٨، شـرح شـواهد المغنـي ص ٤٩٠، ٧٦٤، خزانـة الأدب ٧/ ١٩٧، ١٩٨، ٩/ ٨، ١٠/ ٤٠٧، ١١/ ٢٦٠.

(١) النجم ٥٧.

(٢) ويكـون المفعـول محذوفًا، أي: وأنذرهم العـذابَ يومَ الآزفة، كما سـبق في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ ٢/ ٣٨٤ وقـال الأنبـاري: «هـو مفعول«أَنْذِرْهُـمْ». البيـان للأنبـاري ٢/ ٣٣٠، وينظر أيضًا: الفريد للهمدانِي ٤/ ٢٠٨، الدر المصون ٦/ ٣٥.

(٣) قالـه الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٦، وهو حال من المنوي في «لَدَى الحَناجِرِ»، وقيل: حال من القلوب، وقيل: حال من الضمير في «وَأَنْذِرْهُمْ»، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٦٩، الفريد للهمداني ٤/ ٢٠٨، البحر المحيط ٧/ ٤٣٨، الدر المصون ٦/ ٣٥.

(٤) قـال الفراء: «ولو كانت: «كاظِمُونَ» مرفوعةً على قولـك: إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ، إِذْ هُمْ كاظِمُونَ أو على الاسـتئناف، كان صوابًا». معانِي القرآن ٣/ ٧، وهذا في غير القرآن، وقد قرأ اليَمانِيُّ شـاذًّا: «كاظِمُونَ» بالرفع، ينظر: شـواذ القراءة ورقـة ٢١٢، عين المعانِي ورقة ١١٦/ ب.

كاظِمُونَ، وقال الكسائي[١]: يجوز رفعه على الابتداء.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾... الآية، قال ثعلب[٢]: لَمْ يسألهم مِنْ باب الأمر والنهي، ولكن من باب المشورة؛ أي: أشِيرُوا عَلَيَّ. وإنما قال هذه الآية لأنه كان فِي خاصّةِ قوم فرعون مَنْ يَمْنَعُهُ مِنْ قَتْلِهِ خَوْفًا من الهلاك[٣].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قال مقاتلٌ والسُّدِّيُّ[٤]: كان قبطيًّا، وهو ابن عَمِّ فرعونَ ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ﴾؛ أي: لأنْ يَقُولَ ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ وهو استفهام إنكارٍ ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بِما يَدُلُّ على صدقه من المعجزات، ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾، ولا يضركم ذلك ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾ وكذبتموه ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ من العذاب، وهو شرطٌ وجزاءٌ، والمراد بالبعض في هذه الآية الكُلُّ؛ لأن العرب تذكر البعض وتريد الكل[٥]، قال لبيد:

٢١٤ ـ تَـرّاكُ أمْكِنةٍ إذا لَـمْ أرْضَها ... أوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمامُها[٦]

(١) ينظر قول الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٠٢، وهذا أيضًا في غير القرآن؛ لأنه لم يقرأ به.

(٢) ينظر قول ثعلب في ياقوتة الصراط لأبي عمر الزاهد ص ٤٥٠.

(٣) قاله الواحدي في الوسيط ٤/ ٩، وينظر: زاد المسير ٧/ ٢١٦.

(٤) ينظر قولهما في الوسيط ٤/ ١٠، زاد المسير ٧/ ٢١٦، عين المعاني ورقة ١١٦/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٠٦.

(٥) قاله أبو عبيدة وثعلب وابن الأنباري، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٠٥، مجالس ثعلب ص ٥٠، الأضداد لابن الأنباري ص ١٨١، وحكاه الأزهري عن أبِي الهيثم في تهذيب اللغة ١/ ٤٨٩، وينظر: الوسيط ٤/ ١٠، زاد المسير ٧/ ٢١٨.

(٦) البيت من الكامل، لِلَبِيدٍ من معلقته، ورواية ديوانه: «أوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ»، ويُرْوَى: «أوْ يَعْتَبِطْ»، ويُرْوَى: «تَرّاكُ مَنْزِلةٍ»، وقوله: «تَرّاكُ» خَبَرٌ بعد خَبَرٍ لـ«أنّ» في البيت السابق، وهو قوله:=

أراد: كل النفوس. وقال الليث[1]: البعض هاهنا صلةٌ، يريد: يصبكم الذي يعدكم، وقال ثعلب[2]: وَعَدَهُمْ بشيئين من العذاب: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فقال: يصبكم هذا العذاب فِي الدنيا، وهو بعض الوعدين، وقال أهل المعانِي[3]: هذا على المُظاهَرةِ فِي الحِجاجِ، كأنه قال لهم: أَقَلُّ ما يكون فِي صِدْقِهِ أن يصيبكم بعضُ الذيَ يعدكم، وفي بعض ذلك هَلاكُكُمْ، فَذَكَرَ البَعْضَ لِيُوجِبَ الكُلَّ، لا أنّ البعضَ هو الكل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ إلى دينه ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ مُفْتَرٍ للكذب.

قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: عالِينَ في أرض مِصْرَ، وهو منصوبٌ على الحال، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فمن يمنعنا من عذاب الله ﴿إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ من الرأي والنصيحة ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: وما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى.

= أَوَلَمْ تكُنْ تَدْرِي نَوارُ بِأَنَّنِي وَصّالُ عَقْدِ حَبائِلٍ جَذّامُها؟

التخريج: ديوانه ص ١٧٥، مجاز القرآن ١/ ٩٤، ٢/ ٢٠٥، مجالس ثعلب ص ٥٠، ٣٦٩، معانِي القرآن وإعرابه ١/ ٤١٥، ٤/ ٤١٨، الأضداد لابن الأنباري ص ١٨١، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٢٢٥، الصاحبي ص ٤٢١، الخصائص ١/ ٧٤، ٢/ ٣١٧، ٣٤١، المحتسب ١/ ١١١، الكشف والبيان ٨/ ٢٧٣، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٧٧٢، شمس العلوم ١/ ٥٦٧، عين المعانِي ١١٦/ أ، تفسير القرطبي ٤/ ٩٦، ٦/ ٢١٣، ١٥/ ٣٠٧، ١٦/ ١٠٨، البحر ٧/ ٤٤٢، الدر المصون ٦/ ٣٨، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٤٢، شرح شواهد شرح الشافية ص ٤١٥، الخزانة ٧/ ٣٤٩.

(١) قول الليث في تهذيب اللغة ١/ ٤٩٠، الوسيط ٤/ ١٠، زاد المسير ٧/ ٢١٨.

(٢) قول ثعلب في ياقوتة الصراط ص ٤٥٠، تهذيب اللغة ١/ ٤٩٠.

(٣) هذا قول الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٧٢ باختلاف يسير في ألفاظه، وينظر أيضًا: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٢١٦، التهذيب ١/ ٤٨٩، الوسيط ٤/ ١٠، زاد المسير ٧/ ٢١٨.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠﴾، ثم فسَّرَ ذلك فقال:/ ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ أي: مثل حالهم وعادتهم فِي التكذيب، وما أصابهم من العذاب، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ۝٣١﴾ فلا يهلكهم قبل إيجاب الحُجّة عليهم، و﴿مِثۡلَ دَأۡبِ﴾ نصبٌ على البدل من ﴿مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾، وهو مفعولٌ لقوله: ﴿أَخَافُ عَلَيۡكُم﴾. [١٣٠/ ب]

ثم حَذَّرَهُمْ المؤمنُ عذابَ الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢﴾ مفعولٌ، يعني يوم القيامة، يُنادَى فيه كُلُّ أناس بإمامهم، ويُنادِي فيه أهْلُ النّارِ أهْلَ الجنة، وأهْلُ الجنةِ أهْلَ النارِ، ويُنادَى فيه بسعادة السعداء، وشقاوةِ الأشقياءِ، فيقال: ألا إن فلان ابن فلانٍ سَعِدَ سَعادةً لا شقاء بعدها أبدًا، ألا إن فلان ابن فلانٍ شَقِيَ شَقاوةً لا سَعْدَ بعدها أبدًا»[١].

قرأ العامة: «التَّنادِ» بتخفيف الدال، وقرأ الحسن وابن كثير: «التَّنادِي» بتخفيف الدال وإثبات الياء على الأصل في الوقف والوصل، وأثبت وَرْشٌ الياءَ في الوصل فقط، وقرأ الباقون بغير ياءٍ في الحالين، وقرأ ابن عبّاسٍ والضحّاك بتشديد الدال[٢] على معنى: يوم التنافر.

﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ﴾ بدلٌ من ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ ﴿مُدۡبِرِينَ﴾ منصرفين عن موقف

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٧٤، الوسيط ٤/ ١١، تفسير القرطبي ١٥/ ٣١٠، ٣١١، فتح القدير ٤/ ٤٩١.

(٢) قرأ الحسنُ وابنُ كثير ويعقوبُ وقالونُ وابنُ السميفع ومجاهدٌ، وأبو عمرو في روايةِ عباسِ ابن منصور عنه: «التَّنادِي» بإثبات الياء وصلًا ووقفًا، وأثبت الياءَ في الوصل فقط وَرْشٌ عن نافع، وابنُ وَرْدانَ، وقرأ ابنُ عباس والضحاكُ وأبو صالح الكلبِيُّ والزعفرانِيُّ وابنُ مِقْسَمٍ وعكرمةُ: «التَّنادِّ» بالتشديد، وقرأ الباقون بحذف الياء وصلًا ووقفًا، ينظر: السبعة ص ٥٦٨، تفسير القرطبي ١٥/ ٣١٢، البحر المحيط ٧/ ٤٤٤، النشر ٢/ ٣٦٦، الإتحاف ٢/ ٤٣٥.

الحساب إلى النار، وهو نصب على الحال ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانع يمنعكم من عذابه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لوزيره: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ يعني قصرًا مُشَيَّدًا من آجُرٍّ، والصَّرح: البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظرين وإن بَعُدَ، وأصله من التصريح وهو الإظهار ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي طُرُقَها وأبوابها ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ قرأه العامة برفع العين نسقًا على قوله: ﴿أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾، وقرأ الأعرج بنصب العين، ومثلَه رَوَى حَفْصٌ عن عاصم[1] على جواب ﴿لَّعَلِّىٓ﴾ بالفاء، وأنشد الفَرّاءُ لبعض العرب[2]:

٢١٥ـ عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أوْ دُولاتِها
تُدِيلُنا اللَّمّةَ مِنْ لَمّاتِها
فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفَراتِها[3]

---

(١) قرأ الأعرجُ، وحَفْصٌ عن عاصم، والسُّلَمِيُّ وعيسى بنُ عمر وأبو حيوة وزيد بن عَلِيٍّ وابن مقسم والزعفرانِيُّ: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم بالرفع، ينظر: السبعة ص ٥٧٠، تفسير القرطبي ١٥/ ٣١٥، البحر المحيط ٧/ ٤٤٦، الإتحاف ٢/ ٤٣٧.

(٢) معانِي القرآن ٣/ ٩، وهذا مذهب الكوفيين، وأما البصريون فإنهم لا يجيزون ذلك، ويُخَرِّجُونَ قراءة النصب على أن «أَطَّلِعَ» منصوب بـ«أَنْ» مضمرة بعد الفاء الواقعة في جواب الأمر، ينظر: التبيان للعكبري ص ١١٢٠، الفريد للهمداني ٤/ ٢١٣، البحر المحيط ٧/ ٤٤٦، الجنى الدانِي ص ٧٤، الدر المصون ٦/ ٤٢-٤٣.

(٣) من الرجز المشطور، لَمْ أقف على قائله، ويروى الثانِي: «يُدِلْنَنا».

اللغة: صروف الدهر: نوائبه وحوادثه، دُولاتها: الضمير يعود إلى صروف الدهر، والدَّوْلةُ بفتح الدال وضمها: الانتقال من حال الضر والبؤس إلى حال الغبطة والسرور، تُدِيلُنا: مضارع أدالَهُ إدالةً، وهي الغلبة، اللَّمّةُ: الشدة، الزَّفَرات: جمع زَفْرةٍ، وهو اسم من الزفير وهو اغتراق النفس محركة بالشدة والغم. =

فنصب الحاء على جواب حرف التمني.

قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ يعني: فِي الدنيا إذا نزل بكم العذابُ فِي الآخرة حين لا ينفعكم الذِّكْرُ فِي الآخرة ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وذلك أنهم تَوَعَّدُوهُ بالقتل لِمُخالَفةِ / دِينِهِمْ، وأصل التفويض في اللغة [١٣١/ أ] أن يَكِلَ الرَّجُلُ أَمْرَهُ إلى غيره، ومنه قول الشاعر:

٢١٦- لا يَصْلُحُ النّاسُ فَوْضَى لا سَراةَ لَهُمْ ... وَلا سَراةَ إذا جُهّالُهُمْ سادُوا(١)

يعني: إذا لَمْ يكن لَهُمْ رئيسٌ، وإنما يَكِلُ الأمْرَ بَعْضُهُمْ إلى بعض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤﴾.

قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾؛ أي: ما أرادوا به من الشر، ﴿وَحَاقَ﴾؛ أي: أحاط ونزل ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ﴾ رفعٌ

= **التخريج**: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٩، ٢٣٥، الزاهر ٢/ ٢٩٣، معانِي القراءات ٢/ ٣٤٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٧٠، ٤٣٩، الخصائص ١/ ٣١٦، سر صناعة الإعراب ص ٤٠٧، الكشف والبيان ٨/ ٢٧٦، الإنصاف ص ٢٢٠، شرح المفصل ٥/ ٢٩، عين المعاني ورقة ١١٦/ ب، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٨٦، ٤/ ٣٤، رصف المبانِي ص ٢٤٩، اللسان: زفر، علل، لمم، الجنى الدانِي ص ٥٨٤، مغني اللبيب ص٢٠٦ المقاصد النحوية ٤/ ٣٩٦، شرح شواهد المغني ص ٤٥٤، شرح شواهد الشافية ص ١٢٨، ١٢٩، التاج: لمم.

(١) البيت من البسيط، للأفوه الأودي، ويُرْوَى: «لا يَصْلُحُ القَوْمُ».
اللغة: سَراةُ كلِّ شيءٍ: أعلاه، والسَّرْوُ: المروءة والشرف.
التخريج: ديوانه ص ١٠، روضة العقلاء ص ٢٧٠، أمالِيُّ القالِي ٢/ ٢٢٥، العقد الفريد ١/ ٩، ٥/ ٣٠٨، التذكرة الحمدونية ١/ ٢٩٢، بهجة المجالس ١/ ٦٥٢، أساس البلاغة: فوض، معاهد التنصيص ٤/ ١٠٨، اللسان: فوض، التاج: فوض.

على البدل من السوء[١]، وذلك أن الله أغرقهم في الدنيا، وفي الآخرة لهم عذاب النار ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ صباحًا ومساءً، وأصل العرض إظهار الشيء، قال أبو جعفر[٢]: ﴿غُدُوًّا﴾ مصدرٌ جُعِلَ ظرفًا على السَّعةِ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ نصبٌ على الظرف أو مفعولٌ[٣]، ويريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ أُغْرِقُوا.

قرأ أهل المدينة وأهل الكوفة إلا أبا بكرٍ ويعقوب: «أَدْخِلُوا» بقطع الألف وكسر الخاء من الإدخال، وقرأ الباقون[٤] بوصل الألف وضم الخاء من الدُّخُولِ.

فمن قرأ بضم الخاء نصب «آلَ» على النداء المضاف، كأنك قلت: ادْخُلُوا يا آلَ فِرْعَوْنَ، ومن قرأ بالكسر نصبه بوقوع الفعل عليهم؛ أي: يقال للملائكة: أَدْخِلُوا آلَ فرعون أَشَدَّ العذاب، ومن قرأ بالوصل فهو على الأمر لهم بالدخول.

---

(١) ويجوز أن يكون «النّارُ» خَبَرًا لمبتدأ محذوف على تقدير سؤال: ما سُوءُ العَذابِ؟ فيقال: هو النار، ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره «يُعْرَضُونَ عَلَيْها»، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤٦٢، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٧٦، إعراب القرآن ٤/ ٣٤، التبيان للعكبري ص ١١٢٠، الفريد ٤/ ٢١٥.

(٢) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٣٥.

(٣) يعني أن «أَشَدَّ» إما أن يكون ظرفًا، والتقدير: في أشد العذاب، كما تقول: دَخَلْتُ الدّارَ، أي: في الدار، وإما أن يكون مفعولًا ثانيًا لـ«أَدْخِلُوا» على حذف الجار، ينظر: الحجة للفارسي ٣/ ٣٥٢، الفريد ٤/ ٢١٦، الدر المصون ٦/ ٤٥.

(٤) قرأ عليٌّ وقتادةُ وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، وعاصمٌ في رواية أبي بكر عنه، وابنُ محيصن واليزيديُّ والحسنُ: «ادْخُلُوا» بوصل الهمزة، وقرأ الباقون، وحفصٌ عن عاصم بقطع الهمزة، ينظر: السبعة ص ٥٧١-٥٧٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٢٠، البحر المحيط ٧/ ٤٤٨، الإتحاف ٢/ ٤٣٨.

فصلٌ

عن ابن عُمَرَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكافر إذا مات عُرِضَ على النّارِ بالغَداةِ والعَشِيِّ»، ثم تلا: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا ﴾، «وإن المؤمن إذا مات عُرِضَ رُوحُهُ على الجنة بالغَداةِ والعَشِيِّ»(١).

ورَوَي أيضًا ابنُ عمرَ أن النبي ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بالغَداةِ والعَشِيِّ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»(٢). رواه البخاري عن إسماعيل بن أبِي أُوَيْسٍ(٣)، ورواه مسلمٌ عن يحيى بنِ يحيى(٤)، كلاهما عن مالكٍ / عن نافعٍ عن ابن عُمرَ. [١٣١/ ب]

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون فِي النار ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ ﴾

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٣١٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٢/ ١٠٣ كتاب الجنائز: باب «الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي»، ومسلم في صحيحه ٨/ ١٦٠ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه.

(٣) إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أُوَيْسٍ بن مالك بن أبِي عامر الأَصْبَحِيُّ، أبو عبد الله المَدَنِيُّ، الإمام الحافظ الصدوق، عالِمُ أهْلِ المدينة ومحدثهم، روى عن أبيه وأخيه أبِي بكر وخالِهِ مالكِ بنِ أنَسٍ، توفي سنة (٢٢٦هـ)، وقيل: (٢٢٧هـ). [تهذيب الكمال ٣/ ١٢٤: ١٢٩، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٩١: ٣٩٥].

(٤) يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن التميمي الحنظلي، أبو زكريا النيسابوري، إمام في الحديث، وَرِعٌ ثقةٌ، كان من سادات أهل زمانه علمًا ودينًا ونسكًا وإتقانًا، روى عن مالك وزهير بن معاوية، روى عنه البخاري ومسلم والبيهقي وغيرهم، توفي سنة (٢٢٦هـ). [تهذيب الكمال ٣٢/ ٣١-٣٧، الأعلام ٨/ ١٧٦].

عن الإيمان وهم القادة ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ يعني: على دِينكم في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾؛ أي: حاملـون عنا باتباعنا إياكم ﴿نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ يعني: بعض العذاب، والتَّبَعُ يكون واحدًا وجمعًا فِي قول نحاة البصرة، واحده: تابـع[١]، وقال أهـل الكوفة[٢]: هو جمعٌ لا واحد له كالمصـدر، وجمعه أتباعٌ، وقيل[٣]: هو مصدرٌ فِي موضع خَبَرِ «كانَ»؛ ولذلك لَمْ يُجْمَعْ.

قولـه: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم القادة للضعفاء، وهم الأتباع: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾؛ أي: فِي النار نحن وأنتم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾؛ أي: فَصَـلَ بينهم، وقوله: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ قـرأه العامة برفع ﴿كُلٌّ﴾ على الخبر؛ لأنه ابتداءٌ تقديره: كُلُّنا فيها، وقرأ ابن السَّمَيْفَعِ: «إنّا كُلًّا فِيها»[٤] بالنصب، جعلها نعتًا وتأكيدًا لـ﴿إِنَّا﴾[٥].

---

(١) قـال أبو عبيـدة: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [غافر: ٤٧]: جميع تابع، خرج مخـرج غائِبٍ وغَيَبٍ». مجـاز القرآن ١/ ٣٣٩، وينظر: معانِـي القرآن للأخفش ص ٤٦١، جامع البيان ٢٤/ ٩٢، تهذيب اللغة ٢/ ٢٨٢، الكشف والبيان ٨/ ٢٧٨، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٢١.

(٢) ينظر قولهم في جامع البيان ٢٤/ ٩٢، الكشف والبيان ٨/ ٢٧٨، عين المعانِي ورقة ١١٦/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٢١.

(٣) ويكون هذا المصدر على تقديرِ مضافٍ، أي: ذَوِي تَبَعٍ، أو يكون في موضع اسـم الفاعل، أي: تابعيـن، وهـذا قـول النَّحّاسِ وَمَكِّـيِّ بن أبِي طالـب، ينظر: إعراب القـرآن للنحاس ٤/ ٣٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٦٦، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ١١٢١، الفريد للهمداني ٤/ ٢١٦، الدر المصون ٦/ ٤٥.

(٤) وهي أيضًا قراءة عيسى بن عمر، ينظر: القرطبي ١٥/ ٣٢١، البحر ٧/ ٤٤٨.

(٥) هذا قول الكسـائي والفراء في توجيه هذه القراءة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٠، وقول الكسـائي حكاه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٦، وينظر: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٦٧، القرطبي ١٥/ ٣٢١، وهذا ممنوع عند البصريين لأن الضمير لا يُنْعَتُ، وقال مَكِّيٌّ: «وَوَجْهُ قولِهِما أنه تأكيد للمضمر، والكوفيون يُسَمُّونَ التأكيد نعتًا». مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٦٧.

قولـه عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ يعني: من الضلالة ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾﴾ يعني التوراة ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾؛ أي: هو هدًى وتذكيرٌ ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾؛ أي: لأهل العقول والبصائر، وقيل: ﴿هُدًى﴾ في موضع نصبٍ على الحال، أي: هادِيًا، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ عطفٌ عليه، وإن شئت قلت: هو نصبٌ على القطع من الكتاب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ شـرطٌ وجزاءٌ؛ أي: وَحِّدُونـي واعبدونِي دون غيري أُثِبْكـمْ وأغْفِرْ لكم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ يعني: عن توحيدي وطاعتي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ يعني: صاغرين ذليلين، وهو نصبٌ على الحال، وقد مضى نظيره في سورة النمل[1].

قرأ ابن كثيرٍ وأبو جعفرٍ وأبو حاتمٍ: «سَـيُدْخَلُونَ» بضم الياء وفتح الخاء على ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ، واختُلِفَ فيه عن أبِي عمرٍو وعاصمٍ، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء على تسمية الفاعل[2].

[١٣٢/ أ] قولـه عـزّ وجـلّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى/ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ يعني: لتسـتقروا فيه من النَّصَـبِ ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لابتغاء الرزق، و﴿جَعَلَ﴾ هاهنا بمعنـى خَلَقَ، والعرب تفرق بيـن ﴿جَعَلَ﴾ إذا كانت بمعنى «خَلَقَ»، وبيـن ﴿جَعَلَ﴾ إذا لَمْ يكن بمعنى «خلـق»، ولا تُعَدِّيها إلاَّ فِي مفعولٍ واحدٍ إذا كانت بمعنى «خَلَقَ»، وإذا لَمْ تكن بمعنى «خَلَقَ» عَدَّتْها إلى مفعولين كقوله

---

(١) الآية ٨٧، وانظر ما سبق ١/ ٤٧١.

(٢) قرأ ابنُ كثير، وعاصمٌ في رواية أبِي بكر والمفضلِ عنه، وأبو عمرو في رواية عباسِ بن الفضل عنـه، وأبو جعفـر ورُوَيْسٌ وزيـدُ بنُ عَلِيٍّ وابـنُ مُحَيْصِنٍ ويعقـوبُ ورَوْحٌ: «سَـيُدْخَلُونَ» بالبناء للمفعول، وقرأ الباقون، وعاصمٌ في رواية حفص عنه، وأبو عمرو في غير رواية عَبّاسٍ بالبناء للفاعل، ينظر: السبعة ص ٥٧٢، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٢٨، البحر المحيط ٧/ ٤٥٢، النشر ٢/ ٢٥٢، الإتحاف ٢/ ٤٣٩.

تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ (١)، وقوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ عطف النهار على الليل، ونصب ﴿مُبْصِرًا ﴾ على الحال.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ قال الفراء(٢): هو خبرٌ، وفيه إضمارُ الأمرِ، مجازه: فادْعُوهُ واحْمَدُوهُ، وقال ابن عبّاس: «من قال: لا إله إلا الله فَلْيَقُلْ على إثْرِها: الحمد للهِ رَبِّ العالَمِينَ»(٣)، و﴿مُخْلِصِينَ ﴾ منصوبٌ على الحال.

قوله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يعني آدم عليه السّلام ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني ذريته ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ يعني: مثل الدم ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ يعني: أطفالًا، قال يونس: العرب تجعل الطفل للواحد والجماعة، نظيره قوله: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (٤)، وهو منصوبٌ على الحال، وقد ذكرتُ نظيرها في سورة الحج(٥).

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾ يعني: عذابنا ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾ نصبٌ على المصدر ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾؛ أي: تَبرَّأْنا مما كُنّا نعبد من دون الله ونَعْدِلُ به ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ﴾ يريد: هذا قضاءٌ في خَلْقِي أنّ مَنْ كَذَّبَ أنبيائي وجَحَدَ

---

(١) الزخرف ٣، ومن أول قوله: «وجعل هاهنا بمعنى خلق»، قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٠.

(٢) لَمْ أقف على هذا القول في معاني القرآن، وإنما هو في مجمع البيان ٨/ ٤٥٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٢٩.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٨ كتاب التفسير: سورة «حم» المؤمن، وينظر: فتح الباري ١١/ ١٧٥، الدر المنثور ٥/ ٣٥٧.

(٤) النور ٣١، وانظر ما تقدم ١/ ٣٢٢.

(٥) الآية ٥: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [الحج: ٥]، وانظر ما تقدم ١/ ٢٢٩.

رُبُوبِيَّتِي فإذا نزل به العذابُ اسْتَكانَ وتَضَرَّعَ، لَمْ يَنْفَعْهُ ذلك عندي[(١)].

والمعنى: سَنَّ اللهُ هذه السُّنّةَ فِي الأمم كُلِّها أَلَّا ينفعهم الإيمانُ إذا رَأوا العذابَ، وفِي نصب ﴿سُنَّتَ﴾ ثلاثة أوجهٍ أحدها: بِنَزْعِ الخافض أي: كَسُنّةِ اللهِ[(٢)]، والثانِي: على المصدر؛ لأن العرب تقول: سَنَّ يَسُنُّ سَنًّا وسُنّةً[(٣)]، والثالث: على التحذير[(٤)] أي: احْذَرُوا سُنّةَ الله، كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾[(٥)].

[١٣٢/ ب] قوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾/ أي: هَلَكَ عند ذلك المُكَذِّبُونَ: يعني: يوم القيامة، و﴿هُنَالِكَ﴾ من أسماء المواضع، وتستعمل في الأزمنة، و«هُنا» إشارةٌ إلى الغائب كما أن «هَذا» إشارةٌ إلى الحاضر، واللام توكيدٌ والكاف اسمٌ للمخاطَب[(٦)]، وكُسِرَتِ اللامُ لالتقاء الساكنين، ومثلها في الآية قبلها، وقد ذكرت نظيرها في سورة آل عمران[(٧)]، والله أعلم، وبالله التوفيق.

---

(١) قاله ابن عباس، ينظر: الوسيط ٤/ ٢٣.

(٢) هذا قول السجاوندي في عين المعاني ورقة ١١٧/ أ، وينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٣٣٦.

(٣) هذا قول أكثر العلماء، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٤١، ١٩٥، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٧٨، إعراب القرآن ٤/ ٤٥.

(٤) في الأصل: «على التحذير والإغراء»، وهو وهم.

(٥) الشمس ١٣، وهذا القول ذكره السجاوندي بغير عزو في عين المعاني ورقة ١١٧/ أ، وينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٣٣٦، البحر المحيط ٧/ ٤٥٨، الدر المصون ٦/ ٥٤.

(٦) «هُنا» إشارة إلى القريب لا إلى الغائب كما قال المؤلف، والكاف حرفُ خطابٍ، وليست اسمًا كما زَعَمَ، قال الجوهري: «هُنا وهاهُنا للتقريب إذا أَشَرْتَ إلى مكانٍ، وهُناكَ وهُنالِكَ للتبعيد، واللام زائدةٌ، والكاف للخطاب وفيها دليلٌ على التبعيد، تُفْتَحُ للمذكّر وتُكْسَرُ للمؤنث، قال الفراء: يقال: اجلسْ هاهُنا قريبًا، وتَنَحَّ هاهُنا أي تَباعَدْ». الصحاح ٦/ ٢٥٦١، وقال الزمخشري: «وهُنالِكَ: مكان مستعار للزمان أي: وخسروا وقت رؤية البأس». الكشاف ٣/ ٤٤٠، قال السمين الحلبي معلقا على قول الزمخشري: «ولا حاجة له، فالمكانية ظاهرة». الدر المصون ٦/ ٥٤.

(٧) آل عمران الآية ٣٨، وهو قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

سورة السجدة

مكية

وهي ثلاثة آلافٍ وثلاثمائةٍ وخمسون حرفًا، وسبعمائةٍ وستٌّ وتسعون كلمةً، وأربعٌ وخمسون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿حمٓ﴾ السجدة أُعْطِيَ من الأجر بعدد كل حرفٍ منها عَشْرَ حَسَنَاتٍ، ومُحِيَ عنه عشرُ سيئاتٍ، ورُفِعَ له عشرُ درجاتٍ، بِعَدَدِ مَنْ سَجَدَ للهِ طَوْعًا»[1].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة السجدة خَرَّ العَرْشُ وحَمَلَتُهُ سُجَّدًا، حتى يُقالَ: ارفعوا نُورَ فلانٍ؛ فإنه أثقل مما تحملون»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿حمٓ ۝١﴾ افتتح الله السورة بحرفين من حروف

---

(١) ينظر: الكشاف ٣/ ٤٥٩، الوسيط ٤/ ٢٤، مجمع البيان ٩/ ٥، عين المعانِي ورقة ١١٧/ أ، بصائر ذوي التمييز ١/ ٤١٧.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

الهجاء، وجعلهما افتتاحًا للسورة وشعارًا لَها.

قولـه: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ يعني القـرآن، و﴿تَنزِيلٌ﴾ رفع خبـر الابتـداء، والابتداء قولـه: ﴿حمٓ﴾[1]، والحكمة أن يكـون خَبَرَ ابتداءٍ محذوفٍ، تقديره: هذا القرآن تَنْزِيلٌ، وقال الأخفش[2] والزَّجّاجُ[3]: ﴿تَنزِيلٌ﴾ مبتدأٌ، وخبره قولـه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾؛ أي: بُيِّنَ حَلالُهُ وحَرامُهُ، وأمْرُهُ ونَهْيُهُ، ووَعْدُهُ ووَعِيدُهُ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾؛ أي: يفهمون اللسان العَرَبِيَّ، ولو كان غَيْرَ عَرَبِيٍّ لَما عَلِمُوهُ.

وفي نصب القرآن ستة أوجهٍ، أحدها: أنه شُغِلَ الفعلُ بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل، ونصـب القرآن بوقوع البيان عليـه[4]، والثاني: على المدح[5]، والثالث: على إعادة الفعل؛ أي: فَصَّلْنـاهُ قرآنًا عَرَبِيًّا[6]، والرابع: على إضمارِ/ [١٣٣/ أ]

(١) هذا الوجه والذي يليه حكاهما الزجاج عن الفراء في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٧٩، ولَمْ أقـف عليه في معانِي القرآن للفراء، وينظر أيضًـا: إعراب القرآن ٤/ ٤٧، إعراب القراءات السـبع ٢/ ٢٧٥، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٦٩، وهذا إذا جُعِلَ «حم» اسْـمًا للسـورة، وينظر: الفريد ٤/ ٢٢٣.

(٢) معانِي القرآن للأخفش ص ٤٦٤.

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٧٩، قال الزجاج: «هذا مذهب البصريين».

(٤) هذا قول الكسـائي والفراء والأخفـش، ينظر: معانِي القرآن للفـراء ٣/ ١١، معانِي القرآن للأخفـش ص ٤٦٤، ومعناه أن القرآن مفعولٌ ثانٍ لـ«فُصِّلَتْ» المبني للمفعول، والأول هو نائب الفاعل «آياتُهُ»، وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٤/ ٤٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٦٩.

(٥) هـذا قولٌ آخَرُ للأخفش، قاله في معانِي القرآن ص ٤٦٤، وقاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٧، وينظر أيضًا: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٦٩، البيـان للأنباري ٢/ ٣٣٦، الفريد ٤/ ٢٢٣.

(٦) ذكره الثعلبي بغير عزو في الكشـف والبيان ٨/ ٢٨٥، وينظر: عين المعانِي ورقة ١١٧/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٣٧، البحر المحيط ٧/ ٤٦٣، الدر المصون ٦/ ٥٥.

فِعْلٍ، أي: ذَكَرْنا قُرْآنًا[(١)]، والخامس: على الحال[(٢)]، والسادس: على القطع[(٣)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يعني: القرآن بشيرًا لأولياء الله بالجنة، ونذيرًا لأعدائه بالنار، وهما نعتان، أو حال للقرآن[(٤)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ استفهامُ إنكارٍ، والمعنى: خَلَقَها وخَلَقَ السماواتِ فِي يومينِ، ويَدُلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[(٥)]، أي: قَضَى خَلْقَهُنَّ وخَلْقَ الأرضِ فِي يومينِ: الأحدِ والاثنينِ، ولو أراد أن يَخْلُقَهُما فِي لَحْظةٍ واحدةٍ لفَعَلَ، ولكنه أحب أن يُبْصِرَ الخَلْقُ وُجُوهَ الآيات والقدرة على خلق السماوات والأرض، ولأنّ المخلوقين كُلَّهُمْ والملائكةَ المقربين لو اجتمعوا على أن يخلقوا مقدارَ ذَرّةٍ فقط ما قَدَرُوا[(٦)].

---

(١) هذا قول ثالث للأخفش، قاله في معاني القرآن ص ٤٦٤، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٨٥.

(٢) وصاحب الحال: «آياته»، وهذا قول الزجاج ومكي، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٧٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٦٩، وقيل: صاحب الحال هو الكتاب، ينظر: البيان للأنباري ٢/ ٣٣٦، الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٢٢٣، البحر المحيط ٧/ ٤٦٣.

(٣) هذا قول آخر للكسائي والفراء، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١١، وينظر قول الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٣٧.

(٤) ذهب الزجاج والنحاس إلى أن «بَشِيرًا» نعت للقرآن، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٧٩، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٢٤٢، ويرى الفراء أن «بشيرًا» حال أخرى من «كِتابٌ»، ويرى مَكِّيٌّ أنه حال من الآيات، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٦٩، و«نَذِيرًا» حكمه في الإعراب حكم «بَشِيرًا»، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٣٣٦، الفريد للهمداني ٤/ ٢٢٤.

(٥) فصلت من الآية ١٢.

(٦) من أول قوله: «ولو أراد أن يخلقهما»، قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨٠.

قولـه: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ يعني شـركاء، ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنـي الذي خلق الأرض فِـي يومين هـو ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩﴾؛ أي: سَـيِّدُهُمْ ومالكهم، والقائمُ بأمورهم أجمعين.

قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ يعني: فِي الأرض ﴿رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ يعني الجبال، جعلها أوتادًا للأرض لِئَلاَّ يَزُولَ مَنْ عليها ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ يعني: بالثمارِ والزروعِ والأشجارِ والنباتِ والحبوبِ والأنهارِ وغَيْرِ ذلك مما لا تدركه الأبصارُ.

ثـم قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ جمع قُوتٍ، يعني: قَـدَّرَ فيها أرزاق أهلها ومعايشهم، وقسم أرزاق العباد والبهائم، وخَلَقَ فيها بِحارَها وأنْهارَها ودَوابَّها وأشْجارَها وثِمارَها ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يعني: فِي تَمامِ أربعة أيامٍ، كقولك: سِرْنا من البصرة إلى واسِطٍ[1] فِي خمسة أيامٍ، ثم إلى بَغْدادَ فِي عشرة أيامٍ، أي: تَتِمّةِ عشرة أيامٍ، لا أنّ الكُلَّ خَمْسةَ عَشَرَ يومًا[2]، وذلك لأنه تعالى خلق الأرض في يومين: الأحدِ والاثنينِ، وقَدَّرَ فيها أقْواتَها في يوم الثلاثاء والأربعاء، وهما مع الأحد والاثنين أربعةٌ.

ورُوِيَ عـن النبـي ﷺ أنه قال: «خلـق الله تعالى الأرضَ يوم السـبت،

---

(١) واسِـطٌ: مكان بين البصرة والكوفة بناه الحجاج، والأكثر فيه الصرف، قال سـيبويه: «وأما واسـطٌ فالتذكير والصرف أكثر، وإنما سُمِّيَ واسِـطًا لأنه مكان وَسَطَ البَصْرةَ والكُوفةَ، فلو أرادوا التأنيـث قالوا: واسِـطةُ، ومن العرب من يجعلها اسـم أرض فـلا يصرف». الكتاب ٣/ ٢٤٣، وينظر: معجم البلدان ٥/ ٣٤٧، معجم ما استعجم ص ١٣٦٣.

(٢) قـال الأخفش: «وأما قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلـت: ٩]، ثم قال: «أرْبَعةِ أيّامٍ» فإنما يعنـي أن هذا مع الأول أربعة أيام، كما تقول: تزوجتُ أمْسِ امرأةً، واليومَ ثِنْتَيْنِ، وإحداهما التي تزوجتها أمـسِ». معانِي القرآن ص ٤٦٤-٤٦٥، وينظر: الكشـف والبيان ٨/ ٢٨٧، عين المعانِي ورقة ١١٧/ أ.

والجبالَ يوم الأحد، والشجرَ يومَ / الاثنين، والمكروهَ يومَ الثلاثاء، والنورَ يومَ الأربعاء، والدوابَّ يومَ الخميس، وآدَمَ يومَ الجمعة»[١].

وقوله: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ يعني: لا زيادة ولا نقصان، جوابٌ لِمَنْ سَأَلَ: فِي كَمْ خُلِقَتِ الأرضُ والأقواتُ؟ فيقال: فِي أربعة أيامٍ[٢].

قرأ أبو جعفر: «سَواءٌ» مرفوعًا على الابتداء؛ أي: هي سَواءٌ للسائلين[٣]، وخَفَضَهُ الحَسَنُ ويَعْقُوبُ على نعتِ قولِهِ: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[٤]، ونَصَبَهُ الباقون[٥] على المصدر، على معنى: استوت سَواءً واسْتِواءً، كما تقول: في

---

(١) رواه مسلم عن أَبِي هريرة في صحيحه ٨/ ١٢٧ كتاب صفة القيامة والجنة والنار: باب ابتداء الخلق وخلق آدم، ورواه النسائي في السنن الكبرى ٦/ ٤٢٧ كتاب التفسير: سورة السجدة.

(٢) قاله ابنُ عباس وقتادةُ والسديُّ، ينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٤٧-٢٤٨، الوسيط للواحدي ٤/ ٢٧.

(٣) يعني أن خبره هو قوله تعالى: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]، والمعنى: مُسْتَوِياتٌ، جوابًا لِمَنْ سَأَلَ فقال: في كَمْ خُلِقَتْ؟ وهذا قول الفراء ومَكِّيٍّ، وجعله الزجاج والنحاس خبرًا لمبتدأ محذوف أي: هي سواءٌ، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٣، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨١، إعراب القرآن ٤/ ٥٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧٠.

(٤) قال سيبويه: «وقد قرأ ناس: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءٍ﴾ [فصلت: ١٠]، قال الخليل: جعله بِمَنْزِلةِ مُسْتَوِياتٍ». الكتاب ٢/ ١١٩، وقال الأخفش: «وقد قرئ بالجر، وجعله اسمًا للمستويات، أي: في أربعة أيامٍ تامةٍ». معانِي القرآن ص ٤٦٥، وينظر أيضًا: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٢، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥٠.

(٥) قرأ أبو جعفر: «سَواءٌ» بالرفع، ورُوِيَتْ عن يعقوب، وقرأ الحسنُ ويعقوبُ وزيدُ بنُ عَلِيٍّ وابنُ أَبِي إسحاق وعمرُو بنُ عبيدٍ وعيسى بنُ عُمَرَ بالخفض، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٤، القرطبي ١٥/ ٣٤٣، البحر ٧/ ٤٦٥، النشر ٢/ ٣٦٦، الإتحاف ٢/ ٤٤٢.

أرْبَعةِ أيّامٍ تَمامًا[١]، وقيل[٢]: على الحال والقطع.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: عَمَدَ وقَصَدَ إلى خَلْقِها، ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ بُخارٌ من الماء، فخَلَقَها سَماءً واحدةً، ثم فَتَقَها فجَعَلَها سَبْعًا في يوم الخميس والجمعة، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ نصبٌ على المصدر، وهو في موضع الحال، كما تقول: أتى فلانٌ مَشْيًا، قال الزَّجّاجُ[٣]: معناه: أطِيعا طاعةً، أو تُكْرَها كَرْهًا. فأطاعتا وأجابتا بالطَّوْعِ، وهو قوله: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ ذهب به إلى السماوات والأرض ومن فيهن، مجازه: أتينا بمن فينا طائعين[٤]، ولَمْ يقل: طائعات لأنه لَمّا نَزَّلَهُما مَنْزِلةَ مَنْ يعقل، مِنْ حَيْثُ خاطَبَهُما فأجابتا، جاءَتا على جَمْعِ مَنْ يعقل، ولَمّا وصفهما بالقول أجراهما إلى الجمع مُجْرَى من يعقل ويُمَيِّزُ، كما قال فِي النجوم: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٥]، والجمع منه تثنيةٌ ﴿قَالَتَآ﴾ لأنهما فِي الجنس تثنيةٌ، وفِي الحقيقة أعدادٌ مجتمعةٌ.

---

(١) ينظر: الكتاب ٢/ ١١٩، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٦٥، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨١، إعراب القرآن ٤/ ٥٠.

(٢) هذا قول الفراء، جعله حالاً من الضمير في قوله: «أقْواتَها»، وجعله الباقوليُّ حالاً من الأرض، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٣، وينظر أيضًا: كشف المشكلات ٢/ ٢٨٥، التبيان للعكبري ص ١١٢٤، الفريد للهمداني ٤/ ٢٢٤، البحر المحيط ٧/ ٤٦٥.

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨١ باختلاف في ألفاظه.

(٤) قاله الكسائي والفراء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٣، وينظر قول الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥١.

(٥) يس ٤٠، وهذا قول الأخفش والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٣٦٢، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨١، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٢٥١، وهو قولٌ آخَرُ للكسائي، ذكره النحاس في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥١، وينظر: شرح جمل الزجاجي لطاهر بن أحمد ١/ ٢٩، الكشف والبيان ٨/ ٢٨٧، الوسيط ٤/ ٢٧.

ومعنى الآية: جِيئا بِما خَلَقْتُ فيكما من المنافع، وأخرجاها وأظهراها لِخَلْقِي، قال المفسرون[١]: «إن الله عزّ وجلّ قال للسماء: أمّا أنْتِ يا سَماءُ فأطْلِعِي شَمْسَكِ وقَمَرَكِ ونُجُومَكِ، وأما أنْتِ يا أرْضُ! فَشَقِّقِي أنْهارَكِ، وأخْرِجِي ثِمارَكِ ونَباتَكِ، وقال لَهُما: افعلا ما آمُرُكُما به طَوْعًا، وإلا ألْجَأْتُكُما إلَى ذلك حتى تفعلاه كرها، ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾، وهو منصوبٌ على الحال.

فَصْلٌ

رُوِيَ في بعض الأخبار أن بعض الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قال: «يا رَبِّ! لو أن السماوات والأرض / حين قلتَ لهما: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾ عَصَياكَ، ما كُنْتَ صانِعًا بِهِما؟ قال: كنتُ آمُرُ دابّةً من دَوابِّي فتبتلعهما، قال: فأين تلك الدابة؟ قال: فِي مَرْجٍ من مُرُوجِي، قال: فأين ذلك المَرْجُ؟ قال: فِي عِلْمٍ مِنْ عِلْمِي»[٢].

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾؛ أي: أَتَمَّهُنَّ وصَنَعَهُنَّ وأحْكَمَهُنَّ، وفَرَغَ من خلقهن في يومين ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا﴾؛ أي: أمَرَ في كل سَماءٍ بِما أراد من الأمر والنهي[٣]، وقيل[٤]: خلق فيها شمسها

---

(١) هذا القول رواه الطبري عن ابن عباس في جامع البيان ٢٤/ ١٢٤، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٧ كتاب الإيمان: باب «حُفَّتِ الجنةُ بالمكاره»، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٨٧، الوسيط ٤/ ٢٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٤٣، الدر المنثور٥/ ٣٦١.

(٢) هذا النَّبِيُّ هو موسى عليه السلام، وينظر هذا الحديث في الكشف والبيان ٨/ ٢٨٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٤٤، روح البيان للبروسوي ٨/ ٢٣٦.

(٣) هذا قول مجاهد ومقاتل، ينظر: جامع البيان ٢٤/ ١٢٥، الكشف والبيان ٨/ ٢٨٨، الوسيط ٤/ ٢٧.

(٤) هذا قول ابن عباس وقتادة والسُّدِّيِّ، ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٨٨، الوسيط ٤/ ٢٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٤٥.

وقمرها ونجومها، وخلق في كل سماءٍ مِنَ الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البَرَدِ والثُّلُوجِ ما لا يعلمه إلا هو، ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ نصبٌ على المصدر، أي: وَحَفِظْناها من استماع الشياطين بالكواكب حِفْظًا[1]، وقيل[2]: هو منصوبٌ على المعنى، كأنه قال: زينةً وحِفْظًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: الذي ذكر من صنعه ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ بخلقه.

قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ يريد: عن الإيمان بعد هذا البيان، ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ نصبٌ بِنَـزْعِ الصفة، تقديره: بصاعقةٍ ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ أي: هلاكًا مثل هلاكهم، والصاعقة: المُهْلِكةُ من كل شيءٍ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على قوم عادٍ ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: باردةً شديدةَ الصوتِ والهُبُوبِ، وهي الدَّبُورُ مأخوذةٌ من الصِّرِّ وهو البَرْدُ[3]، وأصله من الصَّرِيرِ، فضُوعِفَ كما يقال: نَهْنَهْتُ وكَفْكَفْتُ.

وقوله: ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ يعني: متتابعاتٍ شديداتٍ نَكِداتٍ مَشْئُوماتٍ، ذوات نُحُوسٍ عليهم، ليس فيها من الخير شيءٌ، قرأ أبو جعفرٍ وابن عامرٍ

---

(١) يعني أنه مصدر، والعامل فيه محذوف، وهذا قول الأخفش والزجاج، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص٤٦٥، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨٢، وينظر أيضًا: الفريد للهمداني ٤/ ٢٢٥.

(٢) يعني أنه مفعول له، معطوفٌ على مفعولٍ له آخَرَ محذوفٍ، والتقدير: وزَيَّنّا السماءَ الدنيا زينةً وحِفْظًا أي: للزينة والحفظ، وقد أجاز الزمخشري والعكبري هذا الوجه، ينظر: الكشاف ٣/ ٤٤٧، التبيان للعكبري ص١١٢٤، وبه قال السجاوندي في عين المعاني ورقة ١١٧/ أ، قال أبو حيان: «ولا حاجة إلى هذا التقدير الثاني وتكَلُّفِهِ، مع ظهورِ الأولِ وسهولتِهِ». البحر المحيط ٧/ ٤٦٨، وينظر: الفريد للهمداني ٤/ ٢٢٥، الدر المصون ٦/ ٥٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٥٤، تهذيب اللغة ١٢/ ١٠٦-١٠٧.

وأهل الكوفة: «نَحِساتٍ» بكسر الحاء، وقرأ الباقون بجزمه[١]، فالإسكان كعَبْلَةٍ وعَبْلاتٍ، أو جَمَعَ المصدرَ، والنَّحِسُ من بناء الصفات كالفَرِقِ، وإن استُعْمِلَ فَرِقَ، ولَمْ يُسْتَعْمَلْ نَحِسَ، فقد استعمل فِي ضِدِّهِ سَعِدَ، واستعمل فَقِيرٌ كطَرِيفٍ، وإن لَمْ يأت فَقُرَ، فالنَّحِساتُ: ذَواتُ نَحْسٍ، قال أبو الحسن[٢]: لَمْ نسمع فِي النَّحْسِ إلا الإسكانَ. هذا ما / ذكره صاحب إنسان العين[٣]، وقال الزجّاج[٤]: من قرأ بكسر الحاء فواحدها: نَحِسٌ، ومن قرأ بالسكون فواحدها: نَحْسٌ.

فصْلٌ فِي معنى قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾

قال ابن عبّاسٍ رضي الله عنه: «الأيامُ كُلُّها للهِ تعالى، ولكنَّ اللهَ جَعَلَ بعضَها سُعُودًا وبعضَها نُحُوسًا، كما أن الخَلْقَ كُلَّهُمْ عَبِيدٌ، ولكنَّ اللهَ خَلَقَ بعضَهم للجنة، وبعضَهم للنار، وما مِنْ شَهْرٍ إلا وفيه سبعة أيام نَحِسةٍ، فاليوم الثالث من الشهر نَحْسٌ، قَتَلَ فيه قابيلُ أخاه هابيلَ، فجعله الله نَحْسًا على بني آدم، واليوم الخامس من كل شهرٍ نَحْسٌ؛ لأن الله تعالى أخرج فيه آدمَ من الجنة، وفيه أرسل العذاب على قوم يونس، وفيه طُرِحَ يوسفُ فِي الجُبِّ، واليوم الثالث عشر من

---

(١) قرأ أبو عمرو وابنُ كثيرٍ ونافعٌ والنَّخْعِيُّ وعيسى بنُ عُمَرَ والأعرجُ ويعقوبُ بإسكان الحاء، ينظر: السبعة ص ٥٧٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٤٨، البحر المحيط ٧/ ٤٧٠، النشر ٢/ ٣٦٦، الإتحاف ٢/ ٤٤٢.

(٢) يعني الأخفش، وينظر قوله في الحجة للفارسي ٣/ ٣٥٥، وأما في معانِي القرآن فقد قال: «وقال: «في أيّامٍ نَحْساتٍ»، وهي لغة من قال: نَحْسٌ، و«نَحِساتٍ» لغة من قال: نَحِسٌ». معانِي القرآن ص ٤٦٥.

(٣) لَمْ أقف على هذا القول فِي عين المعانِي، ولكن كلام السجاوندي هنا من أول قوله: «فالإسكان كعبلة وعبلات»، إنما هو اختصار لكلام أبِي عَلِيٍّ الفارسيِّ في الحجة ٣/ ٣٥٤-٣٥٥.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨٣ باختلاف في ألفاظه.

كل شهر نَحْسٌ؛ لأن الله تعالى سَلَبَ فيه مُلْكَ أيُّوبَ، وأرْسَلَ عليه البلاءَ، وفيه سَلَبَ مُلْكَ سُـلَيْمانَ، وفيه قَتَلَتِ اليَهُودُ الأنبياءَ، فجعله الله تعالى نَحْسًا، ويومُ أحَدٍ وعشرين من كل شهرٍ نَحْسٌ؛ لأن الله تعالى خَسَفَ فيه بقوم لُوطٍ، ومَسَخَ سَبْعَمِائةِ نصرانِيٍّ خَنازِيرَ، ومَسَخَ اليَهُودَ قُرُودًا، وفيه شَقَّ اليَهُودُ زَكَرِيّا بالمَناشِيرِ، فجعله الله نَحْسًـا، واليوم الرابع والعشـرون من كل شهرٍ نَحْسٌ؛ لأن الله تعالى خَلَقَ فيه فِرْعَوْنَ، وفيه وُلِدَ، وفيه ادَّعَى الرُّبُوبِيّةَ، وفيه غَرِقَ، وفيه أرْسَلَ اللهُ تعالى الطوفانَ والجراد والقُمَّلَ والضَّفادِعَ والدَّمَ على قوم فرعون، فجعله الله نَحْسًا، واليوم الخامس والعشرون من كل شهرٍ نَحْسٌ؛ لأن فيه شَقَّ النُّمْرُوذُ بنُ كَنْعانَ بُطُونَ سـبعين ألفَ امرأةٍ، وفيه طُرِحَ الخَلِيلُ فِي النار، وفيه عَرِقَتْ ناقةُ صالحٍ، وفيه دَمْدَمَ اللهُ على قوم صالحٍ، فجعله الله نَحْسًـا، ومن الأربعاء من آخر الشهر نَحْسٌ؛ لأن الله تعالى سَـمّاهُ يَوْمَ نَحْسٍ مُسْـتَمِرٍّ، وفِي قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (١)، فكانت فِي يوم الأربعاء من آخر الشهر، وفِي قوله تعالــى فِي قوم صالح: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ (٢)، كانت يوم الأربعاء من آخر الشهر، فَبَيَّنَ اللهُ تعالى الأيامَ النَّحِساتِ فِي كتابه؛ لِيَتَجَنَّبَ فيها العاقلُ / سَبْعَ خِصالٍ، فإنه مَنْ فَعَلَ من ذلك شيئًا أصبح من الخاسرين، فاجْتَنِبُوا فيهن [١٣٥/ أ] حَفْرَ الآبار، وغَرْسَ الأشجار، واجْتَنِبُوا فيهن الدخولَ على النساء عند العُرْسِ، واجتنبوا فيهن شَرَّ البهائم والخَدَمِ، ولُبْسَ الثياب الجُدُدِ، واجتنبوا فيهن النكاح والتزويجَ، والله يهدي من يشاء إلى ما يريد»(٣).

---

(١) الذاريات ٤١.

(٢) الذاريات ٤٤.

(٣) رواه الفَتَّنِـيُّ في تذكـرة الموضوعات ص ١١٥، وقال: «قال ابن حجر: هذا كَذِبٌ على ابن عباس، لا تَحِلُّ روايته»، وينظر: اللآلئ المصنوعة ١/ ٤٤١، الفوائد المجموعة ص ٤٣٨.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾؛ أي: فَبَيَّنَّا لَهُمْ سَبِيلَ الهدي، و﴿ثَمُودُ﴾ رفعٌ بالابتداء، ولَمْ ينصرف لأنه معرفةٌ، اسمٌ للقبيلة، وقد قرأه الأعمش ويحيى ابن وَثّابٍ بالصرف، وجَعَلاهُ اسمًا للحَيِّ، ورُوِيَ أيضًا عن الأعمش وعاصمٍ وابن أَبِي إسحاق أنهم قَرَؤوهُ بالنصب وتَرْكِ الصَّرْفِ، ونَصَبُوهُ على تقدير: فهدينا ثَمُودَ هَدَيْناهُمْ[1]، وقرأه الباقون مرفوعًا غير منوَّنٍ[2]، جعلوه اسمًا للقبيلة، ورفعوه على الابتداء.

وقوله: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ يعني: فاختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾؛ أي: ذِي الهُونِ ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: من مشركي قريشٍ ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾؛ أي: الْغَطُوا فيه، وارفعوا أصواتكم بالأشعارِ والكلامِ فِي وجوههم، حتى يلتبس عليهم قَوْلُهُمْ فَيَسْكُتُوا، قرأ عيسى بن عمر: «والْغُوا فِيهِ» بضم الغين[3]، وقرأه العامة بالفتح، قال الأخفش[4]: مَنْ فَتَحَ الغينَ كان

(١) ذكر سيبويه الرفع والنصب في «ثمود»، ثُمَّ قال: «وقد قرأ بعضهم: «وَأَمّا ثَمُودَ فَهَدَيْناهُمْ»... فالنصبُ عربِيٌّ كثير، والرفع أجود». الكتاب ١/ ٨١-٨٢، وقال مثله في الكتاب ١/ ١٤٨، وينظر: ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ص ٧٩.

(٢) قرأ بالرفع والتنوين أيضًا: الحَسَنُ والشَّنَبُوذِيُّ وبكرٌ السهميُّ، وقرأ بالنصب وتَرْكِ التنوين أيضًا: الحَسَنُ والمفضلُ والمُطَّوِّعِيُّ وعيسى بنُ عمر، وقرأ الحسنُ وابنُ أَبِي إسحاق والأعمشُ بالنصب والتنوين، وقرأ الباقون بالرفعِ وتركِ التنوين، ينظر: جامع البيان ٢٤/ ١٣١، مختصر ابن خالويه ص ١٣٤، البحر المحيط ٧/ ٤٧٠، الإتحاف ٢/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٣) وبها قرأ أيضًا عبد الله بنُ بَكِيرٍ السُّلَمِيُّ وابنُ أَبِي إسحاقَ وبكرٌ السَّهمِيُّ وقتادةُ وعاصمٌ الجَحْدَرِيُّ وأبو حَيْوةَ والزعفرانِيُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٤، المحتسب ٢/ ٢٤٦-٢٤٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٥٦، البحر المحيط ٧/ ٤٧٣.

(٤) قال الأخفش: «وقال: «والْغَوْا فِيهِ»؛ لأنها من: لَغَوْتُ يَلْغَى، مثل: مَحَوْتُ يَمْحَى، وقال بعضهم: «والْغُواْ فِيهِ»، وقال: لَغَوْتَ تَلْغُو، مثل مَحَوْتَ تَمْحُو». معانِي القرآن ص ٤٦٦.

مِـنْ: لَغا يَلْغَى، مثل: طَغَـى يَطْغَى، ومَنْ ضَمَّ الغَيْنَ كان مـن: لَغا يَلْغُو، مثل: دَعـا يَدْعُو. يقال: لَغا يَلْغُو لَغْوًا، فَهُوَ لَـغٍ، واللَّغا واللَّغْوُ: كل كلامٍ لا وجه له، ولا فائـدة فيه، وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: لكي تغلبوا محمدًا وأصحابَه فيسكتون.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: ذلك العذاب الشديد جزاء أعداء الله، وقوله: ﴿ٱلنَّارُ﴾ بَدَلٌ من قوله: ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾، وإن شئت قلت: هو النارُ[١] ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ دار إقامةٍ، لا انتقال منها ﴿جَزَآءَۢ﴾ منصوبٌ على المصدر أو مفعولٌ من أجله أي: للجزاء[٢] ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[١٣٥/ ب] قوله تعالـى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: فِي النار، يقولون / ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ يعنون إبْليسَ الأبالِسـةِ، وقابيلَ بنَ آدمَ الذي قَتَلَ أخاه هابِيلَ؛ لأنهما سبب المعصية ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أسْفَلَ مِنّا فِي النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فِي الدَّرْكِ الأسفل من النار، قرأ ابن كثيرٍ وابن عامرٍ وأبو بكرٍ بإسكان الراء، وقرأ أبو عمرٍو باختلاس كسرتها[٣]، وقرأ الباقون بإشباع

---

(١) يعنـي أنه خبر مبتدأ محـذوف، وهذا قول الزجاج والنحاس، ينظـر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨٤، إعـراب القرآن ٤/ ٥٩، ويجـوز أن يكون «النّارُ» مبتدأ، والخبر قوله: «لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْـدِ»، ويكون الوقف على قوله: «أعْداءِ اللهِ»، ينظر: كشـف المشـكلات ٢/ ٢٨٧، الفريد ٤/ ٢٢٩.

(٢) ويجوز أيضًا أن يكون مصدرًا في موضع الحال، ينظر: الفريد ٤/ ٢٢٩، الدر المصون ٦/ ٦٥.

(٣) وقرأ بإسكان الراء أيضًا أبو عمرو في رواية أَبِي الربيع عن عبد الوارث عنه، وبها قرأ هشامٌ فـي أحد وجهيه، وابنُ ذكـوانَ ويعقوبُ وابنُ محيصن والمفضـلُ، وقرأ بالاختلاس أيضًا هشـامٌ في وجهــه الثانِي، واليزيـديُّ والدُّوريُّ، ينظر: السـبعة ص ٥٧٧، تفسـير القرطبي ١٥/ ٣٥٧، الإتحاف ٢/ ٤٤٣.

الكسرة، وقرأ ابن كثيرٍ: «اللَّذَيْنِّ» بتشديد النون[١]، وقرأ الباقون بالتخفيف.

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ هذا من قول الملائكة للمؤمنين، يقولون: نحن الحَفَظةُ الذين كُنّا معكم فِي الحياة الدنيا، وأنصارُكم وأحباؤُكم، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ يقولون: لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ من الكرامات واللذات، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ تريدون وتسألون وتَتَمَنَّوْنَ ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: جَعَلَ ما تَدَّعُونَ وتَتَمَنَّوْنَ فِي الجنة نُزُلًا؛ أي: ثَوابًا ورِزْقًا لكم من غفورٍ رحيمٍ[٢]، وقيل[٣]: هو مصدرٌ فِي موضع الحال، ويحتمل أن يكون نصبًا على القطع من قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: إلى توحيد الله وطاعته ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يعني: الطاعات ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني المخلصين المستسلمين لربهم، قيل[٥]: نزلت هذه الآية فِي النبي ﷺ،

---

(١) ينظر: غيث النفع ص ٢٤٩، النشر ٢/ ٢٤٨، الإتحاف ٢/ ٤٤٣.

(٢) معنى هذا أن النُّزُلَ هنا معناه الرزق، وعلى هذا يكون حالاً من الموصول، وهو «ما»، أو مِنْ عائدِهِ المحذوفِ، أي: ولكم فيها ما تَدَّعُونَهُ نُزُلًا، وهذا القول قال به الزمخشري في الكشاف ٣/ ٤٥٣، وينظر أيضًا: كشف المشكلات ٢/ ٢٨٨، الفريد ٤/ ٢٢٩-٢٣٠، الدر المصون ٦/ ٦٧.

(٣) وصاحب الحال هو واو الجماعة في «تَدَّعُونَ»، أو المجرور في «لَكُمْ»، والعامل فيه على الوجه الثاني هو معنى الاستقرار، وهذا قول الفراء والأخفش، ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٥١، وينظر قول الأخفش في عين المعاني ورقة ١١٧/ ب، الفريد للهمداني ٤/ ٢٢٩.

(٤) هذا قول الكسائي، حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن ١/ ٤٢٨ عند إعرابه للآية رقم ١٩٨ من سورة آل عمران.

(٥) هذا قول ابن عباس وابن سِيرِينَ وابنِ زيدٍ والحَسَنِ والسُّدِّيِّ وقتادةَ والضحاكِ، ينظر: جامع =

وكان الحَسَنُ إذا تَلا هذه الآيةَ قال: هذا رسولُ اللهِ، هذا حبيبُ الله، هذا وَلِيُّ اللهِ، هذا صَفْوةُ اللهِ، هذا خِيرةُ الله، هذا واللهِ أَحَبُّ أَهْلِ الأرض إلى الله، هذا واللهِ خليفةُ اللهِ فِي الأرض، أجاب اللهَ إلى دعوتِهِ، ودَعا الناسَ إلى ما أجاب إليه، وعَمِلَ صالِحًا في خاصّةِ نَفْسِهِ في حياته، وقال: إنّني مِن المسلمين.

وقيل: إنها نزلت في المُؤَذِّنِينَ، رُوِيَ ذلك عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أرى هذه الآية فِي المؤذنين»(١).

قولـه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ قال الفراء(٢): «لا» هاهنا صلةٌ زائدةٌ، معناه: ولا تستوي الحسنة والسيئة، وأنشد / : [١٣٦/ أ]

٢١٧ـ ما كانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ والطَّيِّبانِ أَبُو بَكْرٍ وَلا عُمَرُ(٣)

= البيان ٢٤/ ١٤٧، إعراب القرآن ٤/ ٦٠، الكشف والبيان ٨/ ٢٩٦، زاد المسير ٧/ ٢٥٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٠، الدر المنثور ٥/ ٣٦٤.

(١) وهو أيضًا قول قيسِ بنِ أبي حازمٍ ومجاهدٍ وعكرمةَ، ينظر: جامع البيان ٢٤/ ١٤٨، إعراب القرآن ٤/ ٦٠-٦١، الكشف والبيان ٨/ ٢٩٧، الوسيط ٤/ ٣٥، زاد المسير ٧/ ٢٥٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٠، الدر المنثور ٥/ ٣٦٤.

(٢) لَمْ يتعرض الفراء لهذه الآية فِي معانِي القرآن، ولكنه تكلم عن زيادة «لا» في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة ٧]، فقد قال: «وإنما يجوز أن تجعل «لا» صلة إذا اتصلت بجحد قبلها، مثل قوله:

ما كانَ يَرْضَي رَسُولُ اللهِ دِينَهُمُ والطَّيِّبانِ أَبُو بَكْرٍ وَلا عُمَرُ

فجعل «لا» صلة؛ لِمَكانِ الجحد في أول الكلام». معانِي القرآن ١/ ٨.

(٣) البيت من البسيط لجرير يهجو الأخطل، ويُرْوَى: «فِعْلُهُما... والعُمَرانِ أَبُو بَكْرٍ».

التخريج: ديوان جرير ص ١٥٩، إيضاح الوقف والابتداء ص ١٤٢، إعراب ثلاثين سورة ص ٣٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ٦٨، النقائض ص ١٧٤، النوادر ص ٥٢٨، الكشف والبيان ٨/ ٢٩٧، عين المعانِي ١٠٨/ أ، ١١٧/ ب، القرطبي ١٥/ ٣٦١، ١٦/ ٩١، رصف المبانِي ص٢٧٣، اللسان: لا.

أي: أبو بكرٍ وعُمَرُ. والمعنى: لا يستوي الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعفو والإساءة، ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ كدفع الغضب بالصبر والإساءة بالعفو، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ﴾ خبر الظرف ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾؛ أي: قريبٌ صديقٌ، أراد: فإذا فَعَلْتَ ذلك، ودَفَعْتَ السيئةَ بالتي هي أَحْسَنُ، صار الذي بينك وبينه عداوةٌ كالصديق القريب.

قيل: نزلت هذه الآية في أبي جهلٍ، كان يؤذي رسولَ الله ﷺ، وكان عليه السّلام يُبْغِضُهُ ويَكْرَهُهُ، فأمره الله تعالى بالعفو والصفح[1]، وقيل[2]: نزلت في أبي سفيان بنِ حربٍ، وكان مُؤْذِيًا لرسول الله ﷺ، فَلانَ للمسلمين بعد شِدّةِ عَداوَتِهِ بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ، ثم أسلم، فصار وَلِيًّا في الإسلام، حَمِيمًا بالقرابة.

قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ يعني الأعمال الصالحة، والعفو والصفح[3] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على كَظْمِ الغَيْظِ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ يعني نصيبًا وافِرًا، وهي الجنة، وقال ثعلب: الهاء راجعة على «الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»، ومَحَلُّ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ رفعٌ على اسم ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ[4].

قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾

---

(١) رواه البيهقي بسنده عن مقاتل في السنن الكبرى ٧/ ٤٤ كتاب النكاح: باب ما أمره الله، تعالى، به من أن يدفع بالتي هي أحسن، وينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٢.

(٢) قاله مقاتل، ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٩٧، الوسيط ٤/ ٣٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٢.

(٣) يعني أن الضمير في «يُلَقّاها» راجع إلى المعنى، قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٦٢.

(٤) يعني أن «الَّذِينَ» نائبُ فاعلٍ للفعل «يُلَقّاها»، وهو في الوقت نفسه المفعول الأول له، وهو ما يسميه المؤلف تبعًا للكوفيين: اسمَ ما لَمْ يُسَمَّ فاعله.

لاستعاذتك ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ بأفعالك وأحوالك، وذلك أن الله تعالى أمَرَ نَبِيَّهُ محمدًا ﷺ أن يستعيذ به إن صَرَفَهُ الشيطانُ عن الاحتمال.

ثم ذكر علامات توحيده ودلالات قدرته، فقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ فهو أحَقُّ بأن تسجدوا له، ولا تسجدوا لما دونه ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ وإنما قال: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ بالتأنيث لأنه أجراه على طريق جمع التكسير، ولَمْ يُجْرِهِ على طريق التغليب للمذكر على المؤنث؛ لأنه فيما لا يعقل[1].

فصْلٌ

عن ابن عُمرَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مكتوبٌ فِي الإنجيل: ابنَ آدمَ: أخْلُقُكَ وأرْزُقُكَ وتَعْبُدُ غيري؟! ابنَ آدم: تدعوني وتَفِرُّ مِنِّي؟! وتذكرني وتنسانِي؟! ابنَ آدم: اتَّقِ اللهَ، ونَمْ حَيْثُ شئتَ»[2].

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً﴾ يعني: جافّةً ليس فيها نباتٌ، ولَمْ يصبها مطرٌ ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾؛ أي: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتۡ﴾ وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ[3]، يعني: رَبَتْ لِلنَّباتِ /، فاهتزَّت بعد ذلك [١٣٦/ ب]

(١) وإذا اجتمع المذكر والمؤنث فيما لا يعقل غُلِّبَ المؤنث على المذكر، بعكس اجتماعهما فيما يعقل، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٣٦٢، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨٧، الكشف والبيان ٨/ ٣٩٧، الفريد للهمداني ٤/ ٢٣٠-٢٣١.

(٢) ذكره ابن حجر في لسان الميزان ٦/ ١٧٦ وذكر أن في سَنَدِهِ نَوْفَلَ بنَ سليمان الهُنائِيَّ، وقال: إنه ضعيف، وينظر أيضًا: كنز العمال ١٦/ ٧٨.

(٣) قاله مجاهد والكلبي، ينظر: عين المعانِي ١١٧/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٥.

بإخراج النبات الذي يخرجه الله منها ألوانًا، ونصب ﴿خَٰشِعَةً﴾ على الحال من الأرض؛ لأن قوله: ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ﴾ من رؤية العين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾؛ أي: يَكْذِبُونَ ويَميلُونَ عن الإيمان بالقرآن، وقرأ حمزة: «يَلْحَدُونَ»[1] بفتح الياء والحاء ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعني أبا جهلٍ ﴿خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعني عُمَرَ، وقيل: عثمان، وقيل: حمزة، وقيل: عمار بن ياسرٍ ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، و﴿خَيْرٌ﴾ رفعٌ على الخبر، ونصب ﴿ءَامِنًا﴾ على الحال.

وقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ أمْرُ وَعِيدٍ وتهديدٍ، كما تقول للعَدُوِّ: اعْمَلْ ما شِئْتَ؛ فإنِّي كافِيكَ[2]، قال الزجّاج[3]: لَفْظُهُ لَفْظُ الأمْرِ، ومعناه معنى الوعيدِ. والمراد به الحث على الترك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ يعني القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ كريمٌ على ربه، وجواب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ متروكٌ، تقديره: إن

---

(١) ينظر: حجة القراءات ص ٦٣٦-٦٣٧، النشر ٢/ ٢٧٣، الإتحاف ٢/ ٤٤٤، قال الأخفش: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال بعضهم: «يَلْحَدُونَ» جعله من: لَحَدَ يَلْحَدُ وهي لغة، وقال في موضع آخر: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾ [النحل: ١٠٣]، و«يَلْحَدُونَ»، وهما لغتان، و«يُلْحِدُونَ» أكثر، وبها نقرأ، ويقويها: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلْحادٍ بِظُلْمٍ». معاني القرآن ص ٣١٥، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٦٣، تهذيب اللغة ٤/ ٤٢١.

(٢) هذا قول أبي عمر الزاهد، قاله في ياقوتة الصراط ص ٤٥٥.

(٣) قال الزجاج: «﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] لفظ هذا الكلام لفظ أمْرٍ، ومعناه الوعيد والتَّهَدُّدُ، وقد بيَّنَ لهم المُجازاةَ على الخير والشر». معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨٨.

الذيـن كفروا بالذِّكر يُجازَوْنَ بكفرهم[١]، وقيل[٢]: تقديره: كفروا به، وقيل[٣]: قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ هو الخبر بعد آياتٍ، وقيل[٤]: خبره مضمرٌ فيه، تقديره: إن الذين كفروا بالذِّكر هَلَكُوا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا﴾ أي: لو جعلنا هذا الكتاب الذي تَقْرَؤُهُ على الناس بِغَيْرِ لُغةِ العربِ ﴿لَّقَالُواْ﴾ يعني قُرَيْشًا ﴿لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾؛ أي: هَلّا بُيِّنَتْ آياتُهُ بِلُغَتِنا حتى نفهمه، فإننا قوم عرب، ما لنا وللعُجْمةِ؟ والعَجَمِيُّ بغير ألفٍ منسوبٌ إلى العَجَمِ، والأَعْجَمِيُّ بالألف منسوبٌ إلى نفسه من العُجْمةِ[٥].

وقولـه: ﴿ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞ﴾ يعني: كتـابٌ عَجَمِيٌّ ونَبِـيٌّ عَرَبِيٌّ؟ وقيل: هـو خبر ابتداءٍ محذوفٍ، تقديره: القُرْآنُ أَعْجَمِـيٌّ، والرَّجُلُ عَرَبِيٌّ؟[٦]، وهذا

---

(١) ذكره الواحدي بغير عزو في الوسـيط ٤/ ٣٧، ٣٨، وينظر: زاد المسـير ٧/ ٢٦٢، الفريد للهمداني ٤/ ٢٣١.

(٢) قالـه عمرو بن عبيد فيما حكاه عنه الأخفش في معانِـي القرآن ص ٤٦٨، وهو أحد قولين للفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٩، وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٤/ ٦٤، زاد المسير ٧/ ٢٦٢، البحر المحيط ٧/ ٤٧٨، الدر المصون ٦/ ٦٨.

(٣) هـذا قول الفـراء والأخفش، ينظر: معانِـي القرآن للفراء ٣/ ١٩، معانِـي القرآن للأخفش ص ٤٦٧، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٦٤، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧٣، وحُكِيَ عن أبي عمرو بن العلاء في البحر المحيط ٧/ ٤٧٨، والدر المصون ٦/ ٦٨.

(٤) قاله النحاس في معانِي القرآن ٦/ ٢٧٥، وحكاه بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٦٤.

(٥) قـال أبو عبيدة: «يقـال: رَجُلٌ أَعْجَمُ: إذا كانت في لسـانه عُجْمةٌ، ورجـل عَجَمِيٌّ أي: من العَجَمِ، وليس من اللسان». مجاز القرآن ٢/ ٩١، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨٩، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٢٨٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٧٨، تهذيب اللغة ١/ ٣٩٠، الحجة للفارسي ٣/ ٣٥٦، ٣٥٧، وينظر ما سبق في الآية ١٩٨ من سورة الشعراء ١/ ٤٢٩.

(٦) جاء في حاشـية الأصل: «الرجل أعجمي، والقرآن عربيٌّ»، ولعل الصواب ما أثبت. وهذا المعنى الذي يقصده المؤلف هنا إنما يتجه على قراءة «أَعْجَمِيٌّ» بهمزة واحدة على الخبر، =

استفهامٌ على وجه الإنكار، قرأ الكوفيون سوى حفص: «أأعْجَمِيٌّ» بهمزتين، وقرأ هشام: «أعْجَمِيٌّ» بغير مَدٍّ على الخبر، وقرأ الحسن: «أعْجَمِيٌّ» بهمزة واحدة على الخبر أيضًا، وقرأ الباقون: «آعْجَمِيٌّ» بالمد على الاستفهام(١).

قوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَآءٌ﴾ من الأوجاع، وقال مقاتلٌ(٢): شفاءٌ لِما فِي القلوب للبيان الذي فيه، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ لأنهم صُمٌّ عن استماع القرآن، والانتفاعِ بما فيه من البيان، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني القرآن ﴿عَمًى﴾ قال قتادة(٣): عَمُوا عنِ القرآن، وصَمُّوا عنه، وقال السُّدِّيُّ(٤): عَمِيَتْ قلوبُهُمْ عنه.

وهو مصدرٌ، والمعنى: وهو عليهم ذُو عَمًى، قرأ العامة بفتح الميم على المصدر، واختاره أبو عُبيدٍ، قال: لقوله تعالى: ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾، فكذلك

= ويكون هذا حكايةً لكلام الكفار، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٩، الحجة للفارسي ٣/ ٣٥٨، الفريد ٤/ ٢٣١.

(١) تفصيل هذه القراءات كما يلي: قرأ حمزة والكسائيُّ، وأبو بكر عن عاصم، وخلفٌ وروحٌ: «أأعْجَمِيٌّ» بتحقيق الهمزتين، وقرأ هشامٌ في أحد أوجهه الثلاثة، ورويسٌ وقنبلٌ في أحدِ وجهينِ لهما، وابنُ عامر في روايةٍ عنه، وابنُ عباس والحسنُ والجحدريُّ والضحاكُ وأبو العاليةِ ونصرُ بنُ عاصمٍ والقواسُ: «أعْجَمِيٌّ» بهمزة واحدة، وقرأ ابنُ كثير ونافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو عمرو والأزرقُ وورشٌ: «آعْجَمِيٌّ» بهمزةٍ ممدودةٍ، وقرأ حفصٌ عن عاصم، وَوَرْشٌ والبَزِّيُّ، وقُنْبُلٌ ورُوَيْسٌ في الوجه الثانِي لهما: «ءَاعْجَمِيٌّ» بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية من غير مَدٍّ، ينظر: السبعة ص ٥٧٦-٥٧٧، المحتسب ٢/ ٢٤٧-٢٤٨، غيث النفع ص ٢٤٩-٢٥٠، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٨-٣٦٩، البحر المحيط ٧/ ٤٨٠، النشر ١/ ٣٦٦، الإتحاف ٢/ ٤٤٤.

(٢) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٨.

(٣) ينظر قوله في المصدر السابق ٤/ ٣٨، زاد المسير لابن الجوزي ٧/ ٢٦٣.

(٤) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٨.

﴿ عَمًى ﴾ يكون مصدرًا مثلهما، ورُوِيَ عن ابن عبّاسٍ ومعاويةَ وعمرِو بنِ العاصِ أنهم كانوا يَقْرَؤونَ / هذا الحرف: «وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمٍ» بكسر الميم[1]، [١٣٧/ أ] وقراءة العامة أجودُ، قال أبو عُبيدٍ[2]: فلو أنها كانت «هادٍ وَشافٍ» لكان الكسر في ﴿ عَمًى ﴾ أجودَ؛ ليكون نعتًا مثلهما.

ثم وصفهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: أنهم لا يسمعون، ولا يفهمون، كما أن مَنْ دُعِيَ من مكانٍ بعيدٍ لا يسمع ولا يفهم، قال الفراء[3]: تقول للرجل الذي لا يفهم كلامك: أنت تُنادَى من مكانٍ بعيدٍ.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ ﴾ يعني: في تأخير العذاب عمَّنْ كَذَّبَ بالقرآن[4]، يعني: يوم القيامة ﴿مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ بالعذاب الواقع بِمَنْ كَذَّبَ ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من صدقك يا محمد وكتابك ﴿مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ مُوقِعٌ لهم الرِّيبةَ، و﴿ كَلِمَةٌ ﴾ رفعٌ بفعلٍ مضمرٍ تقديره: ولولا ثَبَتَتْ كَلِمةٌ سبقت من ربك[5].

---

(١) وبها قرأ أيضًا عبدُ الله بنُ عمرو وعبدُ الله بنُ الزبير وابنُ هرمز وسليمانُ بن قَتّةَ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٤، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٩، مفاتيح الغيب ٢٧/ ١٣٤، البحر المحيط ٧/ ٤٨١.

(٢) ينظر اختيار أبي عبيد وقوله في الكشف والبيان ٨/ ٢٩٩، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٩، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ١٥١.

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٠.

(٤) بعد هذه الكلمة في الأصل: «إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى»، وهذا سهو من الناسخ فيما يبدو؛ لأن هذه الجملة ليست من هذه الآية.

(٥) هذا التأويل موافق لِمَذْهَبِ الكوفيين في أن الاسم الواقع بعد «لولا» مرفوع بها؛ لأنها نائبة عن فِعْلٍ لو ظَهَرَ لارتفعَ هذا الاسمُ به، قال الفراء: «فإذا رأيت بعدها اسمًا واحدًا مرفوعًا فهو بمعنى «لولا» التي جوابها اللام». معاني القرآن ١/ ٣٣٤، وقال أيضًا: «وقوله: =

قولـه عزّ وجـلّ: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ يعني القيامة، لا يعلمها غير الله سبحانه ﴿وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ﴾ ﴿مِن﴾ هاهنا صلةٌ زائدةٌ ﴿مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾ يعني: من أَوْعِيَتِها وُغُلُفِها، واحِدُها كُمٌّ وَكُمّةٌ، وهي ما كانت فيه الثَّمَرةُ[١]، قرأ أهل المدينة والشام وحفصٌ: «ثَمَراتٍ» بالجمع، وقرأ غيرهم: «ثَمَرةٍ»[٢] على الإفراد، وهو يدل على الكثرة فَيُسْتَغْنَى به عن الجمع[٣].

قولـه تعالـى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾.. الآيـة؛ أي: سَنُرِي كُفّـارَ مكة ما أَخْبَرَهُمْ به النَّبِيُّ ﷺ أنه سـيكون مِنْ فِتَنٍ وَفَسـادٍ وَغَلَبَةِ الـرُّومِ فارِسَ، وَغَيْـرِ ذَلِكَ مِنْ أَخْبارِهِ، حتى يتبين لهم أن كل ما أخبرهم به هو

= ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾ [الفتح: ٢٥]، رفعهم بـ«لولا»، ثم قال: «أَنْ تَطَؤُوهُمْ»، فـ«أَنْ» في موضع رفع بـ«لولا». معاني القرآن ١/ ٤٠٤، وقال مثله في المعاني ٢/ ٨٥.
وأما البصريون فإنهم ذهبوا إلى أن الاسم الواقع بعد «لولا» مرفوع بالابتداء، قال سيبويه: «ولولا تُبْتَدَأُ بعدها الأسماءُ». الكتاب ٣/ ١٣٩، ١٤٠، وقال المبرد: «اعْلَمْ أن الاسم الذي بعد «لولا» يرتفع بالابتداء، وخبره محذوف، والتقدير: لولا عبدُ الله بالحضرة». المقتضب ٣/ ٧٦، وينظر في هذه المسألة أيضًا: الإنصاف ص٧٠: ٧٨، شرح الكافية للرضي ١/ ٢٤٣، ارتشاف الضرب ص ١٧٥٦.

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٩٨، وينظر: الصحاح ٥/ ٢٠٢٤، الوسيط ٤/ ٣٩.

(٢) قرأ بالإفراد: ابنُ كثير وأبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ، وأبو بكر عن عاصمٍ، والحسنُ وخَلَفٌ والأعمشُ ويعقوبُ وابنُ محيصن، ينظر: السبعة ص ٥٧٧، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٧١، البحر المحيط ٧/ ٤٨١، الإتحاف ٢/ ٤٤٤.

(٣) قـال النحاس: «وقراءة أهـل الكوفة: «مِنْ ثَمَـرةٍ»، وهو اختيار أبي عبيـد؛ لأن ثَمَرةً تؤدي عـن ثَمَراتٍ. هذا احتجاجـه، فَحَمَلَ ذلك على المَجازِ، والحقيقـة أولى وأمضى، فإنه في المصاحـف بالتـاء، فالقراءة بـ«ثَمَـراتٌ» أَوْلَى». إعـراب القـرآن ٤/ ٦٦، وينظر: الحجة للفارسي ٣/ ٣٥٥-٣٥٦.

الحق، وقيل: المعنى: سنريهم آيات صَنْعَتِنا في الآفاق الدالة على أنّ لها صانعًا حكيمًا(١).

والآفـاق جمع أُفُـقٍ، وأراد بها أقطار الأرض والسـماء ومـا فيهما من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشـجار والأنهار والبحار، وما يَنْزِلُ من الأمطار، وفِي أنفسـهم من لَطِيفِ الصَّنْعةِ وبَدِيعِ الحِكْمةِ، من أنهم كانوا نُطَفًا ثم عَلَقًا ثم مُضَغًا ثم عظامًا ولَحْمًا، إلى أن بلغوا وعَقَلُوا ومَيَّزُوا(٢)، حتى يتبين لهـم أن الله هـو الحق لا مـا يعبدونه مـن دون الله، وقيل(٣): هـو ظهور النبي ﷺ على الناس، قال أبو جعفرٍ(٤): وأولى هذه الأقوال بالصواب هذا، ونَسَـقُ الكلامِ يَدُلُّ عليه.

[١٣٧/ ب] قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ / أي: أَوَلَمْ يَكْفِ بربك شاهدًا أن هذا القرآن جاء من الله؟ قال الزجّاج(٥): ومعنى الكفاية هاهنا أن الله عزّ وجلّ قد بَيَّنَ لهم ما فيه كفايةٌ في الدلالة، والمعنى: أو لَمْ يَكْفِ رَبُّكَ أنه على كل شيءٍ شهيدٌ، شاهدًا للأشياء، لا يغيب عنه شيءٌ؟

وفي موضع ﴿أَنَّهُۥ﴾ من الإعراب ثلاثة أقوالٍ: يجوز أن يكون موضعها رفعًا على البدل على الموضع، والموضع رفعٌ بإجماع النحويين(٦)، ويجوز أن

---

(١) من أول قوله: «سَنُرِي كُفّارَ مكةَ» قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٤/ ٦٧.
(٢) هذا قول عطاء وابن زيد والزجاج، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩١-٣٩٢، الكشف والبيان ٨/ ٣٠٠، البحر المحيط ٧/ ٤٨٣، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ١٥٩.
(٣) قاله سعيد بن جبير كما ذكر النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٦٧-٦٨.
(٤) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٦٨.
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩٢.
(٦) يعني موضع قوله: «بِرَبِّكَ»، فالباء حرف جر زائد، و«ربك» فاعل «يكفي».

يكون موضعها خفضًا على اللفظ، ويجوز أن يكون موضعها نصبًا بمعنى: لأنه على كل شيءٍ شهيدٌ[١].

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ﴾ يعني: فِي شـكٍّ من البعث والثواب والعقـاب، و﴿ أَلَآ ﴾ كلمة تنبيهٍ؛ أي: هم فِي شـكٍّ من لقاء مـا وُعِدُوا به من العـذاب، ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ ﴿ أَلَآ ﴾ أيضًـا تنبيـهٌ يُؤَكَّدُ بها ما بعدها، وقوله: ﴿مُّحِيطٌۢ﴾ أحاط عِلْمًا بما يُشاهَدُ ويَغِيبُ، والتقدير: إنه مُحِيطٌ بكل شيءٍ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ[٢]، وبالله التوفيق.

* * *

سورة ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾
مكِّية

وهي ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفًا، وثمانمائة وست وستون كلمة، وثلاث وخمسون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيِّ بنِ كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة: ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له[١]».

وعنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ لَمْ يكن للسُّقْمِ إليه مدخل ولا للحِرافِ[٢] إليه سبيل، ولَمْ يَعْرِضْ له عارض لا يشتهيه[٣]».

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ هو قَسَمٌ، أقسم به الله تعالى بحلمه

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٠١، الوسيط ٤/ ٤٢، الكشاف ٣/ ٤٧٦، مجمع البيان ٩/ ٣٥.

(٢) كذا في الأصل، ولو صح ذلك فالحِرافَ مصدر بمعنى ضِيقِ الرِّزْقِ، والمُحارَفُ: الذي لا يصيب خيرًا. اللسان: حرف.

(٣) لَمْ أعثر له على تخريج.

ومجده وعُلُوِّهِ وسَـنائِهِ وقُدْرَتِهِ ألا يُعَذِّبَ مَنْ عاد إليه بـ«لا إله إلا الله» مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، وقال محمدُ بنُ كَعْبٍ القُرَظِيُّ: الحاء والميم من الرحمن، والعين من عليم، والسين من القدوس، والقاف من القادر القاهر.

وقيل: هذا في شـأن محمد ﷺ فالحاء حوضه المـورود، والميم مُلْكُهُ الممدود، والعينُ عِزُّهُ الموجودُ، والسـين سَـناؤُهُ المشهودُ، والقاف قيامُهُ في المقام المَحْمُودِ، وقُرْبُهُ فِي الكرامة إلى الملك المعبود.

[١٣٨/ أ] وقيل: / الحاء من حليم، والميم من المُلْكِ، والعين من العِزِّ، والسين من السَّـناءِ، والقاف من القدرة، أقسم الله تعالى يقول: بحلمي ومُلْكِي وعِزَّتي وسَنائِي وقُدْرَتِي، لا يدخل جنتي إلا مَنْ وَحَّدَنِي، فيقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ اسمُ الله الأعظمُ إذا قُلِبَتِ الحُرُوفُ. وفيه تفاسير كثيرة يطول شرحها، وفيما ذكرناه كفاية ومَقْنَعٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَوَعاهُ(١).

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الأنبياء ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ فـي مُلْكِهِ ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ في أمـره، وقرأ ابن كثير: ﴿يُوحَى﴾(٢) بفتح

(١) ينظر فـي هذه الأقوال وغيرها: جامـع البيان ٢٥/ ١٠، ١١، الكشـف والبيان ٨/ ٣٠١-٣٠٣، الوسيط ٤/ ٤٢، عين المعانِي ١١٨/ أ، تفسير القرطبي ٦/ ١، ٢، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ١٦٢.

(٢) وبها قرأ أيضًا ابنُ كثير، وأبو عمرو في رواية عباسِ بنِ منصورٍ ومحبوبٍ عنه، وقرأ بها ابنُ محيصـن ومجاهدٌ أيضًا، ينظر: السـبعة ص ٥٨٠، غيث النفع ص ٢٥٤، تفسـير القرطبي ١٦/ ٣، البحر المحيط ٧/ ٤٨٦، النشر ٢/ ٣٦٧، الإتحاف ٢/ ٤٤٨.

الحـاء، وحُجَّتُهُ قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [(١)]، ومِثْلَهُ رَوَى عَبّـاسٌ[(٢)] عن أبي عمرو، والرفع في اسـم الله في هذه القراءة على البيان للفاعل، كأنه لَمّا قال: «يُوحَى إِلَيْكَ». قيل: مَنِ الَّذِي يُوحِي؟ فقيل: اللهُ[(٣)]، ومثله قـراءة من قرأ: ﴿يُسَـبَّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ﴾[(٤)] بفتح البـاء، وهي قراءة أبي بكر بن عَيّاشٍ وابن عامر، وقرأه الباقون بالكسـر فيهما، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه ﴿الْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ فلا أكْبَرَ منه.

قولـه تعالـى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾؛ أي: ومثل ما ذكرنـا ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾؛ ليقيموا ما فيه، وكاف «كَذَلِكَ» في الموضعين منصوب المَحَلِّ، أي: مِثْلَ ذَلِكَ يُوحَى إليك[(٥)]، قيل: هو تشبيهُ الوحيِ بالوحيِ، لا أنّ هذا اللفظ والمعنـى أُوحِيَ إلى مَـنْ قَبْلَهُ. وقولـه: ﴿لِتُنْذِرَ﴾؛ أي: لكي تنذر بالقرآن ﴿أُمَّ

---

(١) الزمر ٦٥.

(٢) هو العباس بن الفضـل بن عمرو بن عبيد، أبو الفضل الواقفي الأنصاري، قاضي الموصل، قـارئ حاذق ثقة، من أكابـر أصحاب أبي عمرو البصري، كان عظيم القـدر، جليل المَنْزِلةِ فـي العلم والدين والورع، مقدَّمًا في القرآن والحديث، توفِّي سـنة (١٨٦ هـ). [غاية النهاية ١/ ٣٥٣، ٣٥٤، الوافي بالوفيات ١٦/ ٦٣٧، الأعلام ٣/ ٢٦٤].

(٣) يعني أنه على هذه القراءة فاعلٌ بفعلٍ محذوفٍ، والتقدير: يُوحِيهِ اللهُ، ويجوز أن يكون خبرًا لمبتـدأ محذوف، تقديره: المُوحِي اللهُ، ويجوز أن يكون مبتدأً، وخبرُهُ ﴿الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾، ويجوز أن يكون ﴿العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ نعتًا له، والخبر ﴿لَهُ ما في السَّـماواتِ﴾، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩٣، إعراب القرآن ٤/ ٧١، ومعانِي القرآن للنحاس ٦/ ٢٩٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧٥، الفريد للهمداني ٤/ ٢٣٥، الدر المصون ٦/ ٧٤.

(٤) النور ٣٦، وقد تقدم تخريج هذه القراءة ص ١٥٥.

(٥) يعنـي أن الكاف هنا نعت لمصدر محذوف، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩٣، إعراب القرآن ٤/ ٧١.

ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني أصل القرى، وهي مكة، سميت بذلك لأن الأرض دُحِيَتْ مِنْ تَحْتِها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني: مِن القرى في الأرض كلها، و«مَنْ» في موضع نصب؛ أي: وتنذر من حولها ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾؛ أي: ولكي تنذرهم بالقرآن بيوم الجمع، وهو يوم القيامة، يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فيه الناسَ الأولين والآخِرِينَ، ويَجْمَعُ فيه أهْلَ السماوات وأهْلَ الأرَضِينَ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: لا شك في يوم الجمع والبعث أنه كائنٌ، ثم بعد الجمع يتفرقون، فذلك قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾؛ أي: منهم فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير يُعَذَّبُونَ عَدْلاً، وهم الكافرون، وهو رفع على الابتداء، وأجاز الفراء والكسائي نصبَ«فَرِيقٌ»، بمعنى: وتنذر فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير(١).

فصل

[١٣٨/ ب] عن عبد الله بن عَمْرٍو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ / ذات يوم، وفي يده كتابان قابِضٌ عليهما بكفه، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان»؟ قلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا، فقال لِلَّذِي في يده اليمنى: «هذا كتابٌ من رب العالمين فيه تسميةُ أهْلِ الجنة، وتسميةُ آبائِهِمْ وعشائرِهم وعِدَّتِهِمْ قبل أن يستقروا نُطَفًا في الأصْلاَبِ والأرحام، إذْ هُمْ في الطِّينةِ مُنْجَدِلُونَ، ثم أُجْمِلَ على آخرهم، فلا يُزادُ فيهم ولا يُنْقَصُ»، فقال للذي في شماله: «هذا كتابٌ من رَبِّ العالمين، فيه تسميةُ أهْلِ النارِ، وتسميةُ آبائِهِمْ وعشائرِهم وعِدَّتِهِمْ قبل أن يستقروا نُطَفًا فِي الأصلاب والأرحام، إذْ هم فِي الطينة مُنْجَدِلُونَ، أُجْمِلَ

---

(١) ولكن الفراء قال: «والرفع أجود في العربية». معاني القرآن ٣/ ٢٢، وينظر قول الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٧٢، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧٦، وقد قرأ زيدُ بنُ عَلِيٍّ: «فَرِيقًا» بالنصب فيهما، ينظر: عين المعانِي ورقة ١١٨/ أ.

على آخرهم، فلا يُزادُ فيهم ولا يُنْقَصُ»، قالوا: فَفِيمَ العَمَلُ يا رسول الله؟ قال: «اعملوا وسَدِّدُوا وقارِبُوا، فإن صاحب الجنة يُخْتَمُ له بعمل أهل الجنة وإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ، وإنّ صاحب النار يُخْتَمُ له بعمل أهل النار وإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ، فَرَغَ اللهُ من خَلْقِهِ»، ثم قرأ: «فَرِيقٌ فِي الجَنّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني كفار مكة، يجعلهم الله على مِلّةِ الإسلام وحدها ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ يعني دينه الإسلام، وهم المؤمنون ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني مشركي مكة ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ﴾ يعني قريبًا ينفعهم في الآخرة، ويدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا نَصِيرٍ ۝٨﴾؛ أي: ناصر ومانع يمنعهم من عذاب النار.

و﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ مرفوعون بالابتداء، وقال تعالى في آخِرِ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾[2]: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[3]، والفرق بينهما: أن ذلك بعده «أعَدَّ»، وليس بعد هذا فعل، فأُضْمِرَ لذلك فِعْلٌ تقديره: فَأَوْعَدَ الظّالِمِينَ عَذابًا أليمًا[4].

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره[5]، وهو مرفوع

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٦٧، والترمذيُّ في سننه ٣/ ٣٠٤، ٣٠٥ أبواب القَدَر: باب ما جاء أن الله كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار، ورواه النسائي في السنن الكبرى ٦/ ٤٥٢-٤٥٣ كتاب التفسير: سورة الشورى، وينظر: الكامل في الضعفاء ٥/ ٢٩٤-٢٩٥، شفاء الصدور ورقة ٢٤٦/ أ، الكشف والبيان ٨/ ٣٠٤، لسان الميزان ٤/ ٩٣، قال ابن حجر: «هو حديث منكر جدًّا».

(٢) الإنسان ١.

(٣) الإنسان ٣١.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٧٣.

(٥) يعني في أول سورة فاطر ص ٤٧١.

على إضمار مبتدأ، أو يكونُ نعتًا[١]، قال الكسائي[٢]: ويجوز: فاطِرَ السَّماواتِ والأرْضِ بالنصب على النداء، وقال غيره[٣]: على المدح. ويجوز الخفض على البدل من الهاء التي في «عَلَيْهِ» في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٤].

وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ وإنما قال: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ لأنه خَلَقَ حَوّاءَ من ضِلَعِ آدَمَ، والمعنى: جعل لكم من مِثْلِ خَلْقِكُمْ نِساءً ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ذكورًا وإناثًا ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: يخلقكم في الأرحام فيما بين الزوجين، وقال ثعلب[٥]: معناه: يُكَثِّرُكُمْ في هذا / الفعل، والهاء راجعة [١٣٩/ أ]
على الخَلْقِ. وقيل: «فِي» بمعنى البـاء، وهو قول الزجاج والفراء[٦]، والمعنى: يَذْرَؤُكُمْ بِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يعني: فِي القدرة، وقال ابن عباس: ليس له نظير.

---

(١) هـذا الوجهان قالهما النحاس ومَكِّيٌّ، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٦٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧٦، وذكر بعض العلماء أنه يجوز أن يكون خبرًا بعد خبر لقوله: «ذَلِكُمْ»، وأنه يجوز أن يكون بدلًا من «رَبِّي» أو مبتدأ والخبر «جَعَلَ لَكُمْ»، ينظر: كشف المشكلات للباقولي ٢/ ٢٩١، البيان للأنباري ٢/ ٣٤٥، الفريد للهمداني ٤/ ٢٣٧، الدر المصون ٦/ ٧٦.
(٢) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٧٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧٦، الفريد للهمداني ٤/ ٢٣٧، الدر المصون ٦/ ٧٦.
(٣) ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٧٣، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧٦، الدر المصون ٦/ ٧٦.
(٤) الشورى ١٠، وهـذا قول النحاس ومكي، ينظـر: إعراب القرآن ٤/ ٧٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧٦، وقد قرأ: ﴿فاطِرِ﴾ بالخفض زيدُ بن عَلِيٍّ، ينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ٧، البحر المحيط ٧/ ٤٨٨.
(٥) مجالس ثعلب ص ١٧٧، ٢٣١.
(٦) معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٢، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩٥.

وهذه الـكافُ صِلةٌ مُؤَكِّدةٌ، المعنى: لَيْسَ مِثْلَهُ شَـيْءٌ؛ لأن مَنْ قال مثل هذا فقد أثبت المِثْلَ للهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ وَتَعالَى عن ذلك ـ [١]، وقال أحمد بن يحيى ثعلب[٢]: المِثْلُ صِلةٌ، المعنى: لَيْسَ كَهُوَ شَـيْءٌ، فأدخل المِثْلَ توكيدًا للكلام، كقولـه تعالـى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾[٣]، وفِي حرف ابن مسـعود: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِما آمَنْتُمْ بِهِ﴾[٤].

والعرب تقيم المثل مُقامَ النفس، فتقول: مِثْلِي لا يُقالُ له هذا؛ أي: أنا لا يُقالُ لي هذا[٥]، قال أوس بن حَجَرٍ[٦]:

---

(١) قال بزيادة الكاف أكثرُ العلماء، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩٥، إعراب القرآن ٤/ ٧٤، وقال الفارسـي: «وليس المثل هنا لَغْوًا، وإنما الكافُ المُلْغَى عندنا، ولا بُدَّ في التأويل من أن نحكـم بزيـادة الكاف، أو بزيادةِ ما دخلـت عليه الكاف، فالحكم بزيـادة الكاف أولى؛ لأنه حرف، والحرف يكون زيادةً كثيرًا، والأسـماء ليسـت بمنزلتها، وقـد وُجِدَتِ الكافُ زائـدةً في غير هذا الموضع... فإذا كان كذلك كان الحكم بزيادة الكاف أولى، بل لا يجوز غيره، فيكون المعنى: ليس مِثْلَهُ شيءٌ». الإغفال ٢/ ٣٤٩-٣٥٠، وينظر أيضًا: كتاب الشعر ص ٢٥٨، المسـائل المشكلة ص ٤٠٠، سر صناعة الإعراب ص ٢٩١ وما بعدها، كشف المشـكلات للباقولي ٢/ ٢٩١، الفريد للهمداني ٤/ ٢٣٧، وقـال المرادي: «لأن جَعْلَها [يعني الكاف] غَيْرَ زائدة يُفْضِي إلى المحال؛ إذْ يصير معنى الكلام: ليس مِثْلَ مِثْلِهِ شـيءٌ، وذلك يسـتلزم إثباتَ المِثْلِ، تعالى الله عن ذلك». الجنى الدانِي ص ٨٦، ٨٧، وينظر: الدر المصون ٦/ ٧٧.

(٢) قال ثعلب: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أي: ليس كَهُوَ». مجالس ثعلب ص ٢٣١.

(٣) البقرة ١٣٧.

(٤) هذه قراءة ابن مسـعود وابن عباس وأَنَـسٍ وأَبِي صالح، ينظر: مختصر ابن خالويه ص١٧، المحتسب ١/ ١١٣.

(٥) قالـه ابن قتيبة في تفسـير غريب القرآن ص ٣٩١، وينظر: تفسـير غريـب القرآن لأبي بكر السجستاني ص ١٣٨.

(٦) أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح، شاعرُ تميمٍ فِي الجاهلية، كان كثيرَ الأسفارِ، =

٢١٨ ـ لَيْسَ كَمِثْلِ الفَتَى زُهَيْرٍ خَلْقٌ يُوازِيهِ فِي الفَضائِلْ(١)

وقيل(٢): هذه الكاف الداخلة على مِثْلٍ مؤكدة للنفي، كما تقول العرب: ليس لك نظيرٌ، ولا لنظيرِكَ نظيرٌ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما يُقالُ ﴿ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ بأعمال الخلق.

فصل

رُوِيَ عن سفيان الثوري أنه قال: قيل لرجل من العرب: صِفِ اللهَ، قال: أَعْبُدُهُ، ولا أَصِفُهُ، وأعْرِفُ قُدْرَتَهُ، ولا أَصِفُ قُدْرَتَهُ، وأَصْرِفُ الأشياءَ إليه، ولا أَصْرِفُهُ، وأُصَوِّرُ خَوْفَهُ فِي قَلْبِي، ولا أُصَوِّرُهُ، وأَنْظُرُ إلى ثوابه وعقابه بِعَيْنِ قَلْبِي، وإنْ لَمْ أَرَهُ بِطَرْفِ عَيْنِي.

قوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني مفاتيح خزائن السماوات، ومقاليد السماوات: المطر، ومقاليد الأرض: النبات، والمعنى: أنه يقدر على فتحها، يملك فتح السماءِ بالمطر، والأرضِ بالنبات، يدل على هذا

= وأَكْثَرُ إقامتِهِ بالحِيرةِ عند الملك عمرو بن هند، عُمِّرَ طويلًا، وَلَمْ يدرك الإسلام، فِي شعره حكمة ورقة، وكان غَزِلًا مُغْرَمًا بالنساء، وكانت تَمِيمٌ تقدمه على شعراء العرب. [الشعر والشعراء ص ٢٠٨؛ ٢١٥، الأعلام ٢/ ٣١].

(١) البيت من مخلع البسيط، لأوس بن حجر، وليس في ديوانه.
التخريج: الكشف والبيان ٨/ ٣٠٦، عين المعانِي ١١٨/ أ، البحر المحيط ٧/ ٤٨٨، الدر المصون ٦/ ٧٧، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ١٧٤، روح المعانِي ٢٥/ ١٨، فتح القدير ٤/ ٥٢٨.

(٢) هذا هو القول الأول الذي ذكره المؤلف في الصفحة السابقة، وهو أن الكاف صلة، فكَرَّرَهُ مَرّةً أخرى.

قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ لأن مفاتيح الرزق بيده ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من البَسْطِ والقُدْرةِ ﴿عَلِيمٌ ۝١٢﴾

وقد ذكرتُ نظيرها، وشرحتُ ذلك في سورة الزمر[١]، فأغْنَى عن الإعادة هاهنا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ يعني أهل الأديان المختلفة، وقيل: أهل الكتاب ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ يعني البيان من بعث محمد ﷺ ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۝١٤﴾ وهو مفعول من أجله؛ أي: فَعَلُوا ذلك لِلْبَغْيِ، وهو في الحقيقة مصدر.

قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾؛ أي: فَإِلَى ذلك الدِّينِ أو الكتابِ ﴿فَٱدْعُ﴾: قال الفَرّاءُ[٢] والزَّجّاجُ[٣]: وهذا كما تقول: دَعَوْتُ إلى فلان، وقال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[٤]؛ أي: إليها. و«ذَلِكَ» إشارة إلى ما وَصَّى به الأنبياءَ من التوحيد[٥]»، ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾؛ أي: اثْبُتْ على الدين الذي أُمِرْتَ به، ومحل الكاف نصبٌ؛ لأنه أُقِيمَ مُقامَ المصدر، تقديره: اسْتَقِم اسْتِقامةً[٦]، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ يعني: أهل الكتاب، وذلك أنهم دَعَوا النبيَّ ﷺ إلى دينهم ﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾؛ أي: آمنت بِكُتُبِ اللهِ كُلِّها،

(١) الآية ٦٣، وانظر ٢/ ٣٦٤.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩٦.

(٤) الزلزلة ٥.

(٥) قاله مقاتل، ينظر: زاد المسير ٧/ ٢٨٧.

(٦) ويجوز أن تكون «ما» موصولة في موضع خفض بالكاف، وجملة «أُمِرْتَ» صلة الموصول، والعائد محذوف، والتقدير: كالذي أُمِرْتَ به، ينظر: مغني اللبيب ص ٢٣٥.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۝١٥﴾ يعني: بين أهل الكتاب في القول، يقول: أَعْدِلُ بِما آتانِي الله فِي كتابه، والمعنى: أنْ أعْدِلَ أو كَيْ أعْدِلَ بينكم، كقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

قال ابن عباس: معناه: أُمِرْتُ لأُساوِيَ بينكم، ولا أَحِيفَ عليكم بأكثَرَ مما افْتَرَضَ اللهُ عليكم فِي الأحكام، ومعنى العدل بينهم فِي الأحكام: هو أنهم إذا ترافعوا إليه لَمْ يُلْزِمْهُمْ شَيْئًا لا يَلْزَمُهُمْ.

فصل

ذُكِرَ أنّ داودَ ـ عليه السلام ـ قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه فهو الفائز: القَصْدُ فِي الغِنَى والفَقْرِ، والعُدْلُ فِي الرِّضا والغَضَبِ، والخَشْيةُ فِي السِّرِّ والعَلانِيةِ، وثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه أهْلَكْنَهُ: شُحٌّ مُطاعٌ، وهَوًى مُتَّبَعٌ، وإعْجابُ المَرْءِ بنفسه، وأرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيه وأُعْطِيَهُنَّ، فقد أُعْطِيَ خَيْرَ الدنيا والآخرةِ: لِسانٌ ذاكِرٌ، وقَلْبٌ شاكِرٌ، وبَدَنٌ صابِرٌ، وزَوْجةٌ مُؤْمِنةٌ»(٢).

قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني القرآن، واسم الله تعالى مرفوع بالابتداء، و﴿ٱلَّذِيٓ﴾ خبره، وليس بنعت؛ لأن الخبر لا بُدَّ منه، والنعتُ

---

(١) الأنعام ٧١، قال الأخفش: «أي: أُمِرْتُ كَيْ أعْدِلَ». معانِي القرآن ص ٤٦٩، قال السمين الحلبي: «يجوز أن يكون التقدير: وأمرت بذلك لأعدل، وقيل: وأمرت أن أعدل، فاللام مزيدة. وفيه نظر لأنك بعد زيادة اللام تحتاج إلى تقدير حرفِ جَرٍّ؛ أي: بأن أعدل». الدر المصون ٦/ ٧٨، وينظر أيضًا: اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ١٧٩.

(٢) ينظر: الضعفاء الكبير ٣/ ٤٤٧، كتاب المجروحين ١/ ٢٦٣، المعجم الأوسط ٥/ ٣٢٨، الكشف والبيان ٨/ ٣٠٧.

يُسْتَغْنَى عنه[١]، وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: للحق، لَمْ يُنْزَلْ باطلًا لغير شيء، بل ذكر فيه ما يَحِقُّ على الناس أن يعملوا به من الأمر والنهي والفرائض والأحكام، وكل ذلك حَقٌّ من الله تعالى.

وقوله: ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ يعني العَدْلَ، وسُمِّيَ العدلُ ميزانًا؛ لأن الميزان آلةُ الإنصافِ والتسويةِ بين الخلق، فأمر الله تعالى بالوفاء، ونَهَى عن البَخْسِ[٢]، وهو عطف على الكتاب؛ أي: وأنزل الميزان بالحق ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ يا محمد ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧﴾ قال مقاتل: «ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الساعةَ وعنده قوم من المشركين، فقالوا: متى يا محمد تكون الساعة؟ تكذيبًا بها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾»[٣].

فقال: «قَرِيبٌ» ولَمْ يقل: قريبة، والساعة مؤنثة، قيل: على النسب، وقيل: فَرْقًا بينه وبين القرابة، وقيل: التأنيث ليس بحقيقي، والمعنى: لعل البعث أو مجيء الساعة قريب[٤].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾؛ أي: حَفِيٌّ بارٌّ رَفِيقٌ بأوليائه وأَهْلِ طاعته، وقيل: هو لطيف بالبَرِّ والفاجر منهم، حيث لَمْ يقتلهم جوعًا بمعاصيهم،

---

(١) من أول قوله: «واسم الله تعالى مرفوع». قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٧٧.

(٢) قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد، ينظر: الوسيط ٤/ ٤٨، زاد المسير ٧/ ٢٨٠.

(٣) ينظر: أسباب النزول ص١٥٣، الوسيط٤/ ٤٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٠٩، لباب النقول ص٩٣.

(٤) ينظر في هذه الأقوال الثلاثة في وجه تذكير «قريب»: مجاز القرآن ٢/ ١٩٩-٢٠٠، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩٦-٣٩٧، إعراب القرآن ٤/ ٧٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧٧.

[١٤٠/ أ] وقيل: هو لطيف بهم في العرض والمُحاسَبةِ، قال الخَوافِيُّ[(١)]: / :

٢١٩ـ غَدًا عِنْدَ مَوْلَى الخَلْقِ لِلْخَلْقِ مَوْقِفٌ يُسائِلُهُمْ فِيهِ الجَلِيلُ فَيَلْطُفُ[(٢)]

وقيل: سئل الجُنَيْدُ[(٣)] عن اللطيف، فقال: هو الذي لَطَفَ بأوليائه حتى عرفوه فعبدوه، ولو لَطَفَ بأعدائه لَما جَحَدُوهُ.

وقيل: اللطيف الذي يَنْشُرُ من عباده المناقبَ، ويستر عليهم المثالبَ، وقيل: هو الذي يَقْبَلُ القليلَ، ويَبْذُلُ الجَزِيلَ، وقيل: هو الذي يَجْبُرُ الكَسِيرَ، ويُيَسِّرُ العَسِيرَ، وقيل: هو الذي لا يَيْأسُ أحَدٌ فِي الدنيا من رزقه، ولا يَيْأسُ مؤمنٌ في العُقْبَى من رحمته، وقيل: هو الذي يَعْفُو عَمَّنْ يَهْفُو، وقيل: هو الذي يرحم من لا يرحم نَفْسَهُ، وقيل: هو الذي أوقد فِي أسرار عارفيه من المشاهدة سراجًا، وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجًا، وأنزل عليهم من سحائب بِرِّهِ ماءً ثَجّاجًا، ويرزق من يشاء مُوسِعًا ومن يَشاءُ مُقْتِرًا، ومن شاء قليلًا، ومن شاء كثيرًا، ومن شاء حلالًا، ومن شاء حرامًا، ومن شاء فِي خفض ودَعةٍ، ومن شاء فِي كَدٍّ وعَناءٍ، ومن شاء فِي بلده ومن شاء فِي غُرْبَتِهِ، ومن شاء بحساب ومن شاء

---

(١) لعله مهديُّ بنُ أحمد الخَوافِيُّ، أبو القاسم النيسابوريُّ، أديب له شعر، نسبته إلى خَوافَ من نواحي نيسابور، توفِّي سنة (٤٥٠هـ) تقريبًا، من كتبه: شرح ألفاظ عبد الرحمن الهمذاني. [إنباه الرواة ٣/ ٣٣٢، الأعلام ٧/ ٣١٢].

(٢) البيت من الطويل.
التخريج: الكشف والبيان ٨/ ٣٠٨، تفسير القرطبي ١٦/ ١٦.

(٣) هو الجُنَيْدُ بن محمد بن الجُنَيْدِ البغدادي، أبو القاسم الخَزّازُ، صُوفِيٌّ من العلماء بالدِّينِ، مولده ونشأته ببغداد، وبها توفِّي سنة (٢٩٧هـ)، ويعرف بالقواريري، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، عَدّهُ العلماءُ شيخَ مذهب التصوف، من كتبه: دواء الأرواح، رسائل في التوحيد. [حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١؛ ٢٤٩].

بغير حساب(١)، ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾ على ما أراد مِنْ رِزْقِ مَنْ يَرْزُقُهُ ﴿ٱلْعَزِيزُ ١٩﴾ الغالب فلا يُغالَبُ فيما أراد.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ شرط وجزاء، ومعنى الحَرْثِ في اللغة: الكَسْبُ، يقال: فُلانٌ يَحْرُثُ لِعِيالِهِ وَيَحْتَرِثُ؛ أي: يَكْتَسِبُ(٢)، والمعنى: مَنْ كان مِنَ الأبرارِ يريد بِعَمَلِهِ الحَسَنِ ثَوابَ الآخرةِ، نَزِدْ له فِي حَرْثِهِ؛ أي: فِي عَمَلِهِ، وهو جواب الشرط ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: ومن كان من الفُجّارِ يريد بِعَمَلِهِ الخَبيثِ حَرْثَ الدنيا، يعني ثواب الدنيا ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعني: فِي الجنة ﴿مِن نَّصِيبٍ ٢٠﴾ يعني حَظًّا؛ لأنه عَمِلَ لدنياه لا لآخرته، نظيرها قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾.. الآية (٣).

فصل

عن أَبِي سفيان الشيبانِيِّ(٤) أن عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رضي الله عنه قال: «الأعمال على أربعة أوجه: عاملٌ صالح فِي سبيل الله، يريد به دنيا، فليس له فِي الآخرة/ شيء، وذلك لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾.. الآية»(٥)، وعاملٌ للرياء، ليس له ثواب في

(١) ينظر في هذه الأقوال: الكشف والبيان ٨/ ٣٠٨-٣٠٩، الوسيط ٤/ ٤٨.

(٢) قاله الأزهري في التهذيب ٤/ ٤٧٧، ٤٧٨، وينظر: الوسيط ٤/ ٤٩.

(٣) الإسراء ١٨.

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد ربه، أبو سفيان الشيبانِيُّ، قاضي نيسابور، ذكره ابن حبان في الثقات، روى عنه ابن المبارك، وروى له ابن ماجه في التفسير. [التاريخ الكبير ٥/ ٣١٦، تهذيب الكمال ١٧/ ٢١٥-٢١٦].

(٥) هود ١٥.

الدنيا والآخرة إلّا الوَيْلُ، وعاملٌ صالحٌ في سبيل هُدًى، يبتغي به وجه الله والدارَ الآخرةَ، فله الجنة في الآخرة، وعامِلُ خَطَأً وذُنُوبٍ، ثوابه عقوبة الله إلّا أن يعفو عنه، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة»(١).

قوله تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ يعني: في الآخرة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين وَجِلِينَ ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ يعني: من الشِّرْكِ ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ ٢٢﴾ يعني العذاب، ونصب ﴿مُشْفِقِينَ﴾ على الحال، وباقي الآية ظاهر التفسير.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يعني: على الإيمان ﴿أَجْرًا﴾ يعني: جُعْلاً ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ نصب المودة على البدل من قوله: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، وهو استثناء ليس من الأول، وليس المعنى: أسألكم المودة في القُرْبَى؛ لأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لا يسألون أجرًا على تبليغ الرسالة، والمعنى: ولكنْ أُذَكِّرُكُم المودةَ فِي القُرْبَى(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾؛ أي: يَكْسِبْ حَسَنةً واحدةً ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾؛ أي: نضاعف له الحسنة الواحدة عشرًا فصاعدًا، وهو شرط وجزاء،

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٠٩.

(٢) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩٨، وهو يعني أنه استثناء منقطع، وينظر: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٠٨، إعراب القرآن ٤/ ٨٠، وأجاز أحمد بن يحيى أن يكون هذا الاستثناء متصلاً، فقال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، يقال فيها على ضربين، أحدهما: تَوَدُّونِي في العرب؛ أي: تحفظوني في العرب؛ لأنه ليس بَطْنٌ من العرب إلّا وقد وَلَدْتَهُ، والأخرى: أن تحفظوا قرابتي... قال: «أن تَوَدُّونِي في قرابتي بكم، أو تَوَدُّوا قرابتي فِيَّ». مجالس ثعلب ص ٢٢٢، وأجاز الزمخشري الوجهين أيضًا، ينظر: الكشاف ٣/ ٤٦٦، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ١١٣٢، الفريد للهمداني ٤/ ٢٤٠ـ٢٤١، البحر المحيط ٧/ ٤٩٤، الدر المصون ٦/ ٨٠.

والاقتراف: الاكتساب يكون خيرًا ويكون شَرًّا[١]، والمُقارَفةُ أيضًا: المُجامَعةُ، ومنه حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أنّ النَّبِيَّ ﷺ كان يُصْبِحُ جُنُبًا من قِرافٍ غَيْرِ الاحتلامِ»[٢]، قال ابن زيد: ويقال: قَرِفَ فلانٌ عَلَيْكَ: إذا كَذَبَ عليك، وذَكَرَ منكَ ما ليس فيك من القَبِيحِ، وأصله من: قَرَفْتُ الشَّيْءَ: إذا كَشَفْتَ عنه، كقولك: قَرَفْتُ الجِلْدَ، وهو من الاعتمال في الاكتساب[٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ للقليل حتى يضاعفه.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ يعني كفار مكة؛ أي: بل يقولون ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾ محمد ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حين زعم أن القرآن من عند الله ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ شرط وجزاء؛ أي: يربط على قلبك بالصبر حتى لا يَشُقَّ عليك أذاهم. ثم ابتدأ فقال: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴿٢٤﴾﴾ قال الكسائي[٤]: فيه تقديم وتأخير/ ، مَجازُهُ: والله يَمْحُو الباطلَ، فحُذِفَتْ منه الواوُ فِي المصحف، وهو فِي موضع رفع، كما حُذِفَتْ من قوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[٥]، وقولِهِ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾[٦] على اللفظ.

---

(١) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٤٥٧.

(٢) الحديث بهذا اللفظ في غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٣٢٣، والصحاح ٤/ ١٤١٦، والفائق للزمخشري ٣/ ٩٠، والنهاية لابن الأثير ٤/ ٤٦، ورواه الإمام أحمد عن السيدة عائشة والسيدة أم سلمة، رضي الله عنهما، بلفظ «مِنْ جِماعٍ غَيْرِ احْتِلامٍ». المسند ٦/ ٣٦، ٢٩٠، ٣١٢، وينظر: صحيح مسلم ٣/ ١٣٨ كتاب الصيام/ باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جُنُبٌ.

(٣) هذه المعانِي ذكرها الجوهري في الصحاح ٤/ ١٤١٥، وينظر: اللسان: قرف، التاج: قرف.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان للثعلبي ٨/ ٣١٤-٣١٥، وزاد المسير ٧/ ٢٨٦، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٥.

(٥) العلق ١٨.

(٦) الإسراء ١١، ومعنى كلامه أن الفعل «يَمْحُ» مرفوع لأنه كلام مستأنف، وليس معطوفًا =

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾؛ يعني المطر ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ من بعد ما يَئِسُوا أهْلُ مكةَ منه، ذلك أن الله تعالى حَبَسَ المَطَرَ عنهم سَبْعَ سِنِينَ حتى قَنَطُـوا، ثم أنزل الله المطر، فذَكَّرَهُم النعمةَ[1]، ثم قال تعالى: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أي: يبسط مَطَرَهُ ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ بأهل طاعته ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ عند خلقه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾؛ يعني السفن في البحر كالجبال، واحدتها: جارية، وهي السـائرة في البحر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾[2]؛ يعني: في سفينة نوح عليه السّلام.

و«الجَوارِ» في موضع رفع، حُذِفَتِ الضمةُ من يائها لثقلها، قرأ نافع وأبو عمـرو: «الجَوارِي» بياءٍ في الوصل فقط، وقرأ ابن كثير بياء في الحالين، وقرأ الباقون بغير ياء في الحالين[3].

= على «يَخْتِمْ» المجزوم، وإنما حذفت الواو في اللفظ لالتقاء السـاكنين، فَأُتْبِعَ الخَطُّ اللَّفْظَ، قـال الفـراء: «وقوله: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ ليـس بمردود على «يَخْتِمْ» فيكـون مجزومًا، هو مسـتأنف في موضع رفع، وإن لَمْ تكن فيه واو في الكِتابِ، ومثله مما حذفت منه الواو وهو في موضع رفع قولُه: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾، وقولُه: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾. معانِي القرآن ٣/ ٢٣، وينظر أيضًا: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩٩، إعراب القرآن ٤/ ٨١.
ولكن ابن سَـعْدانَ يـرى أنه معطوف على «يَخْتِمْ»، ولهذا فهو مجـزوم، قال ابن الأنباري: «وقال أبو جعفر محمد بن سَعْدانَ: الوقف على قوله: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾: «وَيَمْحُ» بلا واو؛ لأنه نسق على الجزاء. وهذا لا يصح». إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٦٨-٢٦٩.
هـذا، ويقف يعقوبُ وقُنْبُلٌ وابن شَـنَبُوذٍ علـى: «وَيَمْحُو» بالواو، ويقـف الجميعُ بحذفها للرسم، ينظر: الإتحاف ٢/ ٤٤٩.

(١) قاله مقاتل، ينظر: الوسيط ٤/ ٥٤، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٩.

(٢) الحاقة ١١.

(٣) ينظر: السبعة ص ٥٨١، البحر المحيط ٧/ ٤٩٧، الإتحاف ٢/ ٤٥٠.

وقولـه: «كالأَعْلاَمِ»؛ أي: كالجبـال، جمع عَلَمٍ، وهـو الجَبَلُ الطويل، وقيـل: كالقصور، والأول هو المشـهور، قال الخليل بن أحمد[1]: كل شـيء مرتفع عند العرب فهو علم، قالت الخنساء ترثي أخاها صَخْرًا:

٢٢٠ ـ وَإِنّ صَخْـرًا لَتَأْتَـمُّ الهُداةُ بِهِ كَـأَنّـهُ عَـلَـمٌ فِـي رَأْسِــهِ نـارُ[2]

قولـه: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ الذي تجري به السـفن ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ يعني: سَواكِنَ ثَوابِتَ وُقُوفًا على ظَهْرِ البَحْرِ، فلا تَجْرِي ولا تَتَحَرَّكُ، وهو شـرط وجزاء، قرأ العامة: ﴿الرِّيحَ﴾ على الواحد، وقرأ نافع: ﴿الرِّياحَ﴾ علـى الجمع[3] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر ﴿لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ أي: لكل مؤمن؛ لأن من صفة المؤمن الصَّبْرُ فِي الشدة والشُّكْرُ فِي الرخاء.

قولـه: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾؛ أي: يُغْرِقْهُنَّ، وَيُهْلِكْ أَهْلَها بِما أشـركوا واقترفوا من الذنـوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ من الذنوب، فينجيهم من الغرق

---

(١) قـال الخليـل: «والعَلَمُ: الجبل الطّويـل، والجميع: الأعلام، ومنه قولـه تعالى: ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾، شَـبَّهَ السُّـفُنَ البحرية بالجبال. والعَلَـمُ: الرّاية، إليها مَجْمَعُ الجُنْـدِ. والعَلَمُ: ما يُنْصَـبُ فِي الطّريق ليكون علامةً يُهْتَدَى بها، شِـبْهُ المَيْلِ والعَلامةِ، والعَلَم: ما جعلته عَلَمًا للشيء». العين ٢/ ١٥٢-١٥٣.

(٢) البيت من البسيط، ويُرْوَى: «أَغَرُّ أَبْلَجُ تَأْتَمُّ».

التخريـج: ديوانهـا ص ٤٩، التعـازي والمراثـي للمبـرد ص ٢٧، ١٠٠، جمهـرة اللغـة ص ٩٤٨، مقاييـس اللغة ٤/ ١٠٩، الكشـف والبيـان ٨/ ٣٢١، المحرر الوجيز ٥/ ٣٨، الفريد ٤/ ٢٤٤، عين المعانِي ورقة ١١٨/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٢، البحر المحيط ٧/ ٤٩٧، مغني اللبيب ص ٧٢٣، الدر المصون ٦/ ٨٢، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٢٠٢، التاج: صخر.

(٣) وقرأ بالإفراد أيضًا: أبو جعفر المدني، ينظر: القرطبي ١٦/ ٣٢، البحر ٧/ ٤٩٧، الإتحاف ٢/ ٤٥٠.

والهَلَكةِ، وهو في موضع جزمٍ، عطف على جواب الشرط في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾.

قوله: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾؛ أي: من فرار، وقيل: من مَلْجَأٍ؛ أي: يَحِيصُونَ إليه، يقال: فلان يَحِيصُ عن الحق؛ أي: يَمِيلُ عنه، وحاصَ البَعِيرُ حَيْصًا: إذا مالَ به.

قرأ أهل المدينة والشام: «وَيَعْلَمُ»[1] بالرفع على الاستئناف كقوله تعالى في سورة براءة: / ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾[2]، وقرأه الآخرون نصبًا على الصرف، [١٤١/ ب] كقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3] صُرِفَ من حال الجزم إلى النصب استخفافًا، وكراهيةً لتوالِي الجزم[4]، كقول الشاعر:

٢٢١ - لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عارٌ عَلَيْكَ - إذا فَعَلْتَ - عَظِيمُ[5]

وقرأ بعضهم: «وَيَعْلَمْ» بالجزم، منسوق على «يُوبِقْهُنَّ».

---

(١) ينظر: السبعة ص ٥٨١، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤، البحر ٧/ ٤٩٨، الإتحاف ٢/ ٤٥٠.

(٢) التوبة ١٥.

(٣) آل عمران ١٤٢.

(٤) النصب على الصرف مصطلح كوفيٌّ يُقْصَدُ به ما ذكره المؤلف من أن الفعل صُرِفَ من حال الجزم إلى حال النصب؛ لوقوعه بعد الواو؛ استخفافًا للنصب، والبصريون يقولون: إنه منصوب بـ«أنْ» مضمرةً بعد الواو، ورَدُّوا على الكوفيين بأنه لا بُدَّ من ناصب ينصب الفعلَ؛ لأن المعانِيَ لا تنصب الأفعالَ، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩٩، إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٨١-٨٨٢، معانِي القراءات ٢/ ٣٥٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٨٥، سر صناعة الإعراب ص ٢٧٦، ٣٧٥، أمالي ابن الشجري ١/ ٢٩، الإنصاف ص ٥٥٥-٥٥٩، أمالِيُّ ابن الحاجب ١/ ٤٥٢.

(٥) البيت من الكامل، لأبِي الأسود الدُّؤَلِيِّ، ونُسِبَ لغيره، فقد نُسِبَ لِحَسّانَ بنِ ثابتٍ، وللمتوكل الليثي، وللأخطل، وللمتوكل الكناني، وللطِّرِمّاحِ بن حكيم، ولسابق البربري. =

والوجـه قراءةُ مَنْ قَـرَأَ: «وَيَعْلَمُ» رفعًا؛ لأنه يقطعـه من الأول، ويجعله جُمْلـةً معطوفةً على جُمْلةٍ(١)، ومَنْ قَرَأَ بالنصب قال الفراء(٢): هو مردودٌ على الجزم، إلا أنه صُرِفَ، والجزم إذا صُرِفَ عنه مَعْطُوفُهُ نُصِبَ.

ومن قرأ بالكسـر فموضعه جزم بالعطف على قوله: ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾، وهو جزم؛ لأنه معطوف على جواب الشرط، وهو قوله: ﴿يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ (٣).

قولـه تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ يعني القِصاصَ في الجِراحاتِ والدِّمـاءِ، وقيل(٤): هو جواب القبيح بمثله، إذا قال: أَخْزاكَ اللهُ، يقول: أَخْزاكَ اللهُ، من غير أن يعتدي، وإذا شَتَمَهُ بِشَتِيمةٍ رَدَّ عليه مِثْلَها من غير زيادة، ويُسَمَّى

= **التخريـج**: ديوان أَبِي الأسـود ص ١٣٠، الكتـاب ٣/ ٤٢، معانِي القـرآن للفراء ١/ ٣٤، ١١٥، ٤٠٨، المقتضب ٢/ ٢٥، شـرح أبيات سـيبويه ٢/ ١٨٨، إعراب القراءات السـبع ١/ ١٥٤، الصاحبـي ص ١٥٦، الأزهيـة ص ٢٣٤، الحلـل ص ٢٦٠، إصـلاح الخلـل ص٢٤٥، البيان للأنباري ١/ ١٤٦، ٣٨٦، شرح شواهد الإيضاح ص ٢٥٢، شرح المفصل ٧/ ٢٤، أمالي ابن الحاجب ص ٨٦٤، شرح التسهيل لابن مالك ٤/ ٣٦، رصف المبانِي ص ٤٢٤، اللسـان: عظـظ، ومغني اللبيـب ص ٤٧٢، الجنى الدانِـي ص١٥٧، المقاصد النحوية ٤/ ٣٩٣، همع الهوامع ٢/ ٣١٢.

(١) والرفع أرجح عند سيبويه في مثل هذا، ينظر: الكتاب ٣/ ٢٨: ٤٦، ٨٤: ٩٢، وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٤/ ٨٤-٨٥، الحجة للفارسي ٣/ ٣٦٣-٣٦٤.

(٢) معانِي القرآن ٣/ ٢٤.

(٣) ذكر سيبويه أن الرفع في مثل هذا هو وجه الكلام، ثم قال: «وقد بلغنا أن بعض القراء قرأ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرْهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وذلـك لأنه حُمِلَ الفِعْلُ على موضع الكلام؛ لأن هذا الكلام في موضعٍ يكون جوابًا؛ لأن أصل الجزاء الفعل». الكتاب ٣/ ٩٠-٩١.

(٤) هـذا قول ابن أَبِي نُجَيْحٍ والسُّـدِّيِّ ومجاهـد، ينظر: جامع البيـان ٢٥/ ٤٩، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٢١، الكشـف والبيان ٨/ ٣٢٣، الوسـيط ٤/ ٥٨، زاد المسـير ٧/ ٢٩٣، القرطبي ١٦/ ٤٠.

الجَزاءُ باسم الابتداء وإن لَمْ يكن سَيِّئةً؛ لتشابههما في الصورة(١).

و«مِثْلُها» رفعٌ نَعْتٌ لـ«سَيِّئةٌ»، وإن قلت: هو بدل من «سَيِّئةٌ» فهو أصْوَبُ؛ لأن النكرة لا تُنْعَتُ بالمعرفة.

ثم ذَكَّرَ بالعفو، فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ يعني: عَمَّنْ ظَلَمَهُ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ بالعفو بينه وبين ظالمه ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ضَمِنَ اللهُ له أجْرَهُ بالعفو عمن ظلمه.

فصل

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يَوْمُ القيامة نادَى مُنادٍ: مَنْ كان له أجر على الله فَلْيَقُمْ، فيقوم عُنُقٌ كثيرٌ»، قال: «فَيُقالُ لهم: ما أجْرُكُمْ على الله؟ فيقولون: نحن الذين عفونا عَمَّنْ ظَلَمَنا، فَيُقالُ لهم: ادخلوا الجنة بإذن الله»(٢)، فذلك قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾؛ يعني: الذين يَبْدَءُونَ بِالظُّلْمِ، ثم ذَكَرَ المُنْتَصِرَ، فقال تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾؛ يعني: بعد ظُلْمِ الظّالِمِ إيّاهُ، ومحل «مَنْ» رفع بالابتداء، وأراد بذلك المَجْرُوحَ إذا اقْتَصَّ من الجارح، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول، كقوله: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾(٣)، و﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾(٤)، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾

---

(١) قاله النحاس في معاني القرآن ٦/ ٣٢٢، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٢٣.

(٢) رواه العقيلي عن أنس في الضعفاء الكبير ٣/ ٤٤٧، ٤٤٨، وينظر أيضًا: الكشف والبيان ٨/ ٣٢٣، تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان) ٥/ ١٦٦، الدر المنثور ٦/ ١١.

(٣) فصلت ٤٩.

(٤) ص ٢٤، قال ابن الشجري: «﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾؛ أي: بعد أن ظُلِمَ». أماليُّ ابن الشجري ٣/ ٢٠١، وينظر أيضًا: الوسيط ٤/ ٥٨، الفريد ٤/ ٢٤٦.

يعنـي المنتصرين ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾؛ أي: من جُناحٍ ولا عدوان حين اقْتَصَّ من الجارح، وهو شرط وجزاء[1].

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ يعني العقوبة والمؤاخذة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ معتدين بالظلم، ﴿وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يعملون فيها بالمعاصي، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ وجيع ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ فلـم/ يَقْتَصَّ وتَجاوَزَ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾؛ يعني: من خير الأمور التي أَمَرَ اللهُ بها.

والـلام في «لَمَنْ صَبَرَ»، وفي قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ﴾ لام الابتداء دخلت على حرف الشـرط[2]، واللام في قولـه: ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ لام الخبر، دخلت على حرف الجر، وقال الأخفش[3]: هي لام الابتداء، قال ثعلب[4]: وهذا خطأ؛ لأن العرب إذا أدخلت اللام في أول الجزاء جاءت بجواب الأيمان بـ«ما» و«لَا» و«إنّ» واللام، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾[5]، فجـاء بـ«لا» جـوابَ اللامِ الأولى. هكذا ذكره النَّقّاشُ[6].

---

(١) يعني أن «مَنْ» في قوله: «وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ» شـرطية، وهذا وجه، وفيها وجه آخر وهو أن تكون «مَنْ» موصولةً، وإنما دخلت الفاء في خبرها لِشَبَهِ الموصول بالشرط، وكذلك قوله: «وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ» يجـوز فيه الأمران، ينظـر: الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٢٤٦، البحر المحيط ٧/ ٥٠٠، مغني اللبيب ص ٦٤٨، الدر المصون ٦/ ٨٦.

(٢) يعني الحرف بمعناه اللغوي؛ لأن «مَن» الشرطية اسم بلا خلاف.

(٣) معانِي القرآن ص ٤٧٠.

(٤) ينظر قوله في تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٤١١.

(٥) الحشر ١٢.

(٦) في شفاء الصدور ورقة ١١٧/ ب.

قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾؛ يعني: عن الهدى ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ يهديه ويمنعه من عذاب الله ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: هل من رجوع إلى الدنيا من سبيل؟ ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ يعني الظالمين ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾؛ أي: على النار ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾؛ أي: خاضعين متواضعين من الذُّلِّ الذي نزل بهم، وهو منصوب على الحال.

وقوله: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴿٤٥﴾﴾ قيل[١]: «مِنْ» بمعنى الباء، مَجازُهُ: بِطَرْفٍ خَفِيٍّ؛ أي: ضعيف من الذُّلِّ والخوفِ الذي نَزَلَ بهم، وقيل[٢]: «مِنْ» للابتداء، فالنظر من الطرف كالنظر من السماء، فلا حاجة إلَى جعل «مِنْ» بِمَنْزِلةِ الباء، والمعنى أنّهمْ يَتَسارَقُونَ النَّظَرَ إلَى النار خوفًا منها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ له التصرف فيهما بما يريد ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ فِي الرَّحِمِ ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ يعني البنات، ليس فيهن ذَكَرٌ، كما وَهَبَ لِلُوطٍ عليه السّلام، لَمْ يولد له إلا ابنتان ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ

---

(١) قال الأخفش: «وقال يونس: إن «مِنْ طَرْفٍ» مثل: بِطَرْفٍ، كما تقول العرب: ضَرَبْتُهُ في السيف وبالسيف». معاني القرآن ص ٤٧١، وبه قال الأخفش أيضًا، فقد صرح بذلك حين قال: «قال: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ يريد: عن أيمانهم، والله أعلم، كما قال: «يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ»، يقول: بطرف». معاني القرآن ص ٤٩٤، وهو مذهب الكوفيين في أن حروف الخفض ينوب بعضها عن بعض بقياس.

(٢) هذا قولٌ آخَرُ للأخفش، فقد قال: «وقال: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ جَعَلَ الطَّرْفَ العَيْنَ، كأنه قال: ونَظَرُهُمْ من عينٍ ضعيفةٍ». معاني القرآن ص ٤٧١، وينظر أيضًا: البحر المحيط ٧/ ٥٠١، الدر المصون ٦/ ٨٧، وكونها ابتدائيةً هو قول البصريين، فهم يجعلونها للابتداء في أحوالها كلها، ويجعلون هذه المعانِيَ متفرعةً عن هذا المعنى، ينظر: الجنى الداني ص ٣١٤.

﴿ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ يعني البنين، ليس معهم أنثى، كما وَهَبَ لإبراهيم عليه السّلام، لَـمْ يولد لـه إلا ذكـورٌ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا﴾ يعني: يَقْرِنُهُـمْ ويجعلهم أزواجًا، ويجمـع بينهما، فَيُولَدُ له الذُّكُورُ والإناثُ، كمـا جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فإنه وُلِدَ له أَرْبَعَةُ بنينَ وأَرْبَعُ بناتٍ ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ لا يُولَدُ له كعيسى ويحيى ـ عليهما السـلام ـ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بما يُؤْتِي ﴿قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ على ما يشـاء ويريد.

والآية عامة، وهذه الأقسام/ موجودة فِي غير الأنبياء، وإنما ذَكَرَ الأنبياءَ تمثيلاً، ونصب ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا﴾ على الحال.

فصل

عن عائشـة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسـول الله ﷺ: «إن أولادكم هِبةُ اللهِ لكم، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾، وأموالُهُمْ لكم إذا احتجتم إليها»(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ إمّا بِإِلْهامٍ أو فِي مَنامٍ، و«أَنْ» فـي موضع رفع اسـمُ ﴿كانَ﴾، و﴿وَحْيًا﴾ يكـون مصدرًا في مـوضع الحال، كمـا تقول: جـَاَلَ فُلاَنٌ مَشْـيًا، يجوز أن يكون منصوبًا على أنه مصدرٌ خالصٌ(٢).

---

(١) رواه البيهقي في السـنن الكبرى ٧/ ٤٨٠ كتـاب النفقات: باب نفقة الأبوين، والحاكم في المسـتدرك ٢/ ٢٨٤ كتاب التفسير: سـورة البقرة، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٢٥، الدر المنثور ٦/ ١٢، كنـز العمـال ١٦/ ٤٧٣.

(٢) مـن أول قوله: «و﴿وَحْيًا﴾ يكون مصدرًا». قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٩٢، ويعني بالمصدر الخالص المفعولَ المُطْلَقَ؛ أي: إلّا كَلاَمَ وَحْيٍ، وينظر: الدر المصون ٦/ ٨٧.

وقولـه: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ بحيث يسـمع كلامه ولا يـراه، كما كَلَّمَ موسى عليه السّلام ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ جبريلَ عليه السّلام أو غَيْرَهُ من الملائكة ﴿فَيُوحِىَ﴾ ذلك الرسولُ إلى المُرْسَلِ إليه ﴿بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ قرأ نافع وشيبة: ﴿أَوْ يُرْسِلُ﴾ برفع اللام على الابتداء والاستئناف، أي: وهو يرسلُ[1]، والوقف كافٍ على ما قبله[2]، ﴿فَيُوحِيْ﴾ بإسـكان اليـاء[3]، وقرأ الباقون بنصب اللام والياء، عطفًا بها على محل الوحي؛ لأن معناه: وما كان لِبَشَرٍ أن يكلمه اللهُ إلا أنْ يُوحِيَ إليه وَحْيًا، أو يُرْسِلَ رَسُولا[4].

نزلـت هذه الآية فـي اليهود[5]، وذلك أنهم قالوا للنبـي ﷺ: أَلَا تُكَلِّمُ اللهَ وتَنْظُـرُ إليه إن كُنْتَ نَبِيًّا صادقًا، كما كَلَّمَهُ موسـى ونَظَرَ إليـه؟ فَإنّا لَنْ نُؤْمِنَ لك حتى يفعل اللهُ لك ذلك كما فَعَلَ لِمُوسَـى، فقال لهم: «لَمْ يَفْعَلْ ذلك لِمُوسَى»، ونزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ﴾؛ أي: رفيع فوق خلقه ﴿حَكِيمٌ ۝٥١﴾ فِي أمره.

---

(١) هذا ما قاله سيبويه في توجيه قراءة الرفع، وَشَبَّهَ الرفعَ في الآية بقول الأعشى:
إنْ تَرْكَبُوا فَرُكُـوبُ الخَيْلِ عادَتُنا أَوْ تَنْزِلُـونَ فَإنّـا مَعْشَـرٌ نُـزُلُ
الكتاب ٣/ ٥٠-٥١.

(٢) يعنـي أن الوقف على قولـه: «حِجابٍ»، ثم تبتدئ: «أَوْ يُرْسِـلُ رَسُـولًا»، وهذا على قراءة الرفع، ينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٦١.

(٣) قرأ نافعٌ وشيبةُ، وابنُ عامر من طريق ابن ذكوان، والزهـريُّ وأبو جعفر وهشامٌ: «أَوْ يُرْسِلُ.. فَيُوحِـي» بالرفع فيهمـا، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السـبعة ص ٥٨٢، تفسـير القرطبي ١٦/ ٥٣، البحر المحيط ٧/ ٥٠٤، الإتحاف ٢/ ٤٥١.

(٤) هذا ما قاله سيبويه في توجيه قراءة النصب، ينظر: الكتاب ٣/ ٤٩.

(٥) ينظر: الكشـف والبيان ٨/ ٣٢٥-٣٢٦، أسـباب النُّزُولِ ص ٢٥٢، زاد المسير ٧/ ٢٩٧، تفسير القرطبي ١٦/ ٥٣.

فصل

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «أَوَّلُ المُرْسَلِينَ آدمُ ﷺ»، فَسُئِلَ: كم المُرْسَلُونَ؟ فقال: «ثلاثمائة وثلاثةَ عَشَرَ الجَمَّ الغَفِيرَ[١]، فمِن الأنبياء مَنْ يسمع الصوت فَيَفْقَهُهُ، ومن الأنبياء من يُوحَى إليه فِي المنام، وإن جبريل عليه السّلام لَيَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ كما يَأْتِي الرَّجُلُ صاحِبَهُ فِي ثِيابٍ بِيضٍ مَكْفُوفةٍ[٢] بالدُّرِّ والياقُوتِ، ورِجْلاهُ مَغْمُوسَتانِ فِي الخُضْرةِ»[٣].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾؛ أي: وهكذا يا محمد أوحينا إليك ﴿رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾؛ يعني: وَحْيًا بِأَمْرِنا ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي﴾ يا محمد ﴿مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾؛ يعني: / القرآن وشرائع الإيمان ومَعالِمَهُ، وقال محمد بن إسحاق[٤]: الإيمان فِي هذا الموضع: الصلاةُ، دليله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾[٥] يعني: الصلاة سَمّاها إيمانًا.

---

(١) الجَمَّ الغَفِيرَ: يعني مُجْتَمِعِينَ كَثِيرِينَ. اللسان: جمم.

(٢) ثِيابٌ مَكْفُوفةٌ: مَخِيطةٌ، يقال: كَفَفْتُ الثَّوْبَ؛ أي: خِطْتُ حاشِيَتَهُ، وكِفافُ الثَّوْبِ: نَواحِيهِ. اللسان: كفف.

(٣) من أول الحديث إلى قوله: «الجَمَّ الغَفِيرَ» جزء من حديث رواه الإمام أحمد بسنده عن أبِي ذَرٍّ في المسند ٥/ ١٧٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٤ كتاب السِّيَرِ: باب مبتدأ الخلق، ومن أول قوله: «فمن الأنبياء من يسمع« حديث آخر رواه ابن عديٍّ عن ابن عباس في الكامل في الضعفاء ٣/ ٣٩، وينظر: تاريخ دمشق ١٦/ ١٦٨، الدر المنثور ١/ ٩٣.

(٤) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٤/ ٦١، زاد المسير ٧/ ٢٩٨، عين المعانِي ورقة ١١٩/ أ، تفسير القرطبي ١٦/ ٥٩.

(٥) البقرة ١٤٣.

فصل

عـن عَلِيِّ بنِ أبِـي طالب ـ كَـرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ قال: «قيـل للنبي ﷺ: هل عَبَدْتَ وَثَنًا قَطُّ؟ قال: «لا»، قالوا: هل شَـرِبْتَ خَمْرًا قَطُّ؟ قال: «لا، وما زِلْتُ أعـرف أن الذي هُمْ عليه كُفْرٌ، وما كنتُ أدري ما الكتاب ولا الإيمان»، فَـنَزَلَ فِي القرآن: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ »[1].

﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ﴾ يعنـي الكتـاب ﴿نُورًا﴾ ضيـاء ودليـلًا علـى التوحيد والإيمـان ﴿نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ نُرْشِـدُ به إلى الدين الحق، وإنما وَحَّد الكنايةَ، وهما اثنان: القرآن والإيمان؛ لأن الفِعْلَ في كثرة أسمائه يَضْبِطُهُ الفِعْلُ، ألا ترى أنك تقول: إقْبالُكَ وَإدْبارُكَ يُعْجِبُنِي، فَيُوَحِّدُ وهما اثنان[2] ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَتَهۡدِيٓ﴾؛ أي: لتدعوا ﴿لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾؛ يعني القرآن والإسلام.

وقرأ عاصم الجَحْدَرِيُّ وغَيْرُهُ: «وَإِنَّكَ لَتُهْدَى»[3] بضم التاء؛ أي: لَـتُدْعَى إلى صراط مسـتقيم ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني ديـن الله ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا

---

(١) ينظر: الوسيط ٤/ ٢٣٢، الدر المنثور ٦/ ١٣، كنز العمال ١٢/ ٤٠٦.

(٢) هـذا الكـلام قاله الفراء في معانِي القـرآن ٣/ ٢٧، وقال الزجاج: «ولَـمْ يقل: جعلناهما؛ لأن المعنـى: ولكن جعلنا الكتابَ نُورًا، وهو دليل على الإيمـان». معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٠٤، وقـال النحاس: «ولَمْ يقـل: جعلناهما، فيكونُ الضميرُ للكتـاب أو للتنزيل أو الإيمـان، وأَوْلاها أن يكون للكتاب، ويُعْطَفَ الإيمانُ عليـه ويكونَ بغير حذف». إعراب القرآن ٤/ ٩٤.

(٣) هذه قراءة عاصم الجحدري وحَوْشَـبٍ، وعن الجحدري، أيضًا، وابن السَّـمَيْفَعِ أنهما قرآ: «لَـتُهْدِي» بضم التاء وكسـر الـدال، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٥، تفسـير القرطبي ١٦/ ٦٠، البحر المحيط ٧/ ٥٠٥.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ خلقـه وعبيـده في قبضتـه، وخفض «صِـراطِ اللهِ» على البدل من الأول، وهو بدل المعرفة من النكرة[1] ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ يعني: أمور الخلائق فِي الآخرة تصير إليه، فيجزيهم بأعمالهم.

فصل

رُوِيَ عن سـهل بن أَبِي الجَعْدِ أنه قال: احترق مصحفٌ فلم يبق منه إلّا قولـه: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ وغَرِقَ مصحفٌ فامَّحَى، فلم يبق منه إلّا قوله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [2]، والله أعلم.

* * *

(١) قال سـيبويه: «أما بَدَلُ المعرفة من النكرة فقولك: مررتُ بِرَجُلٍ عَبْدِ اللهِ، كأنه قيل له: بِمَنْ مَـرَرْتَ؟ أو ظَنَّ أنه يُقالُ لـه ذاك، فَأَبْدَلَ مَكانَهُ ما هو أعْرَفُ منه، ومثل ذلك قوله، عز وجل ذكره: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾». الكتاب ٢/ ١٤.

(٢) ينظر: الكشـف والبيـان ٨/ ٣٢٦، المحرر الوجيز ٥/ ٤٤، عيـن المعاني ورقة ١١٩/ أ، تفسير القرطبي ١٦/ ٦٠.

سورة الزخرف
مكّيّة

وهي ثلاثة آلاف وأربعمائة حرف، وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة، وتسع وثمانون آية.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الزُّخْرُفِ صَلَّتْ عَلَيْهِ مَلائِكةُ الرَّحْمةِ، واسْتَرْحَمُوا لَهُ، وَكانَ مِمَّنْ يُقالُ لَهُ يَوْمَ القِيامةِ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، ادْخُلُوا الجَنّةَ بِغَيْرِ/ حِسابٍ»[١].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قالَ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الزُّخْرُفِ كانَ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»[٢].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ أقْسَمَ اللهُ تعالى بالقرآن الذي أبانَ به طُرُقَ الهدى من طُرُقِ الضلالة، وأبانَ ما تحتاج إليه

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٢٧، الوسيط ٤/ ٦٣، الكشاف ٣/ ٤٩٩، مجمع البيان ٩/ ٦٦.
(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

الأمة من الشريعة ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ جواب القسم، والمعنى: إنا أنزلناه وبَيَّنّاهُ ووَصَفْناهُ وسَمَّيْناهُ قُرْآنًا عَرَبيًّا، كقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾[1]، وقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَٰٓئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ الرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾[2] ونَحْوِها من الآيات، كُلُّها بِمَعْنَى الوصفِ والتسميةِ[3]، ويستحيل أن يكون بمعنى الخَلْقِ، وهذا رَدٌّ على من يقول بخلق القرآن.

والهاء التي في ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ مفعولٌ أوَّلُ، و﴿قُرْءَانًا﴾ مفعولٌ ثانٍ، فهذه «جَعَلْنا» التي تتعدى إلَى مفعولين بمعنى صَيَّرْنا، ليست ﴿جَعَلْنا﴾ التي بمعنى خَلَقْنا؛ لأن تلك لا تتعدى إلاَّ إلَى مفعول واحد، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَٰتِ وَالنُّورَ﴾[4]، وفرَّقَت العربُ بينهما بما ذكرناه، وقوله: ﴿عَرَبِيًّا﴾؛ لأن من التنزيل ما هو عِبْرانِيٌّ وسُرْيانِيٌّ، وكتاب محمد ﷺ عَرَبِيٌّ يُقْرَأُ بالعربية، وهذا يدل على أنه إذا قُرِئَ بغير العربية لا يكون قرآنًا، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾؛ أي: لكي تعقلوا ما فيه وتَعُوهُ.

قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ الْكِتَٰبِ﴾ يعنِي أصْلَ الكتاب،

---

(١) المائدة ١٠٣.

(٢) الزخرف ١٩، وقد جاءت في الأصل: «أجعلتم عباد الرحمن إناثًا».

(٣) يعني أن الفعل «جَعَلَ» في هذه الآيات بمعنى صَيَّرَ أو وَصَفَ أو سَمَّى أو بَيَّنَ، وهذا رَدٌّ على من قال بأن القرآن مخلوق، وهم المعتزلة، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٩٧، الكشف والبيان ٨/ ٣٢٧-٣٢٨، عين المعانِي ورقة ١١٩/ أ، وقد جَوَّزَ الزمخشريُّ أن يكون ﴿جَعَلَ﴾ هنا بمعنى خَلَقَ؛ بناءً على مذهبه الاعتزالِيِّ، ينظر: الكشاف ٣/ ٤٧٧، وينظر: مفاتيح الغيب ٢٧/ ١٩٤، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٢٨، ١٦/ ٦١، البحر المحيط ٨/ ٧، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٤) من الآية الأولى سورة الأنعام، وينظر: الفريد للهمداني ٤/ ٢٥١، البحر المحيط ٨/ ٧.

وهو اللَّوْحُ المَحْفُـوظُ، قال الزَّجّاجُ[١]: أُمُّ الكتاب: أصل الكتاب، وأصل كل شيء: أُمُّهُ، والقرآن مُثْبَتٌ عند الله فِي اللوح المَحْفُوظِ، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[٢]، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿فِي إِمِّ الْكِتابِ﴾ بكسر الألف[٣].

وقولـه: ﴿لَدَيْنَا﴾؛ أي: عندنـا ﴿لَعَلِىٌّ﴾؛ أي: رفيع ﴿حَكِيمٌ ۝٤﴾؛ أي: مُحْكَمٌ من الباطل، ومُحْكَمٌ فِي نَظْمِهِ وتأليفه وصحة معانيه.

قولـه عـزّ وجـلّ: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾؛ أي: نصرفـه عنكـم، وهذا اسـتفهامٌ معناه الإنكارُ؛ أي: لا نفعل ذلك، يقـال: ضَرَبْتُ عنه، وأَضْرَبْتُ عنه: إذا تَرَكْتَهُ، وأَمْسَـكْتَ عنـه[٤]، والصَّفْحُ: مصدر[٥]، ويجوز أن يكون «صَفْحًا»/ بمعنى صافِحِينَ، كما يقال: جاءَ زَيْدٌ مَشْيًا، ويجوز أن يكون [١٤٤/ أ]
بمعنـى: ذَوِي صَفْحٍ، كما يقال: رَجُلٌ عَـدْلٌ؛ أي: عادِلٌ، وكذا: رَجُلٌ رِضًا[٦]، وهو من فصيحات القرآن، والعرب تقول لِمَنْ أَمْسَكَ عن الشيء: أَعْرَضَ عنه

---

(١) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٠٥.

(٢) البروج ٢١-٢٢.

(٣) هذه قراءتهما في الوصل فقط، فإذا ابْتَدَآ ضَمّاها كالباقين، ينظر: الإتحاف ٢/ ٤٥٣.

(٤) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٨، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٩٨، ومعانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٣٥.

(٥) يعني أنه مفعول مطلق من معنى «أَفَنَضْرِبُ»؛ لأنه بمعنى أَفَنَصْفَحُ، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٩٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨١، التبيان للعكبري ص ١١٣٧، البحر المحيط ٨/ ٨.

(٦) هذا الوجه والذي قبله قالهما النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٩٨، وعلى أنه بمعنى صافحين أو ذوي صفح يكون «صَفْحًا» حالًا، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨١، التبيان للعكبري ص ١١٣٧، الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٢٥٢، البحر المحيط ٨/ ٨.

صَفْحًا؛ أي: إعْراضًا، يقال: صَفَحْتُ عن فلان: إذا أعْرَضْتَ عنه، والأصل في ذلك أنك إذا أعرضت عنه وَلَّيْتَهُ صَفْحةَ عُنُقِكَ ووَجْهِكَ[1]، قال كثير عزة:

٢٢٢ ـ صَفُوحًا فَما تَلْقاكَ إلاَّ بَخِيلةً فَمَنْ مَلَّ مِنْها ذَلِكَ الوَصْلَ مَلَّتِ[2]

أي: معرضة بوجهها.

ومعنى الآية: أَفَنُمْسِكُ عن إنزال القرآن ونُهْمِلُكُمْ يا أهل مكة، فلا نأمركم ولا ننهاكم ولا نُعَرِّفُكُمْ ما يَجِبُ عليكم، من أجْلِ أنكم أسرفتم في كفركم[3]؟ وهو قوله: ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾؛ أي: مشركين، والإسراف: التجاوز في الحق.

قرأ أهل المدينة والكوفة إلّا عاصمًا: ﴿إِنْ﴾ بكسر الألف على معنى «إذْ»، كقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنْ

---

(١) قاله ابن قتيبة وابن الأنباري والنحاس، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٩٥، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٧١، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٣٦، وينظر أيضًا: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٣٩.

(٢) البيت من الطويل، لكثير، والرواية في ديوانه: «صَفُوحٌ» بالرفع.

التخريج: ديوانه ص ٩٨، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٩٥، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٧١، تهذيب اللغة ٤/ ٢٥٧، أمالِيُّ القالِي ٢/ ١٠٧، الكشف والبيان ٨/ ٣٢٨، المحرر الوجيز ٥/ ٤٦، روضة المحبين ص ٣٣٤، زاد المسير ٧/ ٣٠٢، أخبار النساء ص ٤١، عين المعانِي ورقة ١١٩/ أ، تفسير القرطبي ١٦/ ٦٣، اللسان: صفح، البحر المحيط ٨/ ٧، الكشكول ص ٦٢٩، التاج: صفح.

(٣) قاله ابن زيد وقتادة والسدي، ينظر: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٣٥، الوسيط ٤/ ٦٤، تفسير القرطبي ١٦/ ٦٢.

(٤) البقرة ٢٧٨.

﴿أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[١]، والكسر في «إِنْ» على أنه جزاءٌ اسْتَغْنَى عن جوابه بما تقدمه، كما تقول: أَنْتَ ظالِمٌ إِنْ فَعَلْتَ، كذا قاله الواحدي[٢]، وقرأ الآخرون بالفتح[٣] على معنى: لأَنْ كنتم، أراد معنى المُضِيِّ، قال الفراء[٤]: ومثله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ﴾[٥] تُقْرَأُ بالفتح والكسر[٦]، وقد تقدم ذكره في سورة المائدة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾؛ يعني: سألت قومك يا محمد ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ أقرُّوا

---

(١) النور ٣٣. وإنما تكون «أنْ» بمعنى «إذْ» على مذهب الكوفيين إذا كانت «أنْ» بفتح الهمزة، وأما على قراءة ﴿إِنْ كُنتُمْ﴾ فـ﴿إِنْ﴾ شرطية باتفاق البصريين والكوفيين. فهذا خلط من المؤلف، تَبِعَ فيه الواحِدِيَّ فيما قاله في الوسيط ٤/ ٦٤.
قال الفراء: «قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ﴾ قرأ الأعمش: ﴿إِنْ كُنتُمْ﴾ بالكسر، وقرأ عاصم والحسن: ﴿أَنْ كُنتُمْ﴾ بفتح ﴿أَنْ﴾، كأنهم أرادوا شيئًا ماضيا، وأنت تقول في الكلام: أَأَسُبُّكَ أَنْ حَرَمْتَنِي؟ تريد: إِذْ حَرَمْتَنِي، وتكسر إذا أردت: أَأَسُبُّكَ إِنْ حَرَمْتَنِي، ومثله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ﴾، تكسر «إِنْ» وتفتح». معانِي القرآن ٣/ ٢٧. وما قاله الفراء تُؤَيِّدُهُ قراءةُ ابنِ مسعودٍ وزيدِ بنِ عَلِيٍّ: ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾. انظر: شواذ القراءة ورقة ٢١٦، المحرر الوجيز ٥/ ٤٦، وأما البصريون فإن ﴿أَنْ﴾ عندهم في تأويل مصدر، أي: لكونكم قومًا مجرمين، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٤٧٢، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٠٥، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٣٦، الحجة للفارسي ٣/ ٣٦٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٩٢، البحر المحيط ٨/ ٨، الدر المصون ٦/ ٩٢.

(٢) الوسيط ٤/ ٦٤.

(٣) ينظر: السبعة ص ٥٨٤، الإتحاف ٢/ ٤٥٣.

(٤) معانِي القرآن ٣/ ٢٧.

(٥) المائدة ٢، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، ينظر: السبعة ص ٢٤٢، النشر ٢/ ٢٥٤.

بِعِزَّتِي وعِلْمِي، وهذا إخبارٌ عن غايةِ جَهْلِهِمْ، إذْ أقَرُّوا بأن الله خَلَقَ السماواتِ والأرضَ، ثم عَبَدُوا معه غَيْرَهُ، وأنْكَرُوا قُدْرَتَهُ على البعث، وقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ فُتِحَت اللام الأولى على الجواب[1]، وضُمَّت اللامُ التي قبل النون لأن فيه ضميرًا يعود عليه[2]، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3].

وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ يعني الأصناف كلها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ في البَحْرِ والبَرِّ ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ يعني: على ظهور ما جعل لكم، ذَكَّرَ الكناية؛ لأنه رَدَّ إلى لفظها[4]، وقال الفراء[5]: أضاف الظهور إلى الواحد لأن ذلك الواحد في معنى الجمع، كالجُنْدِ والجَيْشِ والرَّهْطِ والخَيْلِ ونحوها / من أسماء الجنس. [١٤٤/ ب]

وقوله: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على ظهورها ﴿وَتَقُولُوا۟﴾ أي: ولكي تقولوا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾؛ أي: ذَلَّلَ لنا هذا المَرْكَبَ ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ يعني: مُطِيقِينَ، ومعنى المُقْرِنِ: المطيق، يقال: أقْرَنْتُ لِهذا البَعِيرِ؛ أي: أطَقْتُهُ[6] ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ لراجعون في المَعادِ.

---

(١) يعني جواب القسم.

(٢) يعني واو الجماعة التي حذفت لالتقائها ساكنة مع نون التوكيد.

(٣) الزخرف ٨٧.

(٤) يعني: رد الضمير إلى لفظ ﴿ما﴾، قال الأخفش: «وقال: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾، فتذكيره يجوز على ﴿ما تَرْكَبُونَ﴾، و﴿ما﴾ هو مذكر، كما تقول: عندي من النساء ما يوافقك ويَسُرُّكَ». معاني القرآن ص ٤٧٢، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ١٠١، الوسيط ٤/ ٦٥، البحر المحيط ٨/ ٩.

(٥) معاني القرآن ٣/ ٢٨.

(٦) قاله الفراء وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨، غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٩٥، وينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٤١، تهذيب اللغة ٩/ ٩١.

فصل

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بَعِيرِهِ خارجًا فِي سَفَرٍ كَبَّرَ ثلاثًا، وقال: «سبحان الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كنا له مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ، اللهمّ إنا نسألك فِي سفرنا هذا البِرَّ والتقوى، والعمل بما ترضى، اللهم هَوِّنْ علينا سَفَرَنا هذا، واطْوِ عنا بُعْدَهُ، اللهم أنت الصاحب فِي السفر، والخليفة فِي الأهل، اللهم إنِّي أعوذ بك من وَعَثاءِ السفرِ[1]، وكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، وسُوءِ المَنْظَرِ فِي الأهل والمال والولد»، وإذا رجع قال: «آيبون تائبون لربنا حامدون»[2].

وقال قتادة[3]: «فِي هذه الآية عَلَّمَكُمْ رَبُّكُمْ كيف تقولون، إذا ركبتم في الفلك تقولون: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، وإذا ركبتم الإبل قلتم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾، وإذا نزلتم من الفلك والأنعام تقولون: اللَّهُمَّ أَنْزِلْنا مُنْزَلاً مُبارَكًا، وأنتَ خَيْرُ المُنْزِلِينَ».

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ﴾ يعني المشركين؛ أي: وَوَصَفُوا للهِ ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾؛ يعني: عِدْلاً ونَصِيبًا، وهو الوَلَدُ، حيث قالوا: الملائكة بنات

---

(١) وَعَثاءُ السَّفَرِ: شِدَّتُهُ ومَشَقَّتُهُ. اللسان: وعث.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٥٠، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٠٤ كتاب الحج: باب ما يقول إذا ركب إلى سفرِ الحج وغيره، وأبو داود في سننه ١/ ٥٨٥ كتاب الجهاد: باب ما يقول الرجل إذا سافر.

(٣) ينظر: جامع البيان ٢٥/ ٧٠، الكشف والبيان ٨/ ٣٢٩، الوسيط ٤/ ٦٥.

(٤) هود ٤١.

اللهِ، يقـال: أَجْـزَأَ الرَّجُلُ: إذا كان يُولَدُ له البناتُ، وأَجْـزَأَتِ المَرْأَةُ: إذا وَلَدَتِ البَناتِ[(١)]، قال الشاعر:

٢٢٣ـ إنْ أَجْزَأَتْ حُرّةٌ يَوْمًا فَلاَ عَجَبٌ قَدْ تُجْزِئُ الحُـرّةُ المِذْكارُ أحْيانا[(٢)]

ويقـال: لِفُلاَنٍ جُزْءٌ مِنْ عِيـالٍ؛ أي: بَناتٌ، وجُزَيّـةٌ أي: ذُكُورٌ، وقرأ أبو بكر: ﴿جُـزُؤًا﴾ بضم الزاي[(٣)] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ لَجَحُودٌ لِنِعَمِ اللهِ بَيِّنُ الكُفْرِ.

---

(١) هذا القول حكاه ابن قتيبة عن المفضل بن سلمة، وأنشد:

زُوِّجْتُهـا مِنْ بَناتِ الأَوْسِ مُجْزِئَةً لِلْعَوْسَـجِ اللَّدْنِ فِي أَبْياتِها زَجَلُ

تفسـير غريب القُرآن ص ٣٩٦، وقال الزجاج: «يعني الذين جعلوا الملائكةَ بناتِ الله، وقد أنشدنِي بعض أهل اللغة بَيْتًا يَدُلُّ على أن معنى جُزْءٍ معنى الإناث، ولا أدري آلبَيْتُ قديمٌ أم مصنوعٌ، أنشدنِي:

إِنْ أَجْزَأَتْ حُـرّةٌ يَوْمًا فَلاَ عَجَبٌ قَدْ تُجْزِئُ الحُـرّةُ المِذْكارُ أحْيانا

أي: إنْ أَنّـثْ، وَلَدَتْ أُنْثـى». معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٠٦-٤٠٧، وقال النحاس: «الذي عليه إجماع الحجة من أهل التفسـير واللغة أن الجُزْءَ النَّصِيـبُ». إعراب القرآن ٤/ ١٠١، وقـال الأزهري: «ولا أدري ما الجُزْءُ بمعنى الإناثِ، ولَمْ أجده في شعر قديم، ولا رواه عن العرب الثِّقاتُ، ولا يُعْبَأُ بالبيت الذي ذَكَرَهُ [يعني الزجاج]؛ لأنه مصنوع». تهذيب اللغة ١١/ ١٤٦، وينظر: الكشاف ٣/ ٤٨١.

(٢) البيت من البسيط، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٩٦، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٠٧، إعراب القرآن للنحـاس ٤/ ١٠١، إعراب القراءات السـبع ٢/ ٢٩٤، تهذيب اللغة ١١/ ١٤٥، تفسـير غريب القرآن للسجسـتانِيِّ ص ١٣٩، المحرر الوجيز ٥/ ٤٨، زاد المسير ٧/ ٣٠٥، عين المعانِي ورقة ١١٩/ ب، تفسـير القرطبي ١٦/ ٦٩، اللسان: جزأ، البحر المحيط ٨/ ١٠، الدر المصون ٦/ ٩٣، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٢٤٠، التاج: جزأ.

(٣) هذه قراءة أبِي بكر عن عاصم، ينظر: تفسـير القرطبي ١٦/ ٦٩، النشر ٢/ ٢١٦، الإتحاف ٢/ ٤٥٤.

ثم قال رَدًّا عليهم: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ الميم هاهنا صلة؛ أي: أتَّخَذَ الرَّبُّ عزّ وجلّ لنفسه مما يخلق بناتٍ؟ استفهام إنكار وتوبيخ / : [١٤٥/ أ] ﴿وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾؛ أي: اختَصَّكُمْ بالبَنِينَ، نظيره قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ ... الآية»[(١)].

ثم أخبر عنهم، وزاد في الاحتجاج عليهم، فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾؛ أي: مُتَغَيِّرًا﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ يعني مكروبًا من الحزن والغيظ، و﴿كَظِيمٌ﴾ أيضًا: حابِسٌ رِيقَهُ من الغَمِّ، يقال: كَظَمَ رِيقَهُ، فهو كاظِمٌ وكَظِيمٌ، والرِّيقُ مَكْظُومٌ.

ثم وَبَّخَهُمْ بما افْتَرَوْهُ، فقال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ هو مأخوذ من: أَنْشَأَهُ اللهُ؛ أي: ابْتَدَأَ خَلْقَهُ، قرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين على غير تسمية الفاعل؛ أي: يُرَبَّى في الحُلِيِّ، يعني: البنات، وهو رَدِيءٌ؛ لأنه لَمْ يُحْكَ في اللغة: نَشَّأَ بمعنى أَنْشَأَ، إلّا أن يقال: إنه في القياس مثل: بَلَّغَ وأَبْلَغَ، وفَرَّحَ وأَفْرَحَ[(٢)].

وقرأ الباقون بفتح الياء وجزم النون وتخفيف الشين[(٣)]؛ أي: يَنْبُتُ ويَكْبَرُ

---

(١) الإسراء ٤٠.

(٢) هذا معنى كلام الفارسي في الحجة ٣/ ٣٦٩، ولكن الفارسي لَمْ يقل: إن «نَشَّأ» رَدِيءٌ، وإنما ذكر أنه يمكن أن يكون قياسًا على فَرَّحَ وأَفْرَحَ، وغَرَّمَ وأَغْرَمَ، وقال ابن خالويه: «فأنْشَأْتُ ونَشَّأْتُ بمعنًى: إذا رَبَّيْتَ، يقال: قد نَشَأَ فلانٌ ونَشَّأَهُ غَيْرُهُ». إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٩٣، وينظر: الوسيط ٤/ ٦٧.

(٣) قرأ أبو بكر عن عاصمٍ، وابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وابنُ عامرٍ وأبو جعفر ويعقوبُ: ﴿يَنْشَأُ﴾ بالتخفيف مبنيًّا للفاعل، وقرأ ابنُ عباسٍ وزيدُ بنُ عَلِيٍّ والحَسَنُ، وحفصٌ عن عاصمٍ، وحمزةُ والكسائيُّ وخَلَفٌ والأعمشُ ومجاهدٌ والجحدريُّ والمفضلُ وأبانٌ، وأبو عمرو =

في الحِلْيةِ، يعني الزِّينةَ، وأراد النسـاء، وفي محـل ﴿مَنْ﴾ من الإعراب ثلاثة أوجه: الرفع على الابتداء[1]، والنصب على الإضمار، تقديره: أوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الحِلْيـةِ تَجْعَلُـونَ رَبًّا أو بَناتِ اللهِ[2]؟ والخفـض رَدًّا على قوله: ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ وقولِهِ: ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾[3].

قولـه: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ يعني: هـذا الولد الأنثى ضعيفٌ قَليلُ الحِيلةِ، وهو عنـد المُجادَلةِ والمخاصمة غير مُبِينٍ، ضعيفٌ عنها، وإنما قـال: ﴿وَهُوَ﴾ ولَمْ يقل: وهي، والمعنى فيه التانيث؛ لأنه حَمَلَهُ على ﴿مَنْ﴾، و﴿مَنْ﴾ مُذَكَّرٌ، فقد يكـون للذكر والأنثى والجمع، قيل: نزلت هذه الآية في ثلاثة أحياءٍ: بني سُـلَيْمٍ وكنانةَ وعامرٍ، وقيل: في خُزاعةَ قالوا: الملائكة بنات الله ـ تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا ـ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ يعنـي: حيـن خـرج مـن

= في رواية هارون عنه: «يُنَشَّأُ» مشددًا مبنيًّا للمفعول، ينظر: السبعة ص ٥٨٤، تفسير القرطبي ١٦/ ٧١، البحر المحيط ٨/ ١١، النشر ٢/ ٣٦٨، الإتحاف ٢/ ٤٥٤.

(١) ويكون الخبر محذوفًا، تقديره: أو من ينشأ فِي الحلية كَمَنْ ليس كذلك، وهذا ما قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٩، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠٢، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨٢.

(٢) والنصب بإضمار فعلٍ أجازه الفراء أيضًا، وبه قال الزجاج، واقتصر عليه، وعلى هذا الوجه يجـب أن يكـون التقدير: أجعلتـم أو أتجعلون من ينشـأ فِي الحلية... إلـخ؟ لا كما قدره المؤلـف: أومن ينشـأ فِي الحلية تجعلونـه رَبًّا... إلخ؟ لأن «مَنْ» على هـذا التأويل مبتدأ، و«تَجْعَلُونَـهُ» المقدر هو الخبر، ينظر: معانِي القرآن للفـراء ٣/ ٢٩، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٠٧، إعراب القرآن ٤/ ١٠٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨٢.

(٣) الخفض على الرَّدِّ، يعني البدل، أجازه الفراء أيضًا، في معانِي القرآن ٣/ ٢٩، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠٢، الفريد للهمداني ٤/ ٢٥٣، الدر المصون ٦/ ٩٤.

السَّــرَبِ[(١)]، وهو ابنُ سَبْعَ عَشْرةَ سَــنةً، رأى أباه وقومَه يعبدون الأصنامَ، فقال لهــم: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦)﴾؛ أي: بَــرِيءٌ، والبَراءُ مصــدر وُضِعَ موضع النعت، لا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ ولا يُؤَنَّثُ[(٢)]، ويريد بالمصدر الفاعل، وقرأ عبد الله ابن مسعود: «إِنَّنِي بَرِيءٌ» بالياء[(٣)]، قال ثعلب: أهل الحجاز يقولون: أنا منكم بَراءٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

ثم اسْــتَثْنَى خالِقَهُ مِن البَراءةِ، فقــال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾؛ أي: خَلَقَنِي، ومجــاز الآية: إنني بَراءٌ من كل معبود/ إلا الذي فطرني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾ [١٤٥/ ب] أي: يُرْشِدُنِي لِدِينِهِ، ومحل ﴿الَّذِي﴾ نصب على الاستثناء[(٤)]، ويجوز أن يكون «إِلَّا الَّذِي» منقطعًا مما قبله، فيكون مرفوعا بالابتداء، تقديره: أمّا الذي[(٥)].

---

(١) السَّرَبُ: حَفِيرٌ تحت الأرض، وقيل: بَيْتٌ تحت الأرض. اللسان: سرب.

(٢) يعني أن البَراءَ مصدر وُضِعَ موضع الوصف، يعني البَرِيء، قال الفراء: «والبَراءُ من قول الله تعالــى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، والاثنان والثلاثة والمؤنث في البَــراءِ مُوَحَّدٌ، تقول: نَحْنُ البَراءُ مِنْكَ، والنِّســاءُ أيضًا يَقُلْنَ: «نَحْنُ البَــراءُ مِنْكَ». المقصور والممدود للفراء ص ٤٥، وقــال النحاس: «ومن قرأ: «بَراءٌ» قال في الاثنين والجميع: بَراءٌ أيضًا، بمعنى: ذوي بَراءٍ». معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٤٨، وينظر: إعراب القرآن له ٤/ ١٠٥.

(٣) وهي قراءة الأعمش والمُطَّوِّعِيِّ أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٦، البحر المحيط ٨/ ١٣، الإتحاف ٢/ ٤٥٥.

(٤) يعني: على الاستثناء المتصل؛ لأنه كان في قومه مَنْ يَعْبُدُ الله، ويشرك معه غَيْرَهُ، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠٥، الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ٢٥٥، البحر المحيط ٨/ ١٣.

(٥) إذا جُعِلَ هذا اســتثناءً منقطعًا فإن ﴿ٱلَّذِى﴾ يكون مستأنَفًا في موضع رفع بالابتداء، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى «لَكِنْ»، والخبر جملة ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾؛ أي: لَكِنِ الَّذِي فَطَرَنِي، وقد بَقِيَ في ﴿ٱلَّذِى﴾ وجهان آخران غير ما ذُكِرَ، أحدهما: أن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ في موضع خفض على البدل من «ما» في قوله: ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: إلاَّ مِنَ الَّذِي فَطَرَنِي، والثانِي: أن «إِلَّا» بمعنى «غَيْر»، و﴿ما﴾ في قوله: ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ موصولةٌ، والتقدير: إنني براء من الذي تعبدون غَيْرِ الذي فَطَرَنِي، =

قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ يعني كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلّا الله، لا تزال باقيةً في ذُرِّيّةِ إبراهيم عليه السّلام إلى يوم القيامة، وقوله: ﴿فِي عَقِبِهِ﴾؛ أي: في نسله، وعَقِبُ الرَّجُلِ: الباقي من وَلَدِهِ ومَنْ بَعْدَهُ، وآخِرُ كُلِّ شَيْءٍ: عَقِبُهُ، وعَقِبُ القَدَمِ: مُؤَخَّرُها الذي يُمْسِكُ شِراكَ النَّعْلِ العَرَبِيِّ. قال الأصمعي: ومن العرب من يسكن القاف من «عَقْبِهِ»[1]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾؛ أي: لكي يرجعوا من الكفر إلى الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني كفار مكة ﴿لَوْلَا﴾؛ أي: هَلَّا ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ وهذا عطف البيان الذي يقوم مقام النعت لـ«هَذا»، وهذا قول سيبويه[2]، وقال غيره[3]: هو نعت يعني: «الْقُرْآنُ» نعت لـ«هَذا»، اسمُ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ.

وقوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ يعني مكة والطائف، و﴿عَظِيمٍ ۝٣١﴾ نعت لـ«رَجُلٍ»، وليس الرَّجُلُ يكون من القَرْيَتَيْنِ، ولَكِنَّ حقيقته في العربية: على رَجُلٍ مِنْ رَجُلَيِ القريتينِ، ثم حُذِفَ كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[4]؛

= ينظر: الكشاف للزمخشري ٣/ ٤٨٤، الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ٢٥٥، البحر المحيط ٨/ ١٣، الدر المصون ٦/ ٩٦، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٢٥١، ٢٥٢.

(١) قال الجوهري: «وفيها لغتان: عَقِبٌ وعَقْبٌ بالتسكين». الصحاح ١/ ١٨٤، وقد قرأ بها إسحاق الأزرق كما ذكر الكرماني في شواذ القراءة ورقة ٢١٧، وينظر: البحر المحيط ٨/ ١٣.

(٢) الكتاب ٢/ ١٨٩-١٩٣.

(٣) قاله أكثر العلماء، ينظر: المقتضب للمبرد ٤/ ٢٦٥، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠٦، سر صناعة الإعراب ص ٣٥٧، ٤٦٨.

(٤) يوسف ٨٢، ومن أول قوله: «وليس الرجل يكون» قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٠٦، وفي معاني القرآن ٦/ ٣٥٢.

أي: سَلْ أهْلَ القَرْيةِ، وعَنَى بالرجلين الوليدَ بنَ المغيرة، كان عظيمَ أهلِ مكة في الشرف، وأبا مسعود الثقفيَّ[١] عظيمَ أهل الطائف، واسمه عمرو بن عمير بن عوف، جَدُّ المُخْتارِ[٢]، وقيل: هو عروة بن مسعود الثقفي، قاله الواحدي[٣].

ثم قال تعالى رَدًّا عليهم، وإنكارًا لِما قالوا: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يريد: توبته وكرامته، استفهام إنكار، والمعنى: أبِأيْدِيهِمْ مَفاتِيحُ الرسالة فيضعوها حيث شاؤوا؟ لكنها بِيَدِي أَخْتارُ لَها مَنْ أشاءُ من عبادي، فاختار الله تعالى أفضلَ مما اختاروا لأنفسهم، وهو محمدٌ ﷺ الأُمِّيُّ القُرَشِيُّ الأبْطَحِيُّ الزَّمْزَمِيُّ، سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغُرِّ المُحَجَّلِينَ إلَى جنات النعيم، المُخْتَصُّ بالنعمة، والمؤيد بالقوة، والمنتخب للأمة، والمصطفى للرسالة، نُورُ اللهِ في أقطارِ مَنْ تُظِلُّهُ السَّماءُ، وتُقِلُّهُ الأرضُ ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم ـ.

ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ يعني: لَمْ نُعْطِ الوليدَ بن المغيرة وأبا مسعود الثقفيَّ الذي أعطيناهما من الغِنَى لكرامتهما علينا، ولكنه قَسْمٌ من الله بينهما: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾؛ يعني: فضائل

---

(١) هو عروة بن مسعود بن مُعَتِّب الثَّقَفِيُّ، صحابِيٌّ مشهور، كان كبيرَ قومِهِ بالطائف، ولما أسلم استأذن النَّبِيَّ ﷺ أن يرجع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام، فخشي عليه النبي أن يقتلوه، فلما أذن له النبي ﷺ ورجع إليهم قتلوه سنة (٩هـ). [أسد الغابة ٣/ ٤٠٥-٤٠٦، الإصابة ٤/ ٤٠٦-٤٠٨، الأعلام ٤/ ٢٢٧].

(٢) هو المختار بن أبِي عبيد بن مسعود الثقفيُّ، أبو إسحاق، من زعماء الثائرين على بني أمية، وأحد الشجعان الأفذاذ، ولما قُتِلَ الحسين بن عَلِيٍّ قام يطالب بدمه، ثم شاع في الناس أنه ادّعى النبوة ونزولَ الوحي، فقاتله مصعب بن الزبير، وقتله سنة (٦٧هـ). [الأعلام ٧/ ١٩١].

(٣) الوسيط ٤/ ٧٠.

فِي الغِنَى، و﴿دَرَجَٰتٍ﴾ في موضع نصبٍ، مفعولٌ ثانٍ حُذِفَتْ منه «عَلَى»[1]؛ والمعنى: فَضَّلْنا بعضهم على بعض في الرزق: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾؛ أي: لِيُسَخِّرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، ويَسْتَخْدِمَ الأغنياءُ بأموالهم الفقراءَ؛ لِيَلْتَئِمَ قِوامُ أمْرِ العالَمِ بِمالِ الأغنياءِ وعَمَلِ الفقراءِ[2]، وكل مَنْ عَمِلَ لِرَجُلٍ عَمَلًا فقد سُخِّرَ له، سواء كان بِأُجْرةٍ أو بغير أُجْرةٍ ﴿وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ﴾ يعني الجنة ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ في الدنيا من الأموال، يعني الكفار.

فصل

عن عبد الله بن مسعود قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله قَسَمَ بينكم أخلاقَكُمْ كما قَسَمَ بينكم أرزاقَكُمْ، وإن الله يعطي الدنيا مَنْ أَحَبَّ ومَنْ لَمْ يُحِبَّ، ولا يُعْطِي الدِّينَ إلّا مَنْ أَحَبَّ، فمن أعطاه الدِّينَ فقد أَحَبَّهُ»[3].

ثم ذَكَّرَهُم اللهُ بِهَوانِ الدنيا عليه، فقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ يعني مِلّةً واحدة مجتمعين على الكفر، وقيل: في طلب الدنيا واختيارِها على العُقْبَى، قال الفراء[4]: ﴿أَنْ﴾ في موضع رفع.

وقوله: ﴿لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ﴾ اللام في ﴿لَجَعَلْنا﴾ جواب ﴿لَوْلا﴾، وهي لام التمني، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٠٧.

(٢) قاله الواحدي في الوسيط ٤/ ٧١، وقِوامُ الشَّيْءِ: عِمادُهُ وما لا يستقيم إلّا به. اللسان: قوم.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٨٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٣، ٣٤ كتاب الإيمان، ٢/ ٤٤٧ كتاب التفسير: سورة الزخرف، ٤/ ١٦٥ كتاب البر والصلة: باب «إن الله لا يعطي الإيمانَ إلّا مَنْ يُحبُّ».

(٤) معاني القرآن ٣/ ٣١.

جعفر وحُمَيْدٌ[١] ويحيى: ﴿سَــقْفًا﴾ بفتح السين وسكون القاف على الواحد، ومعناه الجمع، وقرأ الباقون بضم السـين والقاف على الجمع[٢]، يقال: سَقْفٌ وسُقُفٌ، ورَهْنٌ ورُهُنٌ، وفَرَسٌ وَرْدٌ وخَيْلٌ وُرُدٌ، وقيل: هو جمع سَقِيفٍ، وقيل: هو جمع سُقُوفٍ، جَمْعُ الجَمْعِ[٣].

قولــه: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾؛ يعنـي دَرَجًـا عليهـا يرتفعون، ويصعدون عليها إلى السـقوف، الواحدة: مِعْرَجةٌ، وقيـل[٤]: واحدها: مَعْرَجٌ ومِعْراجٌ، وهي مأخوذة من الارتفاع، يقال: هو يَعْرُجُ إليه؛ أي: يَصْعَدُ إليه، وقرأ أبــو رجاء العُطارِدِيُّ: «وَمَعارِيجَ»[٥]، وهما لغتان، واحدها مِعْراجٌ، مثل مفتاح ومفاتيح ومَفاتِحَ[٦].

والظُّهورُ: الارتفاع، ومنه سُــمِّيَتِ الظاهرةُ، وظاهِرُ الشـيءِ: ما بَدا منه، وباطنه: ما خَفِيَ منه، تقول: اسْتَتَرَ عَنِّي وَلَمْ يَظْهَرْ، ويقال: ظَهَرْتُ على السَّقْفِ:

---

(١) هو حُمَيْدٌ الأعرجُ، وقد سبقت ترجمته ١/ ٣١٣.

(٢) وقرأ بالإفراد أيضًا: الحَسَنُ وابنُ مُحَيْصِنٍ وشبل بن عباد ومجاهد، ينظر: السبعة ص٥٨٥، تفسير القرطبي ١٦/ ٨٤، البحر المحيط ٨/ ١٥، الإتحاف ٢/ ٤٥٦.

(٣) هذه الأقوال الثلاثة في جمع السُّقُفِ قالها الفراء في معانِي القرآن، وقال: «وإن شئتَ جعلته جمع سقيفة». معاني القرآن ٣/ ٣٢، وينظر أيضًا: إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٩٦-٢٩٧، الحجة للفارسي ٣/ ٣٧٥.

(٤) قالــه الأخفش والزجاج، ينظر: معانِــي القرآن للأخفش ص ٤٧٢، معانِــي القرآن وإعرابه ٤/ ٤١١، وحـكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ١/ ٣٥٥، وينظر أيضًا: الكشـف والبيان ٨/ ٣٣٣.

(٥) وهــي قراءة طلحة بن مصرف أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٦، تفسـير القرطبي ١٦/ ٨٥، البحر المحيط ٨/ ١٥.

(٦) قاله الأزهري في تهذيب اللغة ١/ ٣٥٥، وينظر: الصحاح ١/ ٣٢٨.

إذا عَلَوْتَهُ[١]، قال النابغة الجعدي:

[١٤٦/ ب] **٢٢٤ - بَلَغْنا السَّما مَجْدًا وَعِزًّا وَسُؤْدَدًا ... وَإنّا لَنَرْجُو/ فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرا[٢]**

قولـه: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ﴾؛ أي: وَلَجَعَلْنا لِبُيُوتِهِمْ ﴿أَبْوَابًا﴾ من فضة ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يعني: ينامون، والسُّرُرُ: جمع سرير، والاتِّكاءُ: هو التحامل على الشيء، ﴿وَزُخْرُفًا﴾؛ أي: وَلَجَعَلْنا لَهُمْ زُخْرُفًا، وهو الذَّهَبُ، نظيره: ﴿بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾[٣]، ويجوز أن يكون منصوبًا بِنَزْعِ الخافض؛ معناه: من فضة وزُخْرُفٍ، فلما نُزِعَ الخافضُ نُصِبَ، والقول الأول أولى بالصواب[٤].

قال الحسن[٥]: الزخرف: النقوش، والزخرف: كل مُزَخْرَفٍ أو مُزَيَّنٍ،

---

(١) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٣٩٧.

(٢) البيت من الطويل، من قصيدة أنشدها النابغةُ الجعديُّ بين يدي النبي ﷺ، ولصدره رواياتٌ أخرى، ورواية ديوانه:

بَلَغنا السَّماءَ مَجدَنا وَجُدُودَنا

التخريج: ديوانه ص ٧١، الزاهر ١/ ١٧٥، العمدة ١/ ٥٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٨٥، الكشف والبيان ٨/ ٣٣٣، محاضرات الأدباء ١/ ٧٩، اللسان: ظهر، الحماسة البصرية ص ٢١، عين المعانِي ورقة ١١٩/ ب، التذكرة الحمدونية ٦/ ٤٢، المقاصد النحوية ٤/ ١٩٣، خزانة الأدب ٣/ ١٦٩، ٧/ ٤١٩.

(٣) من قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾. الإسراء ٩٣.

(٤) الوجهان قالهما الفراء والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٣٢، إعراب القرآن ٤/ ١٠٩، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٥٥، ٣٥٦،، وينظر أيضا: كشف المشكلات ٢/ ٢٩٧، الفريد ٤/ ٢٥٧.

(٥) ينظر قوله في عين المعانِي ورقة ١١٩/ ب، وتفسير القرطبي ١٦/ ٨٧.

يقـال: زَخْرَفَ الرَّجُلُ بناءَهُ: إذا زَيَّنَهُ وحَسَّـنَهُ، ويقال[١]: زُخْرُفُ الدُّنْيا الذَّهَبُ والفِضّةُ، قال الشاعر:

٢٢٥ ـ زَخارِفَ أشْباهًا بِحالِ دُمُوعِها سَـواطِعَ جَمْرٍ مِـنْ لَظًـى تَتَلَهَّبُ[٢]

قولـه: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ يعنـي: ومـا كل ذلك الذي ذكرنا إلا متاع الحياة الدنيا، يتمتعون فيها قليلًا، إلا أنها تزول وتذهب.

قرأ حمزة وعاصم وهشـام: ﴿لَمّا﴾ بالتشديد على معنى: وما كل ذلك إلّا متـاع الحياة الدنيا[٣]، ويُقَوِّي هذه القِـراءةَ أن فِي حرف أُبَيٍّ: ﴿وَما ذَلِكَ إلَّا مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا﴾، وخففه الباقون[٤]على معنى: وكُلٌّ ذلك مَتاعُ الحياة الدنيا، فيكون ﴿كُلٌّ﴾ ابتداءً، و﴿لَما﴾ لغوًا وصلةً، واللام للتوكيد عند البصريين[٥]، وهي عند

---

(١) قاله الشعبي، ذكر ذلك النحاسُ في إعراب القرآن ٤/ ١٠٩.

(٢) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: عين المعانِي ورقة ١١٩/ ب.

(٣) هـذا التأويل موافق لِمَذْهَبِ الكوفيين، فهم يجعلـون «إنِ» المخففةَ من الثقيلة نافية بمعنى «مـا»، ويجعلـون الـلام الفارقة بمعنـى «إلّا»، وهذا ما ذهـب إليه الزجاج أيضًـا، وأجازه الفارسي، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤١١، المسائل المشكلة ص ٣٨٣-٣٨٨.

(٤) قرأ عاصمٌ وحمزةُ، وابنُ عامر في روايةِ هشامٍ عنه، والحسنُ وطلحةُ وابنُ جَمّازٍ والأعمشُ وعيسـى بـنُ عمر: ﴿لَمّا﴾ بالتشـديـد، وقـرأ أُبَيٌّ: ﴿وَمـا ذَلِكَ إلّا مَتاعُ الْحَيـاةِ الـدُّنْيا﴾، وقـرأ الباقون، وابنُ عامر في رواية ابن ذكوان عنه: ﴿لَما﴾ بالتخفيف، السـبعة ص ٥٨٦، المحتسـب ٢/ ٢٥٥، تفسير القرطبي ١٦/ ٨٧، البحر المحيط ٨/ ١٦، النشر ٢/ ٢٩١، الإتحاف ٢/ ٤٥٦.

(٥) ينظر قولهم في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠٩، اللامات للزجاجي ص ١١٧، وإليه ذهب الفارسي في المسائل العضديات ص ٦٩.

الكوفيين بمعنى «إلّا»، و«ما» زائدة للتوكيد، وهي عند بعض النحويين نكرة بمعنى شيء[١].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ﴾ يعني دار الآخرة، وهي الجنة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٣٥﴾ خاصة لهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: يُعْرِضْ عن القرآن، وهو شرط وجزاء ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ جواب الشرط، يقال: عَشَوْتُ إلى النّارِ أعْشُو عَشْوًا؛ أي: قَصَدْتُها مُهْتَدِيًا بها، وعَشَوْتُ عَنْها: أعْرَضْتُ عنها، قال الخليل بن أحمد[٢]: العَشْوُ: النظر ببصر ضعيف، وأنشد للحطيئة:

٢٢٦ ـ مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلَى ضَوْءِ نارِهِ تَجِـدْ خَيْرَ نارٍ عِنْدَها خَيْـرُ مُوقِدِ[٣]

---

(١) وإذا كانت نكرة بمعنى شيء، فـ«متاع» بدل من «ما»، ذكره النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٠٩، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨٣.

(٢) قال الخليل: «العَشْوُ: إتْيانُكَ نارًا ترجو عندها خيراً وهدًى، عَشَوْتُها أعْشُوها عَشْواً وعُشُوًّا، قال الحطيئة:

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلَى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عِنْدَها خَيْـرُ مُوقِدِ

والعاشيةُ: كلُّ شيءٍ يعشو إلى ضوء نارٍ بالليل كالفَراشِ وغيره». العين ٢/ ١٨٧.

(٣) البيت من الطويل للحطيئة، ونُسِبَ للنابغة الذبيانِيِّ، ونسب لعبيد الله بن الحُرِّ الجُعْفِيِّ من قصيدة قالها لَمّا حبسه مصعب بن الزبير.

التخريج: ديوان الحطيئة ص ٥١، ملحق ديوان النابغة ص ٢٢٩، الكتاب ٣/ ٨٦، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٢٧٣، مجاز القرآن ٢/ ٢٠٤، إصلاح المنطق ص ١٩٨، المقتضب ٢/ ٦٣، شرح أبيات سيبويه ٢/ ٦٥، الحلل ص ٢٨٦، أماليّ ابن الشجري ٣/ ١٢، شرح الجمل لابن بابشاذ ١/ ٣٣٣، شرح المفصل ٢/ ٦٦، ٤/ ١٤٨، ٧/ ٤٥، ٥٣، القرطبي ٣/ ٤٢٤، ١٥/ ١٠، ١٦/ ٨٩، شرح الكافية للرضي ٤/ ١٢٥، المقاصد النحوية ٤/ ٤٣٩، الخزانة ٣/ ٧٤، ٥/ ٢١٠، ٧/ ١٥٦، ٩/ ٩٢: ٩٤.

وقال آخر/ :

٢٢٧ ـ مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نارِهِ   إذا الرِّيحُ هَبَّتْ والمَكانُ جَدِيبُ[١]

وقال آخر:

٢٢٨ ـ مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نارِهِ   تَجِدْ حَطَبًا جَزْلاً وَنارًا تَأَجَّجا[٢]

قرأ العامة: ﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾ بضم الشين، ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿يَعْشَ﴾ بفتح الشين[٣]، ومعناه: يَعْمَ، يقال منه: عَشِي يَعْشَى عَشًا: إذا عَمِيَ، ورَجُلٌ له عَشًا، ومنه قول الأعشى:

٢٢٩ ـ رَأَتْ رَجُلاً غائِبَ الوافِدَيْـ   ـنِ مُخْتَلِفَ الخَلْقِ أَعْشَى ضَرِيرا[٤]

---

(١) البيت من الطويل للحطيئة، يمدح سعيد بن العاص، ورواية ديوانه:

فَنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نارِهِ

التخريج: ديوانه ص ٨٨، الشعر والشعراء ص ٣٢٦، الأغاني ١٦/ ٤٢، مختارات ابن الشجري ص ٥٣٤، عين المعاني ١١٩/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٨٩، خزانة الأدب ٨/ ١٢٦.

(٢) البيت من الطويل لعبيد الله بن الحُرِّ الجُعْفِيِّ، ويُرْوَى صدرُه:

مَتَى تَأْتِنا تُلْمِمْ بِنا فِي دِيارِنا

اللغة: الحطب الجَزْلُ: اليابس.

التخريج: الكتاب ٣/ ٨٦، معاني القرآن للأخفش ص ٤٧٣، المقتضب ٢/ ٦٣، شرح أبيات سيبويه ص ٢/ ٦٦، سر صناعة الإعراب ص ٦٧٨، المحرر الوجيز ٥/ ٥٥، الإنصاف ص ٥٨٣، شرح الجمل لابن بابشاذ ٢/ ١٨٤، شرح المفصل ٧/ ٥٣، ١٠/ ٢٠، رصف المباني ص ٣٢، ٣٣٥، اللسان: نور، همع الهوامع ٣/ ١٥٣، خزانة الأدب ٩/ ٩٠، ٩٩.

(٣) وهي أيضًا قراءة عكرمة ويحيى بن سلام البصري، ينظر: القرطبي ١٦/ ٨٩، البحر ٨/ ١٦.

(٤) البيت من المتقارب، للأعشى، من قصيدة يمدح بها هَوْذَةَ بن عَلِيٍّ الحَنَفِيَّ، ورواية ديوانه:

رَأَتْ رَجُلاً غائِرَ الوافِدَيْـ   ـنِ مُخْتَلِفَ اللَّوْنِ أَعْشَى ضَرِيرا =

ويقال أيضًا: عَشِيَ الرَّجُلُ يَعْشَى عَشًى، فهو أعْشَى: إذا لَمْ يُبْصِرْ بالليل[١]، وقيل[٢]: معنى قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: يُظْلِمْ بَصَرُهُ عنه كَأنّ عليه غِشاوةً.

يقال[٣]: عَشَوْتُ إلى النار أعْشُو عَشْوًا، فأنا عاشٍ: إذا اسْتَدْلَلْتَ إليها بِبَصَرٍ ضَعِيفٍ، و﴿يَعْشُ﴾ في موضع جزم بالشرط، وعلامة الجزم فيه حذف الواو، وهو مشتق من العشا[٤]، وجوابه: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾؛ أي: نُسَلِّطْهُ عليه ونُسَهِّلْهُ له ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ فلا يفارقه ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾

أي: وإن الشياطين يَمْنَعُونَ الكافرين عن سبيل الهدى، وإنما جمع الكناية لأن قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ فِي مذهب جَمْعٍ، وإن كان اللفظ على الواحد[٥].

= **اللغة**: الوافد: القادم، ويقال للرجل إذا هَرِمَ: غاب وافداه، وهما الناشزانِ من الخدَّيْنِ عند المَضْغ، فإذا هَرِمَ الإنسانُ غاب وافداه، مختلف الخَلْقِ: مُتَغَيِّر غَيَّرَتْهُ الحوادثُ عَمّا عُهِدَ عنه، الأعشى: الذي لا يبصر ليلًا.

التخريج: ديوانه ص ١٤٥، مقاييس اللغة ٦/ ١٢٩، مجمل اللغة ٢/ ٩٣٢، الكشف والبيان ٨/ ٣٣٤، أساس البلاغة: وفد، تفسير القرطبي ١٦/ ٨٩، التاج: وفد.

(١) قال ثعلب: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: يَضْعُفْ نَظَرُهُ فيه، قال الأصمعي: لا يَعْشَى إلّا بعد ما يَعْشُو، وإذا ذَهَبَ بَصَرُهُ قيل عَشِيَ يَعْشَى، وإذا ضَعُفَ بَصَرُهُ قيل: عَشا يَعْشُو». مجالس ثعلب ص ٣٩٩، وينظر: تفسير غريب القرآن للسجستاني ص ١٤٠.

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٠٤، وحكاه عنه ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٣٩٧.

(٣) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٣٩٨.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١١٠.

(٥) قاله الواحدي في الوسيط ٤/ ٧٢، وينظر: الكشاف ٣/ ٤٨٨.

قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾؛ يعني: يَحْسَبُ كُفَّارُ بَنِي آدم أَنَّهُمْ على هدى.

فصل

عن أَبِي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بـ«لا إله إلّا الله» والاستغفارِ، فَأَكْثِرُوا منهما، فإن إبْلِيسَ قال: أهلكتُ الناسَ بالذنوب، فأهلكوني بـ«لا إله إلّا الله» والاستغفارِ، فلما رأيتُ ذلك أهلكتُهُمْ بالأهواء، وهم يحسبون أنهم مهتدون»[1].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ قرأ أهل العراق وابنُ مُحَيْصِنٍ على الواحد، يعنون الكافر، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو بكر على التثنية[2]، يعنون الكافرَ وقَرِينَهُ، جُعِلا في سلسلة واحدة، ورُوِيَ أن الكافر إذا بُعِثَ يوم القيامة من قَبْرِهِ أَخَذَ بيده شَيْطانٌ، فلم يفارقه حتى يُصَيِّرَهُما اللهُ إلى النار[3]، فذلك حين يقول الكافر للشيطان: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ يعني: فبئس الصاحبُ والمُقارِنُ في النار، والمعنى: بُعْدُ ما بين

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ص ٩، وينظر: الوسيط ٤/ ٧٣، مجمع الزوائد ١٠/ ٢٠٧ كتاب التوبة: باب ما جاء في الاستغفار، الجامع الصغير ٢/ ١٧٦، الدر المنثور ٢/ ٧٨، ٦/ ٦٢، كنز العمال ١/ ٤٢٠.

(٢) وهي، أيضًا، قراءة أبي جعفر وابن محيصن وشيبة وقتادة والزهري والجحدري والسلمي والحسن وورش، ينظر: السبعة ص٥٨٦، القرطبي١٦/ ٩٠، البحر ٨/ ١٧، الإتحاف ٢/ ٤٥٦، ٤٥٧.

(٣) حكاه النحاس عن سعيدٍ الجُرَيْرِيِّ في معاني القرآن ٦/ ٣٥٨، وينظر: الوسيط ٤/ ٧٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٩٠.

المشــرق والمغرب، فَغُلِّبَ لَفْظُ المَشْرِقِ كما يُقالُ للغَداةِ والعَشِيِّ: العَصْرانِ، قال حميد بن ثور(١):

٢٣٠ ـ وَلَنْ يَلْبَثَ العَصْرانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً إذا طَلَبا أنْ يُدْرِكا ما تَيَمَّما(٢)

ويقال لأبِي بكر وعُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ: العُمَرانِ، ولِلسِّبْطَيْنِ: الحَسَنانِ، ويقال للشمس والقمر: القَمَرانِ، قال الشاعر:

٢٣١ ـ أخَذْنا بِآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ لَنا قَمَراها والنُّجُومُ الطَّوالِعُ(٣)

---

(١) حُمَيْدُ بن ثَوْرِ بن حَزْنٍ الهِلَالِيُّ، أبو المُثَنَّى العامِرِيُّ، شاعر مخضرم، شهد حُنَيْنًا مشركًا، ثم أسلم ووفد على النبي، وأدرك زمن عثمان، وقيل: أدرك زمن عبد الملك بن مروان، وعده ابنُ سَلَّامٍ في الطبقة الرابعة من الإسلاميين. [الشعر والشعراء ص ٣٩٧-٤٠١، طبقات فحول الشعراء ص٥٨٣-٥٨٤، الأعلام ٢/ ٢٨٣].

(٢) البيت من الطويل، لحميد بن ثور، ورواية ديوانه: «وَلَا يَلْبَثُ»، ويُرْوَى: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ» بالرفع على البدلية، ومعنى «تَيَمَّما»: قَصَدا.

التخريج: ديوانه ص ٨، إصلاح المنطق ص ٣٩٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٩، الحجة للفارسي ٤/ ١٤٣، أمالِيُّ القالِي ١/ ٢٣٣، الكشف والبيان ١٠/ ٢٨٣، بهجة المجالس ١/ ٩٢، ٢٣٨، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص ١٦٠، المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٠، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٧٩، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٣٣١، اللسان: عصر، البحر المحيط ٨/ ٥٠٧، الدر المصون ٦/ ٥٦٧، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٤٨٤.

(٣) البيت من الطويل للفرزدق، يفخر بنفسه وبقومه.

اللغة: أراد بالقَمَرَيْنِ هنا: محمدًا وإبراهيمَ، عليهما السلام، وأراد بالنجوم هنا: الخلفاء المهتدين.

التخريج: ديوانه ١/ ٤١٩، معانِي القرآن للفراء ٣/ ٣٣، المقتضب ٤/ ٣٢٦، الكامل للمبرد ١/ ١٤٣، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤١٢، مجالس العلماء ص ٣١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٩٨، الحلل ص ٨٥، أمالِيُّ ابن الشجري ١/ ١٩، ٢/ ٤٢٤، عين المعانِي ورقة ١١٩/ ب، ١٢٧/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٧٥، ١٦/ ٩١، ١٩/ ٢٤١، اللسان: شرق، عني، قبل، مغني اللبيب ص ٩٠٠، شرح شواهد المغني ص ١٣، ٩٦٤، خزانة الأدب ٤/ ٣٩١، ٩/ ١٢٨.

يعني: الشمس والقمر، ويقال للكوفة والبصرة: البَصْرَتانِ والمِصْرانِ، قال الشاعر:

٢٣٢ ـ وَبَصْرةُ الأزْدِ مِنّا والعِراقُ لَنا والمَوْصِلَانِ وَمِنّا مِصْرُ والحَرَمُ[(١)]

أراد: المَوْصِلَ والجَزِيرةَ، والبَصْرةَ والكُوفةَ[(٢)].

وقال بعضهم[(٣)]: أراد بالمشرقين: مشرق الصيف ومشرق الشتاء، كقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[(٤)]. قال الفراء[(٥)]: والأول أشبه الوجهين بالصواب.

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ يا محمد بأن نُمِيتَكَ قبل أنْ نُعَذِّبَهُمْ ﴿فَإِنَّا مِنْهُم﴾ يعني كفار مكة ﴿مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ يعني: بالقتل يوم بدر، دخلت «ما» توكيدًا للشرط، والنون الثقيلة في قوله: ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ دخلت أيضًا توكيدًا، وإذا دخلت «ما» دخلت معها النون كما تدخل مع لام القَسَمِ[(٦)]، والمعنى: إنّا نَنْتَقِمُ منهم إنْ نَتَوَفَّيَنَّكَ.

---

(١) البيت من البسيط لرجل من طيء، ويُرْوَى: «وَمِنّا المِصْرُ والحَرَمُ».
التخريج: معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٤، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٥٠٤، الصحاح ص ١٨٤٣، أماليُّ المرتضى ٢/ ١٤٨، معجم البلدان ٥/ ٢٢٤، زاد المسير ٧/ ٣١٦، اللسان: وصل، التاج: وصل.

(٢) قاله الطبري والزجاج والنحاس، ينظر: جامع البيان ٢٥/ ٩٥، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤١٢، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٦٠، ٣٦١، وينظر أيضًا: الكشف والبيان ٨/ ٣٣٥.

(٣) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٤٣، وهو قول آخر للنحاس، قاله في معاني القرآن ٦/ ٣٦٠، وينظر: عين المعاني ورقة ١١٩/ ب، الفريد للهمداني ٤/ ٢٥٨.

(٤) الرحمن ١٧.

(٥) وهو أنه أراد المشرق والمغرب، فغلب لفظ المشرق، ينظر: معاني القرآن ٣/ ٣٣.

(٦) هذا كلام الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤١٣، وهو مذهبه في أن «ما» إذا زيدت =

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ ووعدناك فيهم من النصر ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾؛ أي: قادرون عليهم، مَتَى شِئْنا عَذَّبْناهُمْ، ثم أُرِيَ ذلك يَوْمَ بَدْرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴿٤٥﴾﴾ الآية، اختلف العلماء في هؤلاء المسؤولين، فقال أكثر المفسرين[1]: هم مؤمنو أهلِ الكتابِ، قالوا: وفي قراءة عبد الله وأُبَيٍّ: ﴿وَسَلِ الَّذِينَ أرْسَلْنا إلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنا﴾[2]،

= على «إنِ» الشرطيةِ لَزِمَ أن تلحق نُونُ التوكيد فِعْلَ الشرط، وقد ذكر الزجاج ذلك، أيضًا، عند تناوله لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [البقرة ٣٨] في معانِي القرآن وإعرابه ١/ ١١٧. وقد نَسَبَ الفارِسِيُّ للمُبَرِّدِ أنه يُوجِبُ تأكيدَ فِعْلِ الشرط بنون التوكيد مع «ما»، ذكر ذلك في المسائل المشكلة ص ٣١١، والإغفال ١/ ١٣١، ١٣٢.

ولكن مذهب سيبويه أن هذا التأكيد بالنون مع «ما» غير واجب، بل يجوز التوكيد بالنون ويجوز ترك التوكيد، قال سيبويه: «ومن مواضعها [يعني النون]: حروف الجزاء إذا وقعت بينها وبين الفعل «ما» للتوكيد، وذلك لأنهم شَبَّهُوا «ما» باللام في لَتَفْعَلَنَّ، لَمّا وقع التوكيد قبل الفعل أَلْزَمُوا النونَ آخِرَهُ، كما أَلْزَمُوا هذه اللامَ، وإن شئتَ لَمْ تُقْحِمِ النونَ، كما أنك إن شئت لَمْ تَجِئْ بها...، فمن ذلك قولك: إمّا تَأْتِيَنِّي آتِكَ، وأَيُّهُمْ ما يَقُولَنَّ ذاك تَجْزِهِ، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾. الكتاب ٣/ ٥١٤-٥١٥.

وهذا مذهب المبرد أيضًا، في المقتضب ٣/ ١٣-١٤، والكامل ١/ ٢٨٩-٢٩٠، على عكس ما نسبه إليه الفارسيُّ، وينظر رَدُّ الفارسي على الزجاج في الإغفال ١/ ١٢٦-١٤٤، المسائل المشكلة ص ٣١٠-٣١٢، وينظر في هذه المسألة أيضًا: شرح المفصل ٩/ ٤١، شرح الكافية للرضي ٤/ ٩٥، ارتشاف الضرب ص ٦٥٦، همع الهوامع ٢/ ٥١١-٥١٢.

(١) قاله ابن عباس وعطاء والحسن ومجاهد والسدي وقتادة والضحاك، ينظر: جامع البيان ٢٥/ ٩٨-٩٩، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٦٥-٣٦٧، إعراب القرآن ٤/ ١١٢، الكشف والبيان ٨/ ٣٣٧، الوسيط ٤/ ٧٥، المحرر الوجيز ٥/ ٥٧.

(٢) لَمْ أقف على أنها قراءة لأُبَيٍّ، ينظر: جامع البيان ٢٥/ ٩٩، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٦٦، ٣٦٧، شواذ القراءة ورقة ٢١٨، وذكر القرطبي أن قراءة ابن مسعود: ﴿واسْأَلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنا إلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنا﴾. تفسير القرطبي ١٦/ ٩٦.

قال الزجاج[١]: والمعنى: سَلْ أُمَمَ مَنْ أرسلنا، فحذف المضاف.

وقال ابن عباس[٢]: «لَمّا أُسْرِيَ بالنبي ﷺ بَعَثَ الله له آدمَ ومَنْ وَلَدَ مِن المرسلين، فَأَذَّنَ جبريلُ عليه السّلام، ثم أقام، وقال: يا محمد! تَقَدَّمْ فَصَلِّ بهم، فلما فَرَغَ رسولُ الله ﷺ / من الصلاة قال له جبريل: سَلْ يا محمد من أرسلنا [١٤٨/ أ]
من قبلك من رسلنا... الآية، فقال رسول الله ﷺ: «لا أسأل، قد اكتفيتُ»».
يريد: إنِّي لا أَشُكُّ بأنْ ليس أَحَدٌ يُعْبَدُ غَيْرُ الله عزّ وجلّ، ومعنى الأمر بالسؤال: التقرير لِمُشْرِكِي قريشٍ أنه لَمْ يَأْتِ رَسُولٌ ولا كتابٌ بعبادةِ غَيْرِ اللهِ عزّ وجلّ.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ أربعون فَرْسَخًا في أربعين فَرْسَخًا، و«مِصْرَ» في موضع خفض، ولَمْ تنصرف عند البصريين؛ لأنها مؤنثة سُمِّيَتْ بِمُذَكَّرٍ، وكذا لو سَمَّيْتَ امرأة بِزَيْدَ لَمْ ينصرف[٣].

قوله: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يعني أنهار النيل ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ فتح نافعٌ وأبو عمرو والبَزِّيُّ الياءَ، وأسكنها الباقون[٤]، والمعنى: من تحت قصوري،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤١٤.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ٢٥/ ٩٩، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٣٧، الوسيط ٤/ ٧٥، المحرر الوجيز ٥/ ٥٧، زاد المسير ٧/ ٣١٩، تفسير القرطبي ١٦/ ٩٥، الدر المنثور ٦/ ١٩.

(٣) قاله النحاس بنصه، ثم قال: «وأجازوا صرف مصر على أن يكون اسمًا لِلْبَلَدِ، وتَرْكُ الصَّرْفِ أَوْلَى؛ لأن المستعمل في مثلها بَلْدةٌ، فأما الكوفيون فيذهبون إلى أن مِصْرَ بِمَنْزِلةِ امرأةٍ سَمَّيْتَها بِهِنْدٍ، فكان يجب أن ينصرف إلا أنها مُنِعَتْ من ذلك لِقِلَّتِها في الكلام». إعراب القرآن ٤/ ١١٣، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ١٢/ ١٨٣.

(٤) فتح الياءَ أيضًا: أبو جعفر، وأسكنها الباقون وابنُ كثير في رواية القَوّاسِ، ينظر: السبعة ص ٥٩٠، تفسير القرطبي ١٦/ ٩٩، النشر ٢/ ٣٧٠، الإتحاف ٢/ ٤٥٧.

وقيل: حَوْلِي، وقيل: بين يَدَيَّ فِي جِنانِي وبساتيني ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ إلى عظمتي وشِدّةِ مُلْكِي وفضلي على موسى، افْتَخَرَ عَدُوُّ اللهِ فِرْعَوْنُ بِمُلْكِهِ، وكان مُلْكُهُ أربعين سنة.

فصل

رُوِيَ عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «نِيلُ مِصْرَ سَيِّدُ الأنهار، وسَخَّرَ اللهُ له كل نهر بين المشرق والمغرب، وذلك أنه إذا أراد أن يُجْرِيَ نِيلَ مصر أَمَرَ الله كل نهر أن يُمِدَّهُ، فَتُمِدُّهُ الأنهار بِمائِها، وفَجَّرَ له الأرضَ عيونًا، فإذا انتهى جَرْيُهُ إلى ما أراد الله، أَوْحَى اللهُ إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره، والأنهار: نهر فَيُّومٍ، ونهر دِمْياطَ، ونهر البَرَلُّسِ، ونهر الرَّشِيدِ، ونهر الإسكندرية، قال: وكان فرعون يخرج من الفيوم، فيبلغ إلى دمياط، ما تناله الشمس مِن الْتِفافِ الشَّجَرِ، وبين الموضعين مسيرة أيام»[١].

قوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ ﴿أَمْ﴾ بمعنى «بَلْ»، وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين[٢]، والمعنى: بل أنا خَيْرٌ، وأنشد الفراء[٣]:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحا وَصُورَتِها أَمْ أَنْتِ فِي العَيْنِ أَمْلَحُ[٤]

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٥/ ٨١، شفاء الصدور ورقة ٤/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ١٠٣، تفسير ابن كثير ٤/ ١٥٢، معجم البلدان ٥/ ٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) حكاه الطبري عن السُّدِّيِّ في جامع البيان ٢٥/ ١٠٤، وقاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٠٤، وينظر أيضًا: الكشف والبيان ٨/ ٣٣٩، الفريد ٤/ ٢٦٠، تفسير القرطبي ١٦/ ٩٩، البحر المحيط ٨/ ٢٢.

(٣) معاني القرآن ١/ ٧٢.

(٤) تقدم برقم ١٨٣ ص ٥٥٣.

معناه: بل أنت، وأنشد أيضًا(١):

فَـوالله مـا أدْرِي أسَـلْمَى تَغَوَّلَـتْ أمِ الـقَـوْمُ أوْ كُـلٌّ إلَـيَّ حَبِيبُ(٢)

بمعنى «بَلْ» هاهنا.

وقال ابن الأنباري(٣): قال الفراء: في «أمْ» وجهان: إن شئت جعلتها هي الاستفهام، وإن شئت جعلتها نسقًا على قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾.

وقال قوم من أهل المعاني(٤): الوقف على / قوله: «أمْ»، وعنده تَمامُ الكلامِ(٥)، وفي الآية إضمارٌ، مَجازُها: أفلا تبصرون أم تبصرون؟ ثم ابتدأ، فقال: «أنا خَيْرٌ»؛ أي: أفضل ﴿مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيفٌ حقير، يعنِي موسى عليه

(١) معانِي القرآن ١/ ٧٢، ٢/ ٢٩٩.

(٢) تقدم برقم ٨٤ ص ٢٦٧، برواية: «أمِ القَوْمُ أوْ كُلٌّ».

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٨٤، ٨٨٥، وهذا النص الذي نقله ابن الأنباري عن الفراء هو معنى كلام الفراء، وليس نص كلامه، فقد قال الفراء: «وقوله: «أمْ أنا خَيْرٌ مِنْ هَذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ» من الاستفهام الذي جُعِلَ بـ«أمْ» لاتصاله بكلام قبله، وإن شئت رددته على قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾. معانِي القرآن للفراء ٣/ ٣٥.

(٤) يعني أن «أم» متصلة، والمُعادِلُ محذوفٌ، وهذا قول سيبويه، فقد قال: «ومثل ذلك: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾، كَأنّ فرعون قال: أفلا تبصرون أم أنتم بُصَراءُ؟ فقوله: ﴿أمْ أنا خَيْرٌ﴾ بِمَنْزِلةِ «أم أنتم بُصَراءُ؟»؛ لأنهم لو قالوا: أنت خَيْرٌ منه، كان بِمَنْزِلةِ قولهم: نحن بصراء عنده». الكتاب ٣/ ١٧٣، وهو قول الأخفش أيضًا، قاله في معانِي القرآن ص٢٩-٣٠، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٣٩، الكشاف ٣/ ٤٩٢، أماليُّ ابن الشجري ٣/ ١١٠، البحر المحيط ٨/ ٢٣، الدر المصون ٦/ ١٠٢-١٠٣.

(٥) وَقَفَ على «أمْ»: نافعٌ ومجاهدٌ وعيسى بنُ عمر ويعقوبُ، ينظر: المكتفى للدانِي ص٣٢٠، تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٠.

السّلام، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ يفصح بكلامه؛ لِلُّثْغةِ التي كانت بلسانِهِ، ﴿فَلَوۡلَآ﴾؛ أي: فَهَلاَّ ﴿أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ﴾ جمع أَسْوِرةٍ، وهو جمع الجمع، وهو قراءة أهل الحرمين وأهلِ الكوفة إلّا حَفْصًا، وأهلِ البصرة إلّا الحسنَ وقتادةَ، فإنهما قرآ: ﴿فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ بغير ألف، وكذلك قرأ حَفْصٌ وأبو حاتم ويعقوب على جَمْعِ السِّوارِ، وقرأ أُبَيٌّ: ﴿أساوِرُ﴾، وقرأ ابن مسعود: ﴿أساوِيرُ﴾ (١).

قال أبو عمرو بن العلاء(٢): واحد الأساوِرةِ والأساوِرِ والأساوِيرِ: إسْوارٌ، وهو لغة فِي السِّوارِ، وقيل(٣): الأساوِرةُ جمع إسْوارٍ، والهاء بدل الياء في أساوِيرَ(٤)، أو جمع أَسْوِرةٍ كما ذكرنا، كأَسْقِيةٍ وأساقٍ(٥)، والهاء كما في قَشْعَمٍ وقَشاعِمةٍ، وصَيْقَلٍ وصَياقِلةٍ(٦)، وأَسْوِرةٌ جمع سِوارٍ كسِقاءٍ وأَسْقِيةٍ.

---

(١) ينظر في هذه القراءات: السبعة ص ٥٨٧، تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٠، البحر المحيط ٨/ ٢٤، الإتحاف ٢/ ٤٥٧.

(٢) ينظر قوله في جامع البيان ٢٥/ ١٠٦، الكشف والبيان ٨/ ٣٣٩، تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٠، اللسان: سور.

(٣) هذا قول الفراء وأبي عبيدة وقطرب وأبي زيد، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٥، مجاز القرآن ١/ ٤٠١، وينظر قول قطرب وأبي زيد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٨٣، ٤/ ٤١٥، إعراب القرآن ٤/ ١١٤، الإغفال ١/ ٣١٨، ٢/ ٣٧٠، ٣٧٢.

(٤) يعني أن الهاء في الجمع عوض من الياء التي كان ينبغي أن تلحق في جمع إسْوارٍ، على حد إغْصارٍ وأعاصِيرَ، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ١١٤، الحجة للفارسي ٣/ ٣٧٧.

(٥) يعني أن أساورة جمع أسْوِرةٍ الذي هو جمع سوار، فيكون جَمْعَ الجمعِ، وهذا الوجه أجازه الفراء والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٣٥، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤١٥، وينظر أيضًا: الحجة للفارسي ٣/ ٣٧٨، والأسْقِيةُ: جمع سِقاءٍ. اللسان: سقي.

(٦) القَشْعَمُ: المُسِنُّ من الرجال والنُّسُورِ، والصَّيْقَلُ: الذي يَشْحَذُ السُّيُوفَ ويَجْلُوها. اللسان: قشعم، صقل.

والمعنى: هَلّا حُلِّيَ بأسْـورةِ الذَّهَـبِ إن كان عظيمًا، وكان الرجل فيهم إذا كان سَيِّدًا تَجِبُ طاعتُه سَوَّرُوهُ بِسوارٍ من ذهب، أو طَوَّقُوهُ بِطَوْقٍ من ذهب؛ لِيكون ذلك دلالةً لسـيادته، وعلامةً لرياسـته، فقال فرعون: هَلَّا سُـوِّرَ؛ أي: حُلِّيَ، يعني: موسى، بأسورةِ الذهبِ إن كان عظيمًا ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾؛ يعني متتابعين معاونين، يُقارِنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يمشون معه شاهدين له، يُعِينُونَهُ على الأمر الذي بُعِثَ إليه، وهو منصوب على الحال.

قولـه تعالـى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾؛ أي: أغْضَبُونا، والأسَـفُ في اللغة: الفَواتُ، واللهُ لا يَفُوتُهُ شَـيْءٌ من الأشياء، وقيل: آسَفُوا رُسُلَنا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أحَدٌ ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ قرأ العامة بفتح السـين واللّام، وهو جمع سـالِفٍ مثل خادِمٍ وخَدَمٍ، وحارِسٍ وحَرَسٍ، وراصِدٍ ورَصَدٍ، يقال: سَلَفَ يَسْلُفُ: إذا تَقَدَّمَ ومَضَى.

[١٤٩/ أ] قال الفراء[١] والزجاج[٢]: جعلناهم متقدمين/ ؛ لِيَتَّعِظَ بهم الآخِرُونَ، وقرأ حمزة والكسائي والأعمش ويحيى: ﴿سُلُفًا﴾ بضم السين واللام كأسَدٍ وأُسُدٍ، ورَغِيفٍ ورُغُفٍ، وهو جمع سَلِيفٍ[٣] من: سَلُفَ ـ بضم اللام ـ يَسْلُفُ: إذا تَقَدَّمَ فهو سَلِيفٌ، وقرأ ابن مسعود بضم السين وفتح اللام[٤]؛ استثقالًا لتوالِي ضمتين

---

(١) لَـمْ أقف عليه في معانِي القـرآن للفراء، وإنما حكاه الأزهري عن الفـراء في تهذيب اللغة ١٢/ ٤٣١، والواحدي في الوسيط ٤/ ٧٨.

(٢) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤١٦.

(٣) قالـه الفراء والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفـراء ٣/ ٣٦، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤١٦، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٧٤، وإعراب القرآن له ٤/ ١١٥.

(٤) قرأ بضم السـين والفاء أيضًا: الأعرجُ وسـعيدُ بن عياض وطلحةُ وخلفٌ، وقرأ ابن مسعود وعليُّ بنُ أبِي طالب وحُمَيْدٌ ومجاهد وعلقمة وأبو وائل النخعيُّ بضم السين وفتح اللام، =

كجُدَدٍ، وهو جمع سُلْفةٍ مثل: طُرْفةٍ وطُرَفٍ وغُرْفةٍ وغُرَفٍ[(١)]، و﴿سُلْفًا﴾ بالتخفيف كأُسْدٍ[(٢)]، ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾؛ أي: عِبْرةً وعِظةً لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَهُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ نصب على خَبَرِ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ[(٣)]، وإن شئتَ قلتَ: هو نصب على المصدر ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ يَضِجُّونَ ويَصِيحُونَ، قرأ نافع وابن عامر والكسائي بضم الصاد، وهو قراءة عَلِيٍّ والنَّخْعِيِّ[(٤)]، ومعناه: يُعْرِضُونَ، نظيره قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[(٥)]، وقرأ الباقون بكسر الصاد، وهي اختيار أبي حاتم.

قال الفراء والزجاج والأخفش والكسائي[(٦)]: هما لغتان مثل ﴿يَعْرِشُونَ﴾

= ينظر: السبعة ص ٥٨٧، مختصر ابن خالويه ص ١٣٦، تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٢، البحر المحيط ٨/ ٢٤، الإتحاف ٢/ ٤٥٧.

(١) قاله الفراء والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٣٦، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤١٦، إعراب القرآن ٤/ ١١٥، ومعانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٧٤.

(٢) وهذه قراءة سعيد بن عياض، ينظر: شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢١٨.

(٣) يعني أنه مفعولٌ ثانٍ لـ«ضُرِبَ»، والمفعول الأول هو نائب الفاعل «ابْنُ مَرْيَمَ».

(٤) وبها قرأ، أيضا، أبو جعفر والأعرجُ وأبو رجاء وابنُ وثابٍ وخلفٌ والحسنُ والأعمشُ والسلميُّ وشعبةُ، ينظر: السبعة ص ٥٨٧، تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٣، البحر المحيط ٨/ ٢٥، النشر ٢/ ٣٦٩، الإتحاف ٢/ ٤٥٨.

(٥) النساء ٦١.

(٦) معانِي القرآن للفراء ٣/ ٣٦-٣٧، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤١٦، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٠٩، ٤٧٤، وينظر قول الكسائي في إعراب القرآن ٤/ ١١٥، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٧٦، إعراب القراءات السبع لابن خالويه ٢/ ٣٠٢.

و﴿يَعْرُشُــونَ﴾[1]، و﴿يَعْكُفُونَ﴾ و﴿يَعْكِفُونَ﴾[2]، ومعناها: يَضِجُّونَ، وقيل: مَنْ قَرَأَ بِضَمِّ الصاد فمعناه: يَصُدُّونَ، وقيل[3]: يَعْدِلُونَ بين عيسى عليه السّلام وبين الأصنام.

قوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون عيسـى عليه السّـلام؛ أي: ليست آلهتنا خَيْرًا من عيسى، فإنْ كان في النار، فإنه يُعْبَدُ من دون الله فكذلك آلهتنا.

قرأ الكوفيون: ﴿ءآلِهَتُنا﴾ بِهَمْزَتَيْنِ بعدهما مَدّةٌ، وقرأ الباقون بهمزة واحدة مطولـة[4]، وقوله: ﴿مَاضَرَبُوهُ لَكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا جَدَلًاۢ﴾؛ أي: ليجادلوك ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾؛ أي: أصحاب خصومات بالباطل.

ثم ذَكَرَ عيسـى عليه السّـلام، فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ آيـةً وعِبْـرةً لَهُمْ، يعرفون به قـدرة الله على ما يريد، حيث خلقه من غَيْرِ أَبٍ.

ثم خاطب كفار مكة، فقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾؛ أي: لو نشاء أهلكناكـم، وجعلنا بَدَلًا منكم ملائكةً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠﴾ يكونون خَلَفًا

---

(١) ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾. الأعراف من الآية ١٣٧.

(٢) ﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ الأعراف من الآية ١٣٨.

(٣) قاله أبو عبيدة وأبو عبيد وابن قتيبة والنحاس، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٠٥، تفسـير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٠٠، إعراب القرآن ٤/ ١١٥-١١٦.

(٤) قرأ عاصـمٌ وحَمْزةُ والكسـائيُّ ورَوْحٌ وخَلَفٌ: ﴿أَآلِهَتُنا﴾ بتحقيـق الهمزتين، وبعد الثانية ألف، وقرأ ابنُ عامر وابنُ كثير وأبو جعفر وأبو عمرو، ونافعٌ في رواية قالون عنه، ويعقوبُ ورُوَيْسٌ: ﴿ءَآلِهَتُنـا﴾ بهمزة واحـدة، بعدها مَدّةٌ في تقديـر همزة بَيْنَ بَيْنَ، ينظر: السـبعة ص ٥٨٧-٥٨٨، النشر ١/ ٣٦٤، الإتحاف ٢/ ٤٥٨.

[١٤٩/ ب] منكم، قال الأزهري(١): و«مِنْ» قد تكون للبدل كقوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ / يريد: بَدَلاً منكم، فَيَعْمُرُونَ الأرْضَ، فَيَعْبُدُونَنِي ويُطِيعُونَنِي.

ثم رجع إلى ذِكْرِ عيسى عليه السّلام، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعني: نزوله من أشْراطِ الساعة، يُعْلَمُ به قِيامُ الساعةِ، ويُسْتَدَلُّ به على ذهاب الدنيا وإقبال الآخرة، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ﴾ بفتح العين واللام(٢)؛ أي: أمارةٌ وعَلَامةٌ على قيام الساعة.

والهاء راجعة إلى عيسى في قول أكثر المفسرين، وقال قوم(٣): الهاء في قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾ كناية عن القرآن، وإليه ذهب الحَسَنُ، ومعنى الآية: وإن القرآن لَعِلْمٌ لِلسّاعةِ، يُعْلِمُكُمْ قِيامَها، وَيُخْبِرُكُمْ بأحوالها وأهوالها ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ﴾ تَشُكُّنَّ وتُكَذِّبُوا ﴿بِهَا﴾؛ أي: فيها ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾؛ أي: هذا الذي أنا عليه ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ من دين إبراهيم عليه السّلام، قرأ أبو عمرو: ﴿واتَّبِعُونِي﴾ بياء في الوصل فقط، الباقون بغير ياء في الحالين(٤).

---

(١) قال الأزهري: «ويقال: هو من أبيه خَلَفٌ؛ أي: بَدَلٌ، والبدل من كل شيء خَلَفٌ منه، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾؛ أي: يكونون بَدَلَكُمْ في الأرض». تهذيب اللغة: خلف ٧/ ٤٠٠.

(٢) وهي أيضًا قراءة زيد بن عَلِيٍّ ومجاهد والأعمش والكلبي وعكرمة وأبي نصر وأبي مالك الغِفارِيِّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٦، تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٥، البحر المحيط ٨/ ٢٦.

(٣) هذا قول الحسن وابن جبير وقتادة، ينظر: جامع البيان ٢٥/ ١١٧، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤١٧، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١١٧، الكشاف ٣/ ٤٩٤، المحرر الوجيز ٥/ ٦١، زاد المسير ٧/ ٣٢٥، عين المعاني ورقة ١٢٠/ أ، تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٥.

(٤) قرأ أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر: ﴿واتَّبِعُونِي﴾ بإثبات الياء وصلًا فقط، ورواها إسماعيلُ ابن جعفرٍ وابنُ جَمّازٍ عن نافع، وقرأ يعقوب بإثبات الياء وصلًا ووقفًا، وقرأ الباقون، =

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ يعني كفار قريش؛ أي: هل يَرْتَقِبُونَ ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعني القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة، نصب على الحال، ومحل ﴿أَنْ﴾ نصب على البدل من الساعة[1] ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ بِمَجِيئِها، كقوله: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[2].

قوله: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾؛ يعني: على المعصية فِي الدنيا، وهو رفع بالابتداء، وهو جمع خليل ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ يعني: في الآخرة ﴿بَعْضُهُمْ﴾ رفع على البدل من ﴿الأخِلّاءُ﴾، ويجوز أن يكون مرفوعًا بالابتداء ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ وهو الخبر ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ فإن خُلَّتَهُمْ لا تنقطع، ولكنها قائمة دائمة لهم أبدًا، وهو نصب على الاستثناء من الموجب.

قيل[3]: نزلت هذه الآية في أمية بن خلف الجمحي، وفي خَلِيلِهِ عُقْبَةَ بنِ أبِي مُعَيْطٍ من بني أمية، وقد ذكرتُ قصتهما في سورة الفرقان[4].

قوله تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِ﴾[5] محله نصب لأنه نداء مضاف ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ

= ونافعٌ في غَيْرِ روايةِ إسْماعِيلَ وابن جَمّازٍ عنه بغير ياء، لا وصلًا ولا وقفًا، ينظر: السبعة ص ٥٩٠، تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٧، النشر ٢/ ٣٧٠، الإتحاف ٢/ ٤٥٨.

(١) وهو بدل اشتمال.

(٢) الأعراف ١٨٧.

(٣) حكاه القرطبي عن النقاش في تفسيره ١٦/ ١٠٩.

(٤) ينظر ١/ ٣٧٥.

(٥) كذا في الأصل بإثبات الياء، وإثبات الياء قرأ به نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصمٍ، وأبو جعفر ورويسٌ واليزيديُّ، وكلهم أسْكَنَ الياءَ وصلًا ووقفًا إلا عاصمًا في رواية أبِي بكر عنه، وإلّا رُوَيْسًا من طريق أبِي الطيب، فإنهما أسكناها في الوقف، وفتحاها في الوصل، وقرأ الباقون، وحَفْصٌ عن عاصم بحذف الياء وصلًا ووقفًا، ينظر: السبعة ص ٥٨٨، النشر ٢/ ٣٧٠، الإتحاف ٢/ ٤٥٨-٤٥٩.

﴿ٱلۡيَوۡمَ ۝٦٨﴾؛ يعني: من العذاب يوم القيامة، فإذا سمعوا النداء رفع الخلائقُ رُءُوسَهُم، فيقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩﴾ فَيُنَكِّسُ أَهْلُ الأديان رُؤُوسَهُمْ غَيْرَ المسلمين، فيقال لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۝٧٠﴾؛ أي: تُكْرَمُونَ وتُنَعَّمُونَ.

ومحل ﴿الَّذِينَ﴾ يجوز أن يكون نصبًا بإضمار «أعني»، ويجوز أن يكون رفعا خَبَرَ ابتداءٍ محذوف، تقديره: هم الذين، وقوله: ﴿أَنْتُمْ﴾ ابتداء، و﴿أَزْواجُكُمْ﴾ / عطف عليه، ويَجُوزُ أن يكون ﴿أَنْتُمْ﴾ توكيدًا للواو في قوله: ﴿ادْخُلُواْ﴾[1]. [١٥٠/ أ]

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ﴾؛ أي: بِقِصاعٍ، واحدتها: صَحْفَةٌ، وهي القَصْعةُ الواسعة العريضة ﴿مِّن ذَهَبٖ﴾ أدناها سبعون ألفًا، وأعلاها سبعمائة ألف ﴿وَأَكۡوَابٖ﴾ يعني: أباريقَ مستديرة الرؤوس، ليست لها آذان ولا خراطيم[2]، واحدها كوب، قال الأعشى:

٢٣٣ ـ صَرِيفِيّةً طَيِّبًا طَعْمُها لَها زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنْ[3]

---

(١) الوجه الثاني، وهو أنه خَبَرُ ابتداءٍ محذوف، قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٢٠.

(٢) قاله الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة والنحاس، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٧، مجاز القرآن ٢/ ٢٠٦، ٢٤٩، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٠٠، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٨٤، وينظر أيضًا: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٤٠.

(٣) البيت من المتقارب، للأعشى، من قصيدة يمدح بها قيس بن معدي كرب الكندي، ورواية ديوانه: «صَلِيفِيّةً» باللام، وقوله: «صَرِيفِيّةً طَيِّبًا» بالنصب على المفعول به للفعل «تُعاطِي» في البيت السابق، وهو قوله:

تُعاطِي الضَّجِيعَ إذا أقبَلَتْ بُعَيْدَ الرُّقادِ وَعِنْدَ الوَسَنْ

اللغة: الصَّرِيفِيّةُ: الخمر المنسوبة إلى صَرِيفُونَ، وهو موضع بالعراق، والصَّلِفِيّةُ باللام: المُعَتَّقةُ، الدَّنُّ: إناء من الفَخّار تُحفَظُ فيه الخمر.

=

قوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ هذه قراءة أهل المدينة وأهل الشام، وكذا هو في مصاحفهم، وكذلك رَوَى حَفْصٌ عن عاصم، وقراءة أهل العراق: ﴿تَشْتَهِي﴾ بغير هاء[1]، والقراءتان حسنتان، فإثبات الهاء على الأصل، وحذفها لطول الاسم[2].

فصل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أدْنَى أهل الجنة مَنْزِلةً مَنْ له سَبْعُ درجات، هو على السادسة، وفَوْقَ السابعة، وإن له لَثَلَاثَمِائَةِ خادم، ويُغْدَى عليه ويُراحُ بِثَلَاثِمائَةِ صَحْفَةٍ»، لا أعْلَمُهُ قال: «إلا من ذهب، في كل صَحْفَةٍ لَوْنٌ ليس في الأخرى، وإنه لَيَلِذُّ آخِرُهُ كما يَلِذُّ أوَّلُهُ، وإنه ليقول: يا رَبِّ! لو أذِنْتَ لِي لأطعمتُ أهل الجنة وسقيتهم، لا ينقص مما

= التخريج: ديوانه ص ٦٧، العين ٧/ ١١٠، جامع البيان ٢٥/ ١٢٣، ٢٧/ ٢٢٧، المحب والمحبوب ١/ ١٤٩، التهذيب ١٢/ ١٦٢، الكشف والبيان ٨/ ٣٤٣، معجم البلدان ٣/ ٤٠٣، تفسير القرطبي ١٦/ ١١٤، اللسان: صرف، التاج: صرف.

(١) وهو في مصاحف أهل مكة والعراق بغير هاء، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه: ﴿تَشْتَهِي﴾ بغير هاء، وفي مصحف ابن مسعود: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾، ينظر: السبعة ص ٥٨٨-٥٨٩، تفسير القرطبي ١٦/ ١١٤، البحر المحيط ٨/ ٢٧، النشر ٢/ ٣٧٠، الإتحاف ٢/ ٤٥٩.

(٢) وقد رَجَّحَ الفارسيُّ حَذْفَ الهاء، فقال: «حذف الهاء من الصلة في الحُسْنِ كإثباتها، إلّا أن الحذف يَرْجَحُ على الإثبات بأن عامّةَ هذا النحو في التَّنْزيلِ جاء على الحذف، فمن ذلك قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾، و﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾، ويُقَوِّي الحَذْفَ من جهة القياس: أنه اسم قد طال، والأسماء إذا طالت فقد يحذف منها... وقد جاءت مثبتةً في قوله: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾. الحجة ٣/ ٣٨٢.

عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثْنَتَيْنِ وسبعين زوجةً، سوى أزواجِهِ فِي الدنيا، وإن الواحدة منهن لَيَأْخُذُ مَقْعَدُها قَدْرَ مِيلٍ من الأرض»(١).

وعن عكرمة أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ أدْنَى أهل الجنة مَنْزِلةً، وأسفلَهم درجةً: الرَّجُلُ لا يدخل الجنة إلّا بعد أن يُفْسَحَ له في قصره مسيرةَ مائة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ، ليس فيها موضع شبر إلّا معمور، يُغْدَى عليه ويُراحُ بسبعين ألف صَحْفَةٍ من ذهب، ليس فيها صَحْفَةٌ إلّا وفيها لَوْنٌ ليس في الأخرى، مَثَلُ شهوته في آخرها كشهوته في أولها، لو نزل به جميع أهل الدنيا لَوَسَّعَ اللهُ عليهم مما أعطي، لا ينقص ذلك مما أُوتِيَ شيئًا»(٢).

ورُوِيَ أن رجلاً قال: يا رسول الله: إنِّي أُحِبُّ الخيل، فهل في الجنة خَيْلٌ؟ قال: «إن الله يدخلك الجنة ـ إن شاء الله ـ، فلا تشاء أن تركب فرسًا من ياقوتةً حَمْراءَ تطير بك في أيِّ الجَنّةِ شِئْتَ إلّا فعلت»، فقال الأعرابِيُّ: يا رسول الله: إنِّي أحب الإبل، فهل/ في الجنة إبلٌ؟ فقال: «يا أعرابِيُّ! إن الله [١٥٠/ ب] يدخلك الجنة ـ إن شاء الله ـ، ففيها ما اشتهتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عيناك»(٣).

وذلك قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ يقال: لَذِذْتُ الشَّيْءَ أَلَذُّهُ مثلما اسْتَلْذَذْتَهُ، والمعنى: أنه ما من شيء اشْتَهَتْهُ نَفسٌ، أو اسْتَلَذَّتْهُ عَيْنٌ، إلا وهو فِي الجنة، وقد عَبَّرَ اللهُ تعالى بهذين اللفظين عن جميع

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٥٣٧، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٤٣، مجمع الزوائد ١٠/ ٤٠٠ كتاب أهل الجنة: باب في أدْنَى أهل الجنة مَنْزِلةً، الدر المنثور ١/ ٣٩.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٤٣، تفسير ابن كثير ٤/ ١٤٤-١٤٥، الدر المنثور ٦/ ٢٢.

(٣) رواه الإمام أحمد بسنده عن بُرَيْدَةَ الأسْلَمِيِّ رضي الله عنه في المسند ٥/ ٣٥٢، والترمذي في سننه ٤/ ٨٧ أبواب صفة الجنة: باب ما جاء فِي صفة خيل الجنة، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٩٠/ أ، المعجم الأوسط للطبرانِيِّ ٥/ ١٨٥، الكشف والبيان ٨/ ٣٤٤.

نِعَمِ أهـل الجنة، فإنه ما من نعمة إلّا وهي تصيب النفس والعين، ثم تَمَّمَ هذه النِّعَمَ بقوله: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١﴾؛ لأنها لو انقطعت لَمْ تَطِبْ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤﴾ أبدًا مقيمـون ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ﴾؛ يعني: في العـذاب ﴿مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾ أذِلّةٌ آيِسُونَ مُتَحَيِّرُونَ مُنَكَّسُونَ رُءُوسَهُمْ مُنْكَسِرُونَ.

والإبْـلاَسُ: الإياسُ، يقال: أبْلَسَ وأيِسَ، وسُـمِّيَ إبْلِيسُ إبليسَ[1]؛ لأنه أبْلَسَ من رحمة الله؛ أي: أيِسَ من الرحمة، وفي قراءة عبد الله: ﴿وَهُمْ فِيها﴾[2] يعني: في جهنم ﴿مُبْلِسُونَ﴾.

قوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ فَنُعَذِّبَهُمْ على غَيْرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦﴾ بكفرهم بالله، وتكذيبِهم برسله، وتركهم ما دعاهم إليه.

ونصـب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ علـى خَبَرِ ﴿كانَ﴾، و﴿هُم﴾ عند سـيبويه فاصلة لا موضـع لهـا مـن الإعـراب[3] بِمَنْزِلةِ «مـا» في قوله تعالـى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾[4]، والكوفيون يقولون: هو عماد وتوكيد[5]، قال الفراء[6]: وهي في

(١) في الأصل: «إبليسًا»، وهو خطأ؛ لأن إبليس ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٨/ ٢٧.

(٣) ينظر: الكتاب ٢/ ٣٩١.

(٤) النساء ١٥٥، والمائدة ١٣.

(٥) ينظر حديث الفراء عن ضمير العماد في معانِي القرآن ١/ ٥١، ٥٢، ٤٠٩، ٢/ ١٤٥، ٢١٢، ٣٥٢، وينظـر قول الكوفييـن أيضًا، في إعراب القرآن للنحـاس ٤/ ١٢١، ومصطلحات النحو الكوفِيِّ ص ٤٥-٥٠، وغيرها.

(٦) معانِي القرآن ٣/ ٣٧.

حرف عبد الله ابن مسعود: ﴿وَلَكِنْ كانُواْ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[(١)]، قال أبو جعفر[(٢)]: فعلى هذا يكون «هُمْ» في موضع رفع بالابتداء، و﴿الظَّالِمُونَ﴾ خبر الابتداء، والابتداء وخبره خَبَرُ «كانَ»، كما تقول: كان زَيْدٌ أَبُوهُ خارِجٌ.

ومثله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾[(٣)] و﴿الرَّقِيبُ﴾ بالرَّفع أيضًا، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾[(٤)] بالنَّصب والرَّفع، قال قَيْسُ بن ذُرَيْحٍ:

٢٣٤ - أَتَبْكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَها وَكُنْتَ عَلَيْها بِالمَلاَ أَنْتَ أَقْدَرُ[(٥)]

والقوافي مرفوعة[(٦)].

---

(١) هذه قراءة ابن مسعود وأبِي زيد النحوي، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٦، البحر المحيط ٨/ ٢٧.

(٢) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ١٢١.

(٣) المائدة ١١٧، والرفع حكاه أبو معاذ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص٤٢، الدر المصون ٢/ ٦٥٩.

(٤) الأنفال ٣٢، وقد قرأ بالرفع الأعمشُ وزيدُ بنُ عَلِيٍّ والمُطَّوِّعِيُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٥٤، تفسير القرطبي ٧/ ٣٩٨.

(٥) البيت من الطويل، ويُرْوَى: «تُبَكِّي» بدل «أَتَبْكِي»، ويُرْوَى: «تَحنُّ إِلَى لَيْلَى»، والمَلَا: الزمان من الدهر.

التخريج: ديوانه ص ٥٠، الكتاب ٢/ ٣٩٣، المقتضب ٤/ ١٠٥، شرح أبيات سيبويه ١/ ١٦٨، الجمل للزجاجي ص ١٤٣، الحلل ص ١٨٥، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٢٤٨، شرح المفصل ٣/ ١١٢، شفاء العليل ص ٢٠٩، اللسان: ملا، البحر المحيط ٨/ ٢٧، ٣٥٩.

(٦) قال سيبويه: «وقد جعل ناسٌ كثيرٌ من العرب «هو» وأخواتها في هذا الباب بِمَنْزِلةِ اسمٍ مبتدأ، ومـا بعده مبنيٌّ عليه، فكأنك تقول: أظن زيدًا أبوه خَيْرٌ منه، ووجدت عَمْرًا أخوه خَيْرٌ منه، فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول: أظن زيدًا هو خَيْرٌ منك، وحدثنا عيسى بن عمر أن ناسًا كثيرًا يقرؤونها: ﴿وما ظَلَمْناهُمْ وَلَكِنْ كانُواْ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكتاب ٢/ ٣٩٢-٣٩٣.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ﴾ يدعون خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؛ أي: لِيُمِتْنا رَبُّكَ، فَنَسْـتَرِيحَ مِنْ شِـدّةِ العذابِ، فيُجِيبُهم مالكٌ بعد ألْفِ سنةٍ ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ مقيمون فِي العذاب، قرأ العامة: «يا مالِكُ» بإثبات الكاف، وقرأ عَلِـيُّ بنُ أبِي طالب رضي الله عنـه / والأعمش: «يا مـالِ»[١] بحذف الكاف علـى الترخيم، ورَوَى أبو الدرداء ذلك عن النبي ﷺ، قال أبو الفتح عثمان بن جني[٢]: هذا من أحق الأشياء بالترخيم؛ لأنه موضع قد ذَهَبَتْ فيه قُواهُمْ، وَلَمْ تنفع فيه شكواهم، فَضَعُفُوا عن تَتْمِيمِ نِداءِ مالكٍ خازِنِ النار[٣].

فصل

عن أَبِي الدَّرْداءِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُلْقَى على أهل النار الجُوعُ، حتى يَعْدِلَ ما هم فيه من العذاب»، قال: «فيقولون: ادْعُوا مالكًا، فَيَدْعُونَ مالِكًا: ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، قال: «فيجيبهم: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾[٤]، قـال الأعمـش: أُنْبِئْتُ أن بين دعائهم وبين إجابته إيّاهُـمْ ألْفَ عام، ومثل هذا رُوِيَ عن ابن عباس.

---

(١) وهـي أيضًـا قراءة ابن مسـعود وابن وثاب، ينظـر: مختصر ابن خالويـه ص ١٣٦-١٣٧، المحتسب ٢/ ٢٥٧، تفسير القرطبي ١٦/ ١١٦، البحر المحيط ٨/ ٢٧.

(٢) إمام مشهور في النحو واللغة والأدب، وله شعر، ولد بالموصل وتوفِّي ببغداد سنة (٣٩٢هـ)، كان أبوه مملوكًا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي، من كتبه: الخصائص، المحتسب، سر صناعة الإعراب. [إنباه الرواة ٢/ ٣٣٣-٣٤٠، بغية الوعاة ٢/ ١٣٢، الأعلام ٤/ ٢٠٤].

(٣) هـذا معنى كلام ابن جني في المحتسـب ٢/ ٢٥٧، واللفظ هنا مختلف كثيرًا عما ورد في المحتسـب، وأما اللفظ الذي أورده المؤلف هنا فقد نقله عن طاهر بن أحمد عن ابن جني في شرح جمل الزجاجي ١/ ٢٨١.

(٤) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في سننه ٤/ ١٠٨، ١٠٩ أبواب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، وينظر: جامع البيان ١٨/ ٧٧، الكشف والبيان ٨/ ٣٤٥، تفسير القرطبي١٥/ ٣٢٢.

قولـه: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ يقول الله عزّ وجلّ: أرسـلنا إليكم يا معشـر قريش محمدًا ﷺ رسولنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٨﴾ قال ابن عباس[1]: يريد: كلكم كارهون لِما جاء به محمد ﷺ.

وقولـه: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾؛ أي: بـل أحكموا أمرًا، وكادوا كيدًا ومعصيةً فـي محمـد ﷺ والمكرِ بـه ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝٧٩﴾ مُحْكِمُونَ أمْـرًا في مجازاتهم وعقوبتهم، وقيل: معناه: أم أجمعوا أمرًا، فإنا مُجْمِعُونَ لهم العذابَ، و﴿أَمْ﴾ بمعنى «بَلْ»، أو استفهام إنكار، وأصل الإبرام فِي فَتْلِ الحَبْلِ، يقال: أَبْرَمَهُ: إذا فَتَلَهُ وأحْكَمَهُ.

قولـه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ الميم صلـة؛ أي: أيَحْسَـبُونَ ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ الذي بينهم ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾ الذي اجتمعوا عليه ﴿بَلَىٰ﴾ نسـمع ذلك منهم ونعلمه ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الملائكـة الحفظـة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ يعني: عندهـم ﴿يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾ مع عِلْمِنـا معهم، نزلت هذه الآية في كفار مكة لَمّا أجمعوا أمرهم على النبي ﷺ بالشَّـرِّ، وكان ذلك منهم بمحضر إبليس ـ لعنه الله ـ، تَصَوَّرَ لهم بصورة شـيخ كبير، وجلس معهم مُشِيرًا بذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾؛ أي: ما كان للرحمن ولد، و﴿إِنْ﴾ هاهنـا نفي وجحود، كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[2]؛ أي: ما أنت إلّا نذير، وقوله: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[3]؛ أي: ما نحن إلّا بشر مثلكم[4].

---

(١) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٨٢، زاد المسير ٧/ ٣٠٣، تفسير القرطبي ١٦/ ١١٨.

(٢) فاطر ٢٣.

(٣) إبراهيم ١١.

(٤) هـذا مـا قاله أكثر العلماء، وهـو أن «إن» نافية بمعنى «ما»، فيكـون «العابدين» على معناه، والفـاء عاطفة كالواو، ينظر: مجاز القـرآن ٢/ ٢٠٦، معانِي القرآن للأخفش ص ١١١، =

والمعنى: قل لَهُمْ يا مُحَمَّدُ: إن كان للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فِي قولِكم زعمكم[١] ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١﴾ يعنِي: الموَحِّدِينَ، وقيل[٢]: الآنِفِينَ / والجاحدين لِما قلتم من أن له ولدًا، دليله قراءة من قرأ: ﴿العَبِدِينَ﴾[٣]، قال الشاعر:

٢٣٥ ـ وَأَعْبَـدُ أَنْ أَهْجُو كُلَيْبًا بِدارِمِ[٤]

= جامع البيان ٢٥/ ١٣٠-١٣١، وقال ابن الأنباري: «قال الحسن: معناه: ما كان للرحمن ولد، والوقف على الولد، ثم تبتدئ: «فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ» على أنه لا ولد له». إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٨٦، وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٤/ ١٢٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨٤.

(١) هذا خلط من المؤلف؛ لأنه ذكر أن «إنْ» نافية بمعنى «ما»، ثم فَسَّـرَ المعنى على وجهٍ آخَرَ في «إنْ» وهو أنها شرطية على بابها، والفاء جوابها، وهذا قول مجاهد والسدي وابن قتيبة والزجاج والنحاس، ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٣٧٣، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٢٠، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٣٨٧، ٣٨٨، جامع البيان ٢٥/ ١٢٩، ١٣٠، تهذيب اللغة ٢/ ٢٣٠، كتاب الشعر ص ٨٠، التبيان للعكبري ص ١١٤٢، الفريد للهمداني ٤/ ٢٦٤، البحر المحيط ٨/ ٢٨.

(٢) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٤٦١-٤٦٢، وينظر: تفسير غريب القرآن لأبِي بكر السجستانِيِّ ص ١٤٠.

(٣) هذه قراءة أبِي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ وأبِي عبد الرحمن اليَمانِيِّ، ينظر: المحتسب ٢/ ٢٥٧، ٢٥٨، تفسير القرطبي ١٦/ ١١٩، البحر المحيط ٨/ ٢٨.

(٤) هذا عجز بيت من الطويل للفرزدق، وليس في ديوانه، ولكن جاءت في ديوانه (ص ٥٦٤) قصيدةٌ يمكن وضع هذا البيت فيها قبل البيت الخامس عشر، أو بعد البيت السادس عشر، وأما صدر الشاهد فَيُرْوَى:

أُولَئِكَ أَجْلاسِـي فَجِئْنِـي بِمِثْلِهِمْ وَأَعْبَـدُ أَنْ تُهْجَـى تَمِيـمٌ بِـدارِمِ

ويُرْوَى:

أُولَئِكَ ناسٌ إنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ

التخريج: مجاز القرآن ٢/ ٢٠٦، إصلاح المنطق ص ٥٠، تأويل مشكل القرآن ص ٣٧٤، ٤٠٧، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٠١، جمهرة اللغة ص ٢٩٩، إعراب ثلاثين سورة =

ويقال: عَبِدَ: إذا أَنِفَ وغَضِبَ عَبَدًا[(١)]، قال الشاعر:

٢٣٦ ـ أَلَا هَزِئَتْ أُمُّ الوَلِيدِ وَأَصْبَحَتْ لِما أَبْصَرَتْ فِي الرَّأْسِ مِنِّي تَعَبَّدُ[(٢)]

نزلت هذه الآية فِي النضر بن الحارث من بني عبد الدار بن قُصَيٍّ القُرَشِيِّ حين قال: الملائكة بنات الله، فَنَزَلَتْ هذه الآية[(٣)].

ثم نَزَّهَ الربُّ ـ تبارك وتعالى ـ نَفْسَهُ عما يقولون، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ يعني: عما يقول كفار مكة من الكذب ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾؛ يعني: فِي أباطيلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾؛ أي: يَلْهُوا في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟﴾ في الآخرة ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾؛ أي: يَعْبُدُهُ ويُوَحِّدُهُ أَهْلُ السماء وأهلُ الأرض ﴿وَهُوَ﴾ إله واحد لا إله إلّا هو ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي ملكه ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ بخلقه.

قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، ثم استثنى عيسى وعُزَيْرًا والملائكةَ، فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: شهد أنه لا إله إلّا الله،

= ص ٢٦، المحتسب ٢/ ٢٥٨، مقاييس اللغة ٤/ ٢٠٧، ديوان الأدب ٢/ ٢٣٠، الحلل ص ١٤٢، الإنصاف ص ٦٣٧، عين المعانِي ورقة ١٢٠/ ب، تفسير القرطبي ١١/ ٣٣١، ١٦/ ١٢٠، اللسان: عبد، الدر المصون ٦/ ١٠٨، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٢٩٧، التاج: عبد، عني.

(١) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٤٠١، وينظر: تهذيب اللغة ٢/ ٢٣٠.

(٢) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، ويُرْوَى: «ألا هَوِيَتْ»، ويُرْوَى: «ألا هَذِيَتْ».

التخريج: جامع البيان ٢٥/ ١٣١، الكشف والبيان ٨/ ٣٤٦، التبيان للطوسي ٩/ ٢١٩.

(٣) ينظر: الكشاف ٣/ ٤٩٧، عين المعانِي ورقة ١٢٠/ ب.

وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، ومحل «مَنْ» رفع لأنه فاعل(١).

قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ رفع على خبر ابتداء محذوف، تقديره: هو الله، ويجوز أن يكون رفعًا لأنه فاعل، تقديره: خَلَقَهُم اللهُ(٢)، وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ استفهام إنكار، ومحله نصب على الظرف حيث كان(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ يعني: وقول محمد ﷺ شاكيًا إلى ربه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كفار مكة ﴿قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ يعني: لا يصدقون.

واختلف القُرّاءُ فِي «قِيلِهِ»(٤)، فقرأ عاصم وحمزة: «وَقِيلِهِ» بكسر اللام على معنى: وعنده عِلْمُ الساعةِ وعِلْمُ قِيلِهِ، وقرأ الأعرج بالرَّفع على الابتداء،

---

(١) «مَنْ» في محل رفع، ولكن على أنه بدل من «الَّذِينَ»، وهذا على أن الاستثناء متصل، والمعنى: ولا يملك المعبودون الشفاعةَ إلّا الشاهدون بالحق، وهم عيسى وعُزَيْرٌ والملائكةُ، وهذا ما قاله المرتضى في أماليه ٢/ ٣٦٦-٣٦٧، وذهب النحاس إلى أن الاستثناء منقطع، فيكون «مَنْ» في موضع نصب، والمعنى: ولا تَمْلِكُ آلِهَتُهُم التي يدعونها من دون الله الشفاعةَ كما زعموا، ولكن مَنْ شَهِدَ بالحق هم الذين يملكون الشفاعة. إعراب القرآن ٤/ ١٢٢، وينظر: الكشاف ٣/ ٤٩٨، الفريد ٤/ ٢٦٦، تفسير القرطبي ١٦/ ١٢٢، البحر المحيط ٨/ ٢٩، ٣٠، الدر المصون ٦/ ١٠٩.

(٢) الأوْلَى أن يكون التقدير: خَلَقَنا اللهُ، ليتناسب الجواب مع السؤال.

(٣) ﴿أنّى﴾ منصوب على الظرف، وهو بمعنى «كَيْفَ»، ينظر: كتاب سيبويه ٤/ ٢٣٥، حروف المعانِي ص ٦١، الصاحبي ص ٢٠٠، شرح المفصل ٤/ ١٠٩، ١١٠.

(٤) قرأ حفصٌ عن عاصمٍ، وحمزةُ والأعمشُ والسُّلَمِيُّ وابن وَثّابٍ: «وَقِيلِهِ» بالخفض، وقرأ الأعرج وأبو قِلَابَةَ ومجاهد والحسن وقتادة ومسلم بن جندب بالرفع، وقرأ الباقون، والمفضلُ عن عاصم بالنصب، ينظر: السبعة ص ٥٨٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥، المحتسب ٢/ ٢٥٨-٢٥٩، البحر المحيط ٨/ ٣٠، الإتحاف ٢/ ٤٦٠-٤٦١.

وهو محذوف الخبر(١)؛ أي: وَقِيلُهُ: يا رَبِّ مَسْمُوعٌ، أو: وَعِنْدَهُ قِيلُهُ.

وقرأ الباقون بالنصب، ولها وجهان، أحدهما: عطف على قوله: ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ﴾؛ أي: بَلَى وَنَسْمَعُ قِيلَهُ، قال المبرد(٢): والعطف على المنصوب حَسَنٌ وإن تباعد المعطوف من المعطوف عليه، والثانِي: على إضمار فِعْلٍ، معناه: وَقالَ قِيلَهُ(٣).

---

(١) في الأصل: محذوف الجواب.

(٢) أنشد المبرد قول الشاعر:

هَلْ أَنْتَ باعِثُ دِينارٍ لِحاجَتِنا ... أَوْ عَبْدَ رَبٍّ أخا عَوْنِ بْنِ مِخْراقِ

ثم قال: «أراد: باعِثٌ دِينارًا؛ لأنه إنما يستفهمه عما سيقع، ونصب الثاني لأنه أعْمَلَ فيه الفعلَ، كأنه قال: أو باعِثٌ عَبْدَ رَبٍّ، ولو جَرَّهُ على ما قبله كان عربيًّا جيدًا مثل النصب، وذلك لأن من شأنهم أن يحملوا المعطوف على ما عُطِفَ عليه، نحو: هذا ضارِبُ زيدٍ وعَمْرٍو غَدًا، وينصبون عَمْرًا، إلا أن الثانِيَ كلما تباعد من الأول قَوِيَ النصبُ واخْتِيرَ، نحو قولك: هذا مُعْطِي زيدٍ الدراهمَ، وعَمْرًا الدنانيرَ، والجر جَيِّدٌ بالِغٌ». المقتضب ٤/ ١٥١.

وقال المبرد أيضًا: «واعلم أن اسم الفاعل إذا كان لِما مضى، فقلت: هذا ضارِبُ زيدٍ أَمْسِ وعَمْرٍو، وهذا مُعْطِي الدراهمِ أَمْسِ وعَمْرٍو، جاز لك أن تنصب عَمْرًا على المعنى لِبُعْدِهِ من الجارِّ، فكأنك قلت: وأَعْطَى عَمْرًا، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ على معنى: وَجَعَلَ، فنصب». المقتضب ٤/ ١٥٤، وما قاله المبرد سبقه إليه سيبويه، ينظر: الكتاب ١/ ١٧٤-١٧٥.

(٣) يعني أنه مفعول مطلق، وهذا أحد وجهين قالهما الفراء والأخفش، والثانِي: أنه معطوف على ﴿سِرَّهُمْ﴾ كما ذكر المؤلف قبل قليل، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٣٨، وقول الأخفش حكاه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٢٣، والأزهري في معانِي القراءات ٢/ ٣٦٩، وذهب الزجاج إلى أنه منصوب بالعطف على محل الساعة؛ لأن المعنى: ويعلم الساعةَ ويعلم قِيلَهُ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٢١، وينظر أيضًا: إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٨٧، الحجة للفارسي ٣/ ٣٨٢، ٣٨٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨٥، الفريد للهمداني ٤/ ٢٦٦.

وقال أبو العباس[١]: نصبه على: وَعِنْدَهُ عِلْمُ السّاعةِ، وَيَعْلَمُ قِيلَهُ، والقِيلُ مصدر كالقَوْلِ، قال كعب بن زهير/ :

٢٣٧ - يَمْشِي الغُواةُ بِجَنْبَيْها وَقِيلَهُمُ إنّكَ يا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ[٢]

قال أبو عبيد[٣]: يقال: قُلْتُ قِيلًا وقَوْلًا وقالًا لَهُ.

و«قَيْلٌ» له جمعان أحدهما: - كما جاء فِي الحديث - «أقْيالٌ» والثانِي: «أقْوالٌ»[٤]، فَمَنْ جَمَعَهُ بالياء فعلى اللفظ، ومن جمعه بالواو فعلى الأصل؛ لأنه من ذوات الواو، وإن كان أصل قَيْلٍ قَيِّلاً من: قالَ يَقُولُ، كَسَيِّدٍ من: سادَ يَسُودُ، وجَيِّد من: جادَ يَجُودُ[٥].

---

(١) يعني أحمد بن يحيى ثعلبًا، وقوله حكاه الأزهري فِي معانِي القراءات ٢/ ٣٧٠.

(٢) البيت من البسيط، لكعب بن زهير من قصيدة يمدح بها النَّبِيَّ ﷺ، ورواية ديوانه:

يَسْعَى الوُشاةُ بِجَنْبَيْها وَقَوْلُهُمُ

التخريج: ديوانه ص ١٩، مجاز القرآن ١/ ١٢٢، ٢٧٣، ٢/ ١١٩، ١٦٦، جامع البيان ١/ ٥٠٠، إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٨٧، سيرة ابن هشام ٤/ ٩٤٠، الحجة للفارسي ٣/ ٣٨٣، الصاحبي ص ٣٩٦، أساس البلاغة: جنب، عين المعاني ورقة ١١١/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ١٢٤.

(٣) غريب الحديث لأبِي عبيد ٢/ ٥١.

(٤) الحديث الذي يشير إليه المؤلف هو قول النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى وائل بن حُجْرٍ والأقوالِ العَباهِلَةِ مِن حَضْرَمَوْتَ»، ويروى: «الأقْيالِ» بالياء. ينظر: غريب الحديث لأبِي عبيد ٢/ ٥٠، ٥١، النهاية لابن الأثير ٤/ ١٢٢، المعجم الكبير ٢٢/ ٤٧، ٤٨، مجمع الزوائد ٣/ ٧٥ كتاب الزكاة/ باب في بيان الزكاة، ٩/ ٣٧٥ كتاب المناقب/ باب ما جاء في وائل بن حجر.

(٥) هذا قول ابن السكيت، فقد قال: «والقَيْلُ المَلِكُ من ملوك حِمْيَرَ، وجمعه أقْيالٌ وأقْوالٌ، فمن قال: أقْيالٌ بناه على لفظ قَيْلٍ، ومن قال: أقْوالٌ جمعه على الأصل، وأصله من ذوات =

قولـه: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: فأعرض يا محمد عنهم ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞ﴾؛ أي: مُسـالَمةٌ ومُتارَكةٌ، والتقدير في العربية: أمْرِي سَـلامٌ[١]، أو عليكم السلام[٢]، وهذه الآية نسخَتْها آية القتال، قال مقاتل[٣]: نَسَخَ السَّيْفُ الإعْراضَ والسَّلامَ.

ثـم تَهَدَّدَهُمْ فقال: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾؛ يعني: عاقبة كفرهم، قرأ أهل المدينة والشـام: «تَعْلَمُونَ» بالتاء، واختـاره أبو عبيد، وهو على هذا من كلام واحـد، وقرأ ابن كثير وأبو عمـرو والكوفيون: ﴿يَعْلَمُـونَ﴾ بالياء[٤] على أنه قد تَمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞ﴾، وهذا وعيد، والمعنى: فسـوف يعلمون العقوبة على التهديد[٥]، والله أعلم.

* * *

= الواو، وكان أصله قَيِّلًا فَخُفِّفَ، مثل سَـيِّدٍ من سـادَ يَسُـودُ». إصلاح المنطق ص١٠ـ ١١، وينظر: تهذيب اللغة ٩/ ٣٠٢.

(١) من أول قوله؛ «أي: مسالمة ومتاركة». قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٢٤.

(٢) هذا قول الفراء، فقد قال: «رفع ﴿سَلَٰمٞ﴾ بضمير عَلَيْكُمْ وما أشبهه». معانِي القرآن ٣/ ٣٨، يعني: بإضمار «عليكم»، وَرَدَّ عليه النحاس فقال: «وهذا خلاف ما قال المتقدمون... وأيضًا فإن رسول الله ﷺ قد نَهَى أن يُبْدَأَ اليهودُ والنصارى بالسلام، وحَظَرَ على المسلمين، فَصَحَّ أن معنى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ أنه ليس من السلام في شيء، وإنما هو من المُتارَكةِ والتَّسْلِيمِ، وكذا ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞ﴾. إعراب القرآن ٤/ ١٢٤.

(٣) ينظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٢٢٢، ٢٢٣، الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٥٥.

(٤) ينظر: السبعة ص ٥٨٩، البحر المحيط ٨/ ٣٠، النشر ٢/ ٣٧٠، الإتحاف ٢/ ٤٦١.

(٥) من أول قوله: «وهو على هذا من كلام واحد». قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٢٤.

فهرس المحتويات

* * *